

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ

تألیف

دَارُوكُورُ مُحَمَّدُ لَيْبَنِي الْعَمَاوِي

تَجْمِيعُ وَتَعْلِيمُ

مَكَانُ الْإِجَارَاتِ الْعَقَائِدِيَّةِ



سلسلة الرحلة إلى الثقلين

(٢٠)

فاسألو أهل الذكر

تأليف

الدكتور محمد التيجاني السماوي

تحقيق وتعليق

مركز الأبحاث العقائدية

مركز الأبحاث العقائدية

إيران - قم المقدسة - صفائية - ممتاز - رقم ٣٤

ص . ب : ٣٧١٨٥ / ٣٣٣١

هاتف : ٠٠٩٨ ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١)

فاكس : ٠٠٩٨ ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١)

البريد الإلكتروني info@aqaed.com

الموقع على الانترنت www.aqaed.com

شابك (ردمك) : ٥ - ١٤ - ٨٦٢٩ - ٩٦٤

فاسألووا أهل الذكر

تأليف

الدكتور محمد التيجاني السماوي

الفلم واللوح الحساسة : تيز هوش

الطبعة الأولى - ٢٠٠٠ نسخة

سنة الطبع : ١٤٢٧ هـ

السعر : ٦٠٠ ريال

المطبعة : ستارة

* جميع الحقوق محفوظة للمركز *

بسم الله الرحمن الرحيم

دليل الكتاب

٩.....	مقدمة المركز
١٣.....	مقدمة المؤلف للطبعة المحققة
١٥.....	المقدمة
٢٥.....	رسالة مفتوحة إلى السيد أبو الحسن الندوي العالم الهندي
٣٩.....	﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
٤٣.....	الفصل الأول : في ما يتعلّق بالخالق جل جلاله
٤٣.....	السؤال الأول: حول رؤية الله سبحانه وتجسيمه:.....
٤٦.....	تعليق
٤٧.....	السؤال الثاني: حول العدل الإلهي والجبر:
٦٠.....	قول أهل الذكر في الله تعالى
٦٣.....	الفصل الثاني في ما يتعلّق بالرسول ﷺ
٦٣.....	السؤال الثالث: حول عصمة الرسول ﷺ
١٠٦.....	قول أهل الذكر في الرسول ﷺ
١٠٩.....	الفصل الثالث: في ما يتعلّق بأهل البيت ع
١٠٩.....	السؤال الرابع: من هم أهل البيت ع
١١٩.....	عائشة في حياة النبي ﷺ
١٢٥.....	أم المؤمنين عائشة تشهد على نفسها
١٤٤.....	عائشة فيما بعد النبي ﷺ

١٥٢	وقف عائشة ضدّ عليٍّ أمير المؤمنين عليهما السلام
١٥٥	﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾
١٦٠	أم المؤمنين هي القائدة
١٦٣	تحذير النبي عليهما السلام من عائشة وفتنتها
١٦٦	خاتمة البحث
١٦٧	قول أهل الذكر بخصوص أهل البيت عليهما السلام
١٧٣	الفصل الرابع: في ما يتعلّق بالصحابة عامة
١٨٣	القرآن الكريم يكشف حقائق بعض الصحابة
١٩٠	السنة النبوية تكشف حقائق بعض الصحابة
٢٠٨	الصحابه تجاه أوامر الرسول عليهما السلام في حياته
٢٢١	معاملة الصحابة لأوامر الرسول عليهما السلام بعد وفاته
٢٢١	تضييعهم سنة النبي عليهما السلام
٢٢٦	شهادة أبي ذر الغفارى في بعض الصحابة
٢٢٩	شهادة التاريخ في الصحابة
٢٤٠	قول أهل الذكر بخصوص بعض الصحابة
٢٤٧	الفصل الخامس: في ما يتعلّق بالخلفاء الثلاثة: أبو بكر وعمر وعثمان
٢٥٢	أبو بكر الصديق في حياة النبي عليهما السلام
٢٥٨	أبو بكر بعد حياة النبي عليهما السلام
٢٥٨	تكذيبه للصّديقة الطّاهرة فاطمة الزّهراء عليهما السلام وغضبه حقّها
٢٦٥	فاطمة عليهما السلام معصومة بنص القرآن

٢٦٦	فاطمة عليهما السلام سيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة
٢٦٧	فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء أهل الجنة
٢٦٨	فاطمة عليها السلام بضعة النبي عليهما السلام والرسول يغضب لغصبيها
٢٧٧	أبو بكر يقتل المسلمين الذين امتنعوا عن إعطائه الزكاة
٢٨٤	أبو بكر يمنع من كتابة السنة النبوية وكذلك يفعل بعده عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان
٢٨٨	عمر بن الخطاب يتشدد أكثر من صاحبه في الحديث عن رسول الله عليهما السلام ويمنع الناس من نقله
٢٩٧	أبو بكر يسلم الخلافة لصاحبه عمر ويخالف بذلك النصوص الصریحة
٣٠٨	عمر بن الخطاب يعارض كتاب الله باجتهاده
٣٢٨	عثمان بن عفان يتبع سنة صاحبيه في مخالفة النصوص
٣٣٧	الفصل السادس: في ما يتعلق بالخلافة
٣٤٠	أسئلة وأجوبة لا غنى عنها لكل باحث
٣٦٣	الفصل السابع: في ما يتعلق بالحديث الشريف
٣٦٤	النبي عليهما السلام يختل
٣٦٥	النبي عليهما السلام يعقوب عقاباً شنيعاً ويمثل بالمسلمين
٣٦٨	النبي عليهما السلام يحب الجماع
٣٧٣	الرسول عليهما السلام يتفرّج على الرقص ويستمع للغناء
٣٧٥	النبي عليهما السلام يشرب النبيذ
٣٧٥	النبي عليهما السلام والابتدا

٣٧٦ النبي ﷺ لا يستحي!
٣٧٧ النبي ﷺ يكشف عورته!
٣٧٨ النبي ﷺ يسهو في صلاته
٣٧٩ النبي ﷺ يحلف ويحث
٣٨١ اعتقت عائشة أربعين رقبة لتكفر عن يمينها
٣٨٢ النبي ﷺ يتنازل في أحكام الله حسبما يريده
٣٨٧ النبي ﷺ يتصرف كالصبيان! ويعاقب من لا يستحق العقوبة!
٣٨٩ النبي ﷺ يسقط بعض آيات من القرآن!
٣٩٧ النبي ﷺ يتناقض في حديثه
٤٠٢ التناقض في الفضائل
٤٠٩ النبي ﷺ يتناقض مع العلم والطبل
٤١٥ الفصل الثامن: في ما يتعلق بالصحيحين البخاري ومسلم
٤٢٠ البخاري ومسلم يذكران أي شيء لتفضيل أبي بكر وعمر
٤٢٩ البخاري يدلّس الحديث حفاظاً على كرامة عمر بن الخطاب
	بعض الأمثلة على تدليس الحديث التي فيها حقائق تكشف عن عمر ابن الخطاب:
٤٣٠
٤٤٦ انتقاد أهل البيت روایات تعجب البخاري
٤٦٨ خاتمة البحث
٤٧٧ مصادر التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المركز

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خير خلق الله أجمعين،
حبيب قلوبنا، أبي القاسم محمد ﷺ ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين،
واللعنة الدائمة الموبدة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.
نحمدك اللهم ونشكرك أن جعلتنا من أتباع مدرسة أهل البيت علیهم السلام ،
والسائرين على نهجهم القويين، والمتبّئين من أعدائهم والناصبين لهم البغض
والعداء.

لم يكن من ضمن برنامجنا العلمي في "مركز الأبحاث العقائدية" إعادة طبع الكتب التي تم طبعها ونشرها لعدة مرات، خصوصاً كتب الدكتور التيجاني التي تتنافس في طبعها ونشرها مراكز علمية كثيرة ومؤسسات ثقافية عديدة، إذ طبعت طبعات متعددة وترجمت إلى عدة لغات عالمية. والذى جعلنا نقدم على إعادة طباعتها، وتصحيح الأخطاء المطبعية التي وجدت في الطبعات السابقة منها، بل إصلاح بعض الهفوات العلمية التي وقع فيها المؤلف، واستخراج كافة الأقوال الفقهية وغيرها والأحاديث الشريفية وبيان صفاتها التوثيقية - وإن كان هذا العمل بحد ذاته يستحق التقدير - هو الإجابة على الشبهات والردود التي أثارها بعض علماء السنة حول كتب الدكتور التيجاني الذي وصفوه بشخصية خيالية اختلفوا بعض علماء الشيعة

للتشنيع على المذهب السنّي، فقد جمعنا كتبهم فكانت خمسة كتب هي:

(١) "كشف العجاني محمّد التيجانى" لعثمان بن محمّد الخميس، والظاهر

أنّه أُول من تصدّى للردّ على الدكتور التيجانى، إذ أنّ الطبعة الثانية لهذا

الكتاب صدرت عن مؤسسة الفجر فى لندن سنة ١٤١١هـ والطبعة الثالثة

صدرت عن دار الأمل فى القاهرة وكتب عليها "طبعة مزيدة منقحة".

وبما أن الطبعتين الأولى والثانية كانت عبارة عن كتيب صغير، لذلك

اضطرب الخميس فى طبعته الثالثة أن ينقل من كتاب "الانتصار" - الذي يأتى

الحاديـث عنه برقم ٢ - ثلـاث وأربعـين صـفـحة، وذلـك من أجل زـيـادة صـفحـات

كتـابـه، عـلـمـاً بـأـنـه فـى كـتابـه هـذـا الـذـي يـقـع فـى مـائـين صـفـحة تـقـرـيبـاً يـحـاـول

الـرـدـ على كـتبـ الدـكـتوـرـ التـيـجاـنـىـ الـأـرـبـعـةـ وـهـىـ: "ـثـمـ اـهـتـدـيـتـ" وـ "ـفـاسـأـلـواـ

ـأـهـلـ الـذـكـرـ" وـ "ـلـأـكـونـ مـعـ الصـادـقـينـ" وـ "ـشـيـعـةـ هـمـ أـهـلـ السـنـةـ".

(٢) "الانتصار للصحاب والآل من افتراءات السماوي الضال" للدكتور

إبراهيم بن عامر الرحيلى، صدرت طبعته الأولى سنة ١٤١٨هـ عن مكتبة

الغرباء الأثرية فى المدينة المنورة، وكان المؤلف ينوي الردّ على كتب

الدكتور التيجانى الأربعة التى ذكرناها سابقاً، إلا أنّ الذى صدر هو القسم

الأول منه فقط، وهو ردّ على كتاب "ثم اهتديت".

(٣) "منهج أهل البيت فى مفهوم المذاهب الإسلامية، مع دراسة لبعض

الكتب المذهبية وسبل التقرير" لأبى الحسن محيى الدين الحسنى، انتهى

من تأليفه فى الأول من رجب سنة ١٤١٧هـ صدر عن مطبعة المدينة فى

بغداد، وهو ردّ على كتاب الدكتور التيجانى "لأكون مع الصادقين" فقط.

(٤) "النشاط الشيعى الإمامى أو الاستنساخ العقدي، التيجانى السماوى

نموذجًا"، للزبير دحان - صدرت سنة ١٤٢٣هـ ضمن سلسلة نقد المعتقد

برقم ١، وهو رد على كتاب "المراجعات" للسيد عبد الحسين شرف الدين، وكتب الدكتور التيجانى.

(٥) "بل ضللت" لخالد العسقلاني، صدرت سنة ١٤٢٤هـ عن دار المحدثين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، وهو رد على كتاب الدكتور التيجانى "ثم اهتديت".

عملنا في هذا الكتاب

(١) قراءة نص الكتاب بشكل دقيق، ثم تقطيع عباراته إلى عدد فقرات متناسقة، واستعمال علامات الترقيم حسبما تقتضيه الطرق الفنية لتحقيق الكتب.

(٢) استخراج كل ما يحتاج إلى استخراج: من آيات قرآنية كريمة، وأقوال فقهية وكلامية وتاريخية وغيرها، وأحاديث شريفة، وأشعار وغيرها، كل ذلك من مصادرها الرئيسية.

(٣) بيان صفات الأحاديث الشريفة التي استدل بها المؤلف، وتميز الصحيح عن غيره، استناداً إلى آراء كبار علماء المسلمين من الفريقين ؛ يقف القارئ على صحة كلام المؤلف وزيف ادعاء المخالف له.

(٤) إبقاء تعليقات المؤلف التي كانت في الطبعة السابقة كما كانت، وتميزها عن عملنا بإضافة كلمة "المؤلف" في آخرها.

(٥) إذا ذكر المؤلف مصدراً أو مصدرين لكلامه أو للقول أو الحديث الذي يستدل به، فإننا نضيف لها مصادر أخرى معتبرة عند عامة المسلمين، ليقف القارئ على حقيقة الأمر.

(٦) قمنا برد الشبهات التي أثارها عثمان الخميس في كتابه "كشف

الجانى محمد التيجانى" على هذا الكتاب الذى بين أيدينا، وبيننا زيف ادعاء الخميس وقلة اطلاعه على التاريخ، وكيفية محاولته لإضلال الرأي العام بإدعاءات واهية لا أساس لها، بل محاولته بتر حديث الدكتور التيجانى، وهذه مغالطات يلجم إليها الضعفاء.

كذلك قمنا برد الإشكالات التى وجهها أبو الحسن محى الدين الحسنى فى كتابه "منهج أهل البيت فى مفهوم المذاهب الإسلامية" على خصوص هذا الكتاب، وهى فى الواقع إشكالات واهية تنم عن تعصبًّا أعمى بعيداً عن روح النقاش والتفاهم الحر الذى يسعى صاحبه للوصول إلى الحقيقة. وأشارنا أيضاً إلى المناقضة العقائدية التى جرت سنة ١٤٢٣هـ فى قناة "المستقلة" بين بعض الوهابية وبعض أتباع مدرسة أهل البيت عليهما السلام، والذي كان لدكتور التيجانى دور مهم فيها.

شكر وتقدير

ختاماً فإننا نتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكافة الإخوة الأعزاء فى "مركز الأبحاث العقائدية" الذين ساهموا فى إحياء هذا الأثر وإخراجه بهذه الحلة القشيبة، وأخص بالذكر السيد هاشم الميلانى الذى ساهم فى استخراج بعض المصادر، والشيخ لؤي المنصورى الذى أخذ على عاتقه عملية الاستخراج كاملاً ورد الشبهات والإشكالات التى وجهت لهذا الكتاب، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء، وجعله فى ميزان أعمالهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

محمد الحسون

مركز الأبحاث العقائدية

مقدمة المؤلف للطبعة المحققة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

أما بعد، فإني أتقدّم لمركز الأبحاث العقائدية في قم المقدسة - تحت إشراف المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد على السيستاني أطال الله عمره الشريف في صحة وعافية ليستفيد المسلمين من علومه وبركاته - بالشكر الجزيل، كما وأشكّر إدارة المركز وعلى رأسها سماحة السيد جواد الشهريستاني، وكذلك الشيخ الجليل فارس الحسنون^١، والعاملين معهم في مجال البحث والتحقيق، والذين بذلوا وقتاً ثميناً وجهداً كبيراً في دراسة وتنقية كتب الأربعة: (ثم اهتديت) و (مع الصادقين) وكذلك (فاسأموا أهل الذكر) و (الشيعة هم أهل السنة)، وقد أوقفوني على بعض الهفوات والأغلاط التي لا يخلو منها إلا كتاب الله؛ ليصح قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ

^١ كتب هذه المقدمة حينما كان الشيخ فارس الحسنون حياً، إلا أنه انتقل إلى رحمة الله تعالى قبل إكمال هذا العمل، فأخذ أخوه الشيخ محمد الحسنون على عاتقه إدارة المركز وإكمال أعماله، فقام بمراجعة هذا الكتاب مراجعة علمية وتهيئته للطبع، فله من الله الأجر والثواب ومني جزيل الشكر والتقدير «المؤلف».

كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيرًا^١، وَلَيَتَيْنِ لِكُلِّ كَاتِبٍ وَمُؤْلِفٍ
مِهْمَا بَلَغَتْ عِنْيَتِهِ أَنَّهُ بَشَرٌ مَحْدُودٌ الْقَدْرَاتُ وَفِي حَاجَةٍ إِلَى الْمَرْاجِعَةِ، فَإِنَّى
أَلْفَتْ اِنْتِبَاهَ الْقَرَاءِ الْكَرَامِ إِلَى تَنْقِيْحِ بَعْضِ الْمَصَادِرِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الْاِشْتِبَاهُ، إِمَّا
لِسَهْوٍ أَوْ لِإِهْمَالٍ أَوْ لِأَغْلَاطٍ مَطْبَعِيَّةٍ، لِتَكُونَ هَذِهِ الْكِتَابَ الْأَرْبَعَةِ الْمَذَكُورَةِ فِي
حُلْلَةٍ جَدِيدَةٍ وَمُنْفَعَةٍ بَدْوَنِ تَغْيِيرِ الْمَتَوْنِ وَلَا تَبْدِيلِ الْكَلْمَاتِ.

وَهَذِهِ الْخَدْمَاتُ الْجَلِيلَةُ الَّتِي يَعْجَزُ عَنْهَا الإِنْسَانُ بِمَفْرَدِهِ قَامَ بِهَا مَرْكَزُ
الْأَبْحَاثِ الْعَقَائِدِيَّةِ عَبْرِ مَجْمُوعَةِ مِنْ أَعْصَائِهِ الْعَامِلِينَ وَالْمَحْقِقِينَ لِيَكُونَ
دَائِمًاً عَمَلُ الْجَمَاعَةِ مُحَمَّدًاً أَوْ مَقْدِمًاً عَلَى عَمَلِ الْأَفْرَادِ، فَإِنَّى أَسْأَلُ اللَّهَ
سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَوْقِنَّا جَمِيعًا لِخَدْمَةِ دِينِهِ الْعَظِيمِ، وَيَجْعَلُنَا مِنْ خَدَّمَةِ هَذَا
الْمَذَهَبِ الشَّرِيفِ مَذَهَبِ الْحَقِّ الْمَتَمَثَّلِ فِي اِتَّبَاعِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ،
الَّذِينَ جَعَلُهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَئْمَةً الْهَدَى وَمَصَابِيحَ الدِّجَى وَسَفِينَةَ النَّجَاهَةِ لِمَنْ
رَكِبَهَا، وَإِنَّى بِاسْمِي وَاسْمِ جَمِيعِ الْقَرَاءِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ نُشَكِّرُ مَرَّةً أُخْرَى
مَرْكَزَ الْأَبْحَاثِ الْعَقَائِدِيَّةِ عَلَى الْجَهُودِ الَّتِي قَامَ وَيَقُولُ بِهَا لِإِنَارَةِ السَّبِيلِ
وَهَدَايَةِ الْبَاحِثِينَ.

الفقير لرحمه ربّه

الدكتور محمد التيجاني السماوي

٢ جمادى الأول / ١٤٢٤

^١ النساء: ٨٢.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأذكى التسليم على سيدنا
ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين، سيد الأولين والآخرين، والمُنْزَهُ عن
كلّ ما هو مُشين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، أعلام الهدى، ومصابيح
الدّجى، وأئمّة المسلمين.

أما بعد، فهذه أسئلة أعددتها للمسلمين الباحثين خاصة منهم أهل السنة
الذين يظنون أنّهم هم وحدهم المتمسكون بالسنة النبوية الصحيحة على
صاحبها أفضل الصلاة وأذكى التسليم وعلى آله الطاهرين، بل ويشدّدون
نکيرهم على غيرهم من المسلمين وينبذونهم بالألقاب.

وقد بعثتُ في شتى البلاد الإسلامية جمعيات جديدة باسم الدفاع عن
السنة المحمدية، وباسم أنصار السنة وأنصار الصحابة، وكتب كتب عديدة
لشتم وتکفير الشيعة وأئمتهم والاستهزاء بعلمائهم، وروجت وسائل الإعلام
العالمية هذه الأفكار في كلّ أقطار العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وأصبح
حديث الناس اليوم هو "السنة والشيعة".

وكثيراً ما التقى في المناسبات مع بعض الشباب المثقف من المسلمين

الصادقين الذين يتساءلون ويسألون عن حقيقة الشيعة وباطلهم، وهم حائرون بين ما يشاهدونه ويعيشونه مع أصدقاء لهم من الشيعة، وما يسمعونه ويقرؤونه عنهم، ولا يعلمون أين يوجد الحق.

وقد تحدثت مع البعض منهم، وأهديت لهم كتابي "ثم اهتديت"، والحمد لله أن الأغلبية من هؤلاء وبعد المناقشة والبحث يهتدون لمعرفة الحق فيتبعونه، ولكن هذا يبقى مقصوراً على نخبة من الشباب الذين أتقى بهم صدفةً، أما البقية فقد لا يتاح لهم مثل هذا اللقاء، فتبقي مشوشاً الفكر بين الآراء المتضاربة.

وبالرغم من وجود الأدلة المقنعة، والحجج الدامغة في كتاب "ثم اهتديت" وكتاب "مم الصادقين"، إلا أنهما لا يكفيان لمواجهة تلك الحملات المسعورة، والدعایات المكثفة التي تموّلها بعض الجهات الشريرة بالبترودولار في مختلف وسائل الإعلام.

وبالرغم من كل ذلك سيقى صوت الحق مدوياً وسط الضوضاء المزعجة، ويبقى بصيص النور مضيئاً وسط الظلم الدامس؛ لأن وعد الله حق ولا بد لوعده من نفاد، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفُئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتَمِّنُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^١.

وقال تعالى مبيناً بأن أعمالهم هذه ستبوء بالفشل وتنقلب عليهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾^٢.

^١ الصف: ٨.

^٢ الأنفال: ٣٦.

لأجل ذلك، كان واجباً على العلماء والكتاب والمفكرين، أن يوضّحوا للناس ما أشكال عليهم، ويهدوهم سواء السبيل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْلَاعُنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾^١.

فلماذا لا يتكلّم العلماء ويبحثون في هذا الموضوع بجدّ وإخلاص لوجه الله تعالى؟ وإذا كان سبحانه قد أنزل **البيانات والهدا**، وإذا كان قد أكمل **الدين وأتم النّعمة**، وإذا كان رسوله ﷺ قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح **للامّة**، فلماذا هذه التفرقة والعداوة والبغضاء والتنابز بالألقاب، وتکفیر بعضنا البعض؟!

وأنا بدوري أقف وقفة صريحة هنا لأقول لكل المسلمين بأنّ لا خلاص، ولا نجاة، ولا وحدة، ولا سعادة، ولا جنة إلّا بالرجوع إلى الأصلين **الأساسين**: كتاب الله، وعترة الرسول ﷺ، وإلّا بالركوب في سفينة النجاة، وهي مركب أهل البيت ع.

وليس هذا القول كلاماً من اختراعي، إنّما هو كلام الله ورسوله ﷺ في القرآن الكريم، والسنّة النبوية الشريفة.

إنّ المسلمين اليوم أمام اتجاهين اثنين في طريق الوحدة المنشودة. الأول: هو أن يقبل أهل السنّة والجماعة بمذهب أهل بيته الرسول ﷺ، وهو ما يأخذ به الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، ويصبح بذلك المذهب الخامس لديهم، ويتعاملون مع نصوصه الفقهية بال نحو الذي يتعاملون به مع

^١ البقرة: ١٥٩ - ١٦٠.

المذاهب الإسلامية الأربع، فلا ينقوصونه، ولا ينجزون معنتقيه بشيء، ويتركون للطلبة والمثقفين حرية اختيار المذهب الذي يقتنعون به.

و ضمن نفس السياق فإن على المسلمين - سنة وشيعة - القبول بالمذاهب الإسلامية الأخرى كالأباضية والزيدية.. ورغم أن هذا الاتجاه يمثل حلاً يوفر على أمتنا كثيراً من التناحر والتفرقة، إلا أنه لا ينهض إلى مستوى المعالجة الحاسمة للمعضل التاريخي الذي تعيشه منذ قرون.

الاتجاه الثاني: هو أن يتوحد المسلمون كافة على عقيدة واحدة رسمها كتاب الله ورسوله، وذلك عن طريق واحد وصراط مستقيم، وهو اتباع أئمة أهل البيت الذين أذهبوا الله عنهم الرجس وطهروا هم تطهيراً.

ولهذا السبب فالMuslimون كافة سنة وشيعة متفقون على أعلميتهم وتقديمهم في كل شيء: من تقوى، وورع، وزهد، وأخلاق، وعلم، وعمل، ويختلف المسلمين في الصحابة، فليدع المسلمين ما اختلفوا فيه إلى ما اتفقا عليه، من باب قول الرسول ﷺ "دع ما يربك إلى ما لا يربك" ^١.

فتجمع بذلك الأمة، وتتوحد على قاعدة أساسية هي مدار كل شيء أسسها صاحب الرسالة ﷺ في قوله:

"تركتم فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي" صحيح مسلم ^٢.

^١ وسائل الشيعة: ٢٧ ح ١٧٣، ٣٣٥٢٦، سنن الترمذى: ٤ ح ٧٧، ٢٦٣٧.

^٢ حديث الثقلين حديث صحيح ومتواتر ورد في كثير من المصادر، وبكثير من الطرق، وبالفاظ مختلفة: كالثقلين والخلفتين، إلا أن جميعها تعطي معنى واحداً، فقد ورد باللفظ الذي ذكره المؤلف أو ما يقاريه في: مستند أحمد: ٢٦، ومستدرك الحاكم: ٣، وصححه،

وصرح الإمام الذهبي في تلخيص المستدرك بصحته، والهيثمي في مجمع الزوائد وصرح بوثاقة رجاله، والجامع الصغير للسيوطى ١: ٥٣٣ ح ٢٧٤٨ وصرح محقق الكتاب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بصحته، وكتاب السنة لابن أبي عاصم ١: ٦٤٣ - ٦٤٦ حيث نقله من حديث رقم ١٥٥٤ إلى ١٥٦٣، والطحاوي في مشكل الآثار ٢: ٣٠٧، والترمذى في سننه ٢: ٣٠٨، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٥ ح ٨٤٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٥١: ٢٢٨ وذكر تصحيح الذهبي له، وأخرجه الألباني في صحيحته ٤: ٣٥٥ ح ١٧٦١ وحقق الحديث وأثبت صحته.

وورد الحديث في صحيح مسلم ٧: ١٢٢ بلفظ: "... أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، وأهل بيتي؛ أذكّر كم الله في أهل بيتي، أذكّر كم الله في أهل بيتي...".

وقد تمسّك البعض بهذه الصيغة فقال: إنّ الحديث الوارد في صحيح مسلم أمر فيه بمحبة أهل البيت فقط ولم يؤمر بالتمسّك بهم، وإنما أمرنا بالتمسّك بالقرآن، ولزوم مراعاة أهل البيت عليهما السلام لا غير.

هذا ما حاول البعض التمسّك به للرد على المؤلّف وعلى عموم الشيعة الذين يؤمّنون بلزموم التمسّك بأهل البيت عليهما السلام، وفي الإجابة على ذلك نقول:

أولاً: إنّ الحديث - كما أسلفنا - ورد بألفاظ مختلفة وصحّ من طرق متعددة جداً أنّ النبي عليهما السلام (القرآن والعترة) خليفتين من بعده، وجعلهما الهدىين من الضلال والانحراف، وجعلهما ثقلين، وأنّهما اللذان يهديان إلى دين الله الحقّ، وعليه فيكون حديث مسلم بهذا المعنى أيضاً، وبهذا المحتوى لا غير، وهذا ما فهمه علماء السنة.

فقد قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم بعد ذكره الحديث: "قال العلماء: سمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل: لثقل العمل بهما".

وقال الحافظ الزرندي المدني: "سمّاهما ثقلين؛ لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما والمحافظة على رعايتهمَا ثقيل" نظم درر السمحطين: ٢٣١.

وقال ابن الأثير: "إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي. سمّاهما ثقلين؛ لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، ويقال لكلّ شيء خطير نفيس: ثقل، فسمّاهما ثقلين اعظماماً لقدرهما وتفخيمًا لشأنهما" النهاية في غريب الحديث ١: ٢١١ مادة (نقل).

وقال ابن حجر المكي في الصواعق: "وقد جاءت الوصية الصريحة بهم في عدّة أحاديث، منها حديث: إني تارك فيكم ما إن تمسّكت به لن تضلوا بعدي: الثقلين، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانتظروا كيف تخلفواني فيهما، قال الترمذى: حسن غريب.. ولم يصب ابن الجوزي في إيراده في العلل المتناهية، كيف! وفي صحيح مسلم، وغيره...".^{٩٠} الصواعق المحرقة: ٩٠.

وقال القرطبي: "قوله: وأنا تارك فيكم ثقلين يعني كتاب الله وأهل بيته، قال ثعلب: سماهما ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، والعرب تقول لكل شيء خطير نفيس: ثقل".

المفہوم: ٦٣٠٣.

فإذاً، علماء السنة قبل غيرهم فهموا من حديث مسلم وغيره أنه أمر بالتمسك بالكتاب والعترة؛ للروايات الأخرى، وأنه سماهما ثقلين، وليس المسألة مقتصرة على التذكير بأهل البيت فقط.

وثانياً: لو سلمنا أن رواية مسلم ذكرت بأهل البيت عليهما السلام فقط ولم تأمر بالتمسك بهم، ولكن بقية الروايات الواردة في غير صحيح مسلم تصرّح بلزوم التمسّك بأهل البيت وأنهم عدل القرآن، وهي صحيحة وثابتة، فقد صحّحها كثير من أئمة الحديث كأحمد بن حنبل والهيثمي والحاكم والذهبى وابن كثير والترمذى والطحاوى والسيوطى والمناوي والألبانى وغيرهم، وعليه فلا يوجد تضارب بين الرواية الواردة في صحيح مسلم وبين بقية الروايات الصحيحة الامرة بالتمسّك بأهل البيت عليهما السلام؛ لأن رواية مسلم تذكرنا بأهل البيت ولزوم محبتهم، والروايات الأخرى أمرتنا مضافاً على ذلك لزوم إتباع أهل البيت عليهما السلام والأخذ عنهم، وهذا كما لو قال النبي عليهما السلام لشخص: أحبّ علياً، ثم قال له: اتبع علياً، فهنا أيضاً لا تنافي بين القولين؛ لأن الأمر الثاني مستحمل على الأمر الأول وزيادة، فالرسول عليهما السلام أمرنا بحبّ أهل البيت، وأمرنا باتباع أهل البيت عليهما السلام، وعليه فيكون الأمر الثاني شاملًا للأمر الأول وزيادة، ويجب العمل به عند العلماء، وهذا يعرفه أصغر الطلبة فضلاً عن العلماء.

وإن احتج أحداً بأننا نتمسّك برواية مسلم ونطرح بقية الروايات الواردة في غير صحيح مسلم. قلنا: هذا خطأ كبير وطعن في بقية الروايات والمصادر المخرجة لها، وهذا من الجهل الفظيع، قال الشيخ الألبانى في صحيحته ١: ٨٥١ ح ٤٧٤ ردّاً على سعيد الأفغاني في تضعيشه لحديث "أيتكن تنبع عليها كلاب الحواب" قال: "يظنّ الأستاذ الصديق أن إهمال أصحاب الصحاح

ل الحديث ما إنما هو لعنة فيه، وهذا خطأ بين منقرأ شيئاً من علم المصطلح و تراجم أصحاب الصحاح، فإنهم لم يعتمدوا جمع كلّ ما صحّ عندهم في صحاحهم، والإمام مسلم منهم قد صرّح بذلك في صحيحه كتاب الصلاة، وما أكثر الأحاديث التي ينصّ الإمام البخاري على صحتها أو حسنها مما يذكره الترمذى عنه في سنته، وهو لم يخرجها في صحيحه".

فإذاً، عدم ذكر مسلم للحديث بلفظ التمسّك بهما لا يعني عدم صحته، كما أوضح الشيخ الألباني ذلك.

وثالثاً: هناك قاعدة معروفة في علم الحديث لا تخفي على طالب علم ابتدأ الدراسة في الأزهر أو غيرها، وهي أن زيادة الثقة حجّة ويؤخذ بها، والرواية التي في مسلم أمرتنا بالتمسّك بالكتاب فقط - على فرض تسليم ذلك - وذكرنا بأهل البيت، ولكن الروايات الأخرى التي رواها التفتات - وهي كثيرة جداً وصحيحة - ذكرت لزوم التمسّك بأهل البيت عليهما السلام مع الكتاب، وهذه زيادة من ثقافت فيجب الأخذ بها، وبالتالي ينتج لزوم التمسّك بأهل البيت عليهما السلام إلى جنب القرآن الكريم.

ومن هذا يتضح أن ما ذكره صاحب كتاب كشف الجاني في ص ١٢٧ ما هو إلا ترهات فكرية مخالفة لأبسط قاعدة حديثية يعرفها صبية الأزهر الشريف فضلاً عن علمائه الأجلاء، وما حاوله في كتابه ناشئٌ من الجهل بما ذكرناه.

وإذا كان هذا الحديث صحيحاً عند الطرفين، بل عند كل المسلمين على اختلاف مذاهبهم، فما بال قسم من المسلمين لا يعمل به؟ ولو عمل المسلمون كافة بهذا الحديث لنشأت بينهم وحدة إسلامية قوية لا تزعزعها الرياح، ولا تهدّها العواصف، ولا يبطلها الإعلام، ولا يفشلها أعداء الإسلام. وحسب اعتقادي أنّ هذaho الحلُّ الوحيد لخلاص المسلمين ونجاتهم، وما سواه باطل وزخرف من القول، والمتبّع للقرآن والسنّة النبوية، والمطلّع على التاريخ والمتدبر فيه بعقله يوافقني بلا شكٍّ على هذا.

أمّا إذا فشل الاتجاه الأول، وهو فاشل من أول يوم فارق فيه رسول الله ﷺ الحياة، حيث اختلف الصحابة وتسبّب ذلك في انقسام الأمة وتمزيقها، حيث فشلت الأمة عبر قرون في الرجوع إلى الاتجاه الثاني، وهو الاعتصام بالكتاب والعترة، لما بثّه وسائل الإعلام قديماً في العهدين الأموي والعباسي، وحديثاً في عصرنا الحاضر من تشويه وتضليل وتكفير لأتباع أهل البيت النبوى، فلم يبق أمامنا حيئن إلا المواجهة بصرامة،

وإظهار الحق لكل من يرغب فيه، متوكّين في ذلك أسلوب القرآن الكريم؛
إذ يتحدّى فيقول: ﴿... قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُتْمٌ صَادِقِينَ﴾^١.

والبرهان والحجّة لا يفرضان بالقوّة ولا بالأموال، ولا يطرحان بوسائل
الترغيب والترهيب عند الأحرار الذين باعوا أنفسهم لله وحده، ولم ولن
يرضوا بديلاً للحقّ، ولو كلفهم ذلك إزهاق النّفوس.

فيما ليت علماء الأمة اليوم يعقدون مؤتمراً ليبحثوا فيه هذه المسائل
بقلوب متفتحة، وعقول واعية، ونفوس صافية، ويخدمون بذلك الأمة
الإسلامية، ويعملون على لَم شتاتها، وتضميد جراحاتها، وتوحيد صفوفها،
وجمع كلمتها.

إنّ هذه الوحدة قادمة لا محالة أحبّوا أمّاً كرهوا؛ لأنّ الله سبحانه رصد لها
إماماً من ذريّة المصطفى سيملؤها قسطاً وعدلاً كما مثلث ظلماً وجوراً،
وهذا الإمام هو من العترة الطاهرة، وكأنّ الله سبحانه جلت حكمته يمتحنُ
هذه الأمة طيلة حياتها، حتى إذا قرب أجلُّها كشف لها عن خطأ اختيارها،
وأعطها فرصة للرجوع إلى الحقّ، واتباع النهج الأصيل الذي دعا إليه
محمد ﷺ ، الذي كان يقول: "اللهم أهد قومي فإنّهم لا يعلمون"^٢.

وإلى أن يحين ذلك الوقت أقدم كتابي هذا "فاسألوا أهل الذكر"، وهو
جملة من الأسئلة مع الإجابة عليها من خلال مواقف وتعاليم أئمّة أهل
البيت سلام الله عليهم، عسى أن يستفيد منها المسلمون في كلّ البلاد

^١ البقرة: ١١١.

^٢ الشفا للقاضي عياض ١: ٥٠٦، الدر المنشور ٢: ٢٩٨، تفسير ابن كثير ٣: ٥٧٥.

الإسلامية، ويعملوا على تقريب وجهات النظر للإعداد للوحدة المنشودة.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب، رب اشرح لي صدري،

ويسر لي أمري، وأحلل عقدة من لساني يفهوا قولي.

أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل عملي، ويجعل فيه الخير والبركة، فما هو

إلا لبنةً واحدة لبناء رباط الوحدة.

أقول هذا لأن المسلمين اليوم ما زالوا بعيدين عن أبسط حقوق الإنسان،

والتعامل بالحسنى مع بعضهم البعض، لمست ذلك بنفسي خلال رحلاتي

وزياراتي الكثيرة في البلدان الإسلامية أو البلدان التي فيها مسلمون.

وآخرها عهداً في القارة الهندية التي يسكنها أكثر من مائتي مليون مسلم،

ربعهم شيعة وثلاثة أرباعهم من السنة، وقد سمعتُ عنهم الكثير، ولكن ما

شاهدته يبعث فعلاً على الدهشة والحيرة والخوف، ولقد تأسفتُ وبكيتُ

على مصير هذه الأمة، وكاد اليأس يدب إلى قلبي لو لا الرجاء والأمل

والإيمان.

وفور رجوعي من الهند أرسلتُ رسالة مفتوحة إلى العالم الهندي الذي

يرجع إليه أهل السنة والجماعة في تلك القارة، وهو أبو الحسن الندوبي،

ووعدته بنشرها مع الرد عليها، ولكن لم أتلقيَ الردَّ عليها حتى الآن، وإنني

أنشرها في مقدمة هذا الكتاب كما هي لتكون وثيقة تاريخية تشهد لنا عند

الله وعند الناس بأننا من دعاة الوحدة.

الدكتور محمد التيجاني السماوي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلوة والسلام على أشرف المرسلين وآلـه الطاهرين
رسالة مفتوحة إلى السيد أبو الحسن الندوـي العالم الهندي

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد:

أنا محمد التيجانى السماوي التونسي الذى من الله عليه بالهدایة
وال توفيق، فاعتنق مذهب أهل البيت النبوى بعد بحث طويل، وبعـدما كنتُ
مالكياً ومن أتباع الطريقة الصوفية المشهورة فى شمال إفريقيا وهـى
التيجانية، وعرفتُ الحقّ من خلال رحلة موـفة إلى علماء الشيعة،
وكتبـتُ في ذلك كتاباً أسمـيـته " ثم اهـتـدىـت " ، تمَّ طـبعـه عندـكـم فيـ الهندـ منـ
طـرفـ المـجـمـعـ الـعـلـمـيـ الإـسـلـامـيـ بـعـدـ لـغـاتـ، وـبـالـمـنـاسـبـةـ دـعـيـتـ لـزـيـارـةـ الـهـنـدـ.
سيـّـديـ العـرـبـيـ، قـدـمـتـ إـلـىـ الـهـنـدـ فـيـ زـيـارـةـ قـصـيرـةـ، وـكـانـ أـمـلـىـ أـنـ أـتـقـىـ
بـخـضـرـتـكـمـ لـمـاـ أـسـمـعـهـ عـنـكـمـ، وـلـمـاـ أـعـلـمـهـ بـأـنـكـمـ الـمـشـارـ إـلـيـهـ بـيـنـ أـهـلـ السـنـةـ
وـالـجـمـاعـةـ عـنـدـكـمـ، وـلـكـنـ عـاقـنـىـ عـنـ ذـلـكـ بـعـدـ الـمـسـافـةـ وـضـيقـ الـوقـتـ،
وـاـكـنـفـيـتـ بـزـيـارـةـ مـدـيـنـةـ بـوـمـبـايـ، وـبـونـةـ، وـجـلـ بـورـ، وـبعـضـ الـمـدـنـ الـأـخـرـىـ فـيـ
كـوـجـراـتـىـ، وـتـأـلـمـتـ كـثـيرـاـ لـمـاـ شـاهـدـتـهـ فـيـ الـهـنـدـ مـنـ عـدـاـوـةـ وـبغـضـاءـ بـيـنـ أـهـلـ
الـسـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ وـإـخـوانـهـ الـمـسـلـمـيـنـ مـنـ الشـيـعـةـ.
وـقـدـ كـنـتـ أـسـمـعـ بـأـنـهـمـ يـتـحـارـبـونـ وـيـتـقـاتـلـونـ أـحـيـاـنـاـ، وـتـسـفـكـ دـمـاءـ بـرـيـةـ

من الطرفين باسم الإسلام.

ولم أكن أصدق، معتقداً بأنه مبالغة في التشويه، ولكن ما شاهدته وما سمعته من خلال زيارتي يبعث حقاً على الحيرة والاستغراب، وأيقنت بأن هناك نوايا خسيسة ومؤامرات خطيرة تحاك ضد الإسلام والمسلمين للقضاء عليهم جميعاً سنة وشيعة.

ومما زاد يقيني وضوحاً وعلمي رسوخاً تلك المقابلة التي دارت بيني وبين مجموعة من علماء أهل السنة، يتقدمهم الشيخ عزيز الرحمن مفتى الجماعة الإسلامية، وكان اللقاء في مسجدهم ببومباي وبدعوة منهم. وما أن حللتُ بينهم حتى بدأ الأذراء والتهكم والسبُّ واللعنُ لشيعة آل البيت، وقد أرادوا بذلك استفزازي وإثاراتي لعلمهم مسبقاً بأنني قد ألقتُ كتاباً يدعو للتمسك بمذهب أهل البيت سلام الله عليهم.

ولكنني فهمتُ قصدتهم، وتمالكتُ أعصابي، وابتسمتُ لهم قائلاً: أنا ضيف عندكم وأنتم الذين دعوتموني فجئتكم مسرعاً ملبياً، فهل دعوتموني لتسبّوني وتشتموني؟ وهل هذه هي الأخلاق التي علمكم إياها الإسلام؟ فأجابوني بكل صلافة بأنني لم أكن يوماً في حياتي مسلماً؛ لأنني شيعي، والشيعة ليسوا من الإسلام في شيء، وأقسموا على ذلك.

قلت: اتقوا الله يا إخوتي، فربنا واحد، ونبينا واحد، وكتابنا واحد، وقبلتنا واحدة، والشيعة يوحّدون الله، ويعملون بالإسلام اقتداءً بالنبي وأهل بيته، وهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة ويحجّون بيت الله الحرام، فكيف يجوز لكم تكفيرهم؟!

أجابوني: أنتم لا تؤمنون بالقرآن، أنتم منافقون تعملون بالتجيّه، وإنماكم

قال: "التجة ديني ودين آبائى"، وأنتم فرقه يهودية أسسها عبد الله بن سبا اليهودي.

قلت لهم مبتسمًا: دعونا من الشيعة، وتكلّموا معى أنا شخصياً، فقد كنت مالكيًا مثلكم، واقتنعت بعد بحث طويل بأنّ أهل البيت هم أحق وأولى بالاتّباع، فهل عندكم حجّة تجادلونى بها، أو تسألونى ما هو دليلى وحجّتى عسى أن نفهم بعضنا بعضاً؟

قالوا: أهل البيت هم نساء النبي وأنت لا تعرف من القرآن شيئاً.

قلت: فإنَّ صحيح البخاري وصحيح مسلم يُفيدان غير ما ذكرتم!
قالوا: كلَّ ما في البخاري ومسلم وكتب السنة الأخرى من حجج
تحتاجون بها هي من وضع الشيعة دسوها في كتبنا.

أجبتهم ضاحكاً: إذا كان الشيعة وصلوا للدّس في كتبكم وفي صحاحكم فلا عبرة ولا قيمة لها، ولا لمذهبكم القائم عليها!! فسكتوا وأفخموا، ولكن أحدهم عمداً إلى التهريج والإثارة من جديد فقال: من لا يؤمن بخلافة الخلفاء الراشدين: سيدنا أبي بكر، وسيدنا عمر، وسيدنا عثمان، وسيدنا علي، وسيدنا معاوية، وسيدنا يزيد رضي الله عنه وأرضاه، فليس بمسلم!
ودهشت لهذا الكلام الذي ما سمعت مثله في حياتي، وهو تكبير من لا يعتقد بخلافة معاوية وابنه يزيد، وقلت في نفسي: معقول أن يترضى المسلمين على أبي بكر وعمر وعثمان فهذا أمرٌ طبيعي، أما على يزيد فلم اسمع ذلك إلا في الهند. والتفت إليهم جميعاً وأسألهم: أتوافقون هذا على رأيه! فأجابوا كلّهم: نعم.

وعند ذلك عرفت بأن لا فائدة في مواصلة الكلام، وفهمت بأنّهم إنما

يريدون إثاري حتى ينتقموا منّي، وربما يقتلوني بدعوى سب الصحابة فمن يدرى؟

ورأيتُ في أعينهم شرًّا، وطلبتُ من مرافقي الذي جاء بي إليهم أن يخرجني فوراً، فأخرجني وهو يتحسّر ويعتذر إلى على ما وقع.

وهذا الشخص البريء الذي كان يرمي من وراء هذا اللقاء أن يتعرّف على الحقيقة هو الشاب المهدّب شرف الدين، صاحب المكتبة والمطبعة الإسلامية في بومباي، فهو شاهد على كلّ ما دار بيننا من هذه المحاورة المذكورة، ولم يخف استياءه من هؤلاء الذين كان يعتقد بأنّهم من أكبر العلماء.

وغادرتهم وأنا ساخط متأسّف على ما وصلت إليه حالة المسلمين، وخصوصاً الذين يتزعّمون مراكز الصدارة ويتسمّون بالعلماء، وقلتُ في نفسي: إذا كان العلماء بهذه الدرجة من التّعصب الأعمى، فكيف يكون عامة الناس وجهاً لهم؟!

وعرفتُ عندي كيف كانت تقوم المعارك والحرّوب التي تسفك فيها الدماء المحرّمة، وتُهتك فيها الأعراض والحرّمات باسم الدفاع عن الإسلام، وبكيتُ على مصير هذه الأمة التّعيسة المنكوبة التي حملها الله سبحانه مسؤولية الهدایة، وحملها رسول الله ﷺ أيضاً مسؤولية إيصال النور إلى القلوب المظلمة، فإذا بها تصبح بحاجة إلى بصيص من النور.

وفي وقت يكون فيه في الهند وحدها سبعمائة مليون نسمة يعبدون غير الله تعالى، ويقدّسون البقر والأصنام والأوثان، وبدلاً من أن تتوحد جهود المسلمين لهدايتهم وإرشادهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور حتى

يُسلِّمُوا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، نَرَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ وَخُصُوصًا فِي الْهَنْدِ هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى الْهُدَى وَالتَّصْحِيحِ.

لَهُذَا سَيِّدِي أَرْفَعُ كَتَابِي إِلَيْكُمْ دَاعِيًّا إِيَّاكُمْ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَبِاسْمِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَبِاسْمِ الإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^١ أَدْعُوكُمْ أَنْ تَقْفُوا وَقْفَةَ الْمُسْلِمِ الشَّجَاعِ الَّذِي لَا يَخْشَى فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَلَا تَأْخُذْهُ الْعَصْبَيَّةُ وَلَا الطَّائِفَيَّةُ إِلَى حِيثُ يَحِبُّ الشَّيْطَانَ وَأَوْلِيَاءِهِ.

أَدْعُوكُمْ لَوَقْفَةَ مَخْلَصَةٍ وَصَرِيقَةٍ، فَإِنْتُمْ مِنَ الَّذِينَ حَمَّلُوكُمُ اللَّهُ الْمَسْؤُلِيَّةَ مَادِمْتُمْ تَتَكَلَّمُونَ بِاسْمِ الإِسْلَامِ فِي تِلْكُ الْرِّبُّوْعِ، فَلَا يَرْضَى اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَقْفُوا وَقْفَةَ الْمُتَفَرِّجِ الرَّاضِي بِمَا يَقْعُدُ هُنَا وَهُنَاكَ مِنْ مَآسٍ، يَدْفَعُ شَمْنَاهَا الْأَبْرِيَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَنَّةً وَشِيعَةً، وَاللَّهُ سَائِلُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، وَمَحَاسِبُكُمْ عَنْ كُلِّ شَارِدَةٍ وَوَارِدَةٍ؛ لَأَنَّهُ لَا يَسْتُوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ.

فَعَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعِزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرَامِ الْمُكَارِمُ

وَمَادِمْتُمْ تَتَرَعَّمُونَ عَلَمَاءَ الْهَنْدِ، فَمَسْؤُولِيَّتُكُمْ عَظِيمٌ لَا شُكُّ فِيهَا، وَكَلْمَةُ مِنْكُمْ قَدْ يَكُونُ فِيهَا صَلَاحُ الْأُمَّةِ فِي الْهَنْدِ، كَمَا قَدْ يَكُونُ فِيهَا هَلاَكُ الْحَرَثِ وَالنَّسْلِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ!

وَبِمَا أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ أَعْطَى لِلْعُلَمَاءِ الْمَرْتَبَةَ الْأُولَى بَعْدَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ عَزَّ

^١آل عمران: ١٠٣.

من قائل: ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾^١.

وإذا كان سبحانه يأمرنا جميعاً بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا

الْمِيزَانَ﴾^٢.

وإذا كان المفسرون يذهبون إلى ضرورة إقامة العدل في الموازين المادية ذات القيمة المحدودة، فما بالكم بإقامة العدل في القضايا العقائدية التي تتأرجح بين الحق والباطل، وتتوقف عليها هداية البشرية، ونجاة الإنسانية بأسرها؟!

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^٣.

وقال أيضاً: ﴿يَا ذَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضَلِّلَكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^٤.

وقد قال رسول الله ﷺ: "قل الحق ولو على نفسك"^٥، "قل الحق ولو
كان مُرّاً"^٦.

سيدي العزيز، إلى كتاب الله أدعوكم، وإلى سنة رسوله أدعوكم، فقولوها
صرححة مدوية ولو كانت مرّة تكون لكم شهادة عند الله، بربك هل الشيعة
عندكم غير مسلمين؟

^١آل عمران: ١٨.

^٢الرحمن: ٩.

^٣النساء: ٥٨.

^٤ص: ٢٦.

^٥البحار: ٧٤: ١٧١.

^٦صحيح ابن حبان: ٢: ٧٩، الجامع الصغير للسيوطى: ١: ٤٢٨ ح ٢٧٩٣.

هل تعتقدون حقاً أنهم كفار؟ هل أتباع أهل البيت النبوى الذين يوحّدون الله، ويعظّمونه أكثر من كلّ الفرق - لقولهم بتزويجه عن المشابهة والمشاكلة والتجمسيم - ويؤمنون برسوله محمد ﷺ، ويعظّمونه أكثر من كلّ الفرق -

لقولهم بعصمته المطلقة حتى قبل البعثة - هل هؤلاء تحكمون بكافرهم؟

هل الذين يتولّون الله ورسوله والذين آمنوا، ويهودون هوى عترة النبي ويرونهم، كما عرّفهم ابن منظور في "لسان العرب" في مادة "شيعة"، فهل تقولون أنتم بأنّهم غير مسلمين؟

هل هؤلاء الشيعة الذين يُقيّمون الصلاة كأفضل قيام، ويؤتون الزكاة، ويزيدون عليها خمس أموالهم طاعة الله ولرسوله، ويصومون رمضان وغيره من الأيام، ويحجّون البيت، ويعظّمون شعائر الله، ويحترمون أولياء الله، ويتبّرون من أعداء الله وأعداء الإسلام، هل هؤلاء عندكم مشركون؟

هل الذين يقولون بإمامية اثنى عشر إماماً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وقد نصّ عليهم رسول الله ﷺ، كما أخرج ذلك البخاري ومسلم وغيرهما من صحّاح أهل السنة^١، هل هؤلاء عندكم مارقين عن الإسلام؟

هل كان المسلمين يوماً يجهلون الإمامة ولا يقرّون بها، سواء كان ذلك في حياة الرسول أو بعد وفاته، حتى نلصق نظرية الإمامة ومبادئها بالفرس والمجروس؟

^١ يقصد حديث "الخلفاء الاثني عشر" الوارد في صحيح البخاري ٨: ١٢٧، كتاب الأحكام باب ٥٢، صحيح مسلم ٣: ٦، كتاب الامارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش.

وهل تقولون فعلاً بـكفر من لا يعترف بإمامـة يـزـيدـ بن مـعاـويـةـ الـذـيـ عـرـفـ
فسـقـهـ الـخـاصـ وـالـعـامـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ،ـ وـيـكـفـىـ يـزـيدـ خـسـسـةـ وـسـقـوـطـاـ ماـ أـجـمـعـ
عـلـيـهـ الـمـسـلـمـونـ مـنـ إـبـاحـتـهـ الـمـدـيـنـةـ الـمـنـوـرـةـ لـجـيـشـهـ وـجـنـدـهـ يـفـعـلـونـ فـيـهـاـ
ماـ يـشـأـوـنـ لـأـخـذـ الـبـيـعـةـ لـهـ بـالـقـهـرـ عـلـىـ آـنـهـ لـهـ عـبـيـدـ،ـ فـقـتـلـوـاـ عـشـرـةـ آـلـافـ مـنـ
خـيـرـةـ الصـحـابـةـ وـالـتـابـعـينـ،ـ وـهـتـكـواـ فـيـهـاـ أـعـرـاضـ الـمـحـصـنـاتـ مـنـ النـسـاءـ
وـالـفـتـيـاتـ الـمـسـلـمـاتـ حـتـىـ وـلـدـنـ مـنـ سـفـاحـ مـاـ لـاـ يـحـصـيـ عـدـدـ إـلـاـ اللـهـ.
وـيـكـفـىـ عـارـاـ وـشـنـارـاـ وـخـزـياـ مـدـىـ الـدـهـرـ قـتـلـهـ سـيـدـ شـبـابـ أـهـلـ الـجـنـةـ،ـ
وـسـبـيـهـ بـنـاتـ الرـسـولـ،ـ وـضـرـبـهـ ثـنـيـاـ الـحـسـينـ بـقـضـيـهـ،ـ وـتـمـثـلـهـ بـالـأـبـيـاتـ
الـمـعـرـوفـةـ:

"لـيـتـ أـشـيـاخـيـ بـبـدرـ شـهـدـوـاـ"ـ إـلـىـ قـوـلـهـ:ـ "لـعـبـتـ هـاشـمـ بـالـمـلـكـ فـلـاخـبـرـ جـاءـ
وـلـاـ وـحـيـ نـزـلـ".

وـهـوـ صـرـيـحـ بـأـنـهـ لـاـ يـؤـمـنـ بـنـبـوـةـ مـحـمـدـ وـلـاـ بـالـقـرـآنـ الـكـرـيمـ،ـ فـهـلـ حـقـاـ
تـوـافـقـوـنـ عـلـىـ تـكـفـيرـ مـنـ تـبـرـاـ مـنـ يـزـيدـ وـأـبـيـهـ مـعاـويـةـ الـذـيـ كـانـ يـلـعـنـ عـلـيـاـ
وـيـأـمـرـ بـلـعـنـهـ،ـ بـلـ وـيـقـتـلـ كـلـ مـنـ اـمـتـنـعـ عـنـ ذـلـكـ مـنـ خـيـرـةـ الصـحـابـةـ كـمـاـ فـعـلـ مـعـ
حـجـرـ بـنـ عـدـيـ الـكـنـدـيـ وـأـصـحـابـهـ،ـ وـسـنـهـاـ سـنـةـ مـتـبـعـةـ دـامـتـ سـبـعـوـنـ عـامـاـ،ـ
وـهـوـ يـعـلـمـ قـوـلـ الرـسـولـ ﷺ:ـ "مـنـ سـبـ عـلـيـاـ فـقـدـ سـبـنـيـ وـمـنـ سـبـنـيـ فـقـدـ سـبـ
الـلـهـ"ـ^١.ـ كـمـاـ أـخـرـجـ ذـلـكـ صـحـاحـ أـهـلـ السـنـةـ.

^١ المستدرک للحاکم ١٢١: ٣ و وافقه الذهبي في تلخيص المستدرک، الجامع الصغير للسيوطی ٦٠٨ ح ٨٧٣٦، تاريخ دمشق ٤٢: ٥٣٣، وفي مسند أحمد ٦: ٣٢٣ صدر الحديث فقط، وقال الهيثمي في مجمع الروايد ٩: ١٣٠: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة".

إضافة إلى ما قام به من أعمال تتنافى مع الإسلام، وقتله الأبراء والصلحاء من أجلأخذ البيعة لابنه يزيد بالقهر والقوّة، وقتلـه الحسن بن علي عن طريق جعدة بنت الأشعـث، إلى جرائم أخرى كثيرة يذكرها لهـ التاريخ عند أهل السنة، كما يشهد لهـ بها شيعة عليـ.

فـما أـظنكم سـيدـي توافقـون على كلـ ذلك، وإـلا فـعلى الإسلام السـلام، وـعلى الدنيا العـفا، وـعندـها لا يـبقى بعدـ ذلك مقـايـيس ولا عـقل، ولا شـرع، ولا منـطق، ولا دـليل، واللهـ سبحانه وـتعـالـى يقولـ: ﴿يـا أـئـمـهـ الـذـينـ آـمـنـوا اـتـقـوا اللـهـ وـكـوـنـوا مـعـ الصـادـقـينـ﴾^١.

ولـقد صـدق واللهـ عـالمـ الـبـاـكـسـتـانـ المـغـفـورـ لـهـ أـبـوـ الـأـعـلـىـ الـمـودـودـيـ

وقـالـ الشـيخـ الـأـلـبـانـيـ فـيـ صـحـيـحـهـ الـمـجـلـدـ السـابـعـ الـقـسـمـ الثـانـيـ: ٩٩٦ حـ ٣٣٣٢ـ (كانـ يـحبـ عـلـيـاـ) أـخـرـجـهـ الطـبـرـانـيـ فـيـ الـمـعـجمـ الـأـوـسـطـ ٦: ٣٨٩ـ ٥٨٢٨ـ والـمـعـجمـ الصـغـيرـ ١١٩ـ هـنـدـيـهـ: حـدـثـنـاـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـسـنـ أـبـوـ حـصـينـ الـقـاضـيـ، قالـ: حـدـثـنـاـ عـوـنـ بـنـ سـلـامـ، قالـ: حـدـثـنـاـ عـيـسـىـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ السـلـمـيـ عـنـ السـدـيـ عـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ الـجـدـلـيـ قالـ: قـالـتـ لـيـ أـمـ سـلـمـةـ: أـيـسـبـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ بـيـنـكـمـ عـلـىـ الـمـنـابـرـ؟ـ!ـ قـلتـ: سـبـحـانـ اللـهـ، وـأـنـيـ يـسـبـ رـسـوـلـ اللـهـ؟ـ!ـ قـالتـ: أـلـيـسـ يـسـبـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ وـمـنـ يـحـبـهـ؟ـ وـأـشـهـدـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ كـانـ يـحـبـهـ؟ـ!

وقـالـ الطـبـرـانـيـ: لـمـ يـرـوـهـ عـنـ السـدـيـ إـلـاـ عـيـسـىـ.ـ قـلتـ: وـمـنـ طـرـيقـهـ أـخـرـجـ أـبـوـ يـعـلـىـ فـيـ مـسـنـدـهـ ١٢ـ: ٤٤٤ـ / ٤٤٥ـ، وـالـطـبـرـانـيـ أـيـضاـ فـيـ الـمـعـجمـ الـكـبـيرـ ٢٣ـ: ٣٢٣ـ / ٧٣٨ـ مـنـ طـرـقـهـ أـخـرـىـ عـنـ عـيـسـىـ بـهـ.ـ قـلتـ: وـهـذـاـ إـسـنـادـ جـيـدـ رـجـالـهـ كـلـهـ ثـقـاتـ..ـ اـنـتـهـيـ كـلـامـ الـأـلـبـانـيـ.

^١ التوبـةـ: ١١٩ـ.

عندما ذكر في كتابه المسمى بـ "الخلافة والملك" في صفحة ١٠٦ نقلًا عن

الحسن البصري قوله:

أربع خصال كنَّ في معاوية لو لم تكن له إلَّا واحدة لكان موبقة له:

١ - أخذه الأمر من غير مشورة المسلمين، وفيهم بقايا الصحابة ونور

الفضيلة.

٢ - استخلاقه بعده ابنه السكير الخمير الذي يلبس الحرير ويضرب

الطنابير.

٣ - إدعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ : "الولد للفراش وللعاهر

الحجر".

٤ - قتله حجراً وأصحاب حجر، فيا ويلا له من حجر وأصحاب حجر

(أعادها ثلاثة) ^١.

فرحم الله أبا الأعلى المودودي الذي صدَّع بالحق ولو شاء لزاد فوق

هذه الخصال الأربع أربعين، ولكنَّ رحمة الله رأى أنَّ في ذلك كفاية لتكون

موبقة لمعاوية، والمعروف أنَّ كلمة موبقة معناه (توبق في النار).

ولعلَّ المودودي كان يراعي عواطف الناس الذين تعلَّموا من أسلافهم

تقديس معاوية واحترامه والترضي عليه، بل وحتى على ابنه يزيد أيضًا

كما سمعت ذلك بنفسي من علمائكم في الهند، فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله

العلى العظيم.

^١ وانظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٦٣ عن المواقفيات للزبير بن بكار، تاريخ

الطبرى ٤: ٢٠٨.

ولكل ذلك راعيتُ أنا أيضاً عواطف أولئك الذين دعوني ليستفزوّني، فلم
أذكر لهم شيئاً من ذلك خوفاً على نفسي.
فأنا أهيب بكم سيدِي أن تقفوا وقفَة صريحة تبغون بها وجه الله
تعالى، فإنَّ الله لا يستحيي من الحق، ولا أطلب منكم الاعتراف بمساوئ
هؤلاء ولا بنشر فضائحهم، فالتأريخ كفانا وإياكم مؤونة ذلك، ولكن
المطلوب منكم أن تعرفوا وتُعلّموا أتباعكم بأنَّ الذين لا يعترفون بإماماة
هؤلاء ولا يوالونهم، هم مسلمون حقيقيون جديرون بالاحترام وليس في
ذلك شك، أن تقولوا بأنَّ الشيعة مظلومون على مرِّ التاريخ؛ لأنَّهم لم يتبعوا
ولم يعترفوا بإماماة الشجرة الملعونة التي ضربها الله مثلاً في القرآن.

فما هو ذنب الشيعة بربِّكم، إذا كان رسول الله ﷺ يأمر المسلمين باتباع
أهل بيته من بعده حتى جعلهم كسفينة نوح ينجو من يركب فيها ويهلل
من يختلف عنها؟! وما ذنب الشيعة إذا امتهلوا لأمر الرسول بقوله: "تركت
فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدِي أبداً"
كما تشهد بذلك صالح السنة فضلاً عن كتب الشيعة؟!

وبدلاً من شكرهم وتقديمهم وتفضيلهم على غيرهم لامتثالهم أوامر
الرسول ﷺ، نشتتهم ونکفرُهم ونتبرأ منهم، فما هذا بإنصاف ولا هو
معقول!!

دعونا سيدِي من أقوال التحرير والتزييف التي لم تعدْ تقوم على
دليل وبرهان، ولم تعدْ تنطلي على المثقفين من أبناء أمتنا، من أنَّ الشيعة لهم
قرآن خاصٌّ بهم، أو أنَّهم يقولون بأنَّ صاحب الرسالة هو علي، أو أنَّ عبد

الله بن سبا اليهودي هو مؤسس التشيع... إلى غير ذلك من الأقوال السخيفية المغرضة التي يشهد الله أنها من خيال أعداء الإسلام وأعداء أهل البيت وشيعتهم، والتي ما أوجدها إلا التعصب الأعمى والجهل المقيت.

وأنا أسأل سيدي العزيز: أين علماء الهند من علماء الأزهر الشريف الذين أفتوا بجواز العبود بمنذهب الشيعة الإمامية منذ ثلاثين عاماً؟ ومن علماء الأزهر الأعلام من يرى بأن الفقه الجعفري الذي تعمل به الشيعة هو أشمل وأثري وأقرب إلى روح الإسلام من المذاهب الإسلامية الأخرى التي هي عيالٌ عليه، وعلى رأس هؤلاء فضيلة الشيخ محمود شلتوت رحمه الله الذي ترأس الأزهر في حياته، فهل أمثال هؤلاء العلماء لا يعرفون الإسلام والمسلمين؟ أم أن علماء الهند أعلم منهم وأعرف؟ مما أظنكم تقولون بذلك!!

سيدي الكريم أملّ فيكم وطيد، وقلبي إليك مفتوح بالمحبة والشفقة والحنان، وقد كتُ فيما مضى مثلكم محجوب عن الحقيقة وعن أهل البيت وشيعتهم، فهداي الله سبحانه إلى الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، وتحررتُ من قيود التعصب والتقليد الأعمى، وعرفتُ بأنَّ أغلب المسلمين لا زالت تحجّبهم الإشاعات والأباطيل، وتصدّهم الدعايات عن الوصول إلى الحقيقة ليركبوا جميعاً في سفينة النجاة، ويتعصّموا بحبل الله المتيّن.

فليس هناك - كما تعلمون - بين السنة والشيعة فرقٌ إلا فيما اختلفوا فيه بعد الرسول من أجل الخلافة، وأساس الفرقة هو اعتقادهم في الصحابة، والصحابة رضي الله عنهم اختلفوا فيما بينهم حتّى لعنوا بعضهم، بل

وتحاربوا، وقتل بعضهم بعضاً.

فإن يكن الاختلاف فيهم خروجاً عن الإسلام، فالصحابة هم أولى بهذه التهمة والعياذ بالله، ولا أعتقد بأنكم ترضون بذلك. والإنصاف يدعوكم أن لا ترضوا بإخراج الشيعة عن الإسلام، وكما دأب الشيعة على تقديس أهل البيت واحترامهم، كذلك دأب السنة على احترام الصحابة وتقديسهم أجمعين، وشتان بين الموقفين.

إذا كان الشيعة في ذلك مخطئين فأهل السنة أولى بالخطأ؛ لأن الصحابة بأجمعهم يُقدمون على أنفسهم أهل البيت، ويصلون عليهم كصلاتهم على النبي، ولم نعرف أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم قدّم نفسه أو فضّلها على أهل بيت المصطفى في علم أو في عمل.

فالوقت قد حان لرفع المظلمة التاريخية عن شيعة أهل البيت، والتقارب معهم والتآخي والتعاون على البر والتقوى، ويكفي هذه الأمة إراقة الدماء وإثارة الفتنة.

فعسى الله سبحانه يجمع بكم الكلمة، ويلمّ بكم الشّتات، ويرتق بكم الفتن، ويداوي بكم هذه الجراح، ويُحمد بكم نار الفتنة، ويُخزي بكم الشيطان وحزبه، فتكونون عند الله من الفائزين، خصوصاً وأنكم من سلالة العترة الطاهرة على ما أسمع، فاعملوا على أن تُحشروا معهم.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^١، ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ

^١ الأنبياء: ٩٢.

عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ .

وَفَقِيمُكُمُ اللَّهُ وَإِيَّانَا لَمَا فِيهِ خَيْرُ الْبَلَادِ وَالْعَبَادِ، وَجَعَلَكُمُ اللَّهُ وَإِيَّانَا مِنَ
الْعَالَمِينَ الْمُخْلَصِينَ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

أَبْعَثُ لِسَيَادَتِكُمْ وَبِصَحَّةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ نَسْخَةً مِنْ كِتَابٍ "شِمَّ اهْتَدَيْتَ"
الَّذِي أَلَّفْتُهُ بِخَصْوَصِ هَذَا الْمَوْضِوعِ، هَدِيَّةً مِنِّي إِلَيْكُمْ عَسَى أَنْ يَجِدَ لَدِيكُمْ
الْقَبُولِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ

المخلص

مُحَمَّدُ التِّيجَانِيُّ السَّمَوَاطِيُّ التُّونِسِيُّ

^١ التوبية: ١٠٥.

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^١

إنَّ هذه الآية الكريمة تأمر المسلمين بالرجوع إلى أهل الذكر في كلِّ ما أشكل عليهم حتَّى يعرفوا وجه الصواب؛ لأنَّ الله رشحهم لذلك بعدهما علَّمُهم، فهم الرَّاسخون في العلم الذين يعلمون تأویل القرآن.

وقد نزلت هذه الآية لتعريف بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، وهم: محمدٌ، وعليٌّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، وذلك في عهد النُّبوة، أمَّا بعد النَّبِيِّ وحْتَ قيام السَّاعة فهم هؤلاء الخمسة المذكورين أصحاب الكسائِ، يضاف إليهم الأئمَّة التسعة من ذرية الحسين الذين عيَّنَهم رسول الله ﷺ في عدَّة مناسبات، وسمَّاهم أئمَّة الهدى، ومصابيح الدِّجى، وأهل الذكر، والراسخون في العلم الذين أورثُهم الله سبحانه علم الكتاب.

وهذه الروايات ثابتة صحيحة ومتواترة عند الشيعة منذ عهد النبي ﷺ ، وقد أخرجها بعض علماء أهل السنَّة ومفسروهم، معترفين بنزولها في أهل البيت عليهم الصَّلاة والسلام، أذكر من هؤلاء على سبيل المثال:

١ - الإمام الثعلبي في تفسيره الكبير في معنى هذه الآية من سورة النَّحل.

٢ - "تفسير القرآن" لابن كثير في جزئه الثاني الصفحة ٥٧٠.

^١ الأنبياء: ٧.

- ٣ - "تفسير الطبرى" في جزئه الرابع عشر الصفحة ١٠٩.
- ٤ - تفسير الألوسى المسمى "روح المعانى" في جزئه الرابع عشر الصفحة ١٣٤.
- ٥ - "تفسير القرطبي" في جزئه الحادى عشر الصفحة ٢٧٢.
- ٦ - تفسير الحاكم المسمى "شواهد التنزيل" في جزئه الأول الصفحة ٣٣٤.
- ٧ - "إحقاق الحق" في جزئه الثالث الصفحة ٤٨٢. [وقد أورد نزول الآية في أهل البيت عن مصادر أهل السنة].
- ٨ - "ينابيع المودة" للقندوزي الحنفي الصفحة ٥١ و ١٤٠.
- ولما كان أهل الذكر في ظاهر الآية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، كان لزاماً علينا أن نوضح بأنهم ليسوا المقصودين من الآية الكريمة.
- أولاً: لأن القرآن الكريم ذكر في العديد من الآيات بأنهم حرفوا كلام الله، وكتبوا الكتاب بأيديهم، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، وشهد بكذبهم وتقليلهم الحقائق، فلا يمكن الحال هذه أن يأمر المسلمين بأن يرجعوا إليهم في المسائل التي لا يعلمونها.
- ثانياً: روى البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات باب لا يسأل أهل الشرك من الجزء الثالث صفحة ١٦٣:
- عن أبي هريرة، قال النبي ﷺ: "لا تُصدّقو أهل الكتاب ولا تكذّبوا هم، وقولوا: آمنا بالله وما أُنزل... الآية".

وهو يفيد عدم الرجوع إليهم في المسألة وتركهم وإهمالهم؛ لأنَّ عدم التصديق وعدم التكذيب ينفيان الغرض، وهو السؤال الذي ينتظر الجواب الصحيح.

ثالثاً: روى البخاري في صحيحه من كتاب التوحيدباب قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَاءٍ﴾ من جزئه الثامن صفحة ٢٠٨ عن ابن عباس قال: "يا معاشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضرًا لم يُشَبَّهْ، وقد حدّثكم الله أنَّ أهل الكتاب قد بدّلوا من كتب الله وغيروا، فكتبوا بأيديهم وقالوا: هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً، أولاً ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسأളتهم؟! فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم".

رابعاً: لو سألنا أهل الكتاب من النصارى اليوم، فإنَّهم يدعون بأنَّ عيسى هو إله، واليهود يكذبونهم ولا يعترفون به حتى نبياً، وكلاهما يكذب بالإسلام ونبي الإسلام ويقولون عنه: كذاب ودجال! لكلَّ هذا لا يمكنُ أن يُفهم من الآية بأنَّ الله أمرنا بمساءلة لهم.

ولما كان أهل الذكر في ظاهر الآية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فإنَّ هذا لا ينفي أنَّها نازلة في أهل بيته صلى الله عليه وسلم كما ثبت عند الشيعة والسنَّة من طرق صحيحة، وبذلك يُفهم منها أنَّ الله سبحانه وتعالى أورث علم الكتاب الذي ما فرط فيه من شيء إلى هؤلاء الأئمة الذين اصطفاهم من عباده؛ ليرجع إليهم الناس في التفسير والتأنويل، وبذلك تضمن

هدايتهم إذا ما أطاعوا الله ورسوله.

ولأنَّ الله سبحانه وجلَّ حكمته أراد أن يُخضع النَّاس عامةً إلى نخبة منهم، اصطفاهم وعلمَهم علم الكتاب، لكي تسهل القيادة وتنظم أحوال النَّاس بذلك، فلو غاب هؤلاء عن حياة النَّاس لأصبح المجال مفتوحاً أمام المُدعين والجاهلين، ولرَكِبَ كلُّ واحد هَوَاءً، واضطربت أمور النَّاس ما دام كلٌّ واحد يمكنه ادعاء الأعلمية.

ولأبرهنَ على هذا الرأي، بعد افتراضي بأنَّ أهل البيت هم أهل الذكر فساورُدُ بعض الأسئلة التي ليس لها جواب عند أهل السنة والجماعة، أو أنَّ لها جواباً ولكن متکلف لا يستند إلى حجَّة يقبلها الباحث المحقق، أمَّا جوابها الحقيقي فهو عند هؤلاء الأئمة الأطهار الذين ملأوا الدنيا علمًا ومعرفةً، وعملاً وصلاحاً.

الفصل الأول

في ما يتعلّق بالخالق جلّ جلاله

السؤال الأول: حول رؤية الله سبحانه وتجسيمه:

يقول الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^١، ﴿لَنْ يُنْسَى كَمْثُلُهُ شَيْءٌ﴾^٢، ويقول لموسى لما طلب رؤيته: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾^٣.

فكيف تقبلون بالأحاديث المرويّة في " صحيح البخاري" و" صحيح مسلم" بأنّ الله سبحانه يتجلّى لخلقه ويروّنه كما يرون القمر ليلة البدر^٤، وأنّه ينزل إلى سماء الدنيا في كلّ ليلة^٥، ويضع قدمه في النار فتمتلئ^٦،

^١ الأنعام: ١٠٣.

^٢ الشورى: ١١.

^٣ الأعراف: ١٤٣.

^٤ صحيح البخاري ٧: ٢٠٥ كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، صحيح مسلم ١: ١١٢ كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

^٥ صحيح البخاري ٢: ٤٧ كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاحة من آخر الليل، صحيح مسلم ٢: ١٧٥

كتاب صلاة المسافر، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل.

^٦ صحيح البخاري ٨: ١٨٦ كتاب التفسير، باب (وتقول هل من مزيد).

وأنه يكشف عن ساقه لكي يعرفه المؤمنون^١ ، وأنه يضحك ويتعجب . وإلى غير ذلك من الروايات التي تجعل من الله جسماً متھراً كأَوْ متحولاً، له يدان ورجلان، وله أصابع خمسة يضع على الأول منها السماوات، وعلى الإصبع الثاني الأرضين، والشجر على الإصبع الثالث، وعلى الرابع يضع الماء والثرى، ويوضع بقية الخلائق على الإصبع الخامس^٢ ، وله دار يسكن فيها، ومحمد^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} يستأذن للدخول عليه في داره ثلاث مرات^٣ ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً، سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

والجواب على هذاعند أئمة الھدى ومصابيح الدّجى هو التنزية الكامل لله سبحانه وتعالى عن المجانسة، والمشاكلة، والتصوير، والتجمسيم، والتشبيه، والتحديد، يقول الإمام علي^{عليه السلام} في ذلك:

”الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يُحصى نعماءُ العادون، ولا يؤدّي حقَّه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوصُ الفطن، الذي ليس لصفته حدٌ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقتٌ معدود، ولا أجل ممدُودٌ... فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزاه، ومن جزاه فقد جهلَه، ومن جهلَه فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حَدَّه، ومن حَدَّه فقد عَدَّه، ومن قال فيمَ فقد ضمَنه، ومن قال علامَ فقد أخْلَى

^١ صحيح البخاري ٨: ١٨٢ كتاب التفسير، باب يوم يكشف عن ساق.

^٢ صحيح البخاري ٦: ٣٣ كتاب التفسير، باب قوله: (وما قدروا الله حقَّ قدره).

^٣ صحيح البخاري ٨: ١٨٣ كتاب التفسير، باب قوله (وعلمَ آدم الأسماء كلها)، صحيح مسلم ١: ١٢٤ كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

منه، كائنٌ لاً عن حَدَثٍ، موجودٌ لاً عن عَدَمٍ، مع كُلّ شيءٍ لاً بِمُقارنةٍ، وغيرٌ كُلّ شيءٍ لاً بمُزايلةٍ، فاعلٌ لاً بِمعنِي الْحُرْكَاتِ وَالآلاتِ، بِصِيرٌ إِذْ لَا مُنْظَرٌ إِلَيْهِ من خلقِه...^١.

وإِنِّي أُلْفَتُ نظر الباحثين من الشباب المثقفين إلى الكنوز التي تركها الإمام على عَلَيْهِ السَّلَام ، والتي جَمِعَتْ في "نهج البلاغة"، ذلك السفر القييم الذي لا يتقدمُه إلا القرآن، والذي بقي مع الأسف مجهولاً لدى أغلبية الناس، نتيجة الإعلام والإرهاب والحضار المضروب من قبل الأمويين والعباسيين على كل ما يتصل بعلي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَام .

ولستُ مبالغًا إذا قلتُ بأنَّ في "نهج البلاغة" كثيراً من العلوم والنصائح التي يحتاجها الناس على مر العصور، وفي "نهج البلاغة" علم الأخلاق، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، وإشارات قيمة في علم الفضاء والتكنولوجيا، إضافة إلى الفلسفة، والسلوك، والسياسة، والحكمة.

وقد أثبتتُ ذلك شخصياً في الأطروحة التي قدمتها إلى جامعة السوربون، والتي نُوقشتْ على مواضيع أربعة اخترتها من "نهج البلاغة"، وحصلتُ من خلالها على شهادة الدكتوراه.

فيما ليتَ المسلمين يولون "نهج البلاغة" عناية خاصة، فيبحثون فيه كل الأطروحات وكل النظريات، فهو بحر عميق كلما غاص فيه الباحث استخرج منه اللؤلؤ والمرجان.

^١ نهج البلاغة: ١٥، الخطبة الأولى.

تعليق

هناك فرق واضح بين العقائدتين:

عقيدة أهل السنة والجماعة التي تقول بالتجسيم، وتجعل من الله سبحانه وتعالى جسماً وشكلًا يُرى، وتصوّره وكأنّه إنسان، فهو يمشي وينزل، ويحيوي جسمه دارٌ، إلى غير ذلك من الأشياء المنكرة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً.

وعقيدة الشيعة الذين ينزعون الله عن المشاكلة والمجانسة والتجسيم، ويقولون باستحالة رؤيته في الدنيا وفي الآخرة.

وأعتقد شخصياً بأنّ الروايات التي يتحجّ بها أهل السنة والجماعة كلّها من دسّ اليهود في زمن الصحابة ؛ لأنّ كعب الأحبار اليهودي الذي أسلم في عهد عمر بن الخطّاب هو الذي أدخل هذه المعتقدات التي يقول بها اليهود، عن طريق بعض البسطاء من الصحابة أمثال أبي هريرة، و وهب بن منبه.

فأغلب هذه الروايات مروية في البخاري ومسلم عن أبي هريرة، وقد تقدّم في بحث سابق كيف أنّ أبي هريرة لا يفرق بين أحاديث النبي ﷺ وأحاديث كعب الأحبار حتّى ضربه عمر بن الخطّاب، ومنعه من الرواية في قضية خلق الله السموات والأرض في سبعة أيام.

وما دام أهل السنة والجماعة يثقون في البخاري ومسلم، ويجعلون منهما أصحّ الكتب، وما دام هؤلاء يعتمدون على أبي هريرة حتى أصبح عمدة المحدثين، وأصبح عند أهل السنة راوية الإسلام؛ فلا يمكن الحال هذه أن

يغّير أهل السنة والجماعة عقيدتهم إلا إذا تحرّروا من التقليد الأعمى، ورجعوا إلى أئمة الهدى، وعترة المصطفى، وباب مدينة العلم الذي منه يؤتى.

وهذه الدعوى لا تختص بالكبار والشيوخ بل الشباب المثقف من أهل السنة والجماعة كذلك، ومن واجبه أن يتحرّر من التقليد الأعمى، ويتبّع الحجّة والدليل والبرهان.

السؤال الثاني: حول العدل الإلهي والجبر:

يقول الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^١.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الْغَيِّ﴾^٢.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مُثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مُثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^٣.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ﴾^٤.

فكيف تقبلون بالأحاديث المروية في " صحيح البخاري" و " صحيح مسلم" بأن الله سبحانه قدر على عباده أفعالهم قبل أن يخلقهم؟ فقد روى البخاري في صحيحه قال: أاحتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيّبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه،

^١ الكهف: ٢٩.

^٢ البقرة: ٢٥٦.

^٣ الزمر: ٨ - ٧.

^٤ الغاشية: ٢١ - ٢٢.

وخط لك بيده، أتلومنى على أمر قدرة الله على قبل أن يخلقنى بأربعين سنة، فحج آدم موسى ثلاثة...^١.

كما روی مسلم في صحيحه قال: إن أحدكم يجمع خلقة في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفع فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد.

فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها^٢.

كما روی مسلم في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين قالت: دعى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة لم ي العمل السوء ولم يدركه، قال: "أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم"^٣.

وروى البخاري في صحيحه قال رجل: يا رسول الله أتعرف أهل الجنة

^١ صحيح البخاري ٧: ٢١٤ كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى، صحيح مسلم ٨: ٤٩ كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

^٢ صحيح مسلم ٨: ٤٤ كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، صحيح البخاري ٧: ٢١٠ كتاب القدر باب في القدر.

^٣ صحيح مسلم ٨: ٥٥ كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة.

من أهل النار؟ قال: "نعم"، قال: فلم يعمالُ العاملون؟ قال: "كلُّ يعمالُ لما خلقَ له، أو لما يُسْرَ له".^١

سبحانك ربنا وبحمدك تبارك وتعالى عن هذا الظلم علوًّا كبيرًا
فكيف نصدق بهذه الأحاديث المناقضة لكتابك العزيز الذي قلت فيه وقولك
الحق:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.^٢

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُثْقَلَ ذَرَةً﴾.^٣

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبَّكَ أَحَدًا﴾.^٤

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.^٥

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.^٦

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾.^٧

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ﴾.^٨

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ﴾.^٩

^١ صحيح البخاري ٧: ٢١٠ كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله.

^٢ يونس: ٤٤.

^٣ النساء: ٤٠.

^٤ الكهف: ٤٩.

^٥ آل عمران: ١١٧.

^٦ التوبة: ٧٠، العنكبوت: ٤٠، الروم: ٩.

^٧ الزخرف: ٧٦.

^٨ الأنفال: ٥١.

^٩ فصلت: ٤٦.

وَكَمَا قَالَ فِي حَدِيثٍ قَدْسِيٍّ: "يَا عَبْدِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي
وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مَحْرَماً فَلَا تَظَالِمُوا" ^١؟

فَكَيْفَ يَصَدِّقُ مُسْلِمٌ آمَنَ بِاللهِ وَبِعِدَالِهِ وَرَحْمَتِهِ أَنَّ اللهَ سَبَحَانَهُ خَلْقَ
الْخَلْقِ، وَحَكَمَ عَلَى بَعْضِهِمْ بِالجَنَّةِ وَعَلَى الْآخَرِينَ بِالنَّارِ حَسْبَ اخْتِيَارِهِ هُوَ،
وَقَدْرُ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَكُلُّ مَيْسُرٍ لِمَا خَلَقَ لَهُ، عَلَى حَسْبِ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ
الْمُعَارِضَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلِلْفَطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا، وَلِلْعُقْلِ
وَالْوَجْدَانِ، وَلِأَبْسَطِ حَقْوقِ الْإِنْسَانِ؟

كَيْفَ تُؤْمِنُ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي يَحْجِرُ الْعُقُولَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ هُوَ دَمِيَّةٌ
تُحَرِّكُهَا أَيْدِيُ الْقَدْرِ كَيْفَ شَاءَتْ، لِتُلْقِيَ بَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّنَوُّرِ؟ هَذَا الاعْتِقَادُ
الَّذِي يَمْنَعُ الْعُقُولَ مِنَ الْخَلْقِ وَالابْتِكَارِ، وَالْإِبْدَاعِ وَالتَّطَوُّرِ، وَالْمُنَافِسَةِ الَّتِي
تَأْتِي بِالْأَعْجَيبِ، وَيَقْنِي الْإِنْسَانَ جَامِدًا رَاضِيًّا بِمَا هُوَ فِيهِ وَبِمَا عَنْهُ،
بَدْعَوْيًا أَنَّهُ مَيْسُرٌ لِمَا خَلَقَ لَهُ.

كَيْفَ نَقْبِلُ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ الَّتِي تَصَادِمُ الْعُقُولَ السَّلِيمَةَ، وَتَصْوِرُ لَنَا بِأَنَّ
اللهَ سَبَحَانَهُ هُوَ خَالقُ، جَبَّارٌ، قَوِيٌّ، قَاهِرٌ، وَلَهُ أَنْ يَخْلُقَ عَبَادَهُ الْمُضْعَفَاءَ لِيُزَجِّ بِهِمْ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ لَا لَشَيْءٌ إِلَّا لَأَنَّهُ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ، وَهُلْ يَسْمَى الْعَقَلَاءَ هَذَا إِلَهٌ
حَكِيمًا أَوْ رَحِيمًا أَوْ عَادِلًا؟

كَيْفَ لَوْ تَحَدَّثَنَا مَعَ الْمُتَقَفِّينَ وَالْعُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَرَفُوْا بِأَنَّ رَبَّنَا
عَلَى هَذِهِ الصَّفَاتِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ حَكَمَ عَلَى النَّاسِ قَبْلَ وَلَادَتِهِمْ بِالشَّقَاءِ،

^١ صحيح مسلم ١٧: كتاب البر والصلة بباب تحريم الظلم، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٩٣،
الجامع الصغير للسيوطى ٢: ٢٣٧ ح ٦٠٢٠

فهل سيقبلون الإسلام ويدخلون في دين الله أفواجاً؟

سبحانك! إن هذا زورٌ من القول ركزةُ الأمويّون، وروجوا له لحاجة في نفوسهم، والباحث يعرف سر ذلك، وهو زورٌ من القول لأنَّه يعارض كلامك، وحاش رسولك، أنْ يتقول عليك بما ينافقُ وحْيُك الذي أوحى إليَّه، وقد ثبت أنَّه ﷺ قال: "إذا جاءكم الحديث عنِّي فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق الكتاب فخذوه، وما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار" ^١. وكلُّ هذه الأحاديث وأمثالها كثيرة تعارض كتاب الله وتعارض العقل، فليضرب بها عرض الجدار، ولا يلتفتُ إليها وإنْ كان آخر جها البخاري ومسلم، فما كان معصومين عن الخطأ.

ويكفينا دليلاً واحداً للرد على هذا الادعاء الباطل هو بعثة الأنبياء والمرسلين من قبل الله إلى خلقه، وعلى طول التاريخ البشري ليصلحوا مفاسد العباد، ويوضّحوا لهم الصراط المستقيم، ويعلموهم الكتاب والحكمة، ويبشّروهم بالجنة إن كانوا صالحين، وينذروهم من عذاب الله في النار إن كانوا مفسدين.

ومن عدالة الله سبحانه في خلقه ورحمته بهم أنَّه لا يعذب إلا من بعث إليه رسولاً، وأقام عليه الحجة، قال تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازْرَةً وَزْرًا خَرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ^٢.

^١ تفسير أبي الفتوح الرازي ٣٩٢:٣، باختلاف يسير.

^٢ الإسراء: ١٥.

إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الرَّوَايَاتُ الَّتِي أَخْرَجَهَا الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَالَّتِي تَقُولُ بِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى عِبَادِهِ أَعْمَالَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَحَكَمَ عَلَى الْبَعْضِ مِنْهُمْ بِالْجَنَّةِ وَعَلَى الْبَعْضِ بِالنَّارِ - كَمَا قَدَّمْنَا سَابِقًا - وَكَمَا يَؤْمِنُ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، أَقُولُ: إِنَّ كَانَ هَذَا صَحِيحًا، فَإِنَّ إِرْسَالَ الرَّسُولِ وَانْزَالَ الْكِتَبِ يَصْبِحُ ضَرِبًاً مِنَ الْعَبْثِ! تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عَلَوًا كَبِيرًا، وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، فَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمُ بِهَذَا، سَبِّحْنَاكَ هَذَا بِهَتَانِ عَظِيمٍ.

﴿تَلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾^١.

والجواب على هذا عند أئمة الهدى، ومصابيح الدُّجى، ومنار الأُمَّةِ، هو تنزيه الله سبحانه عن الظلم والعبث، فلنستمع إلى باب مدينة العلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو يشرح للناس هذا الاعتقاد الذي بقي لغزاً عند بعض المسلمين الذين تركوا الباب، يقول عليه السلام لما سأله أحد أصحابه: أكان مسيراً إلى الشام بقضاء من الله وقدره؟

"ويحك لعلك ظنت قضاءً لازماً وقدراً حاتماً، ولو كان كذلك لبطلَ الثوابُ والعِقَابُ، وسقط الوعدُ والوعيدُ، إنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ أَمْرَ عَبَادَهُ تَخْيِرًا، ونَهَا هُمْ تَحْذِيرًا، وَكَلَّفَ يَسِيرًا، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا، وَلَمْ يُعْصِ مَغْلُوبًا، وَلَمْ يُطِعْ مُكْرِهًا، وَلَمْ يُرْسِلْ الْأَنْبِيَاءَ لَعْبًا، وَلَمْ يُنْزِلِ الْكِتَبَ لِلْعِبَادِ عَبَثًا، وَلَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا، ذَلِكَ ظُنُّ الْذِينَ كَفَرُوا فَوْيِلُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ" ^٢. صدق الإمام عليه السلام فوَيْلُ لِلَّذِينَ يُنْسِبُونَ

^١ آل عمران: ١٠٨.

^٢ نهج البلاغة شرح محمد عبد العليم: ١٧، الخطبة: ٧٨.

العبث والظلم لله من عذاب أليم.

والجدير بالذكر والحقُّ يقال بأنَّ أهل السنة والجماعة ينْزَهُون الله عن العبث والظلم، فإذا ما سألت أحدهم فسوف لن يُنسب الظلم لجلال الله سبحانه، ولكنَّه سوف يَجْدُ نفسه متحرِّجاً لرفض أحاديث أخر جها البخاري ومسلم، ويعتقد ضمِّنياً أنَّها صحيحة، ولذلك تراه عندما تجادله بالمنطق المعقول، يدْعِي بأنَّ ذلك لا يُسمَّى ظلماً عند الله؛ إذ أنَّه الخالق، وللخالق أن يفعل في مخلوقاته ما يشاء! فهو لا يسأل عما يَفْعَلُ وهم يُسَأَّلُون.

وعندما تأسَّله: كيف يحكم الله على عبد بالنار قبل خلقه لأنَّه كتب عليه الشقاء، ويحكم على آخر بالجنة قبل خلقه لأنَّه كتب عليه السعادة؟ أليس في ذلك ظُلم للاثنين؟ لأنَّ الذي يدخل الجنة لا يدخلها بعمله وإنَّما باختيار الله له، وكذلك الذي يدخل النار لا يدخلها بما اقترفه من ذنبه وإنَّما بما قدَّره الله عليه، أليس في ذلك ظُلم، وهو ينافقُ القرآن؟ فسيجيبك: بأنَّ الله فعالٌ لما يريد! فلا تفهم من موقفه المتناقض شيئاً.

وهذا بديهي إذ أنَّه يُنزل البخاري ومسلم بمنزلة القرآن، ويقول: أصح الكتب بعد كتاب الله البخاري ومسلم، وفي البخاري ومسلم عجائب وغرائبٍ ومصائبٍ ابْتُلَى بها المسلمين، وقد نجح الأمويون ومن بعدهم العباسيون نجاحاً كبيراً في بثِّ بدَاعهم وعقائدهم التي تتماشى وسياستهم العقيدة، وبقيت آثارهم حتى اليوم إذ يعتبرها المسلمون أعزَّ وأعظم تراث؛ لأنَّه جمع الأحاديث النبوية الصحيحة على حد زعمهم، ولو يعلم المسلمون مقدار ما كَذَبُوا على رسول الله ﷺ من أجل أغراضهم السياسية لما صدقوا

بتلك الأحاديث، وخصوصاً منها المتناقض مع كتاب الله.
ولأن القرآن الكريم تكفل الله بحفظه، وأنه كان محفوظاً عند الصحابة،
وكانوا يعرضونه على النبي، لذلك لم يتمكنوا من تحريفه وتبدلاته، فعمدوا
إلى السنة المطهرة فوضعوا ما شاؤوا لمن شاؤوا.

وبما أنهم كانوا أعداءً لأهل البيت حفظة القرآن والسنّة اختلقو الكلّ
حادثة حديث نسبوه للنبي ﷺ، وموهوا على المسلمين بأنّ هذه
الأحاديث هي أصحّ من غيرها، فقبلها الناس على حسن نية، وهم
يتداولونها بالوراثة جيلاً بعد جيل.

وللإنصاف أقول بأنّ الشيعة هم الآخرون ضحية الدس والتمويه في
كثير من الأحاديث التي تنسب للرسول ﷺ أو لأحد آئمة الأطهار سلام الله
عليهم، فهذا الدس والتمويه لم يسلم منه المسلمون سنّة وشيعة على مرّ
التاريخ، ولكن الشيعة يمتازون على أهل السنّة والجماعة بثلاثة أشياء
ميّزتهم على غيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى، وأبرزت عقائدهم سليمة
ومتفقة مع القرآن والسنة والعقل، وهذه الأشياء الثلاثة هي:

أولاً: انقطاعهم لأهل البيت النبوى، فهم لا يقدّمون عليهم أحداً، وكلّنا
يعلم من هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.
ثانياً: عدد آئمة أهل البيت، وهو اثنى عشر إماماً، امتدت حياتهم
وآثارهم طوال ثلاثة قرون، وقد وافق بعضهم بعضاً في كل الأحكام
والأحاديث، ولم يختلفوا في شيء، مما جعل شيعتهم وأتباعهم المتعلّمين في
كلّ مجالات العلم والمعرفة بوضوح وبدون تناقض في العقائد أو في غيرها.

ثالثاً: اعترافهم وإقرارهم بأنّ ما لديهم من الكتب يتحمل الخطأ والصواب، وليس عندهم كتاب صحيح إلّا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ويكفيك أن تعرف مثلاً أن أعظم كتاب عندهم وهو "أصول الكافي" يقولون بأنّ فيه آلاف الأحاديث المكذوبة^١، ولذلك تجد علماءهم ومجتهديهم دائبين على البحث والتنقيب، فلا يأخذون منه إلّا الثابت بالمتن

^١ بمعنى التي لم تصح ولا يمكن الاحتجاج بها لضعف سندها الناشئ: إما من عدم توثيق الراوي، أو أنه متهم بالكذب، أو غير ذلك. ثم إنّ مراده من الكافي جميع روایات کتاب الكافي والتي هي مقسمة إلى أصول وفروع وروضۃ، ويبلغ مجموعها أكثر من ستة عشر ألف حديث، وليس مقصوده فقط الأصول من كتاب الكافي المقابلة للفروع، وسرّ وجود هكذا روایات في المصادر الشیعیة - وخصوصاً الكافی الذي هو من أهم الكتب المعتمدة عند اتباع مدرسة أهل البيت علیہ السلام - هو أنّ المحدثین الشیعیة لم يتمهدوا ولم يلتزموا بأن ينقلوا خصوص الروایات الصحیحة كما فعله غيرهم - حسب زعمه - وإنما دوّنوا الروایات والآثار المنقوله والمنسوبة إلى الأئمة من أهل البيت علیہ السلام، وعلى العالم الرجوع إلى سند أي روایة يريد التمسّك بها؛ ليروا هل هي صحیحة السند أم لا؟ وعلى فرض صحة سندها هل يكون متنها مقبولاً، أي خالياً من الشذوذ والعلة كما يقول علماء الحديث، إذ ليس كلّ ما صح سنه قُبُلَ عملاً به، ولأجل ذلك ترى أنّ العلماء يختلفون فيما بينهم في صحة روایة وضعفها؛ وهذا موجود أيضاً عند أهل السنة فيما عدا ما يسمى بـ(صحیح البخاری) وـ(صحیح مسلم) إذ أنهما - حسب زعمهم - صحیحان، ولا يطعنون في روایة واحدة منهمما.

ومن هذا يتضح أنّ ما ذكره عثمان الخميس في مناظرة قناة المستقلة، سنة ١٤٢٢ في شهر رمضان المبارك، كلام بعيد عن المنهج العلمي والبحث بالتي هي أحسن، وهو كلام تهريج أقرب من كلام باحث يتوكى الحقيقة والوصول إليها.

والسند، وما لا يتعارض مع القرآن والعقل.

أمّا أهل السنة والجماعة فقد أزموا أنفسهم بكتب سموها الصحاح الستة باعتبار أن كلّ ما فيها صحيح، وأغلبهم يتناقلون هذا الرأي بالوراثة بدون بحث ولا تمحيق، وإلا فإنّ كثيراً من الأحاديث التي رويت في هذه الكتب لا تقوم على دليل علمي، وفيها الكفرُ الصريح، وبما يتناقض القرآن، وأخلاق الرسول وأفعاله والخطّ من كرامته.

ويكفي الباحث أن يقرأ كتاب الشيخ المصري محمود أبو رية "أصوات على السنة المحمدية" ليعرف ما هي قيمة الصحاح الستة.

والحمد لله فإنّ كثيراً من الشباب الباحث اليوم تحرّر من تلك القيود، وأصبح يُفرق بين الغث والثمين، بل حتّى الشيوخ المتعصّبين للصحاح أصبح الكثير منهم اليوم يُنكرها، لا لأنّه ثبت لديه ضعف بعض الأحاديث فيها، ولكن لأنّه وجد فيها حجّة الشيعة التي يقولون بها سواء في الأحكام الفقهية أو في العقائد الغيبية، فما من حكم أو عقيدة يقول بها الشيعة إلا ولها وجودٌ فعلي في أحد الصحاح الستة لدى أهل السنة والجماعة.

وبالمقابل قال لي بعض المتعصّبين: ما دُمتم تعتقدون بأنّ أحاديث البخاري ليست صحيحة، فلماذا تحتجّون بها علينا؟

أجبت: ليس كلّ ما في البخاري صحيح، وليس كلّ ما فيه مكذوب، فالحقّ حقّ والباطل باطل، وعلينا أن نُغريب ونصفيّ¹.

¹ مضافاً إلى أن أسلوب المناظرة والاحتجاج يقتضي الإitan بالمشتركات، وما يؤمن الخصم به، فإذا كان مؤمناً ب الصحيح البخاري، وكان في البخاري ما يؤكّد عقيدة الشيعة - مثلاً -

قال: هل عندك مُجْهَرٌ خاصٌ تعرف به الصحيح من المكذوب؟

قلت: ليس عندي أكثر مما عندك، ولكن ما اتفق عليه السنة والشيعة فهو صحيح؛ لأنّه ثبتت صحته عند الطرفين، ونلزموهم به كما ألموا أنفسهم، وما اختلفوا فيه حتّى لو كان صحيحاً عند أحدهم فلا يلزم الطرف الثاني بقوله، كما لا يلزم الباحث الحيادي قبوله والاحتجاج به لأنّه دورىٌّ. وأضرب لذلك مثلاً واحداً حتّى لا يبقى هناك إشكال في هذا الموضوع، وحّتى لا يعاد نفس الانتقاد بأساليب متعدّدة: يدعى الشيعة بأنّ رسول الله ﷺ نصبّ عليه خليفة للمسلمين في غدير خم يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة بعد حجّة الوداع وقال بالمناسبة: "من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه" ^١. فهذه الحادثة وهذا الحديث نقله كثير من علماء أهل السنة

ويدعمها فالاحتجاج به يكون أفضل وأكمل والزام للشخص بما ألم به نفسه. وهذا الإشكال لا يورده إلا المبتدئ الذي لم يسمع بالحوار والاستدلال، أو المتعصب الذي أعممه حبّ الهوى فأصمّ سمعه وبصره.

^١ حديث الغدير حديث ثابت صحيح متواتر، نصّ على صحته وتواته أعلام القوم، وقد أخرجه أكثر المحدثين وأرباب التصانيف، راجع على سبيل المثال: مسنّد أحمد ١: ١١٨، المستدرك للحاكم ٣: ٣٧١، مجمع الزوائد ٩: ١٠٣، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٤٩٩ ح ٢٨، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٣٢ ح ٨٤٧٣ صحيح ابن حبان ١٥: ٣٧٦.

وأخرجه الشيخ الألباني في صحيحته ٤: ٣٣٠ ح ١٧٥٠، وأثبت صحة الحديث وتواته، وردّ على شيخ السلفية ابن تيمية المتسرع في الطعن بأحاديث فضائل أهل البيت من دون نظر في طرق ورأي العلماء فيها.

والجماعة في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم، فيمكن للشيعة عندئذ أن يحتجّوا به على أهل السنة والجماعة.

ويدعّي أهل السنة والجماعة بأنّ رسول الله ﷺ عين أبا بكر ليصلّى بالنّاس في مرض موته، وقال بالمناسبة: "وَيَا أَبَيَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ".^١

فهذه الحادثة وهذا الحديث لا وجود له في كتب الشيعة، وإنّما يروون بأنّ رسول الله بعث إلى على، فبعثت عائشة إلى أبيها ولما عرف رسول الله ذلك قال لعائشة: "إِنَّكَ لصُوِّيْحَاتِ يُوسُفَ"^٢ وخرج هو ليصلّى بالنّاس وزحزح أبا بكر.

فلا يمكن وليس من الإنصاف أن يحتجّ أهل السنة والجماعة على الشيعة بما انفردوا به، وخصوصاً إذا كانت الروايات متناقضة ويكتذبها الواقع والتاريخ؛ لأنّ رسول الله ﷺ عين أبا بكر ليكون ضمن جيش أسامة، وتحت أمرته وقيادته، ومن المعلوم أنّ أمير الجيش في السرية هو إمام الصلاة. وقد ثبت تاريخياً بأنّ أبا بكر لم يكن موجوداً في المدينة عند وفاة الرّسول، وكان بالسّنّح يتجهّز للخروج مع أميره وقائدّه أسامة بن زيد الذي لم يبلغ من العمر إلا سبعة عشر عاماً، فكيف الحال هذه يمكن لنا أن نصدق بأنّ رسول الله ﷺ عينه لإمام الصلاة؟ اللّهم إلا إذا صدّقنا بقول

^١ أورده ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١١: ٤٩ وقال: "إِنَّهُمْ وَضَعُوهُ فِي مَقْبَلِ الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ عَنْهُ فِي مَرْضِهِ: اتَّوْنَى بِدُوَّاً وَكَتْفَ...".

^٢ الصراط المستقيم للبياضي ٣: ١٣٤.

عمر بن الخطاب بـأنَّ رسول الله يهجر ولا يدر ما يفعل ولا ما يقول، وهذا أمرٌ لا سبيل إليه، فهو مستحيلٌ ولا يقول به الشيعة.

فعلى الباحث هنا أن يتقي الله في بحثه، ولا تأخذ العاطفة فيميل عن الحق، ويتبَعُ الهوى فيفضل عن سبيل الله، إنما واجبه أن يخضع للحق ولو كان الحق مع غيره، ويحرر نفسه من الرؤوس والعواطف والأنايَة، فيكون من الذين امتدحهم الله عز وجل في قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادْ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَاب﴾^١.

فليست من المعقول إذاً أن يقول اليهود: إنَّ الحقَّ عندنا، ويقول النَّصارى: إنَّ الحقَّ عندنا، ويقول المسلمون: إنَّ الحقَّ عندنا، وهم مختلفون في العقائد والأحكام!

فلا بدَّ للباحث أن يمحض أقوال الديانات الثلاثة، ويقارن بعضها بعض حتى يتبيَّن له الحق.

وليس من المعقول أيضاً أن يقول أهل السنة بـأنَّ الحقَّ معهم، ويقول الشيعة بل الحقَّ عندهم وحدهم، وهم يختلفون في بعض المفاهيم والأحكام، فالحقَّ واحدٌ لا يتجزأ.

فلا بدَّ للباحث أن يتجرَّد ويُمحض أيضاً أقوال الطرفين، ويقارن بعضها بعض، ويُحَكِّم عقله حتى يتبيَّن له الحق، وذلك هو نداء الله سبحانه لكل فرقه تدعى الحق؛ إذ يقول: ﴿قُلْ هَأُنَا بُرْهَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٢.

^١ الزمر: ١٧ - ١٨.

^٢ البقرة: ١١١.

فليست الأكثريّة بـداله على الحق، بل العكس هو الصّحيح، قال تعالى:

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^١.

وقال أيضًا: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^٢.

مثلمًا أن التقدّم الحضاري والتكنولوجي والشراء ليس دليلا على أن الغرب على حق والشرق على باطل قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أُولُادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزَهَّقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^٣.

قول أهل الذكر في الله تعالى

يقول الإمام على عليه السلام: "الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور، ودللت عليه أعلام الظهور، وامتنع على عين البصير، فلا عين من لم يره تُنكره، ولا قلب من أثبتته يبصره، سبق في العلو فلا شيء أعلى منه، وقرب في الدُّنْو فلا شيء أقرب منه، فلا استعلاؤه بأعده عن شيء من خلقه، ولا قربه ساواه في المكان به.

لم يُطلع العقول على تحديد صفتة، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود، تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاددون له علوًّا كبيراً^٤.

"والحمد لله الذي لم تسبق له حال حala، فيكون أوّلا قبل أن يكون

^١ الأنعام: ١١٦.

^٢ يوسف: ١٠٣.

^٣ التوبه: ٥٥.

^٤ نهج البلاغة ١: ٩٩، الخطبة: ٤٩.

آخرًا، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطنًا، كلّ مسمى بالوحدة غيره قليل، وكلّ عزيز غيره ذليل، وكلّ قوى غيره ضعيف، وكلّ مالك غيره مملوك، وكلّ عالم غيره متعلم، وكلّ قادر غيره يقدر ويعجز، وكلّ سميع غيره يصَمُ عن لطيف الأصوات ويُصْمِمُهُ كثيرها، ويذهبُ عنه ما بعدَ منها، وكلّ بصيرٌ غيره يعمى عن خفيّ الألوان ولطيف الأجسام، وكلّ ظاهر غيره باطن، وكلّ باطن غيره ظاهر.

لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان، ولا تخوّف من عواقب زمان، ولا استعانا على ندّ مشاور، ولا شريك مكاثر ولا ضدّ منافر، ولكن خلائق مربوبون، وعباد داخرون.

لم يحلل في الأشياء فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بائنٌ، لم يؤدّه خلقٌ ما ابتدأ ولا تدبّر ما ذرأ، ولا وقفَ به عجزٌ عمّا خلق، ولا ولجتْ عليه شبهة فيما قضى وقدر، بل قضاءٌ متقنٌ، وعلمٌ محكمٌ، وأمرٌ مبرمٌ، المأمول مع النّقم، والمرهوبُ مع النّعم^١.

"ليس لأوليته ابتداءٌ، ولا لأزليته انقضاءٌ، هو الأول ولم يزلُ، والباقي بلا أجل، خرت له الجباء، ووحدته الشفاء، حدّ الأشياء عند خلقه لها إبانة له من شبها لا تقدّره الأوهام بالحدود والحركات، ولا بالجوارح والأدوات، لا يقال له: متى، ولا يضرب له أمدٌ بحثّي. الظاهرُ لا يقال ممَّ، والباطن لا يقال فيم، لا شبحٌ فيتقضي، ولا محجوبٌ فيحوي... تعالى عمّا ينحله المحددون من صفات الأقدار، ونهائيات الأقطارِ، وتأثيل المساكنِ، وتمكّن الأماكن

^١ نهج البلاغة ١: ١١٤، الخطبة: ٦٥

فالحمد للخالق مضرورٌ وإلى غيره منسوبٌ.

لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا من أوائل أبدية، بل خلق ما خلق
فأقام حده، وصوّر ما صوّر فأحسن صورته، ليس لشيء منه امتناع، ولا له
بطاعة شيء انتفاع، علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين، وعلمه
بما في السماوات العلّى كعلمه بما في الأرضين السفلی" ^١.

^١ نهج البلاغة ٢: ٦٦، الخطبة: ١٦٣.

الفصل الثاني

في ما يتعلّق بالرسول ﷺ

السؤال الثالث: حول عصمة الرسول ﷺ؟

يقول الله سبحانه وتعالى في حقّ نبّيٍّ مُحَمَّدًا ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ

النَّاسِ﴾^١.

وقال أيضًا: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^٢.

وقال: ﴿وَمَا أَتَكُمُ الرَّسُولُ فَخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^٣.

وتدلّ هذه الآيات دلالة واضحة على عصمته المطلقة في كلّ شيء،

وَتَقُولُونَ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعْصُومٌ فَقْطًا فِي تَبْلِيغِ الْقُرْآنِ^٤، وَمَا عَدَ ذَلِكَ

^١ المائدة: ٦٧.

^٢ النجم: ٣ - ٤.

^٣ الحشر: ٧.

^٤ لا يقال: إنّ أهل السنة يعتقدون بعصمة النبي ﷺ في تبلیغ السنّة والقرآن معاً، فإنّه يقال: نعم، هذا هو معتقدكم عند التنظير، ولكن الواقع العملي وتبیرکم ودفعكم عن الخليفة الثاني عندما نسب النبي ﷺ بالهجر - كما أقرّه ابن تيمية في منهاج السنّة ٢٤: ٦ و٣١٥ وغيره - يخالف ذلك التنظير ويردّه، إذ أنّ النبي ﷺ أراد أن يتحف الأمة بشيء هام جداً يعصّهم من الضلال، ولكن اعتقاد الخليفة واعتقاد من يبرر عمله بعد عدم عصمة النبي ﷺ في تبلیغ السنّة، حرم الأمة الإسلامية منها، فكيف يجرؤون بعد هذا التفوّه بعصمته ﷺ في تبلیغ الرسالة؟!

فهو كسائر البشر يُخطيءُ وَيُصِيبُ، وَتَسْتَدِلُونَ عَلَى خَطْئِهِ فِي عَدَّةٍ مِنْ أَسْبَابِ

بِأَحَادِيثٍ تَرَوُونَهَا فِي صَاحِحَكُمْ!

إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَمَا هِيَ حِجَّتُكُمْ وَمَا هُوَ دَلِيلُكُمْ فِي ادْعَائِكُمْ

الْمُتَسَمِّكُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنْنَةِ نَبِيِّهِ، مَا دَامَتْ هَذِهِ السُّنْنَةُ عِنْدَكُمْ غَيْرَ مَعْصُومَةٍ،

وَيُمْكِنُ فِيهَا الْخَطَأُ؟

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ فَالْمُتَسَمِّكُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ عَلَى حَسْبِ مَعْقَدَاتِكُمْ

لَا يَأْمُنُ مِنَ الضَّلَالِ، وَخَصْوَصًا إِذَا عَرَفْنَا بِأَنَّ الْقُرْآنَ كُلُّهُ مُفَسَّرٌ وَمُبَيِّنٌ

بِالسُّنْنَةِ النَّبُوَّيَّةِ، فَمَا هِيَ حِجَّتُكُمْ فِي أَنَّ تَفْسِيرَهُ وَتَبْيَانَهُ لَمْ يَكُنْ مُخَالِفًا

لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؟

قال لي أحدهم معبراً عن هذا الرأي: لقد خالف الرّسول ﷺ في القرآن

في كثير من الأحكام حسب ما تقتضيه المصلحة.

قلت متعجبًا: أعطني مثلاً واحداً على مخالفته.

أجاب: يقول القرآن: ﴿الرَّانِيُّ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوْا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا مَأَتَهُ

جَلْدَهُ﴾^١ ، بينما حكم الرّسول على الزاني والزانية بالرّجم، وهو غير موجود

في القرآن.

قلت: إنما الرّجم على المحسن إذا زنى، ذكرًا كان أم أنثى، والجلد على

الأعزب إذا زنى، ذكرًا كان أم أنثى.

^١ النور: ٢.

قال: في القرآن ليس هناك أعزب أو مُحسن؛ لأن الله لم يخصّص بل
أطلق لفظ الزانية والزاني بدون تخصيص.

قلت: إذاً على هذا الأساس فكل حكم مطلق في القرآن خاصّه
الرسول ﷺ فهو مخالف للقرآن؟ فأنت تقول بأن الرسول خالق القرآن في
أكثر أحكامه؟

أجاب متحرجاً: القرآن وحده معصوم؛ لأن الله تكفل بحفظه، أما الرسول
 فهو بشر يخطيء ويصيب، كما قال القرآن في حقه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
مُّثْلُكُمْ﴾^١.

قلت: فلماذا تصلّي الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، وقد أطلق
القرآن لفظ الصلاة بدون تخصيص لأوقاتها؟

أجاب: القرآن فيه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَابًا مَوْفُوتًا﴾^٢

والرسول هو الذي بين أوقات الصلاة.

قلت: فلماذا تصدقه في أوقات الصلاة، وتتردّ عليه في حكم رجم الزاني؟
وحاول جهده أن يقنعني بفلسفات عقيمة متناقضة لا تقوم على دليل
عقلي ولا منطقي كقوله: بأن الصلاة لا يمكن الشك فيها؛ لأن رسول الله
 فعلها طيلة حياته، وفي كل يوم خمس مرات، أما الرجم فلا يمكن
الاطمئنان إليه؛ لأنه لم يفعله في حياته غير مرّة أو مرّتين.

وك قوله بأن الرسول لا يخطئ عندما يأمره الله بأمره، أما عندما يحكم

^١ الكهف: ١١٠.

^٢ النساء: ١٠٣.

بفكره فهو ليس معصوم، ولذلك كان الصحابة يسألونه في كل أمر: هل هو من عنده أم من عند الله؟ فإذا قال: هو من عند الله، امتنعوا بدون نقاش، وإذا قال: هو من عندي، عند ذلك يُناقشو نه ويجادلونه وينصحونه، ويقبل نصائحهم وآرائهم، وقد ينزل القرآن أحياناً موافقاً لآراء بعض الصحابة ومُخالفاً لرأيه، كما في قضية أسرى بدر، وقضايا أخرى مشهورة.

حاوَلَتْ بِدُورِي إِقْناعُهُ وَلَكِنْ بِدُورِي جَدُوِي؛ لِأَنَّ عُلَمَاءَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةَ مُقْتَنِعُونَ بِذَلِكَ، وَصَاحُبُهُمْ مُشْحُونَةً بِمَثْلِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ التِّي تَخَدَّشُ فِي عَصْمَةِ الرَّسُولِ، وَتَجْعَلُ مِنْهُ شَخْصًا أَقْلَى مُسْتَوِيًّا مِنَ الرَّجُلِ الْذَّكِيِّ، أَوِ الْقَائِدِ الْعَسْكُرِيِّ، أَوْ حَتَّى شَيْخِ الطَّرِيقَةِ عِنْدَ الصَّوْفِيَّةِ.

وَلَسْتُ مُبَالِغًا إِذَا قُلْتَ: أَقْلَى مُسْتَوِيًّا حَتَّى مِنَ الرَّجُلِ الْعَادِيِّ، إِذَا مَا قَرَأْنَا بَعْضَ الرِّوَايَاتِ فِي صَاحَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، يَتَبَيَّنُ لَنَا بِوضُوحٍ إِلَى أَيِّ مَدِي وَصَلَ التَّأْثِيرُ الْأُمُوَيُّ فِي عُقُولِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ عَهْدِهِمْ، وَبَقِيتُ آثَارُهُ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

وإذا ما بحثنا الغرض أو الهدف من ذلك، فسوف نخرج بنتيجة حتمية ومُرّة، ألا وهي: إن أولئك الذين حكموا المسلمين في عهد الدولة الأموية، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان، لم يعتقدوا يوماً من الأيام بأنّ محمداً ابن عبد الله عليه السلام، هو مبعوث بر رسالة من عند الله أو هو نبي الله حقاً.

وأغلب الظن أنّهم كانوا يعتقدون بأنه كان ساحراً^١، وقد تغلب على

^١ قال الدكتور الرحيلي في كتابه "الانتصار للصحاب والآل" ص ١٧٥ تعليقاً على كلام المؤلف: "فهذا حكم خطير على المسلمين الذين جاءوا بعد الخلفاء الراشدين واستغرق

حكمهم جلّ قرن النبي ﷺ الذي هو خير القرون، والثالث الأوّل من القرن المفضل الثاني.. واشتهر من أخبارهم في العدل والتقوى والصلاح بين الأمة.. خصوصاً ما ثبت من ذلك في حق الصحابي الجليل معاوية ابن أبي سفيان!!.

وهذا الكلام لا يتفوه إلا من أشرب حبّ الْبَيْتِ الْأُمَوِيِّ، ورضع من بقایاه من أهل النصب، فأیّ جلالة لمعاوية؟ وأیّ عدل قام به؟ وأیّ تقوى فعلها؟

فإنّ النبي ﷺ قال: "إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه" ولهذا الحديث عدة طرق:

١ - رواه جماعة من الثقات عن علي بن زيد بن جد عان، عن أبي نصرة، عن أبي سعيد الخدري (تاريخ ابن عساكر ١٥٥/٥٩ - ١٥٦).

٢ - روی عن ابن مسعود من أربعة طرق (ابن حبان في المجموعين ١٧٢/٢، وابن عدي في الكامل ٢٠٩/٢، الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٤٩/٣).

وهناك طرق أخرى للحديث وبعضها قوئي صحيح الإسناد.

وورد في حقّ معاوية أيضاً عن النبي ﷺ: "لعن الله الراكب والقائد والسائل" ولهذا الحديث طرق عديدة وهو صحيح، وارجع إلى مسند البزار ٢٨٦/٩، أنساب الأشراف ١٢٩، المعجم الكبير للطبراني ٧١/٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠٤/٥٩، وهناك طرق أخرى كثيرة. وورد عن النبي ﷺ في حقّ معاوية قوله: "يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملتّي" قال: و كنت تركت أبي قد وضع له وضوء، فكنت كحابس البول، مخافة أن يجيء، قال: فطلع معاوية! فقال النبي ﷺ: "هذا هو".

كتاب البلاذري ٤٤٩/٢، وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٧.

إلى غير ذلك من الروايات الواردة عن الرسول ﷺ في حقّ معاوية وبني أمية، مضافاً إلى وصفه بالباغي على لسان النبي ﷺ في حديث "عمّار تقتله الفئة الباغية يدعونهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار" والحديث أخرجه البخاري ٤: ٢٧ في كتاب الصلح، والترمذى في المناقب ٢٧٣ وقال عنه: "حسن صحيح".

فمعاوية ملعون، ومستحقّ للقتل، وهو من البغاة الذين يدعون إلى النار، وممّن لم يسلم ويدخل الإيمان قلبه.. كلّ هذه الأوصاف قالها النبي ﷺ في حقّ معاوية بن أبي سفيان، فكيف يتجرّأ الدكتور الرحيلي ويقول: انه صحابي جليل عادل متقي؟! أليس هذا ردّاً على الرسول ﷺ، وتحكيم الأهواء الأموية على الأحاديث النبوية؟!

النّاس و شيّد ملّكه على حساب المستضعفين من النّاس ، وبالخصوص العبيد
الذين أيدوا دعوته و ناصروه.

وليس هذا مجرّد ظنّ فإنّ بعض الظنّ إثم ، ولكن عندما نقرأ في كتب
التاريخ لتتعرف على شخصيّة معاويّة و أحواله ، و ما فعله طيلة حياته
خصوصاً مدة حكمه فالظنّ يصبح حقيقة لا مفرّ منها.

فكّنا نعرف من هو معاويّة ، و من هو أبوه أبوسفيان ، و من هي أمّه هند ،
 فهو الطّليق ابن الطّليق الذي قضى شبابه في رحاب أبيه ، و في تبعية
الجيوش لمحاربة رسول الله و القضاء على دعوته بكلّ جهوده ، حتّى إذا ما
فشلت جميع محاولاتـه ، و تغلّب رسول الله ﷺ عليه و على أبيه استسلم
للأمر الواقع في غير قناعة ، و لكن الرّسول لكرمه و لعظمة خلقه عفى عنه
و سماه الطّليق.

و بعد موت صاحب الرسالة حاول أبوه إثارة الفتنة و القضاء على الإسلام ،
و ذلك عندما جاء في الليل للإمام علّي يحرّضه على الثورة ضد أبي بكر

وهذا يدلّ على أنّ عصر الطلعاء لم ينته بعد ، وإنّما هناك طلقاء في كلّ مكان و زمان يتقوّلون
على الله و رسوله بما تمليه عليهم الأهواء وأصحاب المطامع.

و عمر، ويمنيه بالمال والرجال، ولكن الإمام على سلام الله عليه عرف قصده فطرده، وبقى يعيش حاقداً على الإسلام والمسلمين طيلة حياته حتى آلت الخلافة إلى ابن عمّه عثمان، عند ذلك أظهر ما في نفسه من كفر ونفاق، فقال: "تلقوها تلقوها الكرة يا بني أمية، فوالذي يحلف به أبو سفيان ليس هناك جنة ولا نار".^١

وأخرج ابن عساكر في تاريخه من الجزء السادس في صفحة ٤٠٧ عن أنس: أنّ أبي سفيان دخل على عثمان عندما عمّي فقال: هل هنا أحد؟ فقالوا: لا. فقال: اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية.^٢

وأما ابنة معاوية وما أدراك ما معاوية، فحدثت ولا حرج، وما فعله بأمة محمد ﷺ طيلة ولايته في الشام، ثمّ بعد تسلّطه على الخلافة بالقهر والقوة، وما ذكره المؤرّخون من هتكه للقرآن والسنة، وتعدّيه كلّ الحدود التي رسّمتها الشريعة، والأعمال التي يتزّه القلم عن كتابتها، واللسان عن ذكرها لقبّها وفحشها، وقد ضربنا عنها صفحاتاً مُراعاةً لعواطف إخواننا من أهل السنة والجماعة، والذين أشربوا في قلوبهم حبّ معاوية والدفاع عنه.

ولكن لا يفوتنا أن نذكر هنا نفسيات الرجل، وعقيدته في صاحب

^١ تاريخ الطبرى ٨: ١٨٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد ٩: ٥٣.

^٢ تاريخ دمشق ٢٣: ٤٧١، وفي كتاب النزاع والتخاصل للمقرizi: ٣١ قال: إنّ أبي سفيان دخل على عثمان رضي الله عنه حين صارت الخلافة إليه فقال: قد صارت إليك بعد تيم وعدى فادرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنّما هو الملك، ولا أدرى ما جنة ولا نار".

الرسالة، فهى لا تبعد عن عقيدة أبيه، وقد رضعها من حليب أمه آكلة الأكباد، والمشهورة بالعهر والفحور^١، كما ورثها عن أبيه شيخ المنافقين

^١ قال الزمخشري في ربيع الأبرار ٣: ٥٥١ باب القرابات والنسب: "وكان معاوية يعزى إلى أربعة..."، وقال السبط ابن الجوزي في التذكرة: ٢٠٢: "إن معاوية كان يقال: إنه من أربعة من قريش..."، وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١: ١١١: "كانت هند تُذكر في مكة بفحور وعهر".

ومن هذا يتضح أن المؤلف لم يرمِ هند أُم معاوية زوراً وبهتانًا، وإنما ذكر هذا الكلام ولديه دليله، وهو ما ذكرته المصادر السنّية المتقدمة، وسيرة هند معلومة لكل مسلم، بل هي نار على منار، فهي التي لاقت كبد حمزة عم النبي ﷺ بعدما استشهد في معركة أحد، ولقبت بأكلاة الأكباد لأجل ذلك، وبقي هذا اللقب يطاردها في كل مكان، وهي التي ولدت معاوية الذي قاتل علياً عليهما السلام وسبه على منابر المسلمين، وهو والد يزيد الذي قتل ريحانة الرسول ﷺ

الحسين بن علي عليهما السلام، فالمدافع عنهم ما هو إلا مكملاً لذلك الخط الأموي المعروف بالنصب والعداء والمعلوم لكل أحد حتى عند ابن تيمية المتعصّب، ومن هذا تعرف أن ما ذكره عثمان الخميس في كشف الجاني: ١٢٩ ناشي من الجهل وعدم المعرفة بحال المسلمين وما دوّنوه في مصادرهم، أو من التعصب الأعمى!

وقد ذكر هناك عدة افتراءات على الشيعة كذباً وزوراً، وهي مأخوذة من المصادر السنّية وإليك بيانها؛ فقد ذكر هناك عدة نقاط فقال:

١- يروون عن علي بن أبي طالب أنه كان ينام مع عائشة في فراش واحد.

وهذا افتراء وبهتان تبرأ منه الشيعة، ويعجز عثمان وغيره عن إثبات ذلك، بل الشيعة تنزه على بن أبي طالب وتنتزه عائشة من ذلك، وهم أكثر من غيرهم دفاعاً عن أعراض الأنبياء عليهما السلام، وأن الذي رمى عائشة بالفلك ما هم إلا الصحابة الذين يدافعون عنهم عثمان وأمثاله، ومن أولئك الصحابة:

حسان بن ثابت فقد رمى عائشة بالافك وكانت تقرأ عليه قوله تعالى: (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)، وقوله تعالى: (وَالَّذِي تَوَلَّ كَبُرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، وتعني العمى الذي أصابه. راجع سير أعلام النبلاء ٢: ٥١٦ - ٥١٧، ترجمة ١٠٦.

مسطح بن أثاثة، حيث شارك في قصة الافك، وكان أبو بكر ينفق عليه وقطع النفقة بعد الحادثة.. وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه ١٥٧ كتاب الشهادات، حديث الافك. راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء ١: ١٨٧، ترجمة ٢٠. بل إنّ أهل السنة هم الذين رروا في كتبهم ما يدلّ على الطعن بالنبي ﷺ وزوجاته، فقد رروا عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: "أرسلني رسول الله ﷺ في غدّة باردة، فأتيته وهو مع بعض نسائه في لحاف، فأدخلني في اللحاف، فصرنا ثلاثة" مستدرك الحاكم ٣: ٤٠، وصححه، ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك، السنة لابن أبي عاصم ٢: ٥٩٧.

ومع ذلك يحكم عثمان وأمثاله بعذالة هؤلاء، ويرمي الشيعة بتهم رخيصة تبرأ منها براءة أخي يوسف من السرقة.

٢- يرون أنّ عمر بن الخطاب كان مصاباً بداء في دبره... ونسب ذلك إلى كتاب "الأنوار النعمانية".

وهذا جهل من عثمان الخميس وتديليس على القارئ؛ لأنّ صاحب "الأنوار النعمانية" نقل هذا الكلام عن مصدر سنّي إذ قال: (وَأَمَا أَفْعَالَهُ - يعني عمر - الجميلة فقد نقل منها متابعوه ما لم ينقله أعداؤه، منها ما نقله صاحب الاستيعاب... ومنها: ما قاله المحقق جلال الدين السيوطي في حواشي القاموس عند تصحيح لغة (الأبنية)، وقال هناك: "وكانت في جماعة في الجاهلية، أحدهم سيدنا عمر".

وأيقن منه ما قاله الفاضل وابن الأثير، وهما من أجلاء علمائهم قال: "زعمت الروافض أن سيدنا عمر كان مخنثاً، ولكن كان به داء دواؤه ماء الرجال".

وغير ذلك مما يستقبح نقله، وقد قصرروا في إضاعة مثل هذا السر المكون المخزون، ولم أمر في كتب الرافضة مثل هذا.. وقد نقلت أهل السنة هنا عن إمامهم ما هو أقبح من هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" الأنوار النعمانية ١: ٦٣.

الذى ما عرف الإسلام يوماً إلى قلبه سبيلاً.

وَكَمَا عَرَفْنَا نُفْسِيَّةَ الْأَبِ، فَهَا هُوَ الْابْنُ يَعْبُرُ بِنَفْسِ التَّعْبِيرِ، وَلَكِنْ عَلَى طَرِيقَتِهِ فِي الدِّهَاءِ وَالنَّفَاقِ.

فقد روى الزبير بن بكار، عن مطوف بن المغيرة بن شعبة الثقفي قال:

٣- "كان عثمان ممّن يلعب به..."، وهذا من خيانة النقل والتقول على الآخرين بما لم يذكروه، فإنَّ المؤلَّف نقل هذا الكلام عن الكلبي في كتابه مثالب العرب، فذكر فيه مثالب قريش ومنهم عثمان (الصراط المستقيم ٢: ٣٣٤).

ومسألة اللعب بعثمان لا كما فهeme عثمان الخميس حيث فسر اللعب بما ذكره الطبرى في تاريخه: ”قال علي: عياذ الله يال المسلمين اني قعدت في بيتي قال لي عثمان: (تركتني وقرباتي وحقي)، وأتى إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان، فصار سيقه له يسوقه حيث شاء بعد كبر سن..“ تاريخ الطبرى ٣٩٠.

فاللعل به: يعني عليه فيما يصدره ويفعله في خلافته من أوامر وأحكام وتصرّفات. وأمّا لفظ المختـ (فلم يذكر في مصدر شيعي أو سني وهو من افتراطـات عثمان الخميس وقولاته الفاسدة.

وهذه الأمور التي ذكرها عثمان والأمور الأخرى كلّها لا تؤمن بها الشيعة ولا تعتقد، بها، بل هي تنزهُ ألسنتها عن نسبة التهم بالفحشاء إلى الآخرين، مضافاً إلى أنَّ ما ذكره من أمثلة كلّها واردة في كتب لا تعتمد الشيعة بمؤلفيها أو بالكتاب الذي نقل هذه المسائل عن مصادر أهل السنة.

وأمّا هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان فقد ذكرنا المصادر السنّية التي ذكرت هذا الأمر في حُقّْها، وأمّا كلامها التي ردّت فيه على النبي ﷺ بقولها: (أو تزني الحرّة)، فهذا لا يدلّ على عدم ركوبها لهذا الفعل، إذ كيف يستدلّ بكلامها على نفي الفعل عنها؟ إذ من الواضح أنّ الإنسان لا يفشي سرّه ولا يبيّنه لآخرين، وهل يطلب عثمان الخميس من هند أن تقرّ بالزنا وتعترف به أمام الناس؟!.

دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إلى
فيذ كر معاوية وعقله، ويعجب مما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن
العشاء فرأيته مغتمماً، فانتظرته ساعة وظننتْ أنه لشيء حدث فينا أو في
عملنا، فقلتُ له: ما لي أراك مغتمماً منذ الليلة؟

قال: يابني إني جئت من عند أخبي الناس، قلت له: وما ذاك، قال: قلت
معاوية وقد خلوت به: إنك قد بلغت مثلك يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت
عدلا، وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بنى هاشم
فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك
ذكره وثوابه.

فقال لي: هيئات هيئات! أي ذكر أرجو بقاءه؟ ملك أخو تيم فعدل و فعل
ما فعل، فما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو
عدي فاجتهد وشمر عشر سنين، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن
يقول قائل: عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل
نسبه، فعمل ما عمل وعمل به، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما
فعل به، وإن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمدأ
رسول الله، فأي عمل وأي ذكر يبقى مع هذا لا ألم لك؟ والله إلا دفناً^١.
خشئت وَخَبَتْ وَأَخْزَاكَ اللَّهُ يَا مِنْ أَرْدَتْ دُفْنَ ذَكْرِ رَسُولِ اللَّهِ بِكُلِّ
جَهَوْدِكَ، وَأَنْفَقْتَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ كُلِّ مَا تَمْلِكَهُ، وَلَكِنْ جَهَوْدِكَ كُلُّهَا بَاءَتْ

^١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٣٠، مروج الذهب ٣: ٤٥٤ في نداء المأمون بسب
معاوية.

بالفشل، لأنَّ الله سبحانه لك بالمرصاد، وهو القائل لرسوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^١.

فلستَ أنت قادر على دفن ذكره الذي رفعه ربُّ العزة والجلالة، فكـدْ
كـيدك، واجمع جمعك، فأنت غير قادر على إطفاء نور الله بـيفيك، والله مـتم
نوره رغم نفاقك، فـها قد مـلـكتَ الأرض شرقاً وغرباً، وما إن هـلـكتَ حتـى
هـلـك ذـكـرك، إـلا أن يـذـكرك ذـاكـر بـأـفـاعـالـك الشـنـيـعـة التـي أـرـدـتـ بـهـا هـدـمـ الإـسـلـامـ،
كـما جاء ذلك على لسان رسول الله ﷺ.^٢

وبقـى ذـكـرـ محمدـ بنـ عبدـ اللهـ بنـ هـاشـمـ عـبـرـ الـقـرـونـ وـالـأـجـيـالـ إـلـىـ أنـ يـرـثـ
الـأـرـضـ وـمـنـ عـلـيـهـ، كـلـمـاـ ذـكـرـ ذـاكـرـ إـلـاـ صـلـىـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـسـلـمـ رـغـمـ
أـنـفـكـ، وـأـنـوـفـ بـنـيـ أـمـيـةـ الـذـيـنـ حـاـوـلـواـ بـقـيـادـتـكـ وـزـعـامـتـكـ الـقـضـاءـ عـلـيـهـمـ وـعـلـىـ
فـضـائـلـهـمـ، فـمـاـ زـادـهـمـ ذـلـكـ إـلـاـ رـفـعـةـ وـسـمـوـاـ، وـسـوـفـ تـلـقـوـنـ اللهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ
غـاضـبـاـ عـلـيـكـمـ لـمـ أـحـدـثـمـوـهـ فـيـ شـرـيعـتـهـ، فـيـجـزـيـكـمـ بـمـاـ تـسـتـحـقـقـونـ.
وـإـذـاـ مـاـ أـضـفـنـاـ إـلـىـ هـؤـلـاءـ فـرـخـهـمـ يـزـيدـ بـنـ مـعـاوـيـةـ الـمـاجـنـ الـفـاسـقـ، شـارـبـ
الـخـمـورـ، وـالـمـجاـهـرـ بـالـفـسـقـ وـالـفـجـورـ، فـسـوـفـ نـجـدـهـ هـوـ الـآـخـرـ يـحـمـلـ نـفـسـ
الـعـقـيـدـةـ التـيـ وـرـثـهـ عـنـ أـبـيـ مـعـاوـيـةـ وـجـدـهـ أـبـيـ سـفـيـانـ، كـمـاـ وـرـثـ عـنـهـمـ الخـسـنةـ
وـالـدـنـاءـ، وـشـرـبـ الـخـمـرـ، وـمـعـاقـرـةـ الـعـاهـرـاتـ، وـلـعـبـ الـقـمـارـ.
وـلـوـ لـمـ يـرـثـ كـلـ هـذـهـ الصـفـاتـ الـبـشـعـةـ لـمـ أـورـثـهـ أـبـوـهـ مـعـاوـيـةـ الـخـلـافـةـ،
وـسـلـطـهـ عـلـىـ رـقـابـ الـمـسـلـمـينـ، وـكـلـهـمـ يـعـرـفـهـ حـقـ مـعـرـفـتـهـ، وـفـيـهـمـ فـضـلـاءـ

^١ الشرح: الآية ٤.

^٢ كتاب صفين: ٤٤.

الصحابة كالحسين بن علي سيّد شباب أهل الجنة. ولا أشك في أن معاوية قضى حياته، وأنفق ماله الذي اكتسبه من حرام في سبيل القضاء على الإسلام وال المسلمين الحقيقيين.

ولقد رأينا كيف كان يريد دفن ذكر محمد صلوات الله عليه وآله وسالم وما قدر على ذلك، فأشعلاها حرباً على ابن عمّه علي وصيّ النبي، حتى إذا ما قضى عليه ووصل للخلافة بالقهر والغش والنفاق سنّ سنته المشؤومة، وأمر عماله في كل الأفطار بلعنه على وأهل البيت النبوى على كل المنابر وفي كل صلاة، وهو بذلك يريد سبّ ولعن رسول الله ^{صلوات الله عليه وآله وسالم} ، ولما أعيته الحيل، وأدركه الأجل، ولم

١ أخرج ابن عبد ربه في العقد الفريد ٥: ١١٤ في أخبار معاوية، قال: إن معاوية لعن علياً على المنبر وكتب إلى عماله أن يلعنوه على المنابر ففعلوا، فكتب أم سلمة زوج النبي صلوات الله عليه وآله وسالم إلى معاوية: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم. وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبيه، وأناأشهد أن الله أحبه ورسوله، فلم يلتفت معاوية إلى كلامها. (المؤلف).
وفي سنن ابن ماجة ١: ٥٦، ح ١٢١ قال: "حدثنا علي بن محمد، حدثنا أبو معاوية، حدثنا موسى بن مسلم، عن ابن سابط - وهو عبد الرحمن - عن سعد بن أبي وقاص قال: لما قدم معاوية في بعض حجاته فدخل عليه، فذكروا علياً، فنال منه، فغضض سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله يقول: "من كنت مولاه فعلي مولاه"، وسمعته يقول: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" ، وسمعته يقول: "لأعطيك الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله". وصحح الحديث الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١: ٧٢ ح ٧٢، وعلق عليه بقوله: قوله: فنال منه، أي نال معاوية من علي وتكلّم فيه".

وفي عون المعبد بشرح سنن أبي داود ١٢: ٣١٢ ح ٤٦٣٦: "حدثنا ابن العلاء عن ابن ادريس، أباًنا حصين عن هلال بن يساف.. عن عبد الله بن ظالم المازني قال: ذكر سفيان رجلاً فيما بينه وبين عبد الله بن ظالم المازني قال: سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال: لما قدم

يصل إلى مأربه، إندب ابنه وولاه على الأمة ليواصل ذلك المخطط الذي رسمه هو وأبواه أبو سفيان، ألا وهو القضاء على الإسلام وإعادة الأمر إلى الجاهلية.

فاستلم ذلك الماجن الفاسق الخلافة، وشمر سواعده للقضاء على الإسلام حسب رغبة أبيه، فبدأ باستباحة مدينة الرسول ﷺ لجيشه الكافر، ففعل فيها ما فعل طيلة ثلاثة أيام، وقتل فيها عشرة آلاف من خيرة الصحابة، بعد أن قتل سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي ﷺ وكل أهل البيت النبوى، وهم أقمار الأمة، حتى أخذت حرائر أهل البيت سبايا،

فلان إلى الكوفة أقام فلان خطيباً، فأخذ بيدي سعيد بن زيد فقال: ألا ترى إلى هذا الظالم، فاشهد على التسعة أنهم في الجنة..”.

قال العظيم آبادى فى شرح الحديث: (لما قدم فلان إلى الكوفة أقام فلان خطيباً)، قال فى فتح الودود: ”ولقد أحسن أبو داود فى الكنایة عن اسم معاوية والمغيرة بفلان ستراً عليهمما فى مثل هذا المحل.. قال بعض العلماء: كان فى الخطبة تعريضاً بسبٍّ على (رضي الله عنه)..”). وقد صحح الحديث الشيخ الألبانى فى صحيح سنن أبي داود ٣: ١٣٠ ح ٤٦٤٨، وفي صحيحته ٢: ٥٣١ ح ٨٧٥

فعماوية مؤسس الدولة الأموية من أول يوم لدولته وتشكيلته الحكومية باشر هذا الفعل، وهو سبٌّ على بن أبي طالب ؓ، وإخفاء فضائل أهل البيت ؓ، وإعطاء الأموال لإضفاء فضائل مزيفة له، والتحديث بتنتقيص علي وآل علي، وهذا أمرٌ واضح من سيرة معاوية، ومن سيرة ولاته الذين نصبهم على البلاد والعباد، ومن يدافع عنبني أمية ومعاوية ما هو إلا متبوع لهوىً أو متغصب لدين الأجداد والآباء.

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ولو أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصُفْ عُمْرَهُ لَتَمْكَنَ ذَلِكَ الْوَعْدُ الْلَّئِيمُ مِنَ الْقَضَاءِ عَلَى
الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ. وَالَّذِي يَهْمِنَا فِي هَذَا الْبَحْثِ هُوَ الْكَشْفُ عَنْ عِقِيدَتِهِ هُوَ
الآخِرُ، كَمَا كَشَفْنَا عَنْ عِقِيدَةِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ.

فَقَدْ حَدَّثَ الْمُؤْرِخُونَ أَنَّهُ بَعْدَ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ الْمُشْوَّمَةِ، وَقُتْلَ عَشْرَةَ آلَافَ
مِنْ خِيرَةِ الْمُسْلِمِينَ سَوْيَ النِّسَاءِ وَالصِّبَّارِ، وَأَفْتَضَ فِيهَا نَحْوَ أَلْفِ بَكْرٍ،
وَحَبَّلَتْ أَلْفَ امْرَأَةً فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ، ثُمَّ بَاِيْعَ مِنْ بَقِّيَ مِنَ النَّاسِ
عَلَى أَنَّهُمْ عَبِيدٌ لِيَزِيدَ وَمِنْ امْتَنَعَ قُتْلًا، وَلَمَّا بَلَغَ يَزِيدَ خَبْرَ تِلْكَ الْجَرَائِمِ
وَالْمَآسِيَ الَّتِي يَنْدِي لَهَا الْجَيْنِ، وَلَمْ يَشْهُدْ لَهَا التَّارِيخُ مُثِيلًا حَتَّى عِنْدَ الْمُغَوْلِ
وَالْتَّارِ وَحَتَّى عِنْدَ الإِسْرَائِيلِيِّينَ فَرَحَ بِذَلِكَ وَأَظْهَرَ الشَّمَاتَةَ بَنْبَيِّ الْإِسْلَامِ،
وَتَمَّثَّلَ بِقَوْلِ ابْنِ الزَّبَّارِ الَّذِي أَنْشَدَهُ بَعْدَ مَوْقِعَةِ أَحَدِ قَائِلَةِ:

جزع الخزرج من وقع الأسل	ليتْ أَشِيَّاخِي بِبَدْرِ شَهْدَوَا
ثُمَّ قَالُوا: يَا يَزِيدَ لَا تَشْلُ	لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحاً
وَعَدْلَنَا مِيلَ بِبَدْرِ فَاعْتَدْلُ	قَدْ قَتَلْنَا الْقَرْمَ مِنْ سَادَاتِهِمْ
مِنْ بَنْيِ أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعْلُ	لَسْتُ مِنْ خَنْدَفَ إِنْ لَمْ أَنْتَقْ
خَبْرُ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلُ ^١	لَعْبَتْ هَاشِمَ بِالْمَلْكِ فَلَا

^١ انظر: تاريخ الطبرى ٨: ١٨٧، الأخبار الطوال للدينورى: ٢٦٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد ١٥: ١٧٨، وقال ابن كثير في البداية ٨: ١٥٥: "ثم أباح مسلم بن عقبة الذي يقول فيه السلف مسرف بن عقبة - قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله - المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد - لا جزاء الله خيراً - وقتل خلقاً من أشرافها وقرائها، وانتهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شرًّا عظيم

وفساد عريض... ووقعوا على النساء، حتى قيل: إنّه حبّلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج".

وقال ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٦: ٢٣٢ رقم ٨٤٣٤: "مسلم بن عقبة بن أسعد.. المري أبو عقبة، الأمير من قبل يزيد بن معاوية على الجيش الذين غزوا المدينة يوم الحرة، ذكره ابن عساكر وقال: أدرك النبي ﷺ، وشهد صفين مع معاوية.. وقد أفحش مسلم القول والفعل بأهل المدينة، وأسرف في قتل الكبير والصغير حتى سمه مسرفاً، وأباح المدينة ثلاثة أيام لذلك العسكر، ينهون ويقتلون ويفجرون، ثم رفع القتل وبائع من بقي على أنهم عبيد ليزيد بن معاوية، وتوجه بالعسكر إلى مكة ليحارب ابن الزبير لتخليه".

وقال النووي في شرحه لحديث النبي ﷺ: (ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء)، قال: لمن أرادها في الدنيا فلا يمهله الله ولا يمكن له سلطان، بل يذهبه عن قرب، كما انقضى شأن من حاربها أيامبني أمية مثل مسلم بن عقبة، فإنّه هلك في منصرفه عنها، ثم هلك يزيد بن معاوية مرسلة على ذلك" شرح مسلم، النووي ٩: ١٣٨.

وراجع ذلك أيضاً في المصادر التالية: سير أعلام النبلاء للذهبي ٣: ٣٢٢، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ٥٥٠، الثقات لابن حبان ٢: ٣١٢، أسد الغابة لابن الأثير ٤: ٣٩٧، فتح الباري لابن حجر ٨: ٢٤٥ و ١٣: ٤٩٩، الديباج على مسلم للسيوطى ٣: ٤٠٧، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ١: ٥٧، الطبقات الكبرى لابن سعد ٥: ٣٩، تاريخ خليفة بن الحياط ١٤٧، تهذيب التهذيب لابن حجر ١١: ٣١٦.

وغيرها من المصادر الكثيرة المتعرضة لهذه الواقعة المفجعة التي قتل خلق كثير فيها من الصحابة والتابعين، واستبيحت فيها نساؤهم وبناتهم وولدن الكثير من السفاح، حتى أنّ من صار منهم يسمون أولاد الحرّة لعدم معرفة آبائهم، وأنّ الرجل بعد وقعة الحرّة كان يزوج ابنته من دون أن يضمن بكارتها.

والملفت للنظر في هذا الأمر أنّ قائداً الجيش الذي فعل هذه الأفعال الشنيعة في المدينة - وهو مسلم بن عقبة المري - ذكره بعضهم كابن حجر العسقلاني وغيره أنّه صحابي كما تقدم، فعند ذلك يقع تضارب واضح بين من يؤمن بعدالة جميع الصحابة وأنّهم في الجنة وبين الحديث

إِنَّمَا كَانَ الْجَدَّ أَبُو سَفِيَّانَ الْعَدُوُّ الْأَوَّلُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ يَقُولُ صَرَاطَةً:

"تَلْقَفُوهَا يَا بْنَى أُمِّيَّةِ تَلْقَفِ الْكُرْبَةِ، فَوَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ أَبُو سَفِيَّانَ فَمَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارًا".

وَإِنَّمَا كَانَ الْأَبُ مَعَاوِيَّةَ الْعَدُوِّ الْأَثَانِيَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ يَقُولُ صَرَاطَةً، عَنْ دَمَّا يَسْمَعُ الْمُؤْذِنُ يَشَهِّدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ: "أَيْ عَمَلٌ وَأَيْ ذَكْرٌ يَبْقَى مَعَ هَذَا لَا أَمَّ لَكَ؟ وَاللَّهِ إِلَّا دَفَنَاهُ".

وَإِنَّمَا كَانَ الْأَبُ يَزِيدُ الْعَدُوِّ الْأَثَالِثِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ يَقُولُ صَرَاطَةً:

لَعِبَتْ هَاشِمٌ بِالْمَلْكِ فَلَا خَبْرٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ

وَإِنَّمَا نَحْنُ عَرَفْنَا عِقِيدَةَ هُؤُلَاءِ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَفِي الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا نَحْنُ عَرَفْنَا أَعْمَالَهُمُ الشَّنِيعَةَ الَّتِي أَرَادُوا بِهَا هَدْمَ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ، وَالْإِسَاعَةَ إِلَى نَبِيِّ الْإِسْلَامِ، وَالَّتِي لَمْ نَذْكُرْ مِنْهَا إِلَّا التَّزْرُ الْيَسِيرُ رُومًا لِلْأَخْتَصَارِ، وَلَوْ أَرَدْنَا التَّوْسُّعَ لِمَلَأْنَا مَجْلِدًا ضَخْمًا فِي أَعْمَالِ مَعَاوِيَّةِ وَحْدَهُ الَّتِي بَقِيتْ عَلَيْهِ عَارًا وَشَنَارًا وَفَضِيحةً مَدِيَّ الدَّهْرِ، وَلَوْ تَجْنَدَ لِتَغْطِيَتِهَا وَسَرَّهَا بَعْضُ عُلَمَاءِ السَّوْءِ الَّذِينَ كَانُوا لِبْنَى أُمِّيَّةَ عَلَيْهِمْ أَيْدِيَ وَعَطَايَا أَعْمَتْ عَيْنَهُمْ، فَبَاعُوا

الْمُتَقْدَمَ عَنِ النَّبِيِّ وَالرَّبِّ الْعَظِيمِ: "وَلَا يَرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدْنِيَّةِ..." مَعَ أَفْعَالِ هَذَا الصَّحَابِيِّ الشَّنِيعَةِ، فَهَلْ هَذَا عَادِلٌ؟ وَهَلْ هُوَ فِي الْجَنَّةِ، لَأَنَّهُ صَحَابِيٌّ وَلَا يَضُرُّهُ مَا فَعَلَ؟!

آخرتهم بدنياهم وألبسو الحق بالباطل وهم يعلمون، وبقي أغلب المسلمين ضحية هذا الدس والتزوير، ولو علم هؤلاء الضحايا الحقيقة، لما ذكروا أبا سفيان ومعاوية ويزيد إلا باللعن والبراءة.

[إذا ما عرفا كل ذلك عرفا منزلة هؤلاء، وعرفنا أنهم لا يستحقون إلا الذم والتبري منهم ومن أعمالهم، لا اتباعهم وتبير أفعالهم] ^١.

ولكن الذي يهمنا في هذا البحث الوجيز هو التوصل إلى مدى تأثير هؤلاء وأتباعهم الذين حكموا المسلمين طيلة مائة عام، ولما يزل في خطواته الأولى.

ولا شك في أن تأثير هؤلاء المنافقين كان كبيراً على المسلمين، فغير عقيدتهم، وغير سلوكهم، وأخلاقهم، ومعاملاتهم، وحتى عباداتهم، وإلا كيف يمكن لنا تفسير قعود الأمة عن نصرة الحق وخذلان أولياء الله والوقوف مع أعداء الله، ورسوله؟!

وكيف يمكن لنا أن نفسّر وصول معاوية الطليق ابن الطليق واللعين ابن اللعين إلى الخلافة التي تمثل مرتبة وخلافة رسول الله ﷺ؟ وفي الوقت الذي يموه علينا المؤرخون بأن الناس كانوا يقولون لعمر بن الخطاب: "لو رأينا فيك إعوجاجاً لقومناك بسيوفنا" نراهم يتحدثون عن معاوية وهو يعتلي منصة الخلافة بالقهر والقوة، وأول خطبة يقولها في جميع الصحابة: "إنني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولكن لأتأمر عليكم،وها أنا ذا أمير"

^١ أضيفت لعدم استقامة الجملة بدونها.

عليكم^١ فلا يحرّك منهم أحد ساكناً ولا يعارضوه، بل يجرونها في ركابه حتى يسموا ذلك العام الذي استولى فيه معاوية على الخلافة بعام الجماعة، في حين أنه كان بحق عام الفرقـة.

ثم نراهم بعد ذلك يقبلون منه أن يولـي عليهم ابنـه الفاسق يزيد المعـروف لديـهم جميـعاً، فلا يـثـورـون ولا يـتـحرـكون إلـا ما كانـ من بعض الـصلـحـاء الـذـين قـتلـهم يـزـيدـ في وـقـعة الـحرـةـ، وأـخـذـ مـمـنـ بـقـيـ منـهـمـ الـبيـعـةـ عـلـىـ آـنـهـ لـهـ عـبـيدـ، فـكـيـفـ لـنـاـ تـفـسـيرـ كـلـ ذـلـكـ؟! عـلـىـ آـنـاـ نـجـدـ بـعـدـ ذـلـكـ آـنـهـ وـصـلـ لـلـخـلـافـةـ بـاسـمـ إـمـارـةـ الـمـؤـمـنـينـ الـفـسـاقـ مـنـ بـنـيـ آـمـيـةـ كـالـوـزـغـ مـرـوـانـ بـنـ الـحـكـمـ، وـالـوـلـيدـ بـنـ عـقبـةـ وـغـيـرـهـ.

وـوـصـلـ الـأـمـرـ بـأـمـرـاءـ الـمـؤـمـنـينـ أـنـ يـسـتـبـيـحـواـ مـدـيـنـةـ رـسـوـلـ اللهـ، وـيـفـعـلـوـاـ فـيـهاـ الـأـفـاعـيـلـ، وـتـهـتـكـ فـيـهاـ الـحـرـمـاتـ، بـلـ وـيـحـرـقـواـ بـيـتـ اللهـ الـحـرـامـ، وـيـقـتـلـوـاـ فـيـ الـحـرـمـ خـيـارـ الصـحـابـةـ!! وـوـصـلـ الـأـمـرـ بـأـمـرـاءـ الـمـؤـمـنـينـ أـنـ يـسـفـكـواـ دـمـاءـ رـسـوـلـ اللهـ صلـيـلـهـ عـلـيـهـ وـلـهـ سـلـامـ، وـذـلـكـ بـقـتـلـهـمـ رـيـحـانـةـ رـسـوـلـ اللهـ وـذـرـيـتهـ، وـيـسـتـبـيـحـواـ سـبـيـ بـنـاتـهـ، فـلـاـ يـحـرـكـ أـحـدـ مـنـ الـأـمـةـ سـاكـنـاـ، وـلـاـ يـجـدـ سـيـدـ شـيـابـ أـهـلـ الـجـنـةـ نـاصـرـاـ!!

وـوـصـلـ الـأـمـرـ بـأـمـرـاءـ الـمـؤـمـنـينـ أـنـ يـمـزـقـواـ كـتـابـ اللهـ، وـيـقـولـونـ لـهـ:
إـذـاـ لـقـيـتـ رـبـكـ يـوـمـ حـشـرـ
فـقـلـ يـاـ رـبـ مـزـقـنـيـ الـوـلـيدـ
كـمـاـ فـعـلـ الـوـلـيدـ الـأـمـوـيـ.

وـوـصـلـ الـأـمـرـ بـأـمـرـاءـ الـمـؤـمـنـينـ أـنـ يـلـعـنـوـاـ عـلـىـ الـمـنـابـرـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ

^١ راجـعـ: تـارـيـخـ دـمـشـقـ ٥٩: ١٥٠، سـيـرـ أـعـلامـ النـبـلـاءـ ٣: ١٤٧، الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ ٨: ٨٤٠.

طالب عَلَيْهِ الْمُنَّى، ويأمرُوا الناسَ بِلَعْنِهِ فِي كُلِّ الأَقْطَارِ^١، وَهُمْ لَا يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ
غَيْرَ لَعْنِ رَسُولِ اللَّهِ وَآلِيَتِهِ^٢، فَلَا يَحْرِكُ مِنْهُمْ أَحَدٌ سَاكِنًا، وَمَنْ امْتَنَعَ قُتْلَ
وَصُلْبُ وَمُثْلُ بِهِ.

وَوَصَّلَ الْأَمْرَ بِأَمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَجَاهِرُوا بِشَرْبِ الْخَمْرِ، وَالْزِنَاءِ، وَاللَّهُو
بِالْطَّرْبِ وَالْغَنَاءِ، وَالرَّقْصِ وَ.. وَ.. وَحْدَثُ وَلَا حَرْجٌ!

إِذَا كَانَ أَمْرُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَدْ وَصَّلَ إِلَى هَذَا الْحَدَّ مِنَ الْانْهَاطَةِ فِي
الْأَخْلَاقِ وَالذُّلُّ وَالْاسْتِكَانَةِ، فَلَا بَدَّ أَنَّ هُنَاكَ عَوَامِلٌ أَثْرَتْ فِي عَقِيدَتِهَا، وَهَذَا
مَا يَهْمِنَا فِي هَذَا الْبَحْثِ؛ لَأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِمَوْضِعِ الْعَصْمَةِ وَشَخْصِيَّةِ الرَّسُولِ
الْأَكْرَمِ وَآلِيَتِهِ^٣.

وَأَوْلَى مَا يُلْفِتُ اِنْتَباَهُنَا هُنَا هُوَ أَنَّ الْخُلُفَاءَ الْتَّلَاثَةَ أَبُو بَكْرَ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ
مَنْعُوا كِتَابَةَ حَدِيثِ النَّبِيِّ وَآلِيَتِهِ^٤ بِلِ وَهَنْتِ التَّحدِيثُ بِهِ.
فَهَذَا أَبُو بَكْرٍ يَجْمِعُ النَّاسَ فِي خَلَاقَتِهِ وَيَقُولُ لَهُمْ: "إِنَّكُمْ تَحْدِثُونَ عَنِ
رَسُولِ اللَّهِ أَحَادِيثَ تَخْلُفُونَ فِيهَا، وَالنَّاسُ بَعْدَكُمْ أَشَدُّ اخْتِلَافًا"، فَلَا تَحْدِثُونَ
عَنِ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا، فَمَنْ سَأَلَكُمْ فَقُولُوا: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ فَاسْتَحْلُوا
حَلَالَهُ وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ^٥.

كَمَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ هُوَ الْآخِرُ مِنْهُمْ أَنْ يَتَحدِثُ النَّاسُ بِحَدِيثِ
الرَّسُولِ، قَالَ قَرْظَةُ بْنُ كَعْبٍ: لَمَّا سَيَّرَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الْعَرَقِ مَشَى

^١ سير أعلام النبلاء للذهبي ٣١: ٣١ ترجمة المغيرة بن شعبة الذي كان والياً لمعاوية على الكوفة، وكان ينال في خطبه من علي، وأقام خطباء ينالون منه.

^٢ راجع ما تقدم من حديث أم سلمة الذي نقلناه آنفًا.

^٣ تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ٢ و ٣.

معنا وقال: أتدرؤن لما شيعتكم؟ قالوا: تكرمة لنا، قال: ومع ذلك إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدّوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جوّدوا القرآن، وأقلّوا الرواية عن رسول الله، وأنا شريكيكم.

يقول هذا الراوي: فلم أنقل حديثاً قط بعد كلام عمر، ولمّا قدم العراق هرع الناس إليه يسألونه عن الحديث، فقال لهم قرظة: نهانا عن ذلك عمر^١. كما أن عبد الرحمن بن عوف قال بأنّ عمر بن الخطاب جمع الصحابة من الآفاق لمنعهم من التحدّث بأحاديث رسول الله في الناس وقال لهم: أقيموا عندي ولا تفارقوني ما عشتُ، فما فارقوه حتى مات^٢.

كما يذكر الخطيب البغدادي والذهبي في تذكرة الحفاظ بأنّ عمر بن الخطاب حبس في المدينة ثلاثة من الصحابة، وهم أبو الدرداء، وابن مسعود، وأبو مسعود الأنصاري بذنب الإكثار من نقل الحديث^٣. كما أنّ عمر أمر الصحابة أن يحضروا ما في أيديهم من كتب الحديث، فظنّوا أنه يريد أن يُقْوِّمها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم فأحرقها كلّها في النار^٤.

ثمّ أتى بعده عثمان فواصل المشوار، وأعلن للناس كافة أنه "لا يحل

^١ راجع: السنن لأبي ماجة ١: ١٢، المعجم الأوسط ٦: ١٦٤، تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ٧، المستدرك للحاكم ١: ٢٠٣ كتاب العلم، بالألفاظ مختلفة، ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك.

^٢ تاريخ دمشق ٤٠: ٥٠٠، كنز العمال ١٠: ٢٩٣ ح ٢٩٤٧٩.

^٣ تذكرة الحفاظ ١: ١٢.

^٤ تقييد العلم: ٥٢، القسم الثاني، باختلاف.

لأحد أن يروي حديثاً لم يسمع به على عهد أبي بكر ولا عهد عمر^١.

ثمّ بعد هؤلاء جاء دور معاوية بن أبي سفيان، لما اعتلى منصّة الخلافة صعد على المنبر وقال: "أيها الناس إياكم والحديث عن رسول الله ﷺ، إلا حديثاً يذكر على عهد عمر"^٢.

فلا بدّ أنّ هناك سرّاً لمنع الأحاديث التي قالها رسول الله ﷺ، والتي لا تتماشى وما جرت عليه المقادير في ذلك العصر، وإنّما إذا يبقى الحديث الرّسول ممنوعاً طوال هذه المدّة الطويلة، ولا يُسمح بكتابته إلا في زمن عمر بن عبد العزيز؟!!.

ولنا أن نستتبع طبقاً لما سبق من الأبحاث بخصوص النصوص الصريحة في الخلافة، والتي أعلنها رسول الله ﷺ على رؤوس الأشهاد بأنّ أباً بكر وعمر منعاً من الرواية والحديث عن النبي ﷺ خوفاً أن تسرّي تلك النصوص في الأقطار أو حتى في القرى المجاورة، فتكشف للناس بأنّ خلافه وخلافة صاحبه ليست شرعية، وإنّما هي اغتصاب من صاحبها الشرعي على بن أبي طالب. وقد تكلّمنا في هذا الموضوع، وكشفنا عن هذه الحقيقة في كتابنا "لأكون مع الصادقين" فليراجع لمزيد الاطمئنان.

والعجب في أمر عمر بن الخطاب هو مواقفه المتناقضة بالخصوص في كلّ ما يتعلق بأمر الخلافة؛ ففي حين نجده هو الذي ثبت بيعة أبي بكر، وحمل الناس عليها قهراً، يحكم عليها بأنّها فلتةٌ وقى الله شرّها^٣. وفي

^١ الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٦، كنز العمال ١٠: ٢٩٤٩٠ ح ٢٩٥.

^٢ المعجم الكبير للطبراني ١٩: ٣٧٠.

^٣ صحيح البخاري ٨: ٢٦ كتاب المحاربين، باب رجم الجبلي.

حين يختار هو ستة للخلافة نراه يقول: لو ولوها الأجلح (يقصد علي بن أبي طالب) لحملهم على الجادة^١. فما دام يعترف بأن علياً هو الشخص الوحيد الذي يحمل الناس على الجادة، فلماذا لم يعيّنه وينتهي الأمر، ويكون بذلك قد بدل النصّح لأمة محمد؟!.

ولكنا نراه بعد ذلك يتناقض فيرجح كفة عبد الرحمن بن عوف، ثم يتناقض مرّة أخرى فيقول: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليته عليكم^٢.

والأعجب من ذلك في أمر أبي حفص هو منعه الحديث عن النبي ﷺ، وحبسه الصحابة في المدينة ومنعهم من الخروج منها، ونفيه المبعوثين من قبله إلى الأقطار بأن لا يحدّثوا الناس عن السنة النبوية، وحرقه للكتب التي كانت بأيدي الصحابة، وفيها أحاديث النبي ﷺ !!

ألم يفهم عمر بن الخطاب بأنّ السنة النبوية هي تبيان للقرآن الكريم؟ أولم يقرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ﴾

^١ الطبقات الكبرى ٣: ٣٤٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٢٦٠، كنز العمال ١٢: ٦٧١ ح ٣٦٠٤٤. وقال: (ابن سعد والحارث، حل واللالكائي في السنة وصحح).

^٢ وهذا الحديث اتخذه أبو حنيفة حجة على جواز الخلافة للموالى، وخالف بذلك الصريح من حديث النبي ﷺ بأنّ الخلافة لا تكون إلا في قريش، ومن أجل ذلك اعتنق الأتراك مذهب أبي حنيفة عندما استولوا على الخلافة، وسمّوا أبو حنيفة الإمام الأعظم (المؤلف).

والنصّ في: تاريخ ابن خلدون ١: ١٩٤، أسد الغابة ٢: ٢٤٦.

إِلَيْهِمْ ۝ ۚ أَمْ أَنَّهُ فَهُم مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَمْ يَفْهَمُهُ صَاحِبُ الرِسَالَةِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ؟

وهذا ما يحاوله بعض المهووسين الذين يقولون بأن القرآن كثيراً ما ينزل موافقاً لآراء عمر، ومخالفاً لآراء النبي ﷺ. كبرت كلمة تخرج من أفواهم إِنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ.

و كنت دائماً أتعجب عندما أقرأ في البخاري رفض عمر قبول روایة عمّار بن ياسر بخصوص تعليم النبي له كيفية التيمم، كما أتعجب من قول عمّار: إن شئت لا أحدث به^٢ ، مخافة من عمر!! فيتبين بوضوح بأنّ عمر بن الخطاب كان شديداً على كلّ من يروي أحاديث الرّسول فيلحقه الأذى.

وإذا كان الصحابة من قريش يخالفون من الخليفة فلا يخرجون من المدينة، وحتى الذين يخرجون منها يمتنعون عن نقل الأحاديث النبوية، ثم يحرق لهم كتبهم التي جمعوا فيها الأحاديث فلا يتكلّم منهم أحد، فما قيمة عمّار بن ياسر الغريب البعيد، والغبيض لقريش لوقفه مع علي بن أبي طالب وجّه إِيّاه؟

وإذا ما رجعنا قليلاً بالبحث، وبالضبط يوم الخميس الذي سبق وفاة الرّسول ﷺ ، والذي سمّاه ابن عباس يوم الرّزية، وذلك عندما أمر رسول

^١ النحل: ٤٤.

^٢ النص في صحيح مسلم ١: ١٩٤، كتاب الحيض باب التيمم، البخاري ١: ٨٧، كتاب التيمم باب التيمم للوجه والكففين والوارد فيه: "الم تر عمر لم يقنع بقول عمّار".

الله ﷺ الحاضرين أن يأتوه بالكتف والدواة ليكتب لهم كتاباً لن يصلوا بعده أبداً، نرى في ذلك اليوم أنَّ عمر بن الخطاب هو الذي اعترض على رسول الله ﷺ واتهمه بالهجر - أي الهذيان - والعياذ بالله، وقال: "حسِبْنَا كِتَابَ اللَّهِ إِكْفِنَا" ^١ ، وقد أخرج هذه الحادثة البخاري، ومسلم، وأبي ماجة، والنسائي، وأبو داود، و... أحمد، وغيرهم من المؤرخين كثير.

إِنَّمَا كَانَ عُمَرَ يَمْنَعُ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ كِتَابَةِ أَحَادِيثِهِ، وَبِمُحْضِ كَثِيرٍ مِّنِ الصَّاحِبَةِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ، وَيَتَّهَمُهُ بِالْهِجْرِ بِتِلْكَ الْجُرْأَةِ الَّتِي لَمْ يَعْرِفْ التَّارِيخُ لَهَا مِثْلًا، فَلَيْسَ غَرِيبًا وَلَا عَجِيبًا أَنْ يَشْمَرَ عَنِ سَاعِدِيهِ بَعْدَ وَفَاتِ الرَّسُولِ ﷺ لِيَمْنَعَ النَّاسَ مِنْ نَقْلِ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ بِكُلِّ جُهُودِهِ، وَهُوَ الْخَلِيفَةُ الْقَوِيُّ الَّذِي يَمْلِكُ الْحَوْلَ وَالطُّولَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ لَهُ فِي الصَّاحِبَةِ أَنْصَارًا كَثِيرَيْنَ مِنْ سُرَاةِ قَرِيشٍ الَّذِينَ لَهُمْ نَفْوذٌ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَالَّذِينَ كَانُوا يَصْحُبُونَ النَّبِيَّ ﷺ إِمَّا طَمَعاً أَوْ خَوْفًا أَوْ نِفَاقًا.

وَقَدْ رَأَيْنَا هُؤُلَاءِ عَلَى كَثِيرِهِمْ يَؤْيِدُونَ قَوْلَةَ عُمَرَ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

^١ راجع: صحيح البخاري ٥: ١٣٨، كتاب العلم، باب كتابة العلم، وفي كتاب الجهاد والسير، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة وغيرها، صحيح مسلم ٥: ٧٦، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، مسندي أحمد ١: ٣٢٥، السنن الكبرى للنسائي ٣: ٤٣٣ ح ٥٨٥٢، المصنف لعبد الرزاق ٥: ٤٣٩، صحيح ابن حبان ١٤: ٥٦٢، وغيرها من المصادر.

أما عن اتهام عمر رسول الله ﷺ بالهجر فراجع: سر العالمين للغزالى: ٤٠، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٦٥، النهاية لابن الأثير ٥: ٢٤٥، السقيفة وفداك للجوهري كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٥١، منهاج السنة لابن تيمية ٦: ٢٤ و ٣١٥.

يُهْجُر، ويشار كونه في منع النبي ﷺ من كتابة الكتاب، وأعتقد بأن ذلك كان هو السبب الرئيسي في سكوت النبي ﷺ عن الكتابة؛ لأنَّه علم بمحاجة ربه بأنَّ المؤامرة قوية، وقد تهدَّد مسيرة الإسلام بكماله إذا ما كتب ذلك الكتاب.

ذلك الكتاب الذي أراد به رسول الله ﷺ تحصين أمته من الدخول في الضلالة، فإذا بالمتآمرين يقلبون الموقف، ويصبح ذلك الكتاب (إذا ما كتب) سبب الضلالة والانقلاب عن الإسلام.

فكيف لا يُغيِّر رسول الله - بأبيه هو وأمّه - وهو على تلك الحال من المرض على فراش الموت رأيه، وبوحي من ربِّه الذي يرنَّ في أذنيه، ويملاً قلبه حسرة وأسى على أمته المنكوبة، قوله: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتُلَ افْلَقَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابَكُمْ﴾^١.

ولم تنزل هذه الآية عفوية، بل هي نتيجة حتمية لما علمه الله سبحانه من دسائسهم ومؤامراتهم ومكرهم، فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والذي يُعزِّي رسول الله ﷺ أنَّ ربَّه أعلمَه عن كل ذلك وسلامه، وأجزاءه خير ما يجزي نبي عن أمته، ولم يحمله مسؤولية ارتداد الأمة وانقلابها، بل قال له مسبقاً:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولَ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ اتَّخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً * وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا *

^١آل عمران: ١٤٤.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَّتَصِيرًا^١.

والذي لا مفرّ منه في هذا البحث هو النتيجة المؤلمة التي وصلنا إليها، وهو أنّ أبا سفيان ومعاوية ما كانوا ليتجرّأ على صاحب الرسالة لولا مواقف عمر السابقة، وجرأته على رسول الله ﷺ وبحضرته ﷺ، وخصوصاً إذا بحثنا مواقفه طيلة حياة النبي ﷺ، ومعارضته إياه في كثير من المواقف.

والاستنتاج الذي لا بدّ منه هو أنّ هناك مؤامرة كبيرة حيكت للنيل من شخصية الرسول الأكرم، وانتقاده وتصويره للناس الذين لم يعرفوه بأنّه شخص عادي أو أقلّ من ذلك، فقد تأخذه العاطفة ويميل مع هواه ويزيغ عن الحقّ، كل ذلك ليموّهوا على الناس بأنه ليس معصوماً، والدليل أنّ عمر عارضه عدة مرات، والقرآن ينزل بتأييد ابن الخطاب، حتى وصل الأمر بأنّ يهدد الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيики ويقول: لو أصابنا الله بمصيبة لم ينج منها إلا ابن الخطاب^٢ في قضية أسرى بدر.

أو أنّ عمر كان يأمر رسول الله ﷺ بأن يحجب نساءه، ولم يكن النبي ﷺ يفعل ذلك حتى نزل القرآن بتأييد عمر، وأمر نبيه ﷺ أن يحجب نساءه^٣.

أو أنّ الشيطان لا يخاف من رسول الله ﷺ ولكنّه يخاف ويهرب من

^١ الفرقان: ٢٧ - ٣١.

^٢ نحوه الرياض النصرة ١: ٢٤٩ ح ٦٠٩، تفسير الدر المنشور للسيوطى ٢٠٢: ٣، أسباب النزول للواحدى ٢٤٢، تفسير القرطبي ٨: ٣١، روح المعانى للألوسى ٥: ٢٣١.

^٣ صحيح البخارى ١: ٤٦، باب خروج النساء إلى البراز.

عمر^١، إلى غير ذلك من الروايات المخزية التي تحطّ من قيمة الرسول ﷺ، وترفع من قيمة الصحابة.

ولكن عمر ضرب الرقم القياسي في هذا الصدد حتى رواه (أخزاهم الله) بأنّ رسول الله كان يشكّ في نبوّته، وذلك لحديث يروونه بأنّه قال ﷺ: "ما أبطأ عنى جبرئيل إلا ظنت أنّه ينزل على عمر بن الخطّاب!!" وأنّا اعتقد بأنّ هذه الأحاديث وأمثالها وُضعت في زمان معاوية بن أبي سفيان، لـما أعيته الحيلة في طمس حقائق على بن أبي طالب، فلجأ إلى إطراء أبي بكر وعمر وعثمان، واختلاق الفضائل لهم كي يرفعهم في نظر الناس على مقام علي سلام الله عليه، ويرمى من ذلك إلى هدفين:

الهدف الأول: تصغير شأن ابن أبي طالب (أبو تراب)، كما يُسمّيه هو للتمويل على الناس، واعتبار الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه أفضل منه.

والهدف الثاني لوضعه الأحاديث هو: لكي يتقبل الناس تجاوز أوامر رسول الله ﷺ ووصاياه في أمر الخلافة في أهل بيته، خصوصاً الحسين عليهما السلام اللذين كانوا يعاصران معاوية، فإذا كان من الممكن أن يتجاوز الثلاثة أوامر الرسول ﷺ في علي عليهما السلام، لم لا يمكن أن يتجاوز معاوية (الرابع) أو أمره ﷺ في أولاد علي عليهما السلام؟!

وقد نجح ابن هند في مخطّطه نجاحاً كبيراً، والدليل أننا اليوم عندما نتحدث عن علم علي وشجاعته وقرباته وأفضاله على الإسلام والمسلمين

^١ البخاري ٤: ٩٦، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، صحيح مسلم ٤: ١٤٨٥، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر.

يقفُ في وجوهنا من يقول: قال رسول الله: لو وزن إيمانُ أمّتى بإيمان أبي
بكر لرجح إيمان أبي بكر.

ويقف في وجوهنا من يقول: عمر الفاروق هو الذي يفرق بين الحق والباطل.

ويقف في وجوهنا من يقول: عثمان ذو النورين الذي استحق منه ملائكة الرحمن.

والمتبع لهذه الأبحاث يجد أنَّ عمر بن الخطاب أخذ نصيب الأسد في باب الفضائل، وليس ذلك من باب الصدفة، كلاًً ولكن لموافقته المعارضة والمتعلدة تجاه صاحب الرسالة أحبّتُه قريش، وخصوصاً للدور الذي لعبه عمر في إقصاء أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين على بن أبي طالب عن الخلافة، وإرجاع الأمر إلى قريش تحكّم فيه كيف شاءت، ويطمع فيه الطلقاء والملعونون من بنى أميّة، وقريش كلّها وعلى رأسهم أبو بكر يعرفُون بأنَّ الفضل كلّه يرجم لعمر في تسلّطهم على رقاب المسلمين.

فعمر هو بطل المعارضة لرسول الله، وعمر هو المانع لرسول الله بأن يكتب الخلافة لعلى، وعمر هو الذي هدّد الناس وشكّلهم في موت نبيِّهم حتى لا يسبقوه بالبيعة لعلى، وعمر هو بطل السقّيفه، وهو الذي ثبت بيعة أبي بكر، وعمر هو الذي هدّد المتخلفين في بيت على بأن يحرق عليهم الدار بمن فيها إن لم يبايعوا أبي بكر.

وعمر هو الذي حمل الناس على بيعة أبي بكر بالقوّة والقهر، وعمر هو الذي كان يعيّن الولاة، ويعطي المناصب في خلافة أبي بكر، بل لسنا

مبالغين إذا قلنا بأنّه هو الحاكم الفعلى حتّى في خلافة أبي بكر نفسه، فقد حكى بعض المؤرّخين بأنّ المؤلّفة قلوبهم لما جاؤوا لأبي بكر لأخذ سهمهم الذي فرضه الله لهم جريأً على عادتهم مع رسول الله ﷺ، فكتب لهم أبو بكر بذلك، فذهبوا إلى عمر ليسلّموا منه فمزق الكتاب وقال: لا حاجة لنا بكم فقد أعزّ الله الإسلام وأغنى عنكم، فإن أسلتم و إلا فالسيف بيننا وبينكم، فرجعوا إلى أبي بكر، فقالوا له: أنت الخليفة أم هو؟ فقال: بل هو إن شاء الله تعالى، وأمضى ما فعله عمر^١.

ومرة أخرى كتب أبو بكر لصحابيin قطعة من الأرض وأرسلها لعمر ليمضي فيه، فتفل فيه عمر ومحاه، فشتماه ورجعا لأبي بكر يتذمّران فقالوا: ما ندرى أنت الخليفة أم عمر؟! فقال: بل هو، وجاء عمر مغضباً إلى أبي بكر وقال له: ليس من حقّك إعطاء الأرض إلى هذين، فقال أبو بكر: لقد قلتُ لك بأنّك أقوى مني على هذا الأمر ولكنّك غلبتني^٢.

^١ بداع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ٤٥، النص والاجتهاد لشرف الدين: ٤٣.
^٢ الإصابة ٤٠، ترجمة عيينة بن حصن.

وجاء في السيرة الحلبية ٣: ٥١٢: "وفي كلام سبط ابن الجوزي أنه [أي أبو بكر] كتب لها بفديك، ودخل عليه عمر فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها، فقال: مما تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى، ثمَّ أخذ عمر الكتاب فشقه". وفي المصنف لأبن أبي شيبة ٧: ٦٤١ "اقطع أبو بكر طحة أرضاً وكتب له بها كتاباً وأشهد به شهوداً منهم عمر، فأتى طحة عمر بالكتاب فقال: اختم على هذا، قال: لا أختتم عليه، هذا لك دون الناس؟ فانطلق طحة وهو مغضب، فأتى أبي بكر فقال: والله ما أدرى أنت الخليفة أو عمر، قال: لا بل عمر لكنه أبي".

ومن هنا يتبيّن لنا سرّ المكانة التي حظي بها عمر بن الخطاب لدى قريش عامة ولدى بني أمية خاصة حتّى سُمّوه بالعبري، وبالملهم، وبالفاروق، وبالعدل المطلق، إلى أن فضلوه على رسول الله ﷺ.

وقد رأينا عقيدة عمر في رسول الله ﷺ من يوم صلح الحديبية إلى يوم الرّزية، أضف إلى ذلك أنه من الصّحابة من التبرّك بآثار رسول الله ﷺ، فقطع شجرة بيعة الرضوان^١، كما توسل بالعباس عم النبي ليعشر الناس بأن رسول الله ﷺ مات وانتهى أمره، فلا فائدة حتى في ذكره، فلا لوم على الوهابية الذين يقولون بهذه المقالات، فهي ليست جديدة كما يتوهّم البعض.

ومن هنا فتح الباب إلى أعداء الإسلام والمستشرقين ليستخلصوا بأن محمداً رجلاً عقري عرف أنّ قومه وشّيئن تربوا على عبادة الأصنام فأزال الأصنام، ولكنّه أبدلهم بذلك حبراً أسوداً.

ونرى بعد كلّ هذا عمر هو بطل المعارضة لكتابة الأحاديث النبوية، حتّى يحبس الصحابة في المدينة، ويمنع آخرين من الحديث، ويحرق كتب الحديث حرصاً منه بأن لا تتفشّى السنة النبوية بين الناس.

ونفهم أيضاً من خلال ذلك لماذا بقي على حبس الدّار لا يخرج إلا عندما يُدعى لحلّ معضلة عجز عنها الصحابة، ولم يُشركه عمر في منصب

وفي كنز العمال ١٢: ٥٨٣: "إن عمر مرق الكتاب ومحاه".

^١ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ٢: ٢٦٩ وسنده صحيح، فتح الباري لابن حجر العسقلاني

ولا في ولاية ولا في مسؤولية ولا في بعث، وحرُم حتّى من ميراث فاطمة،
وليس عنده ما يُطعم الناس فيه.

ولذلك يذكر المؤرّخون بأنّه اضطرّ للبيعة بعد موت الزهراء سلام الله
عليها لمّا رأى تحوّل وجوه الناس عنه.

لَكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْحَسْنِ فَكَيْفَ لَا يَعْضُّكَ النَّاسُ، وَقَدْ قَتَلَتْ أَبْطَالَهُمْ، وَفَرَقَتْ
جَمِيعَهُمْ، وَسَفَّهَتْ أَحْلَامَهُمْ، وَمَا تَرَكْتَ لَهُمْ فِي سُوقِ الْفَضَائِلِ فَضِيلَةً، وَلَا
فِي مِيدَانِ الْحَسَنَاتِ حَسَنَةً، وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنْتَ ابْنُ عَمِّ الْمُصْطَفَىِ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ،
وَزَوْجُ فَاطِمَةِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَأَبُو السَّبَطِينِ سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ،
وَأَوَّلَهُمْ إِسْلَاماً، وَأَكْثَرُهُمْ عِلْمًا.

وَعَمْكَ حَمْزَةُ سَيِّدِ الشَّهَادَاءِ، وَجَعْفَرُ الطِّيَارِ ابْنُ أُمْكَ وَأَبِيكَ، وَأَبُو طَالِبٍ
سَيِّدِ الْبَطْحَاءِ وَكَفِيلِ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ أَبُوكَ، وَالْأَئِمَّةُ الْمَيَامِينُ كُلُّهُمْ مِنْ صُلْبِكَ.
سَبَقْتَ السَّابِقِينَ وَنَأَيْتَ عَنِ الْلَّاهِقِينَ، فَكُنْتَ أَسْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ،
وَكُنْتَ سَيْفَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَكُنْتَ أَمِينَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ عِنْدَمَا بَعْثَكَ ﷺ
بِبراءَةٍ وَلَمْ يَأْتِنَ عَلَيْهَا غَيْرُكَ.

وَكُنْتَ أَنْتَ الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ لَا يَقُولُهَا بَعْدَكَ إِلَّا كَذَابٌ، وَكُنْتَ الْفَارُوقُ
الْأَكْبَرُ الَّذِي يُسِيرُ الْحَقَّ فِي رَكَابِهِ، فَيُعْرِفُ الْحَقُّ بِهِ مِنْ بَيْنِ رَكَامِ الْبَاطِلِ،
وَكُنْتَ الْعِلْمُ الظَّاهِرُ، وَالْمَنَارُ السَّاطِعُ، يُعْرَفُ بِحَبْهِ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِ وَبِغَصْبِهِ نَفَاقُ
الْمُنَافِقِ. وَكُنْتَ الْبَابُ لِمَدِينَةِ الْعِلْمِ، مِنْ أَتَاكَ أَتَاهَا، فَقَدْ كَذَبَ مِنْ زَعْمِ
الدُّخُولِ مِنْ غَيْرِكَ، وَالْوُصُولُ بِدُونِكَ.

فَمَنْ مِنْهُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسْهَمِكَ يَا أَبَا الْحَسْنِ؟ وَمَنْ مِنْهُمْ لَهُ فَضْلٌ كَفَضْلِكَ؟

فإن كان للشرف دليلاً فأنت دليله، وأنت مبتدأه ومنتهاه، لقد حسدوك على ما أتاك الله من فضله، ولقد أبعذوك لمَا خصّك الله من قُربه، فسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

لقد شطّ بنا القلم إلى مناجاة أمير المؤمنين المظلوم حياً وميتاً، وله في أخيه رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فهو أيضاً مظلوم حياً وميتاً؛ لأنّه قضى حياته ﷺ مجاهداً ناصحاً حريضاً على المؤمنين بهم رؤوف رحيم. وقابلوه في آخر لحظة بالكلام القبيح، ورموه بالهجر، وجا بهوه بالعصيان والتمرد في تأميره أُسامه، وهرعوا للسقيفة من أجل الخلافة، وتركوه جثة هامدة، ولم يستغلوا حتى بتجهيزه وغسله وتكفينه بأبي هو وأمي، وبعد وفاته عملوا على انتقاده في أعين الناس، والحط من قيمته، وتجريده من العصمة التي يشهد بها القرآن والوجدان، كل ذلك من أجل حكم زائل ودنيا فانية.

وإذا عرفنا من خلال البحث، موقف بعض الصحابة تجاه شخصية رسول الله ﷺ من أجل الوصول للخلافة.

فإن حكام بنى أميّة - على رأسهم معاوية بن أبي سفيان - جاءتهم الخلافة بالوراثة واطمأنوا لها، ولم يكن يدور في خلد أحد منهم بأنّها في يوم من الأيام سوف تخرج منهم، فلماذا استمرّ بنوا أميّة في انتقاد شخصية رسول الله ﷺ وتزوير الروايات للحطّ من قيمته؟

وأعتقد بأنّ هناك سببين رئيسيين، وهما:

السبب الأول: إنّ في الحطّ من قيمة رسول الله هو إرغام أنوف بنى هاشم

الذين نالوا عزّاً وشرفاً بين كل القبائل العربية لوجود النبي منهم، وخصوصاً إذا عرفنا أن أمية كان ينافس أخاه هاشماً ويحسده، ويعمل كل ما في وسعه للقضاء عليه.

زد على ذلك بأنّ علياً هو سيد بنى هاشم بعد الرسول من غير منازع، وقد عرف الخاص والعام بعض معاوية لعلى، والحروب التي شنتها ضده لانتراع الخلافة منه، وبعد مقتله أولغ في سبه ولعنه على المنابر، فالحطّ من شخصية الرسول بالنسبة لمعاوية هو تحطيم شخصية على، كما أن سبّ ولعن على هو في الحقيقة موجّهٌ لرسول الله.

السبب الثاني: إنّ في الحطّ من قيمة رسول الله فيه تبرير لما يقوم به حكام بنى أمية من أعمال مخزية، وقبائح شنيعة سجلّها لهم التاريخ، فإذا كان رسول الله ﷺ - كما يصوّره بنى أمية - يميل مع هواه ويحب النساء إلى درجة أنه ينسى واجباته، ويميل إلى إحداهن إلى درجة أنه لا يعدل بينهن حتى يعيشن له يطالبه بالعدل^١ ، فلا لوم بعد ذلك على البشر العاديين أمثال معاوية ويزيد وأضرابهم.

وتكمّن الخطورة في السبب الثاني في أن الأميين اختلفوا روايات وأحاديث عن رسول الله ﷺ أصبحت أحكاماً يُعمل بها في الإسلام، والمسلمون يأخذونها مسلمة على أنها من أقوال وأفعال الرسول ﷺ، فتصبح عندهم سنة نبوية.

وأنصرب لذلك بعض الأمثلة من الأحاديث المخزية التي وضعـت للنيل

^١ صحيح مسلم ٤: ١٥٠٧ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة.

من شخصية الرسول، والحطّ من قيمته، ولا أريد أن أوسع في هذا الموضوع، وسوف أقتصر فقط على ما رواه البخاري ومسلم في صححهما (روايات مخزية للطعن في النبي ﷺ).

١ - أخرج البخاري في كتاب الغسل في باب إذا جامع ثم عاد، قال أنس: كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة، قال: قلت لأنس: أو كان يُطيقه؟ قال: كنا نتحدّث أنه أعطى قوّة ثلاثين.

أنظر معى أيها القارئ إلى هذه الرواية المخزية التي تصور لنا رسول الله ﷺ على هذا النهم من الجماع، فيجامع إحدى عشرة زوجة في ساعة واحدة، ويجامعهن في الليل أو النهار وبهذه السرعة، ومن غير أن يغتسل من الأولى فيجامع الثانية بماء الأولى.

وما عليك أيها القارئ إلا أن تصور وتخيل كيف يرتمى إنسان على زوجته كالحيوان بدون مقدمات ولا تهيئة، وقد شاهدنا أنه حتى عند الحيوانات تستغرق عملية الجماع مدة طويلة وتطلب مقدمات وتهيأ، فكيف بهذا الرسول العظيم يفعل مثل هذا؟ قاتلهم الله ولعنهم أنى يؤفكون. ولأنّ العرب في ذلك العهد والرجال حتى في هذا العهد ما زالوا يفتخرن بقوّة الجماع، ويعتبرون ذلك علامه الرجولة، فوضعوا هذه القصة على رسول الله ﷺ، وحاشاه وهو الذي كان يقول: "لا ترتموا على نسائكم كالبهائم واجعلوا بينكم وبينهن رولا".

فيمثل هذه الروايات يتحامل أعداء الإسلام على النبي ﷺ ويصفونه

بأنه رجل يتھالك على الجنس والجماع وحب النساء إلى غير ذلك من التّهم.
وهل لنا أن نسأل أنس بن مالك راوي هذه القصّة، من أخبره بها؟ من
أعلمه أن رسول الله ﷺ يُجتمع نساءه في ساعة واحدة وهن إحدى
عشرة؟

هل النبي هو الذي حدثه بذلك؟ فهل يليق بأحدنا أن يحدّث الناس على
مجامعته لزوجته؟ أم أن زوجات النبي هن اللاتي حدثنه بذلك؟ فهل يليق
بالمرأة المسلمة أن تحكي للرجال عن جماع زوجها لها؟ أم أن أنس هو
الذي تجسّس على النبي، وتبع خلواته مع زوجاته، وتفرّج عليه من ثقوب
الأبواب؟ أستغفر الله من همزات الشياطين ولعن الله الكاذبين.

ولا أشك في أن الحكام الأمويين والعباسيين الذين اشتهروا بكثرة
النساء والجواري، هم الذين وضعوا مثل هذه القصّة لتبرير أعمالهم.

٢ - أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الثالث صفحة ١٣٢، وكذلك
مسلم في صحيحه من الجزء السابع في صفحة ١٣٦، قالا: قالت عائشة:
أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله
فاستأذنت عليه وهو مضطجع معى في مرطي، فأذن لها، فقالت: "يا رسول
الله إن أزواجه أرسلتني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة"، وأنا
ساكتة، قالت: فقال لها رسول الله ﷺ: "أي بنتية ألسنت تُحِبُ ما أَحَبْ؟"
فقالت: "بلى"، قال: "فأحْبِي هذه".

ثم تمضي الرواية فتقول إلى أن يبعث أزواج النبي مرتين بنت
جحش زوج النبي ينشدنه العدل في بنت أبي قحافة، فتدخل هي الأخرى

على رسول الله وهو مضطجع مع عائشة ولا يلبس مرتاحها على الحالة التي دخلت عليه فاطمة، فتنشد الرسول العدل في بنت أبي قحافة على لسان أزواج النبي، ثم تقع في عائشة وتسأها، فتنتصر عائشة لنفسها وتقع هي الأخرى في زينب حتى تسكتها، فيبتسم عند ذلك رسول الله ﷺ ويقول: "إنها ابنة أبي بكر" !!

فما عسانى أن أقول في هذه الرواية المنكرة التي تجعل رسول الله ﷺ يميل مع هواه ولا يعدل بين زوجاته، وهو الذي جاء القرآن على لسانه:

﴿إِنَّمَا خَفِيَّةُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا تَعْدُلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أُيُّمَانُكُمْ﴾^١ !؟

ثم كيف يأذن الرسول ﷺ لابنته فاطمة سيدة النساء لتدخل عليه وهو على تلك الحالة مضطجع مع زوجته ولا يلبس مرتاحها، فلا يجلس ولا يقوم ويبقى مضطجعا حتى يقول، "أي بنية، ألسنت تحبين ما أحب"؟ وكذلك عندما تدخل عليه زوجته زينب وتطالبه بالعدل، فيبتسم ويقول: "إنها ابنة أبي بكر" !!؟

أنظر أيها القارئ الكريم إلى هذه المخازى التي يلصقونها برسول الله ﷺ رمز العدالة والمساواة، في حين أنهم يقولون: مات العدل مع عمر ابن الخطاب، ويصورون رسول الله ﷺ شخصاً مستهتراً بالقيم الأخلاقية، فلا يعرف الحياة ولا المروءة.

ولهذه الرواية نظائر كثيرة في صحاح السنة، والتي يقصد الرواة من ورائها إبراز فضيلة لصحابي أو لعائشة بالذات لأنها ابنة أبي بكر، فينتقصون رسول

^١ النساء: ٣.

الله ﷺ من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وكما قدّمت في البحث بأنّ هذه الروايات موضوعة للنيل من شخصيّة الرسول ﷺ، فإليك الرواية الثالثة وهي شبيهة بهذه.

٣ - أخرج مسلم في صحيحه في باب فضائل عثمان بن عفّان، عن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حدثاً: أنّ أباً بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابسٌ مرطٌ عائشة، فأذن لأبى بكر وهو كذلك، فقضى إليه حاجته ثمّ انصرف، ثمّ استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته ثمّ انصرف.

قال عثمان: ثمّ استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: "أجمعى عليك ثيابك"، فقضيتُ إليه حاجتي ثمّ انصرفتُ، فقالت عائشة: يا رسول الله مالي لم أرك فزعتَ لأبى بكر وعمر رضي الله عنهمَا كما فزعتَ لعثمان؟! قال رسول الله ﷺ: "إنّ عثمان رجلٌ حيٌّ، وإنّي خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلىّ في حاجته"!

وهذه الرواية أيضاً هي الأخرى شبيهة بما أخرجه البخاري ومسلم في فضل عثمان بن عفّان، ومقادها بأنّ رسول الله كان كاشفاً عن فخديه، فاستأذن أبو بكر فلم يعطّي رسول الله فخديه، وكذلك فعل مع عمر، فلما استأذن عثمان غطّى رسول الله فخديه وسوّي ثيابه، ولما سأله عائشة عن ذلك قال لها: "ألا أستحي من رجل تستتحي منه الملائكة"!^١ قاتل الله بنى أمّة الذين ينتقصون رسول الله لرفع مكانة سيدهم.

^١ صحيح مسلم ٤: ١٤٨٦، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عثمان.

٤ - أخرج مسلم في صحيحه في باب وجوب الغسل بالتقاء الختانيين عن عائشة زوج النبي ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل؟ - وعائشة جالسة ؟ فقال رسول الله ﷺ : "إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغسل" !!

وأترك لك أيها القارئ أن تعلق بنفسك على هذه الرواية، فقد بلغ من تدليل الرسول ﷺ لزوجته عائشة أن يحدّث بجماعها الخاصّ والعامّ من الناس، وكم لعائشة بنت أبي بكر من أمثال هذه الروايات التي فيها مسّ من كرامة الرسول والحطّ من قيمته.

فمرة تروي بأنّه يضع خده على خدّها لتتفرّج على رقص السودان، ومرة يحملها على كتفه^١ ، ومرة يتتسابق معها فغلبه وينتظر الرسول ﷺ حتى تسمن فيسابقها ويقول هذه بيتك^٢ ، ومرة يستلقي على ظهره والنساء يضربن بالدفوف ومزمارة الشيطان في بيته فينتحرها أبو بكر^٣ .

وكم في كتب الصحاح أمثال هذه الروايات المخزية التي لا يقصد منها إلا انتقاد نبي الإسلام ﷺ ، كالروايات التي تقول بأنّ الرسول سُحر حتى

^١ صحيح البخاري ٢:٣، كتاب الجهاد، باب الدرق.

^٢ مسنّد أحمد ٦:٣٩ وأشار محقق الكتاب أحمـد حمـزة الزـين إـلى صـحة الـحدـيث. وـقال الشـيخ الأـلبـانـي فـي صـحيـحـتـه ١: ٢٥٤ حـ ١٣١ بـعد أـن ذـكـرـ الـحدـيث: "أـخـرـجـهـ الحـميـديـ فـي مـسـنـدـهـ قـ ٢/٤٢ـ، وـأـبـوـ دـاوـدـ ٢٥٧٨ـ، وـالـنسـائـيـ فـيـ عـشـرـةـ النـسـاءـ قـ ١/٧٤ـ وـالـسـيـاقـ لـهـ، وـابـنـ مـاجـةـ:

١٩٧٩ـ مـختـصـراـ وأـحـمدـ ٦: ٣٩ـ، السـنـنـ الـكـبـرىـ لـلـنـسـائـيـ ٥: ٣٠٣ـ حـ ٢٦٤ـ / ٣٩ـ

^٣ صحيح البخاري ٢: ١١ كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي وأصحابه المدينة.

لا يدرى ما يفعل وما يقول، وحتى يخيل له أنه يأتى نساءه ولا يأتيهن^١، وكالروايات التى تقول بأنه عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كان يصبح فى رمضان جنباً^٢، وأنه ينام حتى يغط فى نومه ثم يقوم فيصلى بغير وضوء^٣.

ويسهو فى صلاته فلا يدرى كم ركعة صلى^٤، ولا يدرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما هو مصيره يوم القيمة وما يفعل به^٥، وأنه يبول قائماً والصحابى يتبعده عنه، فيناديه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليقترب منه حتى يفرغ من بوله^٦.

نعم، لقد بلغ من تدليل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوجته عائشة بنت أبي بكر أنه يحبس نفسه ويحبس المسلمين معه ليبحثوا عن عقد ضاع من عائشة، وليس معهم ماء حتى أن الناس يستنكرون من عائشة لأبي بكر، فيانى أبوها يوبخها ويلومها، كل ذلك ورسول الله مشغول بالنوم فى حجر زوجته، وإليك الرواية بالتفصيل!

أخرج البخاري في صحيحه في باب التيمم، ومسلم في صحيحه في باب التيمم أيضاً عن عائشة أنها قالت: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض

^١ البخاري ٤: ٦٨ و ٧: ٢٩ كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر.

^٢ البخاري ٢: ٢٣٤، كتاب الصوم، باب الصائم يصبح جنباً وما بعده.

^٣ البخاري ١: ٤٤ و ١٧١، كتاب الوضوء، باب التخفيف، صحيح مسلم ١: ٤٤٢، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل.

^٤ البخاري ١: ١٢٣، ٢: ٦٥، كتاب السهو.

^٥ البخاري ٢: ٧١ كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه.

^٦ صحيح مسلم ١: ١٥٧، كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين.

أسفاره حتّى إذا كنّا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى، فأقام رسول

الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء.

فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعتْ عائشة، أقامتْ

برسول الله ﷺ وبالناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟!

فجاء أبو بكر، ورسول الله ﷺ واضح رأسه على فخذيه قد نام، فقال:

حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، قالت:

فعادتني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي،

فلا يمنعني من التحرّك إلّا مكان رسول الله ﷺ على فخذيه، فنام رسول

الله ﷺ حتّى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمّم فتيمّموا.

قال أسيد بن الحُضير وهو أحد النقباء: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي

بكر، فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنتُ عليه، فوجدنا العقد تحته^١.

فهل يُصدق مؤمن عرف الإسلام بأنّ رسول الله يتهاون في أمر الصلاة

إلى هذه الدرجة، ويحبس المسلمين وهم على غير ماء وليس عندهم ماء،

كلّ ذلك من أجل البحث على عقد زوجته الذي ضاع منها، ثمّ يترك

المسلمين يتّحسرُون على الصلاة ويستكرون إلى أبي بكر، وهو يذهب فينام

على فخذ زوجته، ثمّ يستغرق في نوم لا يشعر معه بدخول أبي بكر

وتوبيخه عائشة وطعنها في خاصرتها؟!

^١ صحيح البخاري ١: ٨٦، كتاب التيمم، باب التيمم، وأيضاً في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، صحيح مسلم ١: ١٩١، كتاب الطهارة، باب التيمم.

وكيف يجوز لهذا الرسول أن يترك الناس يموتون من أجل الماء،
واقتراب وقت الصلاة وينام هو في حجر زوجته.
ولا شكّ بأنّ هذه الرواية وضعت في زمن معاوية بن أبي سفيان ولا
أساس لها، وإلاًّ كيف نفسّر حادثة مثل هذه حضرها كلّ الصحابة، وتغيب
عن عمر بن الخطّاب فلا يعرفها عندما يسئل عن التيمّم، كما أخرج ذلك
البخاري ومسلم في صحّيحيهما في باب التيمّم.

والملهم في كلّ هذه الأبحاث هو أن نعرف بأنّ المؤامرة ضدّ رسول
الله ﷺ كانت مؤامرة خسيسة ودئنة، تعمل على الانتقاص من رسول
الله ﷺ وتحطّ من قيمته إلى درجة أنّ أحدهنا اليوم - ورغم كلّ الفساد
الذى عمّ البرّ والبحر - لا يرضى لنفسه مثل هذه المواقف والأفعال، فما بالنا
بأعظم شخصية عرفها تاريخ البشرية، والذي يشهد له ربّ العزة والجلالة
بأنّه على خلق عظيم !!

وقد بدأت المؤامرة - حسب اعتقادى - بعد حجّة الوداع، وبعد تنصيب
الرسول ﷺ لإمام علي خليفة له يوم غدير خم، وبذلك عرف الطامعون في
الرئاسة أن ليس أمامهم إلا المعارضه والتمرد على هذا النصّ، كلفهم ذلك ما
كلفهم، ولو أدى إلى الانقلاب على الأعقاب.

وبذلك يستقيم تفسير الأحداث التي بدأت بمعارضة الرسول ﷺ في كلّ
أوامره من كتابة الكتاب، إلى تأمیر أسماء، إلى عدم الذهاب في الجيش
الذي عبّاه رسول الله ﷺ بنفسه.

وكذلك الأحداث التي أعقبت وفاته ﷺ من حمل الناس على البيعة

بالقوّة ، و تهديد المتخلفين بالحرق ، و فيهم على و فاطمة و الحسين .

إلى منع الناس من نقل أحاديث رسول الله ﷺ و حرق الكتب التي فيها سُنة رسول الله ﷺ، و حبس الصحابة لثلاً يتحدثوا بأحاديث النبي .

إلى قتل الصحابة الذين امتنعوا عن أداء الزكاة لأبي بكر؛ لأنّه ليس هو الخليفة الذي بايعوه على عهد نبيّهم .

إلى اغتصاب حقّ فاطمة الزهراء من فدك والإرث وسهم الخمس وتكذيبها في دعواها.

إلى إبعاد الإمام على عاشوراء عن كلّ مسؤولية، وتولية الفساق والمنافقين من بنى أميّة على رقاب المسلمين .

إلى منع الصحابة من التبرّك بآثار الرسول ﷺ، ومحاولة محو اسمه من الأذان .

إلى إباحة مديتها المنورة للجيش الكافر يفعل فيها ما يشاء .
إلى ضرب البيت الحرام بالمنجنيق وحرقه وقتل الصحابة في داخله .
إلى قتل عترة الرسول ﷺ وسبّهم ولعنهم وحمل الناس على ذلك .
إلى قتل وتشريد من يحبّ أهل البيت ويتشيع لهم .

إلى أن أصبح دين الله لعباً وهزّةً، والقرآن يُمزّق ويُبعث به .
والمؤامرة ما زالت حتى اليوم، وآثارها ومفعولها يسري في الأمة الإسلامية، وما دام هناك في المسلمين من يتراضي عن معاوية ويزيد، ويبّرّ أفعالهم بأنّها اجتهاد ولهم بها أجرٌ عند الله، وما دام هناك من يكتب الكتب والمقالات ضدّ شيعة أهل البيت، ويرميهم بكلّ شتيمة وشنيعة، وما دام هناك من يستبيح قتل شيعة أهل البيت في بيت الله الحرام وفي موسم الحجّ؛

فالمؤامرة ما زالت متواصلة، وستبقى متواصلة إلى أن يشاء الله.
وأنا لست ب قادر على كشفها كلها، أو الإحاطة بكل تفاصيلها وجوانبها،
ولكنني أحاول بجهدي المتواضع أن أُنْزِه رسول الله ﷺ من الروايات
المخزية التي أُلْصقت بحضورته، وأدفع عنه وعن عصمته، وأحاول إقناع
ال المسلمين المثقفين والمحتررين بأنّ هذا الرسول الذي أرسله الله لهداية
البشرية جميعاً، وجعله قمراً وسراجاً مُنِيراً هو أَجْلٌ وأَعْظَمُ وأَسْمَى وأَظْهَرَ
 وأنقى وأكمل إنسان خلقه الله تعالى، فلا يمكن لنا أن نُسْكُنَ على مثل
هذه الروايات التي لم يقصد من ورائها إلّا النيل من كرامته، والحطّ من
قيمتها.

فلا ولن نرضى بهذه الروايات، ولو اتفق عليها أهل السنة والجماعة،
وآخر جوها في صحاحهم ومسانيدهم، لا بل ولو اتفق عليها أهل الأرض
كافّة، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^١ هو القول الفصل
والحكم الأصل، وليس بعده إلّا الأباطيل والأوهام.
وهذا هو قول الشيعة في سيد الأنام، ومنقذ البشرية من العمى
والضلال، وقادتها إلى الأمان والسلام، فاعتبروا يا أولى الألباب!

قول أهل الذكر في الرسول ﷺ

يقول الإمام على عليه السلام: "حتى أفضتْ كرامةُ الله سبحانه إلى محمدٍ ﷺ،
فآخر جه من أفضل المعادن منبتاً، وأعزَّ الأرومات مغرساً، من الشجرة التي
صدع منها أنبياءه، وانتخب منها أمناءه."

^١ القلم: ٤.

عترتهُ خير العتر، وأسرتهُ خير الأُسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوالٌ، وثمرة لا تناول، فهو إمامٌ من أئقى، وبصيرةٌ من اهتدى، سراجٌ لمع ضوءه وشهابٌ سطع نوره، وزنادٌ برق لمعه. سيرته القصد، وستنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل، أرسله على حين فترة من الرسل، وهفوة عن العمل، وغباوة من الأمم^١.

"بالغ وَالْبَيْتُ في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة"^٢.

"مستقره خير مستقر، ومن بيته أشرف منبت في معادن الكرامة ومماهد السلامه، قد صرُفتْ نحوه أفئدة الأبرار، وثنيتْ إليه أزمة الأ بصار، دفن به الضّغائن وأطfaً به الثّواير، ألفَ به إخواناً، وفرقَ به أقراناً، أعزَّ به الذلة، وأذلَّ به العزة، كلامه بيان، وصمته لسان"^٣.

"أرسله بحجة كافية، وموعظة شافية، ودعوى متلافية، أظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخلة، وبين به الأحكام المفصلة"^٤.

"أرسله بالضياء، وقدمه في الاصطفاء، فرتق به المفاتق، وساور به المغالب، وذللَ به الصعوبة، وسهَّلَ به الحُزُونَة، حتى سرَّحَ الضلال عن يمين وشمال"^٥.

^١ نهج البلاغة ١: ١٨٥، الخطبة ٩٤.

^٢ المصدر نفسه ١: ١٨٦، الخطبة ٩٥.

^٣ المصدر نفسه ١: ١٨٧، الخطبة ٩٦.

^٤ المصدر نفسه ١: ١٨٦، الخطبة ١٦١.

^٥ المصدر نفسه ٢: ١٩٤، الخطبة ٢١٣.

الفصل الثالث:

في ما يتعلّق بأهل البيت عليهم السلام

السؤال الرابع: من هم أهل البيت عليهم السلام؟

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾^١.

يقول أهل السنة والجماعة بأن هذه الآية نزلت في نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

ويستدلّون على ذلك بسياق ما قبلها وما بعدها من الآيات، وعلى حسب
زعمهم فإن الله أذهب الرجس عن نساء النبي وطهّرهن تطهيرًا.

ومنهم من يضيف إلى نساء النبي علي وفاطمة والحسن والحسين، ولكن
الواقع النقلاني والعقلي والتاريخي يأبى هذا التفسير؛ لأن أهل السنة يرون
في صحّتهم بأن الآية نزلت في خمسة وهم: محمد، وعلي، وفاطمة،
والحسن، والحسين، وأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي خصّهم ونفسه الشريفة
بهذه الآية الكريمة عندما دخل علياً وفاطمة والحسنين معه تحت الكساء.

وقال: "اللهم هؤلاء أهلي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا^٢".

^١ الأحزاب: ٣٣.

^٢ روي حديث الكساء ونزول آية التطهير في الخامسة من العترة الأربع، خمسة عشر صحّيّاً،
ويوجد نصّ الحديث باختلاف الفاظه في مصادر مختلفة - كما ستوافيك - وهذه الأحاديث

وقد أخرج ذلك من علماء أهل السنة جمع غير ذكر منهم:

- ١ - مسلم في صحيحه في باب فضائل أهل بيته النبي ٧: ١٣٠.
- ٢ - الترمذى في صحيحه ٥: ٣٠.
- ٣ - مسنن الإمام أحمد بن حنبل ١: ٣٣٠، ٦: ٢٩٢.
- ٤ - مستدرك الحاكم ٢: ٤١٦، ٣: ١٣٣.
- ٥ - خصائص الإمام النسائي: ٤٩.
- ٦ - تلخيص الذهبي ٢: ١٥٠.
- ٧ - معجم الطبراني ١: ٥٢.
- ٨ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكنى ٢: ١٨.

توضّح وتشرح لنا معنى الآية الكريمة واحتياطها بالخمسة أصحاب الكسائِ عليهم السلام، كما اعترف بذلك الطحاوي في مشكل الآثار ١: ٣٣٢ - ٣٣٩. وتدلّ هذه النصوص أيضاً على نزول آية التطهير لوحدها غير منضمة إلى غيرها، ولم يرد حتى في رواية واحدة نزولها ضمن آيات نساء النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ولا ذكره أحد، فهي لم تكن بحسب التزول جزءاً من آيات نساء النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ولا متصلة بها وإنما وضعت بينها إما بأمر النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أو عند الجمع بعد رحلته. (انظر: تفسير الميزان للطباطبائي ١٦: ٣١١).

والإرادة هنا تكوينية من قبل قوله تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) وليس تشريعية؛ لأن التشريعية تتنافى مع نص الآية بالحصر بقوله: "إنما" وتتنافى مع الأحاديث إذ أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه طبق الآية عليهم دون غيرهم. وممّا يدلّ على عظيم شرفهم ما في بعض ألفاظ الحديث من أن الآية نزلت عقب دعاء النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه لهم بالطهارة وإذهاب الرجس، ولعله الأصح.

- ٩ - البخاري في التاریخ الكبير ٢٥: رقم ٢٠٥.
- ١٠ - الإصابة لابن حجر العسقلاني ٤: ٤٢٣، ٤٦٧، ٨: ٢٦٥.
- ١١ - تذكرة الخواص لابن الجوزي: ٢١١، الباب التاسع.
- ١٢ - ينایع المودة للقندوزي الحنفي ١: ٣١٩ ح ٣١٩.
- ١٣ - مناقب الخوارزمي: ٦١.
- ١٤ - السیرة الحلبیة ٣: ٤٠٤.
- ١٥ - السیرة الدحلانیة ٢: ٤١٣.
- ١٦ - أسد الغابة لابن الأثير ٢: ١٢.
- ١٧ - تفسیر الطبری ٩: ٢٢.
- ١٨ - الدر المتنور للسيوطی ٥: ١٩٨.
- ١٩ - تاریخ ابن عساکر ٤٢: ١٠٠.
- ٢٠ - تفسیر الكشاف للزمخشري ١: ٣٦٩، سورة آل عمران آية ٦١.
- ٢١ - أحكام القرآن لابن العربي ٣: ١٥٣٨.
- ٢٢ - تفسیر القرطبی ١٤: ١٨٣.
- ٢٣ - الصواعق المحرقة لابن حجر ٢: ٤٢٢، الآيات الواردة في أهل البيت.
- ٢٤ - الاستیعاب لابن عبد البر ٣: ٣٧.
- ٢٥ - العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ٦٢.
- ٢٦ - کنز العمال ١٣: ٧١، ح ٣٦٤٩٢.
- ٢٧ - مصابیح السنّة للبغوي ٢: ٢٧٨.
- ٢٨ - أسباب النزول للواحدی: ٢٣٩.

٢٩ - تفسير ابن كثير ٣: ٤٩٢.

وغير هؤلاء من علماء أهل السنة والجماعة كثيرون لم نذكرهم، واكتفينا في هذه العجالة بهذا القدر.

وإذا كان كلّ هؤلاء يعترفون بأنّ رسول الله ﷺ هو الذي بين المقصود من هذه الآية، فما قيمة أقوال غيره من الصحابة، أو التابعين، أو المفسّرين الذين يريدون حمل معناها على غير ما يريده الله ورسوله، ابتعاداً مرضاه معاوية وطمعاً فيما عنده؟!

كما أنّ رسول الله ﷺ أشار إليهم مرّة أخرى، وخصّهم بأنّهم هم أهل البيت لا غيرهم، وذلك عندما نزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^١ ، فدعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: "هؤلاء أبناءنا وأنفسنا ونساؤنا، فهلموا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم"^٢ ، وفي رواية مسلم: "اللهم هؤلاء أهلي"^٣.

وعلماء أهل السنة والجماعة الذين ذكرتهم في المصادر السابقة كلّهم يعرفون أيضاً بنزول هذه الآية في هؤلاء الخمسة المذكورين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

على أنّ أزواج النبي رضي الله تعالى عنهم عرّف مقصود الآية الكريمة،

^١ آل عمران: ٦١.

^٢ شواهد التنزيل للحسكاني ١: ١٦٠.

^٣ صحيح مسلم ٧: ١٢١، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي بن أبي طالب.

ولذلك لم تدعى واحدة منهن أنها من أهل البيت، وعلى رأسهن أم سلمة وعائشة، وقد روت كل واحدة منها أن الآية خاصة برسول الله وعلى فاطمة والحسن والحسين، وقد أخرج اعترافهن كل من مسلم، والترمذى، والحاكم، والطبرى، والسيوطى، والذهبى، وابن الأثير وغيرهم.

أضف إلى ذلك أن رسول الله ﷺ قد رفع هذا اللبس وهذا الإشكال؛ لأنّه عَلِمَ بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ يَقْرَئُونَ الْقُرْآنَ، وَيَحْمِلُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَى سِيَاقِ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ، وَالَّتِي تَحدِّرُ نِسَاءَ النَّبِيِّ، فَبَادَرَ إِلَى تَعْلِيمِ الْأُمَّةِ بِمَا قُصُودَ آيَةِ إِذْهَابِ الرِّجْسِ وَالتَّطْهِيرِ عِنْدَمَا دَوَمَ طِيلَةُ سَتَّةِ أَشْهُرٍ - بَعْدَ نَزُولِ الْآيَةِ - عَلَى الْمَرْوَرِ بِبَابِ عَلَى وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحَسِينِ قَبْلَ الشَّرْوَعِ فِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ فَيَقُولُونَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لَيْذَهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قَوْمُوا إِلَى الصَّلَاةِ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ.

وقد أخرج هذه المبادرة التي فعلها رسول الله ﷺ الترمذى فى صحيحه ٥: ٣٠، والحاكم فى المستدرك ٣: ١٥٨، والذهبى فى تلخيصه، وأحمد بن حنبل فى مسنده ٣: ٢٥٩، وابن الأثير فى أسد الغابة ٥: ٥٢١، والحسكاني فى شواهد التنزيل ٢: ١٨، والسيوطى فى الدر المنشور ٥: ١٩٩، والطبرى فى تفسيره ٩: ٢٢، والبلاذرى فى أنساب الأشراف ٢: ١٠٤، وابن كثير فى تفسيره ٤: ٤٩٢، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٩: ١٦٨، وغيرهم.

وإذا أضفنا إلى كل هؤلاء أئمة أهل البيت، وعلماء الشيعة الذين لا يشكّون فى اختصاص محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين بهذه الآية الكريمة، فلا تبقى بعد ذلك أية قيمة لمن خالفهم من أعداء أهل البيت

والموالٰئِين لِمَعَاوِيَة وَبْنِي أُمِّيَّة الَّذِين يَرِيدُون أَن يَطْفُؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ،
وَاللَّهُ مَتَّمْ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

وقد كشف أولئك الذين يفسرون الآية على غير تفسير النبي ﷺ لها
بأنهم من المترافقين إلى الحكام من الأمويين والعباسيين قدِيمًا وحديثاً،
وبأنهم من النواصِبِ الَّذِين يبغضون علیَّاً، وإن تستروا بزِي العُلُماءِ والفقهاءِ.
على أن العقل وحده يحكم بعدم شمول هذه الآية، أعني (إذهاب

الرجس والتطهير) لزوجات النبي ﷺ :

١ - فإذا ما أخذنا على سبيل المثال أم المؤمنين عائشة التي تدعى أنها
أحب أزواج النبي ﷺ إليه وأقربهم لديه، حتى إن باقي أزواج النبي ﷺ
غرّ منها، وبعثن للنبي ﷺ ينشدنه العدل في ابنة أبي قحافة كما قدمنا؛ لم
تتجرأ ولم يتجرأ أحد من أنصارها ومحبيها ولا من السابقين أو من
اللاحقين أن يقول بأن عائشة كانت تحت الكساء يوم نزول الآية.

فما أعظم محمد ﷺ في أقواله وأفعاله، وما أعظم حكمته عندما حضر
أهل بيته معه تحت الكساء، حتى إن أم المؤمنين أم سلمة زوجة النبي ﷺ
أرادت الدخول معهم تحت الكساء، وطلبت ذلك من زوجها رسول الله ﷺ
ولكنه منعها من ذلك وقال لها: "أنت إلى خير".^١

^١ تفسير الطبرى ٢٢: ١١، تاريخ دمشق ١٤: ١٣٩، سير أعلام النبلاء ١٠: ٣٤٧ وقال محقق الكتاب: حديث صحيح. ورواه الترمذى في الجامع ٦: ١٧٤، ح ٣٨٧١ وقال: "حديث حسن صحيح، وهو أحسن شيء روى في هذا الباب" وكذلك حكم الشيخ الألبانى في صحيح

٢ - ثم إن الآية بمفهومها الخاص والعام دال على العصمة، فإن إدھاب

الرجس يشمل كل الذنوب والمعاصي والرذائل صغيرها وكبیرها، وخصوصاً إذا أضيف إليها تطهير من رب العزة والجلالة، وإذا كان المسلمين يتظھرون بالماء والتراب طهارة جسدية لا تتعذر ظاهر الجسم، فأهل البيت طھرهم الله طهارة روحية غسلت العقل والقلب والرؤاد، فلم ترك لوساوس الشيطان ولا لارتكاب المعاصي مكاناً، فأصبحت قلوبهم صافية نقية خالصة مخلصة لخالقها وبارئها في كل حر كاتها وسكناتها.

٣ - ولكل ذلك كان هؤلاء المطھرون مثلاً للإنسانية جموعاً في الزهد،

والتقى، والإخلاص، والعلم، والحلم، والشجاعة، والمروءة، والعفة، والنزاهة، والغُزوف عن الدنيا، والقرب منه جلّ وعلا، ولم يسجل التاريخ واحد منهم معصية أو ذنباً طيلة حياته.

الترمذی ٣٠٣٨ بصحبة الحديث وفي مسند أبي يعلى الموصلي ١٢: ٢٤٤، الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٥٢، أسد الغابة ٣: ٤١٣. ومما يدلل على ذلك وأن الفهم السائد لدى الصحابة آنذاك من أن المراد بالآية ليس أزواج النبي ﷺ وإنما المراد بهم علي وفاطمة والحسن والحسين علیہما السلام مضافاً إلى سيدهم النبي ﷺ ما أخرجه في الدر المتشور ٥: ١٩٨ عن عكرمة من قوله في آية التطهير "ليس بالذي تذهبون إليه إنما هو نساء النبي ﷺ" ، بعد ملاحظة كون عكرمة البربري خارجياً وهو الذي نشر مذهب الخوارج في المغرب كما ذكر ذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧: ٢٣٧ والخوارج كانوا يکفرون علياً ويتحاملون عليه، فعكرمة كان يدعو إلى ذلك لأنّه يريد طمس فضائل أهل البيت؛ إذ لا يطيق أن يرى قرآنًا يتلى في حق أهل البيت علیہما السلام، وعلى رئيسهم، وهو خارجي يبغضه ويقاتله كما فعل إخوانه الخوارج من قبل، فلذلك كان ينادي في الأسواق إنكاراً لفضيلته و منزلته المعلومة لدى المسلمين آنذاك.

وإذا كان الأمر كذلك، فلنعد إلى المثال الأول لزوجات النبي ﷺ ، وهي عائشة التي بلغت من المرتبة السامية والمكانة العالية والشهرة الكبيرة ما لم تبلغه أية زوجة أخرى للنبي ﷺ ، لا ولا حتى لو جمعنا فضائلهنْ بأجمعهنْ ما بلغنَ عشر معشار عائشة بنت أبي بكر، هذا ما ي قوله أهل السنة فيها^١ ، والذين يعتبرون أنَّ نصف الدين يؤخذ عنها وحدها.

^١ ذكر صاحب كتاب "كشف الجاني": ١٣١ أنَّ المؤلَّف كذب في هذا الكلام؛ لأنَّ أهل السنة لا يقولون بذلك، بل هم مختلفون في تفضيل عائشة على خديجة أو بالعكس، وبعضهم يفضل فاطمة سلام الله عليها عليهما.

والذي يرجع إلى أقوال علماء أهل السنة في هذا المضمار يلحظ أنَّ المؤلَّف لم يجانب الصواب، ولم يفتر عليهم ما لم يقولوه كما حاول عثمان الخميس في كتابه "كشف الجاني" إظهار المؤلَّف بذلك، مجازفاً في تحويل مذهب أهل السنة المفضل لعائشة على بقية زوجات النبي ﷺ وعلى فاطمة سلام الله عليها على بعض الأقوال، ونقل هنا كلمات علماء أهل السنة في المسألة ليطلع عليها القارئ وصاحب كتاب "كشف الجاني" إذ لعله لا يستطيع اقتناءها فلذلك زور الكلام جزاً:

١- قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢: ١٤٠ في ترجمة عائشة: ١٩: .. ولم يتزوج النبي ﷺ بكرأً غيرها، ولا أحبَّ امرأة حبَّها، ولا أعلم من أمَّة محمدٍ بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها، وذهب بعض العلماء إلى أنَّها أفضل من أيها!!.

فهنا لم يفضلوا عائشة على خديجة فحسب بل فضلواها حتى على أيها!!

٢- وقال ابن تيمية في كتابه أُمَّ المؤمنين عائشة: ٢٣: "قد ذهب إلى ذلك [أي تفضيل عائشة على غيرها من النساء] كثير من أهل السنة".

٣- عن الزهرى أنه قال: "لو جمع علم الناس كلَّهم ثمَ علم أزواج النبي ﷺ وكانت عائشة أوسعهم علمًا" المستدرك ٤: ١١، وقال عطاء: "وكانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة" المستدرك ٤: ١٤.

وذكرت العائشة كثيرة من الخصائص التي لم يرد لها واحدة من أزواج النبي ﷺ ربع معاشرها لا عشرها فقط، وهنا نورد بعضها ومن شاء فليراجع:

- ١- قال الحكم: "نقل عن عائشة وحدها ربع الشريعة" الإجابة: ٦٢.
- ٢- إن جبرائيل عليه السلام جاء بصورتها إلى النبي ﷺ دون غيرها. الكامل في التاريخ ٦: ٣٦٤ تاريخ بغداد ١١: ٢٢١.
- ٣- إن الوحي لا يأتي لرسول الله ﷺ إلا في بيته دون سائر نسائه. صحيح البخاري ٧: ٨٤.
- ٤- إنها أحب الناس إلى الرسول بعد أبيها. صحيح البخاري ٧: ١٩.
- ٥- جبرائيل عليه السلام يقرئها السلام دون غيرها من نسائه، وأنها الوحيدة من زوجات النبي ﷺ التي رأته. صحيح البخاري ٧: ٨٤.
- ٦- إنها فضلت أزواج النبي ﷺ بعشر خصال دون غيرها. سير أعلام النبلاء، للذهبي ٥: ١٤٧.
- ٧- إنها كان يقبّلها وهو صائم دون غيرها من نسائه. صحيح البخاري ١: ٨٣.
- ٨- كان آخر زاده من الدنيا ريقها. صحيح البخاري ٥: ١٤٢.
- ٩- إنها زوجته في الدنيا والآخرة ولم يرد في حق غيرها ذلك. المعجم الأوسط للطبراني ١: ١٦٩.
- ١٠- إنها كانت تصوم الدهر دون غيرها. السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٣٠١.
- ١١- إن الملائكة كانت تحف بيته دون غيرها. الس茅ط الثمين ص ٧١.
- ١٢- إنها كانت تغسل مع رسول الله ﷺ في إناء واحد دون غيرها. صحيح ابن حبان ٣: ٣٩٢.
- ١٣- إنه كان لها يومان وليلتان وبقية نسائه يوم وليلة. صحيح مسلم ٤: ١٧٤.
- ١٤- أن النبي ﷺ كان يعتذر منها دون غيرها. الس茅ط الثمين لمحب الدين الطبرى: ص ٥٢.
إلى ذلك من الخصائص المزعومة التي ذكرت لها دون غيرها من نساء النبي ﷺ، والتي هي من الكثرة بحيث لم تكن لغيرها عشر معاشر ما ذكر لها. وقد ذكر ابن تيمية كلاماً فيه طعن وتوهين للسيدة خديجة على حساب تفضيل عائشة واعطائها ذلك المنصب المصطنع من قبل الأميين، قال في كتابه أُم المؤمنين عائشة: ٢٥: "وهؤلاء يقولون: قوله لخديجة: "ما أبدلني الله بخير منها" - إن صحيحاً - فمعناه: ما أبدلني بخير لي منها؛ لأن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعاً لم يقم غيرها فيه مقامها، فكانت خيراً له من هذا الوجه لكونها نفعته وقت الحاجة، ولكن عائشة صحبته في آخر النبوة وكمال الدين فحصل لها من العلم والإيمان ما لم

وإذا ما تجرّدنا للحقيقة بدون تعصّب ولا انحياز، فهل من المعقول أن يحُكِّم العقلُ بأنّها مطهّرة من الذنوب والمعاصي؟ أم أنَّ الله سبحانه رفع عنها حصانته المنيعة بعد موت زوجها رسول الله ﷺ؟ فلتنظر معاً إلى الواقع.

يحصل لمن لم يدرك إلاّ أول زمن النبوة، فكانت أفضّل بهذه الزيادة، وبلغت من العلم ما لم يبلغه غيرها، فخديجة كان خيرها مقصوراً على نفس النبي ﷺ ..

وهذا الاستدلال كان من الأحرى لابن تيمية أن يجعله دليلاً على أفضليتها على عائشة؛ لأنّها نصرت النبي ﷺ في أول الرسالة حينما كان وحيداً، بلا ناصر ولا معين، وكان الطلقاء وأبناء الطلقاء يتربصون بالنبي ﷺ كل منفذ وكل فج، ولم يأْلوا جهداً في معارضته بكلّ الأساليب والطرق من أذى، وجوع، وعزل عن المجتمع، واستهزاء وسخرية وغيرها...، ومع ذلك وقفت مع النبي ﷺ وناصرته وآزرته وثبتت على إيمانها.. بينما عائشة تروّجها النبي ﷺ في المدينة بعد أن ارتفعت جميع الموانع، وأصبح المسلمون في حرية كاملة والدين في سعة لا ضيق.. ومن الواضح أنَّ المناصرة في الشدة أكمل وأحسن من المناصرة - على الفرض - في وقت الرخاء والسعنة.. فما ذكره ابن تيمية عليه لا له أن تدبر.

عائشة في حياة النبي ﷺ

وإذا ما بحثنا حياتها مع زوجها رسول الله ﷺ، وجدنا الكثير من الذنوب والمعاصي، فكانت كثيراً ما تتآمر مع حفصة على النبي حتى اضطررته إلى تحريم ما أحل الله له، كما جاء ذلك في البخاري ومسلم^١، وظاهرتا عليه أيضاً كما أثبت ذلك كل الصحاح وكتب التفسير^٢، وقد ذكر الله الحادثتين في كتابه العزيز.

كما كانت الغيرة تسيطر على قلبها وعقلها، فتتصرف بحضور النبي ﷺ تصرفاً بغير احترام ولا أدب، فمرة قالت للنبي ﷺ عندما ذكر عندها خديجة: مالي ولخديجة إنها عجوز حمراء الشدقين أبدلك الله خيراً منها، فغضب لذلك رسول الله ﷺ حتى اهتز شعره^٣.

ومرة أخرى بعثت إحدى أمهات المؤمنين للنبي (وكان في بيتها) بصحيفة فيها طعام كان النبي ﷺ يشهيه، فكسرت الصحافة أمامه بطعمها^٤ وقالت

^١ صحيح البخاري ٦: ٦٨، ١٦٧ كتاب التفسير باب قوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَمْ تُحَرِّمْ)، صحيح مسلم ٤: ١٨٤.

^٢ صحيح البخاري ٦: ٧٠، كتاب التفسير باب قوله: (إِنْ تُرْبَا)، صحيح مسلم ٤: ١٩٢.

^٣ صحيح البخاري ٤: ٢٣١، باب تزويع النبي ﷺ خديجة، وكذلك صحيح مسلم ٧: ١٣٤، مسند أحمد ٦: ١٥٠، والمستدرك للحاكم ٤: ٢٨٦، باختلاف في الألفاظ.

^٤ صحيح البخاري ٦: ١٥٧ في باب الغيرة.

للنبي مرّة أخرى: أنتَ الذي تزعمُ أنكَ نبِيُ اللهُ^١، ومرّةً غضبتَ عنده فقلتْ له: أعدلُ، وكان أبوها حاضرًا فضربَها حتى سال دمها^٢.

وبلغ بها الأمر من كثرة الغيرة أن تكذب على أسماء بنت النعمان لـما زُفْتْ عروسًا للنبي ﷺ، فقالت لها: إن النبي ﷺ ليعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول له: أعوذ بالله منك، وغرضها من وراء ذلك هو تطليق تلك المرأة البريئة الساذجة، والتي طلقها النبي بسبب هذه المقالة^٣.

وقد بلغ من سوء أدبها مع حضرة الرسول ﷺ، أنه كان يصلي وهي باسطة رجليها في قبلته، فإذا سجدَ غمزها فقبضتْ رجليها، وإذا قام أعادت بسطتها في قبلته^٤.

وتآمرتْ هي وحفصة مرّة أخرى على رسول الله ﷺ حتى اعتزل نساءه بسببها لمدة شهر كامل ينام على حصير^٥. ولما نزل قول الله تعالى: ﴿تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مُهْنَنَ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ...﴾^٦. قالت للنبي في غير حياء:

^١ إحياء علوم الدين للإمام الغزالى: ٢٦٥، كتاب أدب النكاح، الأدب الثاني، الس茅ط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين لمحب الدين الطبرى: ٥٤ وقال: أخرجه الحافظ أبو القاسم الدمشقى.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨، سير أعلام النبلاء: ٢٥٩، الإصابة: ٨، مستدرك الحاكم: ٤، ٣٧، فتح الباري لابن حجر: ٩: ٢٩٥.

^٤ صحيح البخاري: ١: ١٠١، باب الصلاة على الفراش.

^٥ صحيح البخاري: ٣: ١٠٥، في باب الغرفة والعلية المشرفة من كتاب المظالم.

^٦ الأحزاب: ٥١.

ما أرى ربك إلا يسارع في هواك^١.

وكان عائشة إذا غضبتْ (وكثيراً ما كانت تغضب) تهجر اسم

النبي ﷺ، فلا تذكر اسم محمد وإنما تقول: ورب إبراهيم^٢.

وقد أساءتْ عائشة إلى رسول الله ﷺ كثيراً وجرّعنه الغصص، ولكن

النبي ﷺ رؤوف رحيم، وأخلاقه عالية وصبره عميق، فكان كثيراً ما يقول

لها: "أليسك شيطانك يا عائشة"^٣ وكثيراً ما كان يأسى لتهديد الله لها

ولحفظة بنت عمر^٤، وكم من مرّة ينزل القرآن^٥ بسببها.

^١ صحيح البخاري ٦: ٢٤ و ١٢٨ باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد.

^٢ صحيح البخاري ٦: ١٥٨ باب غيرة النساء ووجدهن.

^٣ المعجم الصغير للطبراني ١: ١٧١، تلخيص الحبير ٢: ٣٥، نيل الأوطار للشوكانى ١: ٢٤٧ واستدل به في مسألة فقهية وقال: "والحديث يدل على أن اللمس غير موجب للنقض (أي نقض الوضوء) لأن عائشة لمست شعر النبي ﷺ لتراء هل اغتسل أم لا؟" وفي صحيح مسلم ٨: ١٣٩ بلفظ "أقد جاءك شيطانك".

^٤ وقد تجّنى عثمان الخميسي في كتاب "كشف الجاني": ١٣١ كعادته، واتهم المؤلّف بالكذب والافتراء، وأنه يعتمد المصادر الشيعية التي لا قيمة لها عند السنة؟!

وهذا جنایة في الكلام لا يقولها إلا من توسم بالتقليد والتعمّق؛ لأن كلّ الذي نقله المؤلّف كان من مصادر أهل السنة المعتبرة، والتي تبيّن أخلاقيات عائشة وسيرتها مع النبي ﷺ، بل أكثرها من صحيح البخاري ومسلم اللذين هما أصحّ كتاب بعد كتاب الله !!

ولعلّ عثمان الخميسي لا يرى في هذه المسألة المتقدّمة وغيرها الكثير مما لم يذكر ممّا يؤذني النبي ﷺ، مع أنّ أيّ عاقل من المسلمين وغيرهم يرى أنّ هذه الأفعال أقبح أنواع الإساءة نظراً لمقام النبي ﷺ.

فقد قال تعالى لها ولحصة: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾^١، أي أنها زاغت وانحرفت عن الحق، قوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾^٢ هو تهديد صريح من

ونضيف إلى صاحب "كشف الجاني" بأن عائشة لم تقتصر على إيذاء النبي ﷺ في حياته، بل آذته بعد وفاته، وخالفت ربها قبل رسول الله ﷺ، فيما القرآن يخاطلها بقوله: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)، وبينما رسول الله ﷺ يقول لها: "أَيْتَكَنْ صاحبة الجمل الأدب تنبحها كلاب الحواب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثیر...". (فتح الباري ١٣: ٤٥) وصرّح بصحة السندي، مجمع الزوائد ٧: ٢٣٤ وصرّح بوثاقة رجاله، وبينما رسول ﷺ يقول: "من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية" (آخر جهه مسلم ٦: ٢١).. بينما كان ذلك كله على مرأى وسمع منها وإذا بها تخالفه، فلا تقرّ في بيتها وتنبحها كلاب الحواب وتفارق الجماعة، وتشكل حزباً مع طلحة والزبير وتقاتل علي بن أبي طالب عليهما ظلماً وبغيًا كما ذكر المناوي في فض القدير ٦: ٤٧٤، وعلى غير هدى، بل في معصية الله تعالى كما ذكر ذلك ابن حجر في فتح الباري ١٣: ٧٥، حتى إنها قالت بعد وقعة الجمل ورجوعها إلى المدينة: "إنّي أحدثت بعد رسول حدثاً أدفعوني مع أزواجي" بينما كانت تريد أن تدفن إلى جواره، كما أخرج ذلك ابن سعد ٨: ٧٤، والحاكم في المستدرك ٤: ٦ مقرأً بصحته ووافقه الذهبي، وبعد ذا وذاك يأتي عثمان الخميس متشدقاً بروايات الدولة الأموية ليضفي على عائشة حالة من الأبهة والقداسة، والتي تصوّر رسول الله ﷺ شخصاً مشغوفاً بالدنيا - والعياذ بالله - ولا هم له إلا عائشة بنت أبي بكر؟!! إلى غير ذلك من الترهات التي سودت بها صفحات الإسلام وسيرة رسوله النيرة المشرقة.. لكن خلفاء الطلقاء بين الفينة والآخرى تبت لهم نابتة وتنظر قرنها

المعوج !!

^١ التحرير: ٤.

^٢ التحرير: ٤.

رب العزة لها ولحفصة، التي كانت كثيراً ما تنصاع لها وتعمل بأوامرها.

وقال الله لهم: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مُنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ﴾^١ وهذه الآيات نزلت في عائشة وحفصة بشهادة عمر بن الخطاب، كما جاء في البخاري^٢. فدللت هذه الآية لوحدها على وجود نساء مؤمنات في المسلمين خير من عائشة.

ومرة بعثها رسول الله ﷺ لمّا أراد أن يخطب لنفسه شراف أخت دحية الكلبي، وطلب من عائشة أن تذهب وتنظر إليها، ولما رجعت كانت الغيرة قد أكلت قلبها، فسألها رسول الله ﷺ ما رأيت يا عائشة؟ فقالت: ما رأيت طائلا! فقال لها رسول الله ﷺ: "لقد رأيت طائلا، لقد رأيت خالا نجدها اقشعررت منه ذوئبك". فقالت: يا رسول الله ما دونك سرّ، ومن يستطيع أن يكتُمك^٣.

وكلّ ما فعلته عائشة مع حضرة النبي ﷺ من مؤامرات كانت في أغلب الأحيان تجرّ معها حفصة بنت عمر، والغريب أننا نجد تفاهماً وانسجاماً تاماً بين المرأتين عائشة وحفصة كالانسجام والتفاهم بين أبويهما أبو بكر وعمر، غير أنه في النساء كانت عائشة دائماً هي الجريئة والقوية وصاحبة المبادرة، وهي التي كانت تجرّ حفصة بنت عمر وراءها في كلّ شيء، بينما كان أبوها أبو بكر ضعيفاً أمام عمر الذي كان هو الجري والقوى، وصاحب المبادرة في كلّ شيء ولقد رأينا فيما مرّ من الأبحاث أنه حتى في خلافته

^١ التحرير: ٥.

^٢ صحيح البخاري: ٦، باب وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه.

^٣ طبقات ابن سعد ٨: ١٦١، تاريخ دمشق ٥١: ٣٦، الإصابة ٨: ٢٠٠.

كان ابن الخطاب هو الحاكم الفعلى.

وقد حدث بعض المؤرخين أن عائشة لما همت بالخروج إلى البصرة لمحاربة الإمام علي فيما سمي بحرب الجمل، أرسلت إلى أزواج النبي ﷺ وأمهات المؤمنين تسألهن الخروج معها، فلم يستجب لها منهن إلا حفصة بنت عمر التي تجهّزت وهمت بالخروج معها، لكن أخاها عبد الله بن عمر هو الذي منعها وعزم عليها فحطّت رحلها^١، ومن أجل ذلك كان الله سبحانه يتهدّد عائشة وحفصة معاً في قوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾، وكذلك قوله: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

ولقد ضرب الله لهما مثلا خطيراً في سورة التحرير ليعلمهمما وبقية المسلمين الذين يعتقدون بأن أُم المؤمنين تدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب لأنّها زوجة الرسول ﷺ كلاماً، فقد أعلم الله عباده ذكوراً وإناثاً بأنّ مجرد الزوجية لا تضر ولا تنفع حتى ولو كان الزوج رسول الله ﷺ، وإنما الذي ينفع ويضرُّ عند الله هو فقط أعمالُ الإنسان، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَ نُوحَ وَامْرَأَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنَ مِنْ عَبَادَنَا صَالِحَيْنَ فَخَانَتَا هُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقَيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَ فَرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبُّ ابْنِ لِي عَنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبَجْنِي مِنْ فَرْعَوْنَ وَعَمَلَهُ وَبَجْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرِيمَ ابْنَةَ عُمَرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا

^١ البداية والنهاية ٧: ٢٥٨، الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٨.

فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْفَانِتِينَ^١.

وبهذا يتبيّن لكل الناس بأن الزوجية والصحبة، وإن كانت فيهما فضائل كثيرة إلا أنهما لا يغányان من عذاب الله إلا إذا اتسمتا بالأعمال الصالحة، وإن العذاب يكون ماضعاً؛ لأنّ عدل الله سبحانه يقتضي أن لا يعذّب البعيد الذي لم يسمع الوحي كالقريب الذي ينزل القرآن في بيته، والإنسان الذي عرف الحق فعانده كالجاهل الذي لم يعرف الحق.

وإليك الآن أيّها القارئ بعض روایاتها بشيء من التفصيل؛ لكي تعرّف على شخصية هذه المرأة التي لعبت أكبر الأدوار في إبعاد على عليه السلام عن الخلافة، وحاربته بكل ما أوتيت من قوة ودهاء.

ولكي تعرف أيضاً بأن آية إذهب الرجس والتطهير بعيدة عنها بعد السماء عن الأرض^٢، وأنّ أهل السنة أكثرهم ضحايا الدس والتزوير، فهم أتباع بنى أمية من حيث لا يشعرون.

أم المؤمنين عائشة تشهد على نفسها

ولنستمع إلى عائشة تروي عن نفسها وكيف فقدت الغيرة صوابها، فتتصرّف بحضورة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه تصرّفاً لا أخلاقياً، قالت: "بعثت صفية زوج

^١ التحرير: ١٠ - ١٢.

^٢ وقد تحامل عثمان الخميسي في "كشف الجاني": ١٣٢ على المؤلف فاتّهم الشيعة بأقوال روایات تبرأ منها براءة الذئب من دم يوسف، ولا أثر لها في كتب الشيعة، وإنما هي مذكورة في كتب أهل السنة، كما أحال عثمان الخميسي على: الصفحة ٩٨ من الكتاب، مع أن المؤلف نقل الروایات عن كتب أهل السنة لا الشيعة....

النبي إلى رسول الله بطعم قد صنعته له، وهو عندي، فلما رأيتُ الجارية أخذتني رعدة حتى أستقلّني أفكّل، فضربتُ القصعة ورميّتُ بها، قالت: فنظر إلى رسول الله ﷺ عرفت الغضب في وجهه، فقلتُ: أعوذ برّسول الله أن يلعنني اليوم، قال: "أولى"، قلتُ: وما كفارته يا رسول الله؟ قال: "طعام كطعمها، وإناء كإنائها" ^١.

ومرة أخرى تروي عن نفسها، قالت: قلتُ للنبي: حسبك من صفةٍ كذا وكذا، فقال لي النبي ﷺ: "لقد قلتَ كلمةً لو مزجتْ بماء البحر لمزجته" ^٢. سبحان الله! أين أم المؤمنين من الأخلاق، وأبسط الحقوق التي فرضها الإسلام في تحريم الغيبة والنميمة؟! ولا شكّ بأنّ قولها: "حسبك من صفةٍ كذا وكذا" ، وقول الرسول بأنّها كلمةً لو مزجتْ بماء البحر لمزجته؛ بأنّ ما قالته عائشة في ضررتها أم المؤمنين صفةٌ أمرٌ عظيم، وخطب جسيم. وأعتقد بأنّ رواة الحديث استفاضوا واستعظاموا، فأبدلوها بعبارة (كذا وكذا) كما هي عادتهم في مثل هذه القضايا ^٣.

^١ مسنّ الإمام أحمد بن حنبل ٦: ٢٧٧، فتح الباري ٥: ٩٠ وقال: إسناده حسن، فيض القدر ٤: ٣٥٢، مجمع الزوائد للهيثمي ٤: ٣٣١ وصرّح بوثاقة رجاله.

^٢ سنن أبي داود ٢: ٤٥٠ ح ٤٨٧٥، تفسير ابن كثير ٤: ٢٢٩، أحكام القرآن للجصاص ٣: ٥٤١ تحفة الأحوذى في شرح سنن الترمذى ٧: ١٧٦ ونقل المتنذرى تصحيحاً الترمذى للحديث وأقره. قال النووي في الأذكار النبوية ٣: ٣٣٧ بعد إبراد الحديث: "وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها، وما أعلم شيئاً من الأحاديث بلغ في ذمّها هذا المبلغ".

^٣ ولا تستغرب من فعل المحدثين هذا، ولا تظنه تقولاً من المؤلف؛ إذ إن لهم في هذه المسألة باعاً طويلاً، وقدمًا راسخة يقررون ويعرفون بذلك، فقد أخرج أبو داود في سننه ٢:

وها هي عائشة أم المؤمنين تحكي مرّة أخرى عن غيرتها من أمهات المؤمنين، قالت: ما غرتُ على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة جداً وأعجب بها رسول الله، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت حارثة بن النعمان، وفزعنا لها فجزعت، فحوّلها رسول الله إلى العالية، فكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا، ثم رزقه الله الولد منها وحرمناه^١.

كما أن عائشة تعددت غيرتها دائرة مارية ضرّتها إلى إبراهيم المولود

٤٠١ ح ٤٦٣٦ عن عبد الله بن ظالم المازني قال: ”ذكر سفيان رجلاً فيما بينه وبين عبد الله بن ظالم المازني، قال: سمعت سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل قال: لما قدم فلان إلى الكوفة أقام فلان خطيباً..“. فعلق العظيم آبادي في عون المعبد ١٢:٣١٣ قال: ”قال في الفتح الودود: ولقد أحسن أبو داود في الكلمة عن اسم معاوية ومغيرة بفلان ستراً عليهم في مثل هذا المحل...“.

قال بعض العلماء: كان في الخطبة تعرضاً بسبب علي..“، وكذلك فعل ابن جرير الطبراني في تفسيره جامع البيان ١٤٩ في قضية نزول قوله تعالى (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ودعاء النبي ﷺ لاقربائه على أن يوازره في هذا الأمر ويكون وصيه وخليفته كما ورد في ذلك في تاريخه ٢:٦٣، إلا أن الطبراني في تفسيره المشار إليه أبدل قوله: (هذا أخي ووصيي وخليفي) بقوله: (هذا أخي وكذا وكذا)، مع أنه رواها في التفسير والتاريخ بنفس السند!!

وهناك شواهد كثيرة موجودة في كلمات المحدثين، تتكتّم على فضائل أهل البيت ﷺ، أو تستتر على فضائح القوم الذين يحبونهم، فلا ينقلونها بأمانة وإنما يقومون ببترها وقطعها. وهذا كثير في كتب المحدثين الأمناء!!

^١ الطبقات الكبرى لابن سعد ٨:٢١٢، الإصابة في معرفة الصحابة للعسقلاني ٨:٣١١.

الرضيع البريء! قالت: لما ولد إبراهيم جاء به رسول الله إلى، فقال: "أنظر إلى شبهه بي"، فقلت: ما أرى شبهًا، فقال رسول الله: "ألا ترين إلى بياضه ولحمه؟" قالت: فقلت: من سُقِيَ الْبَانُ الضَّانُ ابِيضُ وَسِمْنٌ^١.

وقد تعددت غيرتها كل الحدود وفاقت كل تعبير عندما وصلت بها الظنون والوساوس إلى الشك في رسول الله ﷺ، فكانت كثيراً ما تتظاهر باللوع عندما يبات عندها رسول الله، ولكنها ترقب زوجها وتتحسس مكانه في الظلام، وتعقبه أينما ذهب.

وإليك الرواية عن لسانها والتي أخرجها مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده وغيرهم، قالت: لما كانت ليلى التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويداً، وانتعل رويداً وفتح الباب فخرج ثم أجاوه رويداً.

فجعلت درعي في رأسي، واختمرت وتقنعت إزارياً، ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع، فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرف، فأسرع فاسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت، فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال: "مالك يا عائش حشياً رابية؟" قالت: فقلت: لا شيء، قال: "لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبر"، قالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرتُه، قال: "فأنت

^١ الطبقات الكبرى لابن سعد ١: ١٣٧ ترجمة إبراهيم بن النبي، تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٧.

السّوادُ الذي رأيتُ أمامي؟، قلت: نعم، فلهذهِ فِي صدرِي لهَدَةٌ أوجعْتني،
ثمَّ قال: "أظنتَ أنَّ يحيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ..." ^١.

ومرَّةً أخرى قالت: فقدتُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فظننتُ أنَّهُ أتَى بعضَ جواريه،
فطلبهِ فإذا هو ساجدٌ يقول: "ربَّ اغفر لِي" ^٢.

وآخرٍ قالت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ خَرَجَ مِنْ عَنْدِي لِيَلَّا، قالت: فَغَرَّتُ عَلَيْهِ،
قالت: فجاءَ فِرَأَى مَا أَصْنَعَ، فقال: "مَا لَكَ يَا عَائِشَةَ، أَغْرَتْتَنِي؟" فقلت: ومالي
أَنْ لَا يغَارَ مثْلِي عَلَى مُثْلِكِ! فقال رسولُ اللَّهِ: "أَفَأَخْذُكَ شَيْطَانَكَ" ^٣.

وهذه الرواية الأخيرة تدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّها عندما تغَارُ تخرجُ عن
أطوارها، وتُفعَلُ أشياءً غريبةً كأنَّ تكسِّرَ الأواني، أو تمزِّقَ الملابسَ مثلاً،
ولذلك تقول في هذه الرواية: فلما جاءَ ورأى مَا أَصْنَعَ قال: "أَفَأَخْذُكَ
شَيْطَانَكَ"؟

ولا شكَّ أنَّ شَيْطَانَ عَائِشَةَ كَانَ كَثِيرًا مَا يَأْخُذُهَا أو يلبِسُهَا، وقد وجد
لِقْلِبِهَا سُبِيلاً من طريق الغيرة، وقد روي عن رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّهُ قال: "الغيرة
لِلرَّجُلِ إِيمَانٌ ولِلمرْأَةِ كُفْرٌ" باعتبارِ أنَّ الرَّجُلَ يغَارُ عَلَى زَوْجِهِ لَأَنَّهُ لا يجوز
شرعاً أن يشارِكَهُ فِيهَا أَحَدٌ، أمَّا المرْأَةُ فَلَيَسَّ منْ حَقِّهَا أَنْ تغَارُ عَلَى زَوْجِهَا؛
لأنَّ اللَّهَ سَبَحَنَهُ أَبَاحَ لِهِ الزَّوْجُ بِأَكْثَرِ مِنْ وَاحِدَةٍ.

^١ صحيح مسلم .٣:٦٤، باب ما يقال عند دخول القبور، مسند أحمد بن حنبل .٦:٢٢١.

^٢ مسند الإمام أحمد .٦:١٤٧، سنن النسائي .٢:٢٢٠، المصنف لابن أبي شيبة .٧:٣٤
والمسند صحيح.

^٣ مسند أحمد بن حنبل .٦:١١٥، صحيح مسلم .٨:١٣٩.

فالمرأة الصالحة المؤمنة التي أذعنـت لأحكـام الله سبحانه وتعـالـى تتـقبل ضـرـتها بنفس رياضـية كـما يـقال الـيـوم، وـخـصـوصـاً إـذـا كان زـوـجـها عـادـلاً مـسـتـقـيمـاً يـخـافـ اللهـ، فـمـا بـالـكـ بـسـيـدـ الإنسـانـيـةـ، وـرـمـزـ الـكـمـالـ وـالـعـدـلـ، وـالـخـلـقـ الـعـظـيمـ؟

على آنـنا نـجـدـ تـنـاقـضاًـ وـاضـحـاًـ فيـ خـصـوصـ حـبـ النـبـيـ ﷺـ لـعـائـشـةـ، وـمـاـ يـقـولـهـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ منـ آنـهاـ كـانـتـ أـحـبـ نـسـائـهـ إـلـيـهـ وـأـعـزـهـ لـدـيـهـ،

حتـىـ إـنـهـمـ يـرـوـونـ آنـ بـعـضـ نـسـائـهـ وـهـبـنـ نـوـبـتـهـنـ لـعـائـشـةـ لـمـاـ عـلـمـنـ بـأـنـ

الـنـبـيـ ﷺـ يـحـبـهـاـ وـلـاـ يـصـبـرـ عـلـيـهـاـ، فـهـلـ يـمـكـنـ وـالـحـالـ هـذـهـ أـنـ نـجـدـ مـبـرـرـاًـ

وـتـفـسـيرـاًـ لـغـيـرـةـ مـفـرـطـةـ؟ـ وـالـمـفـرـضـ آنـ الـعـكـسـ هوـ الصـحـيـحـ، أـيـ آنـ

تـغـارـبـقـيـةـ أـزـوـاجـ النـبـيـ ﷺـ مـنـ عـائـشـةـ لـشـدـةـ حـبـهـ إـلـيـاهـاـ وـمـيـلـهـ مـعـهـاـ، كـمـاـ

يـرـوـونـ وـيـزـعـمـونـ، وـإـذـاـ كـانـتـ هـيـ الـمـدـلـلـةـ عـنـ الرـسـوـلـ ﷺـ فـمـاـ هـوـ مـبـرـرـاًـ

الـغـيـرـةـ؟ـ

وـالـتـارـيـخـ لـمـ يـحـدـثـ إـلـاـ بـأـحـادـيـثـهاـ، وـكـتـبـ السـيـرـةـ طـافـحةـ إـلـاـ بـتـمـجيـدـهاـ،

وـآنـهاـ حـبـيـةـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ الـمـدـلـلـةـ التـيـ كـانـ لـاـ يـطـيقـ فـرـاقـهـاـ.

وـاعـتـقـدـ بـأـنـ كـلـ ذـلـكـ مـنـ الـأـمـوـيـنـ الـذـيـنـ أـحـبـواـ عـائـشـةـ، وـفـضـلـوـهـاـ لـمـاـ

خـدـمـتـ مـصـالـحـهـمـ، وـرـوـتـ لـهـمـ مـاـ أـحـبـواـ، وـحـارـبـتـ عـدـوـهـمـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ

طـالـبـ.

وـكـمـاـ أـعـتـقـدـ بـأـنـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ لـمـ يـكـنـ يـحـبـهـاـ لـمـاـ فـعـلـتـهـ مـعـهـ كـمـاـ قـدـمـنـاـ؛ـ

وـكـيـفـ يـحـبـ رـسـوـلـ اللهـ مـنـ تـكـذـبـ، وـتـعـقـابـ، وـتـمـشـيـ بـالـنـمـيـمـةـ، وـتـشـكـ فـيـ اللهـ

وـرـسـوـلـهـ، وـتـظـنـ مـنـهـمـاـ الـحـيـفـ؟ـ

كـيـفـ يـحـبـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ مـنـ تـتـجـسـسـ عـلـيـهـ، وـتـخـرـجـ مـنـ بـيـتـهـ بـدـوـنـ

إذنه لتعلم أين يذهب؟!

كيف يحب رسول الله ﷺ من تشتت زوجاته بحضرته ولو كنْ

أمواتاً؟!

كيف يحب رسول الله ﷺ من تبغض ابنه إبراهيم، وترمي أمّه مارية

بالإفك^١.

كيف يحب رسول الله ﷺ من تتدخل بينه وبين زوجاته بالكذب مرّة،

وبإثارة الأحقاد أخرى، وتتسبّب في طلاقهن؟!

كيف يحب رسول الله ﷺ من تبغض ابنته الزهراء، وتبغض أخاه وابن

عمّه علي بن أبي طالب إلى درجة أنها لا تذكر اسمه ولا تطيب له نفساً

بخيراً؟!^٢

كلّ هذا وأكثر في حياته ﷺ، أمّا بعد وفاته فحدث ولا حرج.

وكلّ هذه الأفعال يمُقْتها الله ورسوله ﷺ ولا يحيّن فاعلها؛ لأنّ الله هو

الحقّ ورسوله ﷺ يمثل الحقّ، فلا يمكن له أن يُحبّ من كان على غير

الحقّ.

وسوف نعرف خلال الأبحاث القادمة بأنّ رسول الله ﷺ لم يكن يُحبّها،

^١ يراجع في هذا الموضوع كتاب حديث الإفك للعلامة جعفر متضي العاملي. (المؤلف).

^٢ الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ١٧٩، تاريخ الطبرى ٣: ١٨٩، والمصنف لعبد الرزاق

الصنيعاني ٥: ٤٣٠ بسند صحيح، وفي إرواء الغليل في تخرّيج أحاديث منار السبيل للألبانى ١:

١٤٧ قال بعد - ذكر الحديث: "ورواه أحمد ٦: ٢٢٨ مختصرًا وزاد في آخره" ولكن

عائشة لا تطيب له نفسها" وسنته صحيح".

بل إنَّه حذَّرَ الأُمَّةَ من فتنتها^١.

سألتُ بعض شيوخنا مِرَّةً عن سبب حبِّ النَّبِيِّ المُفْرط لِعائشةِ بِالذَّاتِ دون سواهَا؟ فأجابوني بأجوبة عديدة كُلُّها مزيفَة.

قال أحدهم: لأنَّها جميلة وصغيرة، وهي البكر الوحيدة التي دخل بها، ولم يشاركَ فيها أحدٌ سواه.

وقال آخر: لأنَّها ابنة أبي بكر الصدِيق صاحبه في الغار.

وقال ثالث: لأنَّها حفظت عن رسول الله نصف الدِّين، فهي العالمة الفقيحة.

وقال رابع: لأنَّ جبرئيل جاءه بصورتها، وكان لا يدخل على النبي إلَّا في بيتهما.

وأنت كما ترى أيُّها القارئ بأنَّ كُلَّ هذه الدَّعَيات لا تَقُومُ على دليل، ولا يقبلها العقل والواقع، وسوف نأتي على نقضها بالأدلة، فإذا كان الرسول يحبُّها لأنَّها جميلة، وهي البكر الوحيدة التي دخل بها، فما الذي يمنعه من الزواج بالأبكار الجميلات الالاتي كنَّ بارعات في الحسن والجمال وكُنَّ مضرب الأمثال في القبائل العربية، وكُنَّ رهن إشارته؟! على أنَّ المؤرِّخين يذكرون غيره عائشة من زينب بنت جحش، ومن صفية بنت حبيبي، ومن مارية القبطية لأنَّهنَّ كنَّ أجمل منها.

روى ابن سعد في طبقاته ٨: ١٤٨، وابن كثير في تاريخه ٥: ٣٢٠ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ تزوَّج مليكة بنت كعب، وكانت تعرف بجمال بارع، فدخلتْ

^١ صحيح البخاري ٤: ٤٦، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي من كتاب الجهاد والسير.

عليها عائشة، فقالت لها: أما تستحيين أن تنكحـي قاتل أبيك، فاستعاذـت من رسول الله ﷺ فطلقـها، فجاءـ قومـها إلىـ النبي ﷺ فقالـوا: ياـ رسولـ اللهـ إنـها صـغـيرـةـ، وإنـهاـ لاـ رـأـيـ لـهـاـ، وإنـهاـ خـدـعـتـ فـارـتـجـعـهـاـ، فأـبـيـ رسـولـ اللهـ ﷺ وـكانـ أبوـهـاـ قدـ قـتـلـ فـيـ يـوـمـ فـتـحـ مـكـةـ، قـتـلـهـ خـالـدـ بـنـ الـوـلـيدـ بـالـخـدـمـةـ.

وهـذـ الرـوـاـيـةـ تـدـلـنـاـ بـوـضـوـحـ بـأـنـ رسـولـ اللهـ ﷺ ماـ كـانـ هـمـهـ مـنـ الزـوـاجـ الصـغـرـ وـالـجـمـالـ، وـإـلـاـ لـمـ طـلـقـ مـلـيـكـةـ بـنـتـ كـعـبـ، وـهـيـ صـغـيرـةـ وـبـارـعـةـ فـيـ الجـمـالـ، كـمـاـ تـدـلـنـاـ هـذـهـ الرـوـاـيـةـ وـأـمـثـالـهـاـ عـلـىـ الأـسـالـيـبـ التـيـ اـتـيـتـهـاـ عـائـشـةـ فـيـ خـدـاعـ المـؤـمـنـاتـ الـبـرـيـثـاتـ، وـحـرـمـانـهـنـ مـنـ الزـوـاجـ بـرـسـولـ اللهـ ﷺ.

وـقـدـ سـبـقـ لـهـاـ أـنـ طـلـقـتـ أـسـمـاءـ بـنـتـ النـعـمـانـ لـمـاـ غـارـتـ مـنـ جـمـالـهـاـ وـقـالتـ لهاـ: إـنـ النـبـيـ ﷺ لـيـعـجـبـهـ مـنـ الـمـرـأـةـ إـذـاـ دـخـلـ عـلـيـهـاـ أـنـ تـقـولـ لـهـ: أـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـكـ. وـهـذـهـ مـلـيـكـةـ، تـُـثـيـرـ فـيـهـاـ حـسـاسـيـةـ مـقـتـلـ أـبـيـهـاـ، وـأـنـ قـاتـلـهـ هوـ رسـولـ اللهـ وـتـقـولـ لهاـ: أـمـاـ تـسـتـحـيـنـ أـنـ تـنـكـحـيـ قـاتـلـ أـبـيـكـ!

فـمـاـ كـانـ جـوـابـ هـذـهـ الـمـسـكـيـنـةـ إـلـاـ أـنـهـاـ استـعـاذـتـ مـنـ رسـولـ اللهـ! وـمـاـ عـسـاـهـاـ أـنـ تـقـولـ غـيرـ ذـلـكـ، وـالـنـاسـ لـاـ يـزـالـونـ حـدـيـشـيـ عـهـدـ بـالـجـاهـلـيـةـ الـذـينـ يـأـخـذـونـ بـالـثـأـرـ وـيـعـيـرـونـ مـنـ لـاـ يـثـأـرـ لـأـبـيـهـ؟

بـقـيـ أـنـ نـسـاءـلـ وـيـحـقـ لـنـاـ أـنـ نـسـاءـلـ: لـمـاـذـاـ يـطـلـقـ الرـسـولـ ﷺ هـاتـيـنـ الـمـرـأـتـيـنـ الـبـرـيـثـاتـ، وـالـلـتـيـنـ ذـهـبـتـاـ ضـحـيـةـ مـكـرـ وـخـدـاعـ عـائـشـةـ لـهـنـ؟ـ؟ـ

وـقـبـلـ كـلـ شـيـءـ لـابـدـ لـنـاـ أـنـ نـضـعـ فـيـ حـسـابـاـ أـنـ رسـولـ اللهـ ﷺ مـعـصـومـ، وـلـاـ يـظـلـمـ أـحـدـ، وـلـاـ يـفـعـلـ إـلـاـ حـقـ، فـلـاـ بـدـ أـنـ يـكـوـنـ فـيـ تـطـلـيقـهـنـ حـكـمـ يـعـلـمـهـاـ اللـهـ وـرـسـولـهـ ﷺ، كـمـاـ أـنـ دـعـمـ تـطـلـيقـ عـائـشـةـ رـغـمـ أـفـعـالـهـاـ فـيـهـ -ـ أـيـضاـ

- حكمة، ولعلنا نقفُ على شيءٍ منها في الأبحاث المقبلة.

أمّا بالنسبة للمرأة الأولى، وهي أسماء بنت النعمان فقد ظهرت سذاجتها عندما انطلتُ عليها حيلة عائشة، فأولَ كلمة قابلت بها رسول الله ﷺ عندما مدد يده إليها هي: "أعوذ بالله منك". ورغم جمالها البارع فلم يقها رسول الله ﷺ لبلاغتها.

يقول ابن سعد في طبقاته في ١٤٥ وغيره عن ابن عباس: قال:

"تزوج رسول الله ﷺ أسماء بنت النعمان، وكانت من أجمل أهل زمانها وأتمّه".

ولعله ﷺ أراد أن يعلّمنا أن رجاحة العقل أولى من الجمال، فكم من امرأة جميلة جرّها غباؤها للفاحشة.

أمّا بالنسبة للمرأة الثانية، وهي مليكة بنت كعب، والتي عيرتها عائشة بأنّ زوجها هو قاتل أبيها، فلم يرد النبي ﷺ أن تعيش هذه المسكينة، والتي هي صغيرة السن، ولا رأي لها كما شهد بذلك قومها على هوا جس ومخاوف قد تسبّب مصائب كبرى، خصوصاً وأنّ عائشة سوف لن تتركها ترثاً مع رسول الله ﷺ. ولا شكّ أنّ هناك أسباباً أخرى يعلمها رسول الله وغابت عناً.

والبعض أن نعرف بأنّ رسول الله ﷺ لم يكن يجري وراء الجمال والشهوات الجسدية والجنسية كما يتوهمه بعض الجاهلين، وبعض المستشرقين الذين يقولون: كان همّ محمد هو النساء الحسنوات!!

وقد رأينا كيف طلق رسول الله ﷺ هاتين المرأةتين رغم صغرهما

وجمالهما، فكانت أجمل أهل زمانهما وأتمّه كما جاء في كتب التاريخ وكتب الحديث، فقول من يدّعى أنّ رسول الله ﷺ يحبّ عائشة لصغرها وجمالها مردود ولا يقبل.

أمّا القائلين بأنّ حبه إياها لأنّها ابنة أبي بكر فهذا غير صحيح، ولكن يمكننا أن نقول بأنه تزوجها من أجل أبي بكر؛ لأنّ رسول الله ﷺ تزوج من عدّة قبائل زواجاً سياسياً لتأليف القلوب، ولتسود المودّة والرحمة في تلك القبائل بدلاً من التناحر والتباغض.

فقد تزوج النبي ﷺ بأم حبيبة أخت معاوية، وهي بنت أبي سفيان العدوّ الأول للنبي ﷺ، وذلك لأنّه لا يحقد وهو رحمة للعالمين، وقد تعدّى عطفه وحنانه القبائل العربية إلى مصاورة اليهود والنصارى والأقباط؛ ليقرب أهل الأديان بعضهم من بعض.

وبالخصوص إذا عرفنا من خلال ما نقرأ في كتب السيرة بأنّ أبي بكر هو الذي طلب من النبي ﷺ بأن يتزوج من ابنته عائشة، كما طلب عمر من النبي ﷺ بأن يتزوج ابنته حفصة، وقبل رسول الله ﷺ لأنّ قلبه يسعُ أهل الأرض كلّهم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظًا الْقَلْبَ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^١.

وإذا رجعنا إلى الرواية التي روتها عائشة، وقالت فيها بأنّ رسول الله ﷺ لم يلبت إلاّ ريشما ظنَّ أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويداً وفتح الباب

^١آل عمران: ١٥٩.

فخرج ثم أجاوه، عرفنا كذب الزعم بأنّه وَالْمُرْسَلُونَ لا يصبر عنها^١.

وهذا الاستنتاج ليس استنتاجاً عفوياً ألغه خيالي، كلاماً فإن له أدلة في صحاح السنة، فقد روى مسلم في صحيحه وغيره من صحاح أهل السنة أنَّ عمر بن الخطاب قال: لما اعزز نبي الله وَالْمُرْسَلُونَ نساءه، قال: دخلت المسجد فإذا الناس ينكثون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله وَالْمُرْسَلُونَ نساءه، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب.

قال عمر: فقلت: لأعلمنَّ ذلك اليوم، قال: فدخلت على عائشة فقلت: يا بنت أبي بكر أقد بلغ من شأنك أن تؤذني رسول الله وَالْمُرْسَلُونَ! فقالت: مالي وما لك يابن الخطاب عليك بعيتك! قال: فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها: يا حفصة أقد بلغ من شأنك أن تؤذني رسول الله وَالْمُرْسَلُونَ! والله لقد علمت أنَّ رسول الله وَالْمُرْسَلُونَ لا يحبك، ولو لا أنا لطلقك رسول الله وَالْمُرْسَلُونَ، فبكـت أشد البكاء... الحديث^٢.

إنَّ هذه الرواية تدلـنا بوضوح لا يقبل الشك في أنَّ زواج النبي وَالْمُرْسَلُونَ من حفصة بنت عمر لم يكن عن محـبة، ولكنـه لمصلحة سياسية اقتضتها الظروف.

وممـا يزيدـنا يقـيناً بصـحة ما ذهـبنا إلـيه في هذا الاستـنتاج، أنَّ عمر بن الخطـاب يـقسـم بالله بـأنَّ رسول الله وَالْمُرْسَلُونَ لا يـحبـ حـفـصـة، ويزـيدـنا عمر يـقـيناً

^١ صحيح مسلم ٣: ٦٤، ومسند أحمد ٦: ٢٢١.

^٢ صحيح مسلم ٤: ١٨٨ في بـاب الـإـيلـاء واعـتـزال النـسـاء وـتـخـيـرـهنـ، وـقولـه تعـالـى: (وـإـن تـظـاهـرـا عـلـيـهـ)، مـسـندـأـبـيـيـ يـعـلـىـ ١: ١٥٠، صـحـيـحـابـنـ حـبـانـ ٩: ٤٩٦.

جديداً بأنَّ ابنتهُ حفصة تعلمُ هي الأخرى هذه الحقيقة المؤلمة، إذ يقول لها:
”والله لقد علمت بأنَّ رسول الله لا يحبُك“.

ثمَّ لا يبقى لنا أدنى شكٍ في أنَّ الزواج منها كان لمصلحة سياسية عندما
قال: ”ولولا أنا لطلَّقك رسول الله“.

فهذه الرواية تعطينا أيضاً فكرة على زواج النبي ﷺ بعائشة بنت أبي
بكر، وأنَّه صبر وتحمَّل كلَّ أذاها من أجل أبي بكر أيضاً، وإلا فإنَّ حفصة
أولى بحبِّ الرسول وتقديره؛ لأنَّه لم يصدر منها ما يُسيء للنبي ﷺ عشر
معشار مافعلته عائشة بنت أبي بكر.

وإذا بحثنا في الواقع العملي بقطع النّظر عن الروايات الموضوعة التي
نَمَّقْها بنو أميَّة في فضائل عائشة، لوجدنا أنَّ رسول الله ﷺ كان كثيراً ما
يتَأذَّى منها، وكثيراً ما يغضِّب عليها، وهذا نحن ننْقل رواية واحدة أخرى عنها
البخاري وكثير من المحدثين من أهل السنة، تعرب عن مدى التفور الذي
كانت تشعرُ به أمُ المؤمنين عائشة من قبل زوجها رسول الله ﷺ.

أخرج البخاري في صحيحه في الجزء السابع في باب قول المريض:
إنَّ وجُمُّ، أوْ وارْسَاهُ، قال: سمعتُ القاسم بن محمَّد قال: قالت عائشة:
وارْسَاهُ! فقال رسول الله ﷺ: ”ذاك لو كان وأنا حيٌّ فأستغفر لك وأدعوك
لَك“، فقالت عائشة: واشكلياً، والله إنِّي لأظُنكَ تحبُّ موتي، ولو كان ذاك
لظللتَ آخر يومك مُعرِّساً ببعض أزواجهِ^۱.

فهل تدلُّك هذه الرواية على حبِّ النبي لعائشة؟

^۱ صحيح البخاري ٧: ٨ من كتاب المرضى والطب، مسند أحمد ٦: ٢٢٨.

ونخلص بالأخير إلى أنّ بنى أميّة، وعلى رأسهم معاویة بن أبي سفیان
يبغضون رسول الله ﷺ، ومنذ أن آلت إليهم الخلافة عملوا على تقلیل
الحقائق ظهراً على عقب، ورفعوا أقواماً إلى القمة من المجد والعظمة، بينما
كانوا في حیة النبی ﷺ عادیین وليس لهم شأن كبير، ووضعوا آخرين
كانوا في قمة الشرف والعز أيام النبی ﷺ .

وأعتقد أنّ میزانهم الوحید في الرفع والوضع هو فقط عداوهم الشدید
وبغضهم للامحدود لمحمد وأهل بيته على فاطمة والحسن والحسین، فكلّ
شخص كان ضدّ الرسول ﷺ ، ضدّ أهل البيت الذين أذهب الله عنهم
الرجس وطهّرهم تطهیراً رفعوا من شأنه، واختلقوا له روایات وفضائل،
وقربوه وأعطوه المناصب والعطایا، فأصبح يحظى بتقدیر الناس واحترامهم.
وكلّ شخص كان يحبّ الرسول ﷺ ويدافع عنه عملوا على انتقاده،
وخلق المعايب الكاذبة له، واختلاق الروایات التي تنکر فضله وفضائله.
وهكذا أصبح عمر بن الخطاب الذي كان يعارضه في كلّ أوامره، حتّى
رماه بالهجر في أواخر أيام حیاته ﷺ؛ أصبح هذا الرجل هو قمة الإسلام
 عند المسلمين زمان الدولة الأمویة!

اما علي بن أبي طالب الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، والذي
يحبّ الله ورسوله ويُحبّه الله ورسوله، والذي هو ولی كلّ مؤمن؛ أصبح يلعن
على منابر المسلمين ثمانين عاماً!!

وهكذا أصبحت عائشة التي جرّعت رسول الله الغُصص، وعصت أوامره
كما عصت أمر ربّها، وحاربت وصي رسول الله، وتسبّبت في أكبر فتنة

عرفها المسلمون والتي قُتلت فيها آلاف المسلمين؛ أصبحت هذه المرأة هي أشهر نساء الإسلام وعنها تُؤخذ الأحكام، أمّا فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين التي يغضب رب العزة لغضبها ويرضى لرضاها، أصبحت نسياً منسياً، ودُفنت في الليل سراًً بعدما هددوها بالحرق، وعصرروا على بطنها بالباب حتى أسقطت جنينها، ولا أحد من المسلمين من أهل السنة يعرف روایة واحدة تنقلها عن أبيها!!

وهكذا أصبح يزيد بن معاوية، و زياد بن أبيه، و ابن مرجانة، و ابن مروان، والحجاج، و ابن العاص وغيرهم من الفساق الملعونين بنص الكتاب على لسان النبي الله، نعم أصبح هؤلاء أمراء المؤمنين وولاة أمرورهم، أمّا الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وريحانات النبي من هذه الأمة، والأئمة من عترة الرسول الذين هم أمان الأمة، أصبحوا مشردين مسجونين مقتولين مسمومين !!

وهكذا أصبح أبو سفيان المنافق الذي ما وقعت حرب ضدّ الرسول إلاً وكان هو قائدها، أصبح محموداً مشكوراً حتّى قيل: من دخل داره كان آمناً، أمّا أبو طالب حامي النبي وكفيله والمدافع عنه بكلّ ما يملك، والذي قضى حياته مناوئاً لقومه وعشيرته من أجل دعوة ابن أخيه، حتّى قضى ثلاثة سنوات في الحصار مع النبي في شعب مكة، وكتم إيمانه لمصلحة الإسلام، أي لإبقاء بعض الجسور مفتوحة مع قريش، فلا يؤذون المسلمين كما يريدون، وذلك كمؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه، أمّا هذا فكان جزاؤه ضحاص من نار يضع فيها رجله فيغلّي منها دماغه !!

وهكذا أصبح معاوية بن أبي سفيان، الطليق بن الطليق، واللعين بن اللعين، ومن كان يتلاعب بأحكام الله ورسوله ولا يقيم لها وزناً، ويقتل الصلحاء والأبراء في سبيل الوصول إلى أهدافه الخسيسة، ويسبّ رسول الله ﷺ على مرأى وسمع من المسلمين^١، أصبح هذا الرجل يسمى كاتب الوحي، ويقولون بأن الله اتمنَّ على وحيه جبرئيل ومحمدًاً ومعاوية، وأصبح يوصف بأنه رجل الحكم والسياسة والتدبير.

أما أبو ذر الغفارى الذى ما أقلّت الخضراء ولا أظللت الغبراء أصدق ذي لهجة منه، فأصبح صاحب فتنة، يضربُ ويشردُ وينهى إلى الربذة، وأمّا

^١ يقول الشاعر في هذا المعنى:

عandوا "أحمد" عادوا علّيًّا
وتولوا منافقاً وغوياً
وأسروا سبّ النبي نفاقاً
 حين سبّوا جهراً أخاه علّيًّا
(المؤلف)

وقد ذكر الشيخ الألباني في صحيحته حديث رقم ٣٣٣٢: "... عن أبي عبد الله الجدلي قال: قالت لي أم سلمة: أيسْبُ رسول الله ﷺ بينكم على المنابر؟!
قلت: سبحان الله! وأنّي يسب رسول الله ﷺ!
قالت: أليس يسبُ علي بن أبي طالب ومن يحبه، وأشهد أنَّ رسول الله ﷺ كان يحبه...
قلت: وهذا إسناد جيد ورجالة كلّهم ثقات...".

وهذا من الطامات الكبرى والرزايا العظمى أن يسب رسول الله ﷺ والعهد منه قريب جداً وجسده الشريف لم يبرد بعد، وكفنه لم يبل، لكن الطلقاء وأبناء الطلقاء أرادوا حجب نور الشمس قبل بزوغها، وإطفاء نورها قبل ظهرها، فسعوا إلى ذلك بكلّ ما أوتوا من قوة؛ إلا أن الله كان لهم بالمرصاد، فأحمدهم وأحمد فنتهم قبل انتصاب الأمور وتحقيق غياتهم الفاسدة.

سلمان، والمقداد، وعمار، وحذيفة، وكل الصحابة المخلصين الذين والوا علىً^ا
وتشيّعوا له، فقد لاقوا التعذيب والتشريد والقتل.

وهكذا أصبح أتباع مدرسة الخلفاء، وأتباع معاوية، وأصحاب المذاهب
الذين أوجدهم السلطة الجائرة، أصبحوا هم أهل السنة والجماعة، وهم
الذين يمثلون الإسلام، ومن خالفهم كان من الكافرين، ولو اقتدى بأئمة أهل
البيت الطيبين الطاهرين.

أمّا أتباع مدرسة أهل البيت الذين اتبّعوا باب مدينة العلم، وأول الناس
إسلاماً، ومن كان الحق يدور معه حيث دار، وتشيّعوا لأهل البيت واتّبعوا
الأئمة المعصومين، أصبحوا هم أهل البدعة والضلال، ومن خالفهم وحاربهم
كان من المسلمين، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم وصدق الله إذ
يقول:

﴿وَإِذَا قيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلَحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُونَ وَلَكُنْ لَا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قيلَ لَهُمْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْؤُمُنْ كَمَا
آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكُنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^١.

وإذا رجعنا إلى موضوع حبّ الرسول ﷺ لعائشة؛ لأنّها حفظت عنه
نصف الدين، وكان يقول: "خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء"، فهذا
حديث باطل لا أساس له من الصحة، ولا يستقيم مع ما روّي عن عائشة
من أحكام مضحكة مبكية يتنزّه عن ذكرها رسول الله ﷺ.

ويكفينا مثلاً على ذلك قضية رضاعة الكبير التي كانت ترويّها عن

رسول الله ﷺ، والتي أخرجها مسلم في صحيحه، ومالك في موظاه، والتي وافينا البحث فيها في كتابنا "لأكون مع الصادقين"، فمن أراد التفصيل والوقوف على جلية الأمر فليراجعه.

ويكفي في هذه الرواية الشنيعة أن زوجات النبي كلهن رفضن العمل بها وأنكرنها، وحتى أن راوياها بقي عاماً كاملاً يتهيّب أن يذكرها لفظاعتها وقلة حيائها.

وإذا مارجعنا إلى "صحيح البخاري" في باب يقصر من الصلاة إذا خرج من موضعه، قال: عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: الصلاة أول ما فرضت ركعتان، فأقررت صلاة السفر وأتممت صلاة الحضر، قال الزهرى: فقلت لعروة: مما بال عائشة تعم؟ قال: تأولت متأولٌ عثمان^١.

وأخرجها مسلم في صحيحه في باب صلاة المسافرين وقصرها وبعبارة أوضح مما في البخاري، قال: عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة أن الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقررت صلاة السفر وأتممت صلاة الحضر، قال الزهرى: فقلت لعروة: مما بال عائشة تعم في السفر؟ قال: إنها تأولت كما تأول عثمان^٢.

إنَّ التناقضُ الصريحُ، فهي التي تروي بأنَّ صلاة المسافر فُرضت ركعتين، ولكنَّها تخالف ما افترضه الله وعمل به رسوله ﷺ، وتتأول لتغيير أحكام الله

^١ صحيح البخاري ٢: ٣٦.

^٢ صحيح مسلم ٢: ١٤٢.

رسوله ﷺ إحياء لسنة عثمان، ولهذه الأسباب نجد كثيراً من الأحكام في
صحاب أهل السنة والجماعة ولكن لا يعملون بها؛ لأنهم في أغلب الأحيان
يأخذون بتأوّل أبي بكر، وتأوّل عمر، وتأوّل عثمان، وتأوّل عائشة، وتأوّل
معاوية بن أبي سفيان، وغيرهم من الصحابة.

إذا كانت الحميراء التي يؤخذ عنها نصف الدين تأوّل في أحكام الله
كيف تشاء، فلا اعتقاد بأنّ زوجها رسول الله ﷺ يرضى منها هذا ويأمر
الناس بالاقتداء بها، على أنّه ورد في "صحيح البخاري" وصاحب أهل
السنة إشارة إلى أنّ في اتباعها معصية لله، وسنوا فيك بذلك في أوانه إن
شاء الله.

وأما القائلون بأنّ رسول الله ﷺ كان يُحبّها؛ لأنّ جبرئيل أتاه بصورتها
قبل الزواج، وأنّه لا يدخل عليه إلا في بيتهما، فهذه روايات تُضحك
المجانين.

ولستُ أدرى أكانت الصورة التي جاء بها جبرئيل فتوغرافية أم لوحة
زيتية، على أنّ صاحب أهل السنة يرون بأنّ أبا بكر بعث بعائشة إلى
النبي ﷺ، ومعها طبق من التمر لينظر إليها، وهو الذي طلب من النبي ﷺ
أن يتزوج ابنته، فهل هناك داع لينزل جبرئيل بصورتها، وهي تسكن على
بعد بضع أمتار من مسكن رسول الله ﷺ؟ وأعتقد أنّ ماريota القبطية التي
كانت تسكن مصر، وهي بعيدة عن رسول الله ﷺ، وما كان أحد يتصور
مجيئها، هي أولى بأن ينزل جبرئيل بصورتها، ويبشر رسول الله ﷺ بأنّ
الله سيرزقها منها إبراهيم.

ولكن هذه الروايات هي من وضع عائشة التي كانت لا تجد شيئاً تفتخر به على ضرّاتها إلاّ الأساطير التي يخلقها خيالها، أو أنها من وضع بنى أمية على لسانها ليرفعوا من شأنها عند بسطاء العقول.

وأمّا أن جبرئيل كان لا يدخل على محمد ﷺ وهو مضطجع إلاّ في بيت عائشة فهي أقبح من الأولى، والمعلوم من القرآن الكريم أن الله هدّدها عندما ظهرت على رسوله، هدّدها بجبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيراً.

فما أقوال شيوخنا وعلمائنا إلاّ ضربٌ من الظن والخيال، وإن الظن لا يعني من الحق شيئاً ﴿فَلْ هَلْ عِنْدُكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتَخْرُجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَبَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾^١.

عائشة فيما بعد النبي ﷺ
أمّا إذا درسنا حياة أم المؤمنين عائشة ابنة أبي بكر بعد لحوق زوجها بالرفيق الأعلى روحى له الفداء، وبعد ما خلا لها الجو وأصبح أبوها هو الخليفة والرئيس على الأمة الإسلامية، وأصبحت هي حينذاك المرأة الأولى في الدولة الإسلامية؛ لأن زوجها رسول الله وأبوها هو خليفة رسول الله.

ولأنها كما تعتقد هي أو توهّم نفسها بأنها أفضل أزواج النبي ﷺ، لا شيء إلاّ أنه تزوجها بكرًا وما تزوج بكرًا غيرها!! وقد توفي عنها رسول الله ﷺ وهي في عز شبابها وزهرة عمرها، فكان عمرها يوم وفاة زوجها

^١ الأنعم: ١٤٨.

ثمانية عشر عاماً على أكثر التقادير وأشهر الروايات، ولم تعاشر رسول الله ﷺ سوى ست أو ثمان سنوات على اختلاف الرواية، قضت السنوات الأولى منها تلعب ألعاب الأطفال وهي زوجة النبي ﷺ، وهي كما وصفتها برييرة جارية رسول الله ﷺ عندما قالت في عائشة: إنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأتي الداجن فتأكله^١.

نعم، ثمانية عشر عاماً لفتاة بلغت سن المراهقة كما يقال اليوم، وقضت نصف عمرها مع صاحب الرسالة، وبين ضرّات يبلغ عددهن عشر أو تسع زوجات، وهناك امرأة أخرى أغفلنا ذكرها في حياة عائشة، وكانت أشدّ عليها من كل ضرّة، لأنّ حبّ الرسول ﷺ لها فاق التصور، وهذه المرأة هي فاطمة الزهراء ربيبة عائشة ابنة رسول الله ﷺ من خديجة، وما أدرك ما خديجة الصديقة الكبرى التي سلم عليها جبريل، وبشرّها ببيت لها في الجنة لا صخب فيه ولا نصب^٢.

والتي كان رسول الله ﷺ لا يدع مناسبة تفوته إلاً ويذكر خديجة، فيتفطر كبد عائشة ويحترق قلبها غيرة، فتشور ثائرتها وتخرج عن أطوارها، فتشتم بما يحلو لها، ولا تبال بعواطف زوجها ومشاعره. ولنستمع إليها تحدث عن نفسها بخصوص خديجة، كما روى البخاري، وأحمد، والترمذى، وابن ماجة، قالت: ما غرتُ على امرأة لرسول الله كما

^١ صحيح البخاري ٣: ١٥٦، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا.

^٢ صحيح البخاري ٤: ٢٣١، صحيح مسلم ٧: ١٣٣، باب فضائل أم المؤمنين خديجة.

غرت على خديجة^١ لكثره ذكر رسول الله إياها وثنائه عليها، فقلت: ما تذكُّر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشَّدقين، هلكتْ في الدَّهر، قد أبدلوك الله خيراً منها.

قالت: فتغيّر وجه رسول الله ﷺ تغيّراً ما كنتُ أراه إلّا عند نزول الوحي، وقال: "لا، ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنتُ بي إذ كفر بي الناس، وصدقني إذ كذبني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجلّ ولدها إذ حرمني أولاد النساء".^٢

^١ قد مرّ بنا سابقاً قولها: ما غرت على امرأة كما غرت على صفية، وقولها: ما غرت على امرأة إلّا دون ما غرت على مارية، لك الله يا عائشة، فهل سلمتْ واحدة من أزواج النبي من غيرتك وأذيتك؟ (المؤلف).

^٢ حديث غيرة عائشة على خديجة رضي الله عنها ورد في مصادر أهل السنة بكثرة وبالفاظ مختلف، والمؤلف لفق بين هذه الأحاديث، فقولها: "ما غرت على... وثنائه عليها" يوجد في البخاري ٦: ١٥٨، ونحوه بلفظ قريب منه في مسلم ٧: ١٣٤، وسنن ابن ماجة ١: ٦٤٣، وسنن الترمذى ٣: ٢٤٩ وغيرها.

أما قولها: "ما تذكر من عجوز... خيراً منها" يوجد بالفاظه المختلفة في كلّ من: صحيح البخاري ٤: ٢٣١، صحيح مسلم ٧: ١٣٤، مسند أحمد ٦: ١٥٤، السنن الكبرى النسائي ٧: ٣٠٧ وغيرها.

أما قولها: "فتغيّر وجه رسول الله ﷺ... أولاد النساء" يوجد بالفاظه المختلفة في: مسند أحمد ٦: ١١٨ عنه مجتمع الزوائد ٩: ٢٢٤ وقال: "رواه أحمد وإسناده حسن"، فتح الباري ٧: ١٠٣، فيض القدير ٤: ١٦٤، البداية والنهاية ٣: ١٥٨ وقال: "تفرد به أحمد واسناده لا يأس به، ومجالد روى له مسلم متابعة وفيه كلام مشهور والله أعلم".

وانظر أيضاً المعجم الكبير للطبراني ٢٣: ١٣، تاريخ دمشق ٣: ١٩٥، الاصابة ٨: ١٠٣.

وليس هناك شك أنّ ردّ الرسول ﷺ يبطل دعوى من يقول بأنّ عائشة هي أحبّ وأفضل أزواج النبي ﷺ، وأكيد أيضًا أنّ عائشة ازدادت غيره وكُرهاً لخديجة عندما قرّعها رسول الله ﷺ بهذا التوبيخ، وأعلمها بأنّ ربّه لم يُبدِّلَهُ خيراً من خديجة.

ومرة أخرى يعلّمنا رسول الله ﷺ بأنّه لا يميل مع الهوى، ولا يحب الجمال والبكار؛ لأنّ خديجة سلام الله عليها تزوّجت قبله مرتين، وكانت تكبره بخمسة عشرة عاماً، ومع ذلك فهو يحبّها ولا يتنى عن ذكرها، وهذا

أمّا مجالد بن سعيد فقد وثقه غير واحد كما في مجمع الزوائد ١٠: ٣٩٩، وهو حسن الحديث كما في مجمع الزوائد أيضًا ٩: ٢٤٢.

وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢: ١١٢ من طريق مروان بن معاوية، عن وائل بن داود، عن عبد الله البهري، عن عائشة، والسند حسن كما صرّح محقّق الكتاب بذلك. وكذلك أخرجه الدوّلابي في كتابه الذريعة الطاهرة: ٣١ عن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، عن مروان بن معاوية الفزاري، عن وائل بن داود، عن عبد الله البهري، عن عائشة. وهذا السند حسن كما ترى، والحسن يحتاج به؛ لأنّه من قسم الصحيح بالمعنى الأعم. ومنه يتبيّن أن ما ذكره في "كشف الجاني": ١٣٣ من تضييف هذه الزيادة واتهام المؤلّف بالكذب ليس صحيح، وناشئ من عدم اطّلاع عثمان الخميس على روایاتهم ومباني علماء الحديث وذلك:

- ١- إنّ مجالد بن سعيد مختلف فيه، فحديثه يكون حسناً على أقل تقدير.
- ٢- إنّ مجالد بن سعيد لم ينفرد بهذه الزيادة، بل وردت عن عبد الله البهري، وهو ثقة فيحتاج بحديثه، ويكون حديث مجالد بن سعيد صحيحًا، لأنّ له متابعاً صحيحاً وهو حديث عبد الله البهري، فيكون مقوياً له.

لعمري هو خُلق النبي ﷺ الذي يحبّ في الله ويبغض في الله.
وهنالك فرق كبير بين هذه الرواية الحقيقة، وتلك المزيفة التي تدعى بأنَّ
الرسول يميل إلى عائشة، حتّى بعثن إليه نساؤه ينشدنه العدل في ابنة أبي
قحافة!!

وهل لنا أن نسأل أمَّ المؤمنين عائشة التي ما رأى يوماً في حياتها
السيّدة خديجة رضوان الله عليها ولا التقت بها: كيف تقول عنها: عجوز
حرماء الشَّدِيقين؟ وهل هذه هي أخلاق المؤمنة العادية التي يحرمُ عليها أن
تغتاب غيرها إذا كان حيَا! فما بالك بالميت الذي أفضى إلى ربِّه!! فما بالك
إذا كان ضحية الغيبة زوج رسول الله ﷺ، والتي ينزل جبرئيل في بيته
ويبشرُها ببيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب؟!
وبالتأكيد إنَّ ذلك البغض، وتلك الغيرة التي تأجّجت في قلب عائشة من
أجل خديجة لابد لها من فورة ومتنفس وإلا انفجرت، فلم تجد عائشة
أمّها إلا فاطمة ابنة خديجة ربّيتها، والتي هي في سنّها أو تكبرها قليلاً
على اختلاف الرواية.

وبالتأكيد - أيضاً - إنَّ ذلك الحبُّ العميق من رسول الله ﷺ لخديجة
تجسدَ وقوىَ في ابنته ووحيدته فاطمة الزهراء، فهي الوحيدة التي عاشت
مع أبيها، تحمل في جنباتها أجمل الذكريات التي كان يحبّها رسول الله في
خديجة، فكان يسمّيها أمَّ أبيها.

وزاد في غيرة عائشة أن ترى رسول الله يمجّد ابنته، ويسمّيها سيدة نساء

العالمين وسيّدة نساء أهل الجنة^١ ، ثم يرزقُه الله منها سيدِي شباب أهل الجنة الحسن والحسين ، فترى رسول الله ﷺ يذهب ويبات عند فاطمة ساهراً على تربية أحفاده ويقول: "ولداي هذان ريحانتي من هذه الأمة"^٢ ساهراً على كتفيه ، فتزداد بذلك عائشة غيرة لأنّها عقيم !!

ثم ازدادت الغيرة أكثر عندما شملت زوج فاطمة أبا الحسينين لا لشيء إلا لحبّ الرسول ﷺ إياه ، وتقديمه على أبيها في كلّ المواقف ، فلا شكّ أنها كانت تعيش الأحداث.

وترى ابن أبي طالب يفوز في كلّ مرّة على أبيها ، ويمضي بحبّ الرسول ﷺ له ، وفضيلته وتقديمه على من سواه ، فقد عرفت أنّ أباها رجع مهزوماً في غزوة خيبر بمن معه من الجيوش ، وأنّ رسول الله ﷺ تأله لذلك وقال: "لأعطيك الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله كرّار غير فرار"^٣ ، وكان ذلك الرجل هو علي بن أبي طالب زوج فاطمة ، ثم رجع

^١ صحيح البخاري ٤: ١٨٣، ١٠٩: ٧٠٩ .

^٢ ورد في تاريخ دمشق ١٣: ٢٠٢ ، وكتن العمال ١٣: ٦٦٧ ح ٣٧٦٩٩ بلفظ: "إنّ ابني هذين..." ، وفي مسند أحمد ٢: ١١٤ - ٨٥ وصريح محقق الكتاب أحمد شاكر في كلا الموضعين بصحته ، والمصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٤ ح ٤٩ ، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٩ ح ٨١٦٧ ، وصحيف ابن حبان ١٥: ٤٢٦ بلفظ: "هذا ريحانتي من الدنيا".

^٣ بهذا اللفظ في تاريخ دمشق ٤١: ٢١٩ ، وكتن العمال ١٣: ١٢٣ ح ٣٦٣٩٣ ، ويوجد صدر الحديث في صحيح البخاري ٥: ٧٦ ، صحيح مسلم ٥: ١٩٥ ، ويوجد بلفظ: "ليس بفارار" في مسند أحمد ١: ٩٩ ، المصنف لابن أبي شيبة ٨: ٥٢٢ ، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٠٩ ، المعجم الكبير للطبراني ٧: ٣٥ .

عليٌّ بعد ما فتح خير بصفية بنت حُيي التي تزوجها رسول الله ﷺ ، ونزلت على قلب عائشة كالصاعقة.

وقد عرفت - أيضاً - أنَّ رسول الله ﷺ بعث أبوها بسورة براءة ليبلغها إلى الحجيج، ولكنَّه أرسل خلفه علي بن أبي طالب فأخذها منه، ورجع أبوها يبكي ويسأل عن السبب، فيجيبه رسول الله ﷺ : "إِنَّ اللَّهَ أَمْرَنِي أَنْ لَا يُبَلِّغَ عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ أَحَدُ مَنْ أَهْلَ بَيْتِي" ^١.

وقد عرفت أيضاً بأنَّ رسول الله ﷺ نصب ابن عمِّه علي خليفة على المسلمين من بعده، وأمر أصحابه وزوجاته بتهنته بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، فجاءه أبوها في مقدمة النَّاس يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

وقد عرفت بأنَّ رسول الله ﷺ أمر علي شاباً صغيراً لأنبات بعارضيه، عمره سبعة عشر عاماً، وأمره بالسير تحت قيادته والصلاحة خلفه. ولا شكَّ بأنَّ أمَّ المؤمنين عائشة كانت تتفاعل مع هذه الأحداث، فكانت تحمل في جنباتها همَّ أبيها، والمنافسة على الخلافة والمؤامرة التي تدور عند رؤساء القبائل في قريش، فكانت تزداد بُغضًا وحنقاً على علي وفاطمة، وتحاول بكل جهودها أن تتدخل لتغيير الموقف لصالح أبيها بشتى الوسائل، كلفها ذلك ما كلفها.

^١ انظر بِالْفَاظِهِ الْمُخْتَلِفَةِ: مسند أَحْمَد ١: ٣ وصَرَحَ مَحْقُوقُ الْكِتَابِ أَحْمَدُ شَاكِرُ بِصَحَّتِهِ، كِتَابُ الْسَّنَةِ لَابْنِ أَبِي عَاصِمٍ: ٥٩٥، السِّنَنُ الْكَبِيرُ لِلنَّسَائِيِّ: ٥١٢٩، الْمَعْجمُ الْأَوَسْطَ: ٣١٦٥، الدِّرْمَاثُورُ: ٣٢١٠

وقد رأيناها كيف أرسلت إلى أبيها على لسان زوجها تأمره ليصلّى
بالناس، عندما علمت بأنّ رسول الله ﷺ أرسّل خلف على ليكّله بتلك
المهمّة، ولمّا علم رسول الله ﷺ بتلك المؤامرة اضطرّ للخروج، فازاح أبا
بكر عن موضعه وصلّى بالنّاس جالساً، وغضّب على عائشة وقال لها:
”إنّك أنتن صويحات يوسف“ (يقصد أن كيدها عظيم) ^١.

والباحث في هذه القضية التي روتها عائشة بروايات مختلفة ومتضاربة
يجد التناقض واضحًا، وإنّ أباها عبّاه رسول الله ﷺ في جيش، وأمره
بالخروج تحت قيادة أسامة بن زيد قبل تلك الصلاة بثلاثة أيام، ومن
المعلوم بالضرورة أنّ قائد الجيش هو إمام الصلاة، فأسامة هو إمام أبي بكر
في تلك السرية.

فلما أحست عائشة بتلك الإهانة، وفهمت مقصود النبي ﷺ منها،
خصوصاً وأنّها تفطّنت بأنّ علي بن أبي طالب لم يعيّنه رسول الله ﷺ في
ذلك الجيش الذي عبّا فيه وجوه المهاجرين والأنصار، والذين لهم في
قريش زعامة ومكانة، وقد علمت من رسول الله ﷺ كما علم أكثر أصحابه
بأنّ أيامه أصبحت معدودة، ولعلّها كانت على رأي عمر بن الخطّاب في أنّ
رسول الله أصبح يهجر ولا يدرى ما يفعل؛ فدفعتها غيرتها القاتلة أن
تتصرّف بما تراه يرفع من شأن أبيها وقدره مقابل منافسه علي.

ولكل ذلك أنكرت أن يكون النبي ﷺ أوصى لعلي، ولذلك حاولت
إقناع البسطاء من الناس بأنّ رسول الله ﷺ مات في حجرها بين سحرها

^١ راجع شرح نهج البلاغة لأبي الحديد ٩:١٩٧.

ونحرها، ولذلك حدثت بـأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لها وهو مريض: ادع لى أباك وأخاك لاكتب لهم كتاباً، عسى أن يدْعُ مُدْعٌ ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلَّا أبا بكر!! فهل من سائل يسألها: ما الذي منعها من دعوتهما؟

موقف عائشة ضدّ علي أمير المؤمنين ع

والباحث في موقفها تجاه أبي الحسن يجد أمراً عجياً وغريباً، ولا يجد له تفسيراً إلَّا الغيرة والعداء لأهل بيته، وقد سجل لها التاريخ كرهاً وبغضاً للإمام على كمْ يعرف له مثيلٌ، وصل بها إلى حدّ أنها لا تطيق ذكر اسمه^١ ، ولا تطيق رؤيته، وعندما تسمع بأَنَّ الناس قد بايعوه بالخلافة بعد قتل عثمان، تقول: وددت لو أَنَّ السَّماء انطبقت على الأرض قبل أن يليها ابن أبي طالب^٢ . وتعمل كل جهودها للإطاحة به، وتقود ضدّه عسكراً جراراً لمحاربته، وعندما يأتيها خبر موته تسجد شكرًا لله^٣ .

ألا تعجبون معى لأهل السنة والجماعة الذين يرون في صحاحهم بأَنَّ

رسول الله ﷺ قال: "ياعلي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق"^٤ ،

^١ مضى تخريرجه.

^٢ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢١٥.

^٣ قال أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: ٥٥ "لَمَّا أَنْ جَاءَ عَائِشَةَ قُتْلَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَجَدَتْ".

^٤ مسند أحمد ١: ٩٥ وصريح محقق الكتاب أَحمد شاكر بصحته، سنن الترمذى ٥: ٣٠٦ وقال: حسن صحيح، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٨٤٨٧ ح ١٣٧، مسند أبي يعلى ١: ٢٥١، تاريخ بغداد ٤٢٦ ح ٧٧٨٥، تاريخ دمشق ٤٢: ٢٧١، أسد الغابة ٤: ٢٦، سير أعلام النبلاء ٥: ١٨٩.

ثم يرون في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم بأن عائشة تبغض الإمام علي ولا تطيق ذكر اسمه، أليس ذلك شهادة منهم على ماهية المرأة؟

كما يروي البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: "فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضب الله".^١ ثم يروي البخاري نفسه بأن فاطمة ماتت وهي غاضبة على أبي بكر فلم تكلمه حتى ماتت.^٢

أليس ذلك شهادة منهم بأن الله ورسوله غاضبان على أبي بكر؟ فهذا ما يفهمه كل العلاء، ولذلك أقول دائمًا بأن الحق لا بد أن يظهر مهما ستره المبطلون، ومهما حاول أنصار الأمويين التمويه والتلفيق، فإن حجة الله قائمة على عباده من يوم نزول القرآن إلى قيام الساعة، والحمد لله رب العالمين.

حدث الإمام أحمد بن حنبل أن أبي بكر جاء مرّة واستأذن على رسول الله ﷺ، وقبل الدخول سمع صوت عائشة عالياً وهي تقول للنبي ﷺ: "والله لقد عرفت أن علياً أحب إليك مني ومن أبي، تعیدها مرتين أو

وفي صحيح مسلم ٦١: باب الدليل على حب الأنصار وعلى من الإيمان عن علي عليه السلام بلفظ: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحببني إلا مؤمن ولا يغضبني إلا منافق".

^١ البخاري ٤: ٢١٠، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب فاطمة عليها السلام، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥٢٦، السنن الكبرى للنسائي ٩٧: ٥ ح ٨٣٧١

^٢ صحيح البخاري ٥: ٨٢ كتاب المغازلي، باب غزوة خيبر و ٨: ٣ كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ: "لا نورث ما تركنا صدقة".

ثلاثاً... "الحديث^١.

وبلغ من أمر عائشة وبغضها للإمام علي أنها كانت تحاول دائماً إبعاده عن النبي ﷺ ما استطاعت لذلك سبلا.

قال ابن أبي الحميد المعتزلي في "شرح النهج": إن رسول الله ﷺ استدنى عليه، فجاء حتى قعد بينه وبينها وهما متلاصقان، فقالت له: أما وجدت مقعداً لكذا إلا فخذني^٢.

وروي - أيضاً - أن رسول الله ﷺ ساير يوماً الإمام علي وأطال مناجاته، فجاءت عائشة وهي سائرة خلفهما حتى دخلت بينهما، وقالت لهمما: فيم أنتما فقد أطلتما، فغضب لذلك رسول الله ﷺ^٣.

ويروي أيضاً أنها دخلت مرة على رسول الله ﷺ وهو ينادي علياً، فصرخت وقالت: مالي ولك يا بن أبي طالب؟ إن لي نوبة واحدة من رسول الله، فغضب النبي ﷺ.

وكم من مرة أغضبت رسول الله ﷺ بتصرفاتها الناتجة عن الغيرة الشديدة، وعن حدة طبعها وكلامها اللاذع.

وهل يرضي رسول الله ﷺ على مؤمن أو مؤمنة ملأ قلبها كرهاً وبغضاً

^١ الإمام أحمد في مسنده ٤: ٢٧٥، عنه مجمع الزوائد ٩: ٢٠١ وقال: " رجاله رجال الصحيح".

^٢ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد ٩: ١٩٥، وفي تاريخ دمشق ٤٢: ٤٥ أنه عليه، جلس بينهما قال له: "أما وجدت مكاناً أوسع لك من هذا" فزجرها النبي ﷺ.

^٣ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد ٩: ١٩٥.

لابن عمّه وسيد عترته، الذي قال فيه: "يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" ^١ وقال فيه: "من أحبّ علياً فقد أحّبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني" ^٢.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾

أمر الله سبحانه نساء النبي ﷺ بالاستقرار في بيوتهن، وأن لا يخرجن متبرّجات، وأمرهن بقراءة القرآن، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الله ورسوله ﷺ.

وعمل نساء النبي ﷺ، وكلهن امتننَ أمر الله وأمر رسوله الذي نهاهن هو الآخر ﷺ قبل وفاته وحذّرن بقوله: "أيّتكن تركب الجمل وتبخها كلاب الحواب" ^٣، كلهن ما عدا عائشة، فقد اخترقت كل الأوامر،

^١ صحيح البخاري ٤: ١٢، ٢٠، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب علي ابن أبي طالب، صحيح مسلم ٧: ١٢٠، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ابن أبي طالب. سنن ابن ماجة ١: ٤٤، سنن الترمذى ٥: ٣٠٢، المستدرك للحاكم ٣: ١٠٩.

^٢ المستدرك للحاكم ٣: ١٣٠ وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيفين ولم يخرجاه"، المعجم الكبير للطبراني ٣: ٢٣، عنه مجمع الزوائد ٩: ١٣٢ وقال: إسناده حسن. الجامع الصغير للسيوطى ٢: ٤٣١٩ ح ٥٥٤، وصححه الألبانى في صحيح الجامع الصغير ٢: ١٠٣٤ ح ٥٩٦٣.

^٣ نحوه مسند أحمد ٦: ٩٧ وسنته صحيح، المستدرك للحاكم ٣: ١٢٠ وسقط تصحيح الحاكم من المطبوع لكن قال ابن حجر في فتح الباري ١٣: ٤٥: إنّه صححه، مجمع الزوائد ٧: ٢٣٤ وصرّح بوثاقة رجاله، المصطفى لعبدالرزاق ١١: ٣٦٥ ح ٢٠٧٥٣، المصطفى لابن أبي شيبة ٨: ٧٠٨، صحيح ابن حبان ١٥: ١٢٦، فتح الباري ١٣: ٤٥ وصرّح بوثاقة رجاله، سير أعلام

النيلاء للذهبي ٢: ١٧٨ وصرّح بصحّة الإسناد، البداية والنهاية لابن كثير ٦: ٢٣٦ وقال بعد أن ذكره من طريق أحمـد: "وهذا إسناد على شرط الصـحـيـحـين ولـم يـخـرـجـوهـ" ، الإصـابةـ ٨: ١٨٦ . وقال الشـيخـ الأـلبـانـيـ فيـ صـحـيـحـتـهـ ١: ٨٤٨ حـ ٧٤: .. والـحـدـيـثـ مـنـ أـصـحـ الـأـحـادـيـثـ ، ولـذـلـكـ تـبـاعـ الـأـئـمـةـ عـلـىـ تـصـحـيـحـهـ قـدـيـمـاـ وـحـدـيـثـاـ".

الأول: ابن حبان..

الثاني: الحاكم..

الثالث: الذهبي..

الرابع: الحافظ ابن كثير..

الخامس: الحافظ ابن حجر.. .

ثم علق الشـيخـ الأـلبـانـيـ عـلـىـ الـحـدـيـثـ بـقـوـلـهـ: "وـلـاـ نـشـكـ أـنـ خـرـوجـ أـمـ الـمـؤـمـنـينـ كـانـ خـطاـًـ مـنـ أـصـلـهـ ، ولـذـلـكـ هـمـتـ بـالـرـجـوعـ حـيـنـ عـلـمـتـ بـتـحـقـقـ نـبـوـةـ النـبـيـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ عـنـ الـحـوـابـ ، ولـكـنـ الزـبـيرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ أـقـنـعـهـ بـتـرـكـ الرـجـوعـ بـقـوـلـهـ: عـسـىـ اللـهـ أـنـ يـصـلـحـ بـكـ بـيـنـ الـنـاسـ . وـلـاـ نـشـكـ أـنـ كـانـ مـخـطـطاـًـ أـيـضـاـًـ ، وـالـعـقـلـ يـقـطـعـ بـأـنـهـ لـاـ مـنـاصـ مـنـ القـوـلـ بـتـخـطـةـ إـحـدـيـهـ الـطـائـفـيـنـ الـمـتـقـاتـلـيـنـ الـلـتـيـنـ وـقـعـ فـيـهـمـاـ مـئـاتـ الـقـتـلـيـ ، وـلـاـ نـشـكـ أـنـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ هـيـ الـمـخـطـةـ؛ـ لـأـسـبـابـ كـثـيرـةـ وـأـدـلـةـ وـاضـحـةـ...ـ".

وقد أجاد الشـيخـ الأـلبـانـيـ فـيـ هـذـاـ الـكـلامـ إـلـاـ فـيـ أـمـرـيـنـ:

الأول: إـنـهـ التـمـسـ العـذـرـ لـعـائـشـةـ بـمـقـوـلـةـ الزـبـيرـ ، مـعـ أـنـ عـائـشـةـ لـدـيـهـاـ توـصـيـةـ مـنـ النـبـيـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ فـيـ حـدـيـثـهـ فـلـذـلـكـ أـرـادـتـ الرـجـوعـ ، لـكـنـ الصـحـابـيـ وـهـوـ الزـبـيرـ ضـرـبـ كـلـامـ الـنـبـيـ وـرـاءـ ظـهـرـهـ وـبـالـتـالـيـ أـقـنـعـ عـائـشـةـ بـذـلـكـ.

الثانية: قـوـلـهـ: "هـمـتـ بـالـرـجـوعـ حـيـنـ عـلـمـتـ بـتـحـقـقـ نـبـوـةـ النـبـيـ ..ـ"ـ لـيـسـ صـحـيـحاـًـ ، بلـ الـحـقـ أـنـ إـخـبـارـ النـبـيـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ بـذـلـكـ ، وـتـحـقـقـ إـخـبـارـهـ فـيـ الـخـارـجـ دـالـلـ عـلـىـ معـجزـتـهـ وـمـدـىـ مـعـرـفـتـهـ ، وـلـيـسـ تـبـنـاـًـ كـمـاـ حـاـوـلـ الشـيـخـ إـظـهـارـهـ.

وسخرت من كل التحذيرات.

ويذكر المؤرخون أن حفصة بنت عمر أرادت الخروج معها، ولكن أخاها عبد الله حذرها وقرأ عليها الآية، فرجعت عن عزمهما، أما عائشة فقد ركبت الجمل، ونبحتها كلاب الحواب.

يقول طه حسين في كتابه "الفتنة الكبرى": مررت عائشة في طريقها بماء فنبحتها كلابه، وسألت عن هذا الماء فقيل لها: إنه الحواب، فجزعت جزاً شديداً وقالت:

ردوني ردوني، قد سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول وعنه نساؤه: "أيتكن تنبحها كلابُ الحواب؟" وجاء عبد الله بن الزبير فتكلف تهدتها، وجاءها بخمسين رجلاً منبني عامر يحلفون لها كذباً أن هذا الماء ليس بماء الحواب^١.

وأنا أعتقد بأن هذه الرواية وضعت في زمنبني أمية؛ ليخففوا بها عن أم المؤمنين ثقل معصيتها، ظنناً منهم بأن أم المؤمنين أصبحت معدورة بعد أن خدعها ابن أختها عبد الله بن الزبير، وجاءها بخمسين رجلاً يحلفون بالله ويشهدون شهادة زوراً بأن الماء ليس هو ماء الحواب.

إنها سخافة هزلية يريدون أن يموهوا بمثل هذه الروايات على بسطاء العقول، ويقنعونهم بأن عائشة خدعت؛ لأنها عندما مررت بالماء وسمعت

^١ المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين: ٤٦٩.

نباح الكلاب، فسألت عن هذا الماء، فقيل لها: إنّ الحوّابْ، فجزعتْ وقالت: ردّوني ردّوني. فهل لهؤلاء الحمقى الذين وضعوا الرواية أن يلتمسوا لعائشة عذراً في معصيتها لأمر الله، وما نزل من القرآن بوجوب الاستقرار في بيتها؟! أو يلتمسوا لها عذراً في معصيتها لأمر رسول الله ﷺ بوجوب لزوم الحصير وعدم ركوب الجمل، قبل الوصول إلى نباح الكلاب في ماء الحوّاب؟!!

وهل يجدون لأم المؤمنين عذراً بعدما رفضت نصيحة أم المؤمنين أم سلمة التي ذكرها المؤرخون إذ قالت لها: أتذكرينَ يومَ أقبل رسول الله ﷺ ونحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال، فخلال بعлиٰ يُناجيه فأطال، فأردت أن تهجمي عليهما، فنهيتك فعصيتني وهجمت عليهما، فما لبشت أن رجعت باكية، فقلت: ما شأنك؟ فقلت: أتيتهما وهم يتناجيان، فقلت لعلى: ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعه أيام أفمَا تدعني يا بن أبي طالب ويومي، فأقبل رسول الله علىَّ وهم محمّر الوجه غضباً فقال: "ارجعي وراءك، والله لا يبغضه أحد من الناس إلا وهو خارج من الإيمان"، فرجعت نادمةً ساخطة.

قالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

قالت: وأذكريك - أيضاً - كنت أنا وأنت مع رسول الله، فقال لنا: "أيتكن صاحبة الجمل الأدب تنبحها كلاب الحوّاب ف تكون ناكبة عن الصراط؟"؟ فقلنا: نعوذ بالله وبرسوله من ذلك، فضرب على ظهرك وقال: "إياك أن تكونيها يا حميراء"؟

قالت عائشة: أذكر ذلك.

فقالت أم سلمة: أتذكرين يوم جاء أبوك و معه عمر، و قمنا إلى الحجاب، ودخلنا يحدثنـه فيما أرادـا إلى أن قالـا: يا رسول الله، إـنـا لا ندرـي أـمـدـا تصـحـبـنا، فـلـوـ أـعـلـمـتـناـ مـنـ يـسـتـخـلـفـ عـلـيـنـاـ لـيـكـونـ لـنـاـ بـعـدـكـ مـفـزـعـاـ؟ فـقـالـ لـهـمـاـ "أـمـاـ أـنـيـ قدـ أـرـىـ مـكـانـهـ، وـلـوـ فـعـلـتـ لـتـفـرـقـتـ عـنـهـ كـمـاـ تـفـرـقـ بـنـوـ إـسـرـائـيلـ عـنـ هـارـونـ"ـ، فـسـكـنـاـ ثـمـ خـرـجـاـ، فـلـمـاـ خـرـجـاـ خـرـجـنـاـ إـلـىـ رـسـولـ اللـهـ، فـقـلـتـ لـهـ أـنـتـ وـكـنـتـ أـجـرـاـ عـلـيـهـ مـنـاـ: ياـ رـسـولـ اللـهـ مـنـ كـنـتـ مـسـتـخـلـفـاـ عـلـيـهـمـ؟ فـقـالـ "خـاصـفـ النـعـلـ"ـ، فـنـزـلـنـاـ فـرـأـيـنـاهـ عـلـيـاـ؟ فـقـلـتـ: ياـ رـسـولـ اللـهـ، مـاـ أـرـىـ إـلـاـ عـلـيـاـ؟ فـقـالـ: "هـوـ ذـاكـ"ـ؟

قالـتـ عـائـشـةـ: نـعـمـ أـذـكـرـ ذـلـكـ.

فـقـالـتـ لـهـاـ أـمـ سـلـمـةـ: فـأـيـ خـرـوجـ تـخـرـجـينـ بـعـدـ هـذـاـ يـاـ عـائـشـةـ؟

فـقـالـتـ: إـنـماـ أـخـرـجـ لـلـإـصـلـاحـ بـيـنـ النـاسـ^١.

فـنـهـتـهاـ أـمـ سـلـمـةـ عـنـ الـخـرـوجـ بـكـلـامـ شـدـيدـ وـقـالـتـ لـهـاـ: إـنـ عـمـودـ إـلـاسـلامـ لـاـ يـشـأـ بـالـنـسـاءـ إـنـ مـالـ، وـلـاـ يـرـأـبـ بـهـنـ إـنـ صـدـعـ، حـمـادـيـاتـ النـسـاءـ غـضـ

الأـطـرافـ، وـخـفـرـ الأـعـراضـ، مـاـ كـنـتـ قـائـلـةـ لـوـ أـنـ رـسـولـ اللـهـ عـلـيـهـنـاـ عـارـضـكـ فـيـ

بعـضـ هـذـهـ الـفـلـوـاتـ، نـاـصـّـةـ قـلـوـصـاـ مـنـ مـنـهـلـ إـلـىـ آـخـرـ؟ وـالـلـهـ لـوـ سـرـتـ سـيرـكـ

هـذـاـ ثـمـ قـيـلـ لـيـ: أـدـخـلـيـ الـفـرـدـوـسـ، لـاستـحـيـتـ أـنـ أـلـقـىـ مـحـمـداـ هـاتـكـةـ حـجـابـاـ

ضـربـهـ عـلـىـ^٢.

^١ شـرـحـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ لـابـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ ٦: ٢١٧ وـنـحوـهـ الـمـعيـارـ وـالـمـواـزـنـةـ: ٢٨.

^٢ غـرـبـ الـحـدـيـثـ لـابـنـ قـتـيبةـ ٢: ١٨٢، الـفـائقـ لـلـزـمـخـشـريـ ٢: ١٣٢، شـرـحـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ لـابـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ ٦: ٢٢٠.

كما لم تقبل أم المؤمنين عائشة نصائح كثير من الصحابة المخلصين، روى الطبرى في تاريخه أن جارية بن قدامة السعدي قال لها: يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح، إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة، فهتكت سترك وأبحث حرمتك، إنه من يرى قتالك فإنه يرى قتلك، إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك، وإن أتيتنا مستكرهه فاستعيني بالناس^١.

أم المؤمنين هي القائدة

ذكر المؤرخون بأنّها كانت هي القائدة العامة، وهي التي توّلى وتعزل وتصدر الأوامر، حتى إن طلحة والزبير اختلفا في إماماة الصلاة، وأراد كلّ منهما أن يصلّي بالنّاس، فتدخلت عائشة وعزلتهما معاً، وأمّرت عبد الله بن الزبير ابن أختها أن يصلّي هو بالنّاس.

وهي التي كانت ترسل الرسّل بكتبهما التي بعثتها في كثير من البلدان تستنصرهم على بن أبي طالب، وتشير فيهم حميّة الجاهليّة. حتّى عبّأت عشرين ألفاً أو أكثر من أوباش العرب وأهل الأطماء لقتال أمير المؤمنين والإطاحة به، وأثارتها فتنة عمّاء قُتل فيها خلق كثير باسم الدفاع عن أم المؤمنين ونصرتها.

ويقول المؤرخون: إن أصحاب عائشة لما غدروا بعثمان بن حنيف والي البصرة، وأسروه هو وسبعين من أصحابه الذين كانوا يحرسون بيت المال،

^١ تاريخ الطبرى ٣: ٤٨٢، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٢٥٩، الإمامة والسياسة ١: ٨٨

جاووا بهم إلى عائشة فأمرت بقتلهم، فذبحوهم كما يذبح الغنم، وقيل: كانوا أربعمائة رجل يقال: إنّهم أول قوم من المسلمين ضربت أعناقهم صبراً^١. روى الشعبي، عن مسلم بن أبي بكرة، عن أبيه قال: لمّا قدم طلحة والزبير البصرة، تقلّدت سيفي وأنا أريد نصرهما، فدخلت على عائشة فإذا هي تأمر وتنهي وإذا الأمر أمرها، فتذكّرت حديثاً عن رسول الله ﷺ كنت سمعته يقول: "لن يفلح قوم تدبّر أمرهم امرأة" فانصرفت عنهم واعتزلتهم^٢.

كما أخرج البخاري عن أبي بكرة قوله: لقد نفعني الله بكلمة أيام الجمل، لما بلغ النبي ﷺ أن فارساً ملكوا ابنة كسرى قال: "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة"^٣.

ومن المواقف المُضحكَة والمُبكِّية في آن واحد أن عائشة أم المؤمنين تخرج من بيتها عاصية لله ولرسوله، ثم تأمر الصّحابة بالاستقرار في بيوتهم، إنه حقاً أمّا عجيب !!

فكيف وقع ذلك يا ترى؟

روى ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة وغيره من المؤرّخين: إن عائشة كتبت - وهي في البصرة - إلى زيد بن صوحان العبدى رسالة تقول له فيها: من عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق زوجة

^١ راجع: أنساب الأشراف: ٢٢٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٣٢١.

^٢ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٢٧.

^٣ صحيح البخاري ٨: ٩٧ كتاب الفتنة، سنن الترمذى ٣: ٣٦، البداية والنهاية ٢: ٢٦.

رسول الله، إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، أما بعد فأقم في بيتك، وخذلّ الناس عن ابن أبي طالب، وليبلغني عنك ما أحب، إنك أوثق أهلي عندى، والسلام.

فأجابها هذا الرجل الصالح بما يلى: من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر، أما بعد؛ فإن الله أمرك بأمر، وأمرنا بأمر، أمرك أن تقرّي في بيتك، وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني كتابك تأمرني أن أصنع خلاف ما أمرني الله به، فأكون قد صنعتُ ما أمرك الله به، وصنعت أنت ما به أمرني، فأمْرَك عندى غير مطاع، وكتابك لا جواب له^١.

وبهذا يتبيّن لنا بأنّ عائشة لم تكتف بقيادة جيش الجمل فقط، وإنما طمحت في إمرة المؤمنين كافة في كلّ بقاع الأرض، ولكلّ ذلك كانت هي التي تحكم طلحة والزبير اللذين كانا قد رشّحهما عمر للخلافة، ولكلّ ذلك أباحت لنفسها أن تراسل رؤساء القبائل والولاة وتُطعمُهم وتستنصرُهم. ولكلّ ذلك بلغت تلك المرتبة وتلك الشّهرة عند بني أميّة، فأصبحت هي المنظور إليها والمُهابّة لديهم جميعاً، والتي يخشى سطوتها ومعارضتها، فإذا كان الأبطال والمشاهير من الشجعان يتخاذلون ويهربون من الصّفّ إزاء على ابن أبي طالب ولا يقفون أمامه، فإنّها وقفتْ وألبتْ واستصرختْ واستفزّتْ. ومن أجل هذا حيرت العقول، وأدهشت المؤرّخين الذين عرفوا مواقفها في حرب الجمل الصغرى قبل قドوم الإمام علي، وفي حرب الجمل الكبرى بعد مجي الإمام علي ودعوتها لكتاب الله، فأبّت وأصرّت على الحرب في

^١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦:٢٢٦، تاريخ الطبرى ٣:٤٩٢.

عناد لا يمكن تفسيره إلا إذا عرفا عمّق وشدة الغيرة والبغضاء التي تحملها
أم المؤمنين لأبنائها المخلصين لله ورسوله ﷺ.

تحذير النبي ﷺ من عائشة وفتنتها

لقد كان رسول الله ﷺ يدرك عمق وخطورة المؤامرة التي تدار حوله
من جميع جوانبها، ولا شك بأنّه عرف ما للنساء من تأثير وفتنة على
الرجال، كما أدرك بأنّ كيدهن عظيم تكاد تزول منه العجل.

وعرف بالخصوص بأنّ زوجته عائشة هي المؤهلة لذلك الدور الخطير،
لما تحمله في نفسها من غيرة وبغض لخليفة على خاصة، ولأهل بيته
عامة، كيف وقد عاش بنفسه أدواراً من مواقفها وعداوتها لهم، فكان يغضب
حياناً، ويتغير وجهه أحياناً، ويحاول اقناعهم في كلّ مرّة بأنّ حبيب على هو
حبيب الله، والذي يبغض علياً هو منافق يبغضه الله.

ولكن هيهات لتلك الأحاديث أن تغوص في أعماق تلك النّفوس التي ما
عرفت الحقّ حقّاً إلا لفائدتها، وما عرف الصواب صواباً إلا إذا صدر عنها.
ولذلك وقف الرسول ﷺ لما عرف بأنّها هي الفتنة التي جعلها الله في
هذه الأمة؛ ليبيتليها بها كما ابتلى سائر الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿أَلمْ *
أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُسْتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^١.

وقد حذر رسول الله ﷺ أمته منها في مرات متعددة، حتى قام في يوم
من الأيام وأتّجه إلى بيتها وقال: "ه هنا الفتنة، ه هنا الفتنة حيث يطلع قرن
الشيطان"، وقد أخرج البخاري في صحيحه في باب ما جاء في بيوت

^١ العنكبوت: ١ - ٢.

أزواج النبي، قال: عن نافع، عن عبد الله رض، قال: قام النبي صل خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: "ه هنا الفتنة - ثلاثة - من حيث يطلع قرن الشيطان" ^١.

كما أخرج مسلم في صحيحه أيضاً عن عكرمة بن عمّار، عن سالم، عن ابن عمر قال: خرج رسول الله صل من بيت عائشة، فقال: "رأس الكفر من ه هنا من حيث يطلع قرن الشيطان" ^٢.

ولا عبرة بالزيادة التي أضافوها بقولهم: يعني المشرق، فهي واضحة الوضع؛ ليخففوا بها عن أم المؤمنين، ويعدوا هذه التهمة عنها.

وقد جاء في "صحيح البخاري" أيضاً، قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، بعث على عمّار بن ياسر وحسن بن علي، فقدموا علينا الكوفة فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلى، وقام عمّار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه، فسمعت عمّاراً يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة، والله إنها لزوجة نبيكم صل في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياكم تطعون أم هي ^٣.

الله أكبر، فهذا الخبر يدلّ - أيضاً - أن طاعتها معصية لله، وفي معصيتها هي والوقوف ضدّها طاعة لله.

كما نلاحظ أيضاً في هذا الحديث أنّ الرواية منبني أمية أضافوا عبارة

^١ صحيح البخاري ٤: ٤٦ كتاب الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي صل ٤: ٤٦

^٢ صحيح مسلم ٨: ١٨١، كتاب الفتنة وأشراط الساعة، باب الفتنة من المشرق.

^٣ صحيح البخاري ٨: ٩٧ كتاب الفتنة.

”والآخرة“، في: (أنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة) ليموّهوا على العامة
بأنّ الله غفر لها كلّ ذنب اقترفته، أدخلها جنّته، وزوجها حبيبه رسول

الله ﷺ، وإلاًّ من أين علِمَ عمّاراً بأنّها زوجته في الآخرة؟

وهذه هي آخر الحيل التي تفطن لها الوضاعون من الرواية في عهد بنى
أمّية، عندما يجدون حديثاً جرى على ألسنة النّاس فلا يمكنهم بعد نكرانه
ولا تكذيبه، فيعدموه إلى إضافة فقرة إليه أو كلمة أو تغيير بعض الفاظه؛
ليخفّفوا من حدّته أو يُفقدوه المعنى المخصوص له، كما فعلوا ذلك بحديث
”أنا مدينة العلم وعلى بابها“ الذي أضافوا إليه: وأبا بكر أساسها، وعمر
حيطانها، وعثمان سقفها!!

وقد لا يخفى ذلك على الباحثين المنصفين، فيبطلون تلك الزيادات التي
تدلّ في أغلب الأحيان على سخافة عقول الوضاعين، وبعدهم عن حكمة
ونور الأحاديث النبوية، فيلاحظون أن القول بأنّ أبا بكر أساسها، معناه أنّ
علم رسول الله ﷺ كله من علم أبي بكر، وهذا كفرٌ. كما أن القول بأنّ عمر
حيطانها، فمعناه بأنّ عمر يمنع الناس من الدخول للمدينة، أعني يمنعهم من
الوصول للعلم، والقول بأنّ عثمان سقفها، باطل بالضرورة؛ لأنّه ليس هناك
مدينة مسقوفة وهو مستحيل.

كما يلاحظون هنا بأنّ عمّاراً يقسم بالله على أنّ عائشة زوجة
النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، وهو رجم بالغيب، فمن أين لعمّار أن يقسم
على شيء يجهله؟ هل عنده آية من كتاب الله، أم هو عهد عهده إليه رسول

الله ﷺ؟

فيهـىـ الحـدـيـثـ الصـحـيـحـ هوـ إـنـ عـائـشـةـ قدـ سـارـتـ إـلـىـ الـبـصـرـةـ،ـ وـإـنـهاـ لـزـوـجـةـ
نـيـكـمـ،ـ وـلـكـنـ اللهـ اـبـتـلـاـكـمـ بـهـاـ لـيـعـلـمـ إـيـاهـ تـُطـيعـونـ أـمـ هـىـ.
وـالـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ عـلـىـ أـنـ جـعـلـ لـنـاـ عـقـولـاـ نـمـيـزـ بـهـاـ الـحـقـ مـنـ
الـبـاطـلـ،ـ وـأـوـضـحـ لـنـاـ السـبـيلـ،ـ ثـمـ اـبـتـلـاـنـاـ بـأـشـيـاءـ عـدـيـدـةـ لـتـكـوـنـ عـلـيـنـاـ حـجـةـ يـوـمـ
الـحـسـابـ.

خاتمة البحث

وـالـمـهـمـ فـيـ كـلـ مـاـ مـرـ بـنـاـ مـنـ الـأـبـحـاثـ -ـ وـإـنـ كـانـتـ مـخـتـصـرـةـ -ـ أـنـ عـائـشـةـ
بـنـتـ أـبـيـ بـكـرـ أـمـ الـمـؤـمـنـينـ وـزـوـجـةـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ،ـ لـمـ تـكـنـ مـعـدـودـةـ مـنـ أـهـلـ
الـبـيـتـ الـذـيـنـ أـذـهـبـ اللـهـ عـنـهـمـ الرـجـسـ وـطـهـرـهـمـ تـطـهـيرـاـ،ـ وـالـذـيـنـ عـصـمـهـمـ اللـهـ
مـنـ كـلـ الـذـنـوبـ،ـ وـطـهـرـهـمـ مـنـ كـلـ رـجـسـ،ـ فـأـصـبـحـوـاـ بـعـدـ ذـلـكـ مـعـصـومـينـ.
وـيـكـفـىـ عـائـشـةـ أـنـهـاـ قـضـتـ آـخـرـ أـيـامـ حـيـاتـهـاـ فـيـ بـكـاءـ وـنـحـيـبـ وـحـسـرـةـ
وـنـدـامـةـ،ـ تـذـكـرـ أـعـمـالـهـاـ فـتـفـيـضـ عـيـنـاهـاـ،ـ وـلـعـلـ اللـهـ سـبـحـانـهـ يـغـفـرـ لـهـاـ خـطاـيـاهـاـ،ـ
فـهـوـ وـحـدـهـ الـمـطـلـعـ عـلـىـ أـسـرـارـ عـبـادـهـ،ـ وـالـذـيـ يـعـلـمـ صـدـقـ نـوـايـاهـاـ،ـ وـيـعـلـمـ خـائـنـةـ
الـأـعـيـنـ وـمـاـ تـخـفـىـ الصـدـورـ،ـ فـلـاـ يـخـفـىـ عـلـىـ اللـهـ شـيـءـ فـيـ الـأـرـضـ وـلـاـ فـيـ
الـسـمـاءـ.

وـلـيـسـ لـنـاـ وـلـاـ لـأـيـ أـحـدـ مـنـ النـاسـ أـنـ يـحـكـمـ بـالـجـنـةـ أـوـ بـالـنـارـ عـلـىـ
مـخـلـوقـاتـهـ،ـ فـهـذـاـ تـكـلـفـ وـتـطـفـلـ عـلـىـ اللـهـ،ـ قـالـ تـعـالـىـ: ﴿لـهـ مـاـ فـيـ السـمـاـوـاتـ وـمـاـ
فـيـ الـأـرـضـ وـإـنـ تـبـدـوـاـ مـاـ فـيـ أـنـفـسـكـمـ أـوـ تـخـفـوـهـ يـحـاسـبـكـمـ بـهـ اللـهـ فـيـعـفـرـ لـمـنـ يـشـاءـ
وـيـعـذـبـ مـنـ يـشـاءـ وـالـلـهـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ قـدـيرـ﴾^١.

وبهذا لا يمكن لنا أن نترضى عليها ولا أن نلعنها، ولكن لنا أن لا نقتدي بها ولا نبارك أعمالها، ونتحدث بكل ذلك لتوضيح الحقيقة إلى الناس، عسى أن يهتدوا لطريق الحق.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: "لا تكونوا سبّاين ولا لعانيين، ولكن قولوا: كان من فعلهم كذا وكذا تكون أبلغ في الحجّة".^١

قول أهل الذكر بخصوص أهل البيت عليهما السلام

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو سيد العترة:

"تالله لقد علمتُ تبليغ الرسالات، وإتمام العدّات، وتمام الكلمات، وعندها أهلَ البيت أبوابُ الحكم وضياءُ الأمر".^٢

"أين الذين زعموا أنهم الرّاسخون في العلم دوننا، كذباً وبغيّاً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرّجهم، بما يستعطي الهدى، ويُستجلّى العمى، إنّ الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولادة من غيرهم".^٣

"نحنُ الشّعار والأصحابُ، والخزنة والأبوابُ، لا تؤثّر البيوتُ إلا من أبوابها، فمن أتاهما من غير أبوابها سمّي سارقاً، ثم يذكر أهل البيت فيقول: فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يُسبّقو".^٤

^١ نهج البلاغة: ٢٠٦، الخطبة: ٢٠٦، والمؤلف نقله بالمضمون.

^٢ نهج البلاغة: ١: ٢٣٣، الخطبة: ١٢٠.

^٣ المصدر نفسه: ٢٧، الخطبة: ١٤٤.

^٤ المصدر نفسه: ٤٤، الخطبة: ١٥٤.

"هُمْ يَعِيشُ الْعِلْمُ، وَمَوْتُ الْجَهَلُ، يُخْبِرُكُمْ حَلْمَهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَظَاهِرِهِمْ
عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حَكْمِ مَنْطَقِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الْحَقُّ لَا يُخْتَلِفُونَ فِيهِ،
هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ، وَوَلَائِجُ الاعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ فِي نَصَابِهِ، وَانْزَاحَ
الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلًا وَعِيَةً وَرِعَايَةً،
لَا عَقْلَ سَمَاعٌ وَرِوَايَةٌ، إِنَّ رِوَايَةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرِعَايَتُهُ قَلِيلٌ"^١.

"عَتْرَتُهُ خَيْرُ الْعَتَرِ، وَأَسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي
حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي كَرْمٍ، لَهَا فَرْوَعٌ طَوَالٌ، وَثَمَرَةٌ لَا تُنَالَ"^٢.

"نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبِيَّةِ، وَمَحْطَّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلِفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ،
وَيَنَابِيعُ الْحَكْمِ، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُنَا وَمِبغَضُنَا يَنْتَظِرُ
الْسُّطُوةِ"^٣.

"نَحْنُ النَّجَابَاءُ، وَأَفْرَاطُنَا أَفْرَاطُ الْأَنْبِيَاءِ، وَحَزَبُنَا حَزْبُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
وَالْفَئَةُ الْبَاغِيَةُ حَزْبُ الشَّيْطَانِ، وَمَنْ سُوَى بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوْنَا فَلَيْسَ مَنًا"^٤.

"فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ وَأَيْنَ تَؤْفِكُونَ؟ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ، وَالآيَاتُ وَاضْحَىَةٌ، وَالْمَنَارُ
مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ، بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُنَّ وَبَيْنَكُمْ عَتَرَةُ نَبِيِّكُمْ، وَهُمْ أَزْمَّةٌ
الْحَقِّ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ، وَأَلْسُنَةُ الصَّدِيقِ، فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ،
وَرَدُّوهُمْ وَرَوْدَ الْهَيْمِ الْعَطَاشِ.

^١ المصدر نفسه: ٢٣٢، الخطبة: ٢٣٩.

^٢ المصدر نفسه: ١٨٥، الخطبة: ٩٤.

^٣ المصدر نفسه: ٢١٥، الخطبة: ١٠٩.

^٤ بِشَارَةِ الْمُصْطَفَى: ٤٢٠، رقم ٢٨، الْبَحَار: ٢٣، يَنَابِيعُ الْمَوْدَةِ، لِلْحَنْفِي: ٢: ٣٧٦، تَارِيخ

مَدِينَةِ دَمْشِقِ لَابْنِ عَسَكِرٍ: ٤٥٩.

أيّها الناس خذوها من خاتم النّبيين ﷺ : إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ وَلَا يَسْبِقُ مَوْتَهُ^١ .
بَمِيتَ، وَيَبْلُى مَنْ بَلَى مَنْ وَلَا يَسْبِقُ مَوْتَهُ^٢ . فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ
الْحَقِّ فِيمَا تَنْكِرُونَ، وَاعْذُرُوا مَنْ لَا حُجَّةٌ لَكُمْ عَلَيْهِ - وَأَنَا هُوَ - أَلَمْ أَعْمَلْ
فِيكُمْ بِالثَّقْلِ الْأَكْبَرِ، وَأَتَرَكْ فِيكُمُ الثَّقْلَ الْأَصْغَرَ، وَرَكِزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ
الْإِيمَانِ؟!^٣ .

”أَنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَأَلْزَمُوهُ سَمْتَهُمْ، وَأَتَبْعُو أَشْرَهُمْ، فَلَنْ يَخْرُجُوكُمْ
مِّنْ هَدِيِّي، وَلَنْ يَعِدُوكُمْ فِي رَدِّي، فَإِنْ لَبَدُوكُمْ فَالْبَلْدُوكُوا، وَإِنْ نَهَضُوكُمْ فَانْهَضُوكُوا، وَلَا
تَسْبِقُوكُمْ فَتَضْلُلوَكُوا، وَلَا تَأْخُرُوكُمْ فَتَهْلِكُوكُوا“^٤ .

هذه أقوال الإمام على عَلَيْهِ السَّلَام بخصوص العترة الطاهرة الذين أذهب الله
عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً.

ولو تَبَّعْنَا أقوال الأئمة من بنية عَلَيْهِ السَّلَام، والذين خطوا في الناس، أمثال
الإمام الحسن، والإمام الحسين، وزين العابدين وجعفر الصادق، والإمام
الرضا عَلَيْهِ السَّلَام أجمعين، لوجدناهم يقولون نفس الكلام، ويرمون نفس المرمي،
ويرشدون الناس في كل عصر ومصر إلى كتاب الله وعترة الرسول ﷺ :
لينقذوهم من الضلال، ويدخلوهم في الهدایة.

أضعف إلى ذلك بأنّ التاريـخ خـير شـاهـد عـلـى عـصـمـة أـهـلـ الـبـيـتـ، فـلـمـ
يـسـجـلـ لـهـمـ إـلـاـ الـعـلـمـ، وـالـتـقـوـىـ، وـالـورـعـ، وـالـزـهـدـ، وـالـجـوـدـ، وـالـكـرـمـ، وـالـحـلـمـ،
وـالـمـغـفـرـةـ، وـكـلـ عـلـمـ يـحـبـهـ اللهـ وـرـسـوـلـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ .

^١ نهج البلاغة: ١٥٤، الخطبة: ٨٧

^٢ المصدر نفسه: ١٨٩، الخطبة: ٩٧

كما أنّ التاريخ خير شاهد على أنَّ الصالحين من هذه الأُمّة، والزَّهاد من رجال الصوفية، ومشايخ الطرق، وأئمة المذاهب، والمصلحين من العلماء القدامى، والمعاصرين كلَّ هؤلاء يُقرُّون بأفضليتهم، وتقدِّمهم علمًاً وعملاً، وأخصَّهم برسول الله ﷺ قرَبَى وشرفًا.

ولكلَّ هذا فلا ينبغي لمسلم أن يخلط أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس، وظهرُهم تطهيرًا، والذين أدخلهم الرسول معه تحت الكساء، بنسائِ النبي ﷺ والبيت.

ألا ترى أنَّ أئمة المحدثين أمثال مسلم، والبخاري، والترمذى، والإمام أحمد، والنمسائى، وغيرهم عندما يخرجون أحاديث الفضائل فى كتبهم وصحاحهم يفصلون فضائل أهل البيت عمن سواهم من نساء النبي؟! كما جاء في "صحيح مسلم" في باب فضائل علي بن أبي طالب قوله عن زيد بن أرقم: إنَّ رسول الله ﷺ قال: "ألا وإنِّي تاركٌ فيكم الثقلين: أحدهما كتابُ الله عز وجل هو حبلُ الله، من اتَّبعه كان على الهدى، ومن ترَكَه كان على ضلالٍ" ثم قال: "وأهل بيتي، أذْكُرْ كم الله في أهل بيتي، أذْكُرْ كم الله في أهل بيتي".

فقلنا: من أهل بيته نساؤه؟ قال: "لا، وأيمُ الله إنَّ المرأة تكونُ مع الرجل العصرُ من الدَّهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصلُه وعصبُهُ" .
الذين حرموا الصدقة بعدها^١.

كما جاءت شهادة البخاري ومسلم في أنَّ عائشة من آل أبي بكر

^١ صحيح مسلم ٧: ١٢٣، باب فضائل علي بن أبي طالب.

وليست من آل النبي، في حادثة نزول آية التيمم^١.

فلماذا هذا الإصرار من بعض المعاندين الذين يحاولون بكل ثمن إحياء الفتنة، وتقليل الحقائق التي لا شك فيها، فيسبّون الشيعة لا لشيء إلا لأنهم لا يعترفون لأئم المؤمنين بهذه الفضيلة؟! فلماذا لا يسبّون صاحبهم وعلماءهم الذين أخرجوا نساء النبي بأجمعهن من أهل البيت؟!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا﴾^٢.

^١ البخاري ١: ٨٦، كتاب التيمم، باب التيمم. ومسلم ١: ١٩١، كتاب التيمم، باب التيمم.

^٢ الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

الفصل الرابع

في ما يتعلّق بالصحابة عامة

إن كل الأحكام التشريعية والعقائد الإسلامية جاءتنا عن طريق الصحابة، فليس هناك أحد يدّعى أنه يعبد الله من خلال الكتاب والسنة إلا و كان الصحابة هم الواسطة لإيصال هذين المصدرين الأساسيين إلى كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وبما أن الصحابة اختلفوا بعد الرسول عليه السلام وتفرقوا، وتسابّوا وتلاعنوا، وقاتلوا حتى قتل بعضهم بعضاً^١، فلا يمكن والحال هذه أن نأخذَ عنهم الأحكام بدون نقاش ولا نقد ولا تمحيق ولا اعتراض، كما لا يمكن أن نحكم لهم أو عليهم بدون معرفة أحوالهم وقراءة تاريخهم، وما فعلوه في حياة النبي عليه السلام وبعد وفاته، ونمحض المُحقّ من المُبطل، والمؤمن من الفاسق، والمخلص من المنافق، ونعرف المنقلبين من الشّاكرين. وأهل السنة عامة، وبكل أسف لا يسمحون بذلك، ويعنون بكل شدة

^١ بل تعدّى الأمر إلى أكثر من ذلك ولم يقف عنده، فقد كفر بعضهم البعض، وهذا ما أقرّ به ابن تيمية الحراني إذ قال في مجموعة فتاويه الكبرى ٤: ٢٦٧: ”..وأما علي فأبغضه وسيبه أو كفره الخوارج وكثير منبني أمية وشيعتهم الذين قاتلوا وسيبوه... وأما شيعة علي الذين شارعوه بعد التحكيم وشيعة معاوية التي شارعته بعد التحكيم فكان بينهما من التقابل وتلاعن بعضهم وتکافر بعضهم ما كان..”.

نقد الصّحابة وتجريتهم، ويترضّون عليهم جميعاً، بل ويصلّون عليهم كما يصلّون على محمد وآل محمد، ولا يستثنون منهم أحداً.

والسؤال الذي يطرح على أهل السنة والجماعة هو: هل في نقد الصّحابة وتجريتهم خروج عن الإسلام أو مخالفة للكتاب والسنة؟

وإجابة على هذا السؤال لا بدّ لي من استعراض أعمال وأقوال بعض الصحابة في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، من خلال ما ذكره علماء أهل السنة في صحابهم ومسانيدهم وتواريختهم، مقتضاً عليهم دون ذكر أي كتاب من كتب الشيعة؛ لأنّ هؤلاء موقفهم من بعض الصّحابة معروف، ولا يتطلب مزيداً من التوضيح.

وحتى أرفع الالتباس لكي لا أترك للخصم حجة يحتاج بها علىّ، أقول: إنّه عندما نتكلّم في هذا الفصل عن الصّحابة فالقصد هو البعض منهم وليس جميعهم، وقد يكون هذا البعض أكثرية أو أقلّية، فهذا ما سنعرفه من خلال البحث إن شاء الله تعالى؛ لأنّ كثيراً من المشاغبين يتهموننا بأنّنا ضدّ الصّحابة! وأنّنا نشتم الصّحابة ونسبهم!! ليؤثروا بذلك على السّاعدين، ويعطوا بذلك الطريق على الباحثين.

في حين أنّنا ننفرّ عن سبّ الصّحابة وشتمهم، بل ونترضى على الصّحابة المخلصين الذين سماهم القرآن بـ(الشاكرين)، ونتبرأ من المنقلبين على الأعقاب الذين ارتدوا على أدبارهم بعد النبي ﷺ، وتسبّبوا في ضلالةأغلب المسلمين، وحتى هؤلاء لا نسبّهم ولا نشتمهم، وإنّما كلّ ما في الأمر أنّنا نكشف أفعالهم التي ذكرها المؤرّخون والمحدثون ليتجلّ الحقّ

للباحثين، وهذا ما لا يرتضيه إخواننا من أهل السنة، ويعتبرون ذلك سبباً وشتماً.

وإذا كان القرآن الكريم - وهو كلام الله الذي لا يستحي من الحق - هو الذي فتح لنا هذا الباب، وأعلمنا بأنّ من الصّحابة منافقين، ومنهم الفاسقين، ومنهم الظّالمين، ومنهم المكذّبين، ومنهم المشركين، ومنهم المنقلبين، ومنهم الذين يؤذون الله ورسوله.

وإذا كان رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ولا تأخذه في الله لومة لائم، هو الذي فتح لنا هذا الباب، وأعلمنا بأنّ من الصّحابة مرتدّين، ومنهم المارقين، والناكثين، والقاسطين، ومنهم من يدخل النار ولا تنفعه الصّحبة، بل تكون عليه حجّة قد تضاعف عذابه يوم لا ينفع مال ولا بنون. فكيف الحال هذه يشهد بها كتاب الله الحكيم، وسنة رسوله العظيم؟!! ومع ذلك يريد أهل السنة من المسلمين من التّكلّم والتّقاش في الصّحابة؛ لثلاّ ينكشف الحق، ويعرف المسلمون أولياء الله فيوالونهم، كما يعرفون أعداء الله ورسوله فيعادونهم.

كنت يوماً في العاصمة التونسية داخل مسجد عظيم من مساجدها، وبعد أداء فريضة الصّلاة جلس الإمامُ وسط حلقة من المصليّن، وببدأ درسه بالتنديد والتّكفير لأولئك الذين يشتمون أصحاب النبي ﷺ واسترسل في حديثه قائلاً:

إياكم من الذين يتكلّمون في أعراض الصّحابة بدعوى البحث العلمي والوصول لمعرفة الحق، فأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين،

إِنَّهُمْ يَرِيدُونَ تَشْكِيكَ النَّاسِ فِي دِينِهِمْ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا وَصَلَ بِكُمُ الْحَدِيثَ إِلَى أَصْحَابِي فَامْسِكُوهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ افْنَقْتُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًاً لَمَا بَلَغْتُمْ مَعْشَارَ مَعْشَارِ أَحَدِهِمْ".

وَقَاطَعَهُ أَحَدُ الْمُسْتَبْصِرِينَ كَانَ يَصْحِبُنِي قَائِلًا: هَذَا الْحَدِيثُ غَيرُ صَحِيحٍ، وَهُوَ مَكْذُوبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ!

وَثَارَتْ ثَائِرَةُ الْإِمَامِ وَبَعْضِ الْحَاضِرِينَ، وَالْتَّفَتُوا إِلَيْنَا مُنْكِرِينَ مُشْمِئِزِينَ، فَتَدَارَكَتُ الْمُوقَفَ مُتَلْطِفًا مَعَ الْإِمَامِ وَقَلَّتْ لَهُ: يَا سَيِّدِي الشَّيْخِ الْجَلِيلِ، مَا هُوَ ذَنْبُ الْمُسْلِمِ الَّذِي يَقْرَأُ فِي الْقُرْآنِ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِنَّمَا مَاتَ أَوْ قُتِلَ افْتَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^١؟

وَمَا هُوَ ذَنْبُ الْمُسْلِمِ الَّذِي يَقْرَأُ فِي "صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ"، وَفِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: "سَيُؤْخَذُ بِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى ذَاتِ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: إِلَى أَيْنَ؟ فَيَقُولُ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ، فَأَقُولُ: يَا رَبَّهُؤُلَاءِ أَصْحَابِيِّ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثْتُمْ مِنْ بَعْدِكِ، إِنَّهُمْ لَا يَزَالُوا مُرْتَدِينَ مِنْذُ فَارَقْتُهُمْ، فَأَقُولُ: سَاحِقًا سَاحِقًا لَمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي، وَلَا أَرَى يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمْلِ النَّعْمِ"^٢.

وَكَانَ الْجَمِيعُ يَسْتَمْعُونَ إِلَيَّ فِي صَمْتِ رَهِيبٍ، وَسَأْلَنِي بَعْضُهُمْ إِنْ كُنْتَ

^١ آل عمران: ١٤٤.

^٢ صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ ٧: ٢٠٩، كِتَابُ الرَّقَافِ، بَابُ الْحَوْضِ، وَكِتَابُ الْفَتْنَةِ، صَحِيحُ مُسْلِمٍ ٧: ٦٦، كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ.

واثقاً من وجود هذا الحديث في "صحيح البخاري"؟ وأجبتهم: نعم كوثوبي
بأن الله واحد لا شريك له، ومحمد عبده ورسوله.

ولمَا عرف الإمام تأثيري في الحاضرين من خلال حفظي للأحاديث
التي رويتها، قال في هدوء: نحن قرأتنا على مشايخنا رحمة الله تعالى بأنَّ
الفتنة نائمة، فلعن الله من أيقظها.

فقلت: يا سيدي الفتنة عمرها ما نامتْ، ولكنَّا نحنُ النائمون، والذي
يستيقظ مِنْا ويفتح عينيه ليعرف الحقَّ تتهمنَه بأنَّه أيقظ الفتنة!! وعلى كلِّ
حال فإنَّ المسلمين مطالبون باتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لا بما
يقوله مشايخنا الذين يتربضُون على معاوية ويزيد وابن العاص.
وقاطعني الإمام قائلاً: وهل أنتَ لا تترضى عن سيدنا معاوية رضي
الله عنه وأرضاه، كاتب الوحي؟

قلت: هذا موضوع يطول شرحه، وإذا أردتَ معرفة رأيي في ذلك، فأنا
أهديك كتابي "ثم اهتديت" لعلَّه يوقظك من نومك، ويفتح عينيك على
بعض الحقائق.

وتقبل الإمام كلامي وهدىٰ بي بشيء من التردد، ولكنه وبعد شهر واحد
كتب إلى رسالة لطيفة يحمد الله فيها أن هداه إلى صراطه المستقيم، وأظهر
ولاً وتعلقاً بأهل البيت علية السلام، وطلبت منه نشر رسالته في الطبعة الثالثة لما
فيها من معاني الود وصفاء الروح التي متى ما عرفتُ الحقَّ تعلقتُ به، وهي
تعبر عن حقيقة أكثر أهل السنة الذين يميلون إلى الحقَّ بمجرد رفع الستار.
ولكنَّه طلب مني كتم رسالته وعدم نشرها؛ لأنَّه لا بدَّ له من الوقت

الكافى حتّى يُقنع المجموعة التى تصلّى خلفه، وهو يجّبّذ أن تكون دعوته سلمية بدون هرج ومرج حسب تعبيره.

ونعود إلى موضوع الكلام في الصحابة، لنكشف عن الحقيقة المُرّة التي سجلّها القرآن الحكيم، والسنّة النبوية الشريفة.

ولنبدأ بكلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو الحكم العدل، وهو القول الفصل، قال تعالى في بعض الصحابة:

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَتَعْذِبُهُمْ مَرَيْئِنْ﴾

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^١.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمُّوا بِمَا

لَمْ يَنْأُلُوا﴾^٢.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصْدِقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ *

فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخْلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نَفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^٣.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنَفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^٤.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ

^١ التوبة: ١٠١.

^٢ التوبة: ٧٤.

^٣ التوبة: ٧٥ - ٧٧.

^٤ التوبة: ٩٧.

مَرْضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١﴾ .

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهُدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ
وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَاحًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ
سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
يَفْقَهُونَ ﴿٢﴾ .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
يُرِيدُونَ أَنْ يَعْلَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضَلِّلَهُمْ
ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قَيْلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ
يَصْدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ
يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٣﴾ .

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى
يُرَاوِونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا فَلِيَلَا ﴿٤﴾ .

وَإِذَا رَأَيْتُهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَانُوهُمْ خُثْبٌ مُسَنَّدٌ
يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُونَ ﴿٥﴾ .
قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوَّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْمَ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا
فَلِيَلَا * أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي

^١ البقرة: ٨ - ١٠.

^٢ المنافقون: ١ - ٣.

^٣ النساء: ٦٠ - ٦٢.

^٤ النساء: ١٤٢.

^٥ المنافقون: ٤.

يُعشَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّنَةِ حَدَادَ أَشَحَّةَ عَلَىٰ

الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا^١.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ

مَاذَا قَالَ أَنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ^٢.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ

لَأَرِيَنَاكُمْ فَلَمَرْفَعُهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ^٣.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْتَنَا أُمُوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا

يَقُولُونَ بِالسَّتَّهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ...^٤.

فهذه الآيات البينات من كتاب الله المجيد، وما بيته من نفاق البعض منهم الذين اندسوا في صفوف الصحابة المخلصين، حتى غابت حقيقتهم عن صاحب الرسالة نفسه لولا وحي الله.

ولكن لنا دائمًا من أهل السنة اعتراض على هذا، فهم يقولون: ما لنا والمنافقين لعنهم الله، والصحابة ليسوا من هؤلاء! أو إن هؤلاء المنافقين ليسوا من الصحابة!! وإذا ما سألتهم من هؤلاء المنافقين الذين نزلت فيهم أكثر من مائة وخمسين آية في سورة التوبة والمنافقون وغيرهما؟ فسيجيبون: هو عبد الله بن أبي، بن أبي سلول والجد بن القيس، وبعد هذين الرجلين لا يجدون اسمًا آخر!

^١ الأحزاب: ١٨ - ١٩.

^٢ محمد: ١٦.

^٣ محمد: ٢٩ - ٣٠.

^٤ الفتح: ١١.

سبحانه الله! فإذا كان النبي ﷺ هو نفسه لا يعرف الكثير منهم، فكيف يُحصر النّفاق بابن أبي والجد بن القيس المعلومين لدى عامة المسلمين؟
وإذا كان رسول الله ﷺ علم ببعضهم، وعلم أسماءهم إلى حذيفة بن اليمان - كما تقولون - وأمره بكتمان أمرهم حتى إنَّ عمر بن الخطاب أيام خلافته كان يسأل حذيفة عن نفسه، هل هو من أهل النّفاق؟ وهل أخبر النبي باسمه؟ كما تروون ذلك في كتبكم ^١.

وإذا كان رسول الله ﷺ قد أعطى للمنافقين عالمةً يُعرفون بها، وهي

^١ إحياء علوم الدين للغزالى ١: ١١٤ كتاب العلم، ويشهد له - أيضاً - أنَّ أم سلمة رضوان الله عليها كانت تحدّث بحديث النبي ﷺ إنَّ من أصحابي من لا يراني بعد موتي أن أفارقه..، فلما سمع عمر بالحديث انطلق لأم سلمة قائلاً: بالله منهم أنا، فقالت: لا، ولا أبرئ أحداً بعدك.

مجمع الزوائد ٩: ٧٢ وصحح سنده، مسنن أحمد ٦: ٢٩٠.
قال العلامة المقبلي في معرض كلامه عن الصحابة والأفعال السيئة التي صدرت من بعضهم: إنَّها أغلبية لا عامة وإنَّه يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من الغلط والنسيان والسلو، بل والهوى! ويؤيدون رأيهم بأنَّ الصحابة إنْ هم إلا بشر يقع منهم ما يقع من غيرهم، وممَّا يرجع إلى الطبيعة البشرية... ويعززون حكمهم بمن كان منهم في عهده - صلوات الله عليه - من المنافقين والكافار، وبأنَّ كثيراً منهم قد ارتدوا عن دينهم بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.

بله ما وقع منهم من الحروب والفتن التي أهلكت الحرج والنسل ولا تزال آثارها، ولن تزال إلى اليوم وما بعد اليوم، وكأنَّ رسول الله - صلوات الله عليه - قد رأى بعينيه بصيرته النافذة ما سيقع من أصحابه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فقال في حجة الوداع: "لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" العلم الشامخ: ٩٢.

بغض علي بن أبي طالب عليه السلام ، كما تروون ذلك في صحاحكم^١ ، فما أكثر هؤلاء من الصحابة الذين ترثون عنهم وتضعونهم في القمة، وقد وصل بهم البغض لعلى أن حاربوه وقتلوه، ولعنوه حيّاً وميتاً هو وأهل بيته ومُحبّيه، وكل هؤلاء من خيار الصحابة عندكم.

واقتضت حكمة الرسول عليه السلام أن يعلم حذيفة أسماءهم تارةً، ويعطي للمسلمين علامتهم تارة أخرى، ليقيم على الناس الحجّة، فلا يقولوا بعدها: إنا كنّا عن هذا غافلين.

ولا عبرة بما يقوله أهل السنة اليوم: نحن نحب الإمام علي رضي الله عنه وكرّم الله وجهه، فنقول لهم: إنّه لا يجتمع في قلب مؤمن حبّ ولی الله وحبّ عدوّه! وقد قال الإمام علي نفسه: "ليس منا من سوّى بيتنا وبين أعدائنا" ^٢.

ثم إن القرآن الكريم عندما تكلّم عن الصحابة، تكلّم عنهم بعدة أوصاف وعلامات ثابتة، وإذا استثنينا منهم الصحابة المخلصين الشاكرين، فإن البقية الباقية منهم وصفهم الذكر الحكيم بأنّهم: فاسقون، أو خائنون، أو متخاذلون، أو ناكثون، أو منقلبون، أو شاكّون في الله وفي رسوله، أو فارّون من الزحف، أو معاندون للحقّ، أو عاصون أوامر الله ورسوله، أو مثبطون غيرهم عن

^١ صحيح مسلم ١: ٦١، فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب، مسنّد أحمد ١: ٩٥ وصرّح محقق الكتاب العلامة أحمد شاكر بصحته، سنن الترمذى ٥: ٣٠٦، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٣٧ ح ٨٤٨٧، مسنّد أبي يعلى ١: ٢٥١ وقد مرّ تخرّيجه سابقاً.

^٢ بشارة المصطفى: ٤ ح ٢٠٤، البخاري ٢٣: ١٠٦.

الجهاد، أو منفّضون إلى الله و التجارة و تاركون الصلاة، أو قاتلون ما لا يفعلون، أو ممنون على رسول الله إسلامهم، أو قاسية قلوبهم فلم تخشع لذكر الله وما نزل من الحق، أو رافعون أصواتهم فوق صوت النبي، أو مؤذون لرسول الله، أو سماعون للمنافقين !!

ولنكتف بهذا القدر اليسير؛ لأن هناك آيات كثيرة لم نذكرها روماً للاختصار، ولكن لتعيم الفائدة لا بد من ذكر بعض الآيات التي جاءت في ذم الصحابة الذين اتصفوا بتلك الصفات، ولكنهم بفضل السياسة أصبحوا بعد رسول الله ﷺ، وبعد انقطاع الوحي كلهم عدول أبصعين أجمعين، ولا يمكن لأحد من المسلمين أن يتكلّم في حقّهم بشيء من النقد والتجريح !!

القرآن الكريم يكشف حقائق بعض الصحابة

وحتى لا يتوهّم معاندٌ في آيات المنافقين، ويحاول فصلهم عن الصحابة، كما يقول بذلك أهل السنة، فقد تعمّدنا سرد الآيات التي تخص المؤمنين. فقد جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَابْلَمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنفَرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^١.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَهُ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ

لَوْمَةَ لِأَئِمَّةِ ذَلِكَ فَضْلِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ^١.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتَكُمْ وَإِنْتُمْ تَعْلَمُونَ *﴾

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ^٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَبِحُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِسِّنُكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ

اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا

مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَقَابِ^٣.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ

أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظَاهَرُونَ بِاللَّهِ الظُّلُمُونَ *

هُنَالِكَ أَبْنَىَ الْمُؤْمِنُونَ وَزَلَّلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمَنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي

قُلُوبُهُمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا^٤.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَكُونُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَفْتَاحًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونُوا

مَا لَا تَفْعَلُونَ^٥.

﴿أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ^٦.

﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُونَا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بِلْ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ

^١ المائدة: ٥٤.

^٢ الأنفال: ٢٧ - ٢٨.

^٣ الأنفال: ٢٤ - ٢٥.

^٤ الأحزاب: ٩ - ١٢.

^٥ الصاف: ٢ - ٣.

^٦ الحديده: ١٦.

هذا كم للإيمان إن كتم صادقين ﴿١﴾ .

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْرَوْكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ﴾

اَفْتَرَتُمُوهَا وَتَجَارَةً تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنَ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَجَهَادٌ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢﴾ .

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ أَمَّنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانَ فِي﴾

﴿قُلُوبِكُمْ﴾ ﴿٣﴾ .

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابُتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي﴾

﴿رَبِّيهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ ﴿٤﴾ .

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيْكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضُعْعَا خَلَالَكُمْ يَبْعُونَكُمُ الْفَتْنَةَ وَفِيكُمْ﴾

﴿سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥﴾ .

﴿فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا
يَفْقَهُونَ ﴿٦﴾ .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَمْ حَسِبَ

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتُمُهُمْ

١ الحجرات: ١٧.

٢ التوبة: ٢٤.

٣ الحجرات: ١٤.

٤ التوبة: ٤٥.

٥ التوبة: ٤٧.

٦ التوبة: ٨١.

بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرَفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿١﴾ .

﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَانَّا مَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ .

﴿هَا أَنْتُمْ هَوْلَاءُ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلُ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلُّوْا يَسْتَبْدِلُ فَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُونَا أَمْثَالَكُمْ﴾ .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أَعْطُوهُمْ مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوهُمْ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَتَبَعُوهُ أَهْوَاءَهُمْ﴾ .

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ النَّبِيَّ وَيَأْذُنُونَ هُوَ أَذْنٌ قُلْ أَذْنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

إن هذا القدر من الآيات البينات كاف لإقناع الباحثين بأن الصحابة

ينقسمون إلى قسمين اثنين:

١ - قسم آمن بالله وبرسوله ﷺ، وأسلم أمره وقيادته لهم، فأطاع الله

^١ محمد: ٣٠.

^٢ الأنفال: ٦.

^٣ محمد: ٣٨.

^٤ التوبة: ٥٨.

^٥ محمد: ١٦.

^٦ التوبة: ٦١.

ورسوله ﷺ، وتفاني في حبّهما، وضحيّ في سبيلها، وكان من الفائزين،
وهو لاءٌ يمثلون الأقلية وقد سماهم القرآن: ﴿الشَّاكِرِينَ﴾.

٢ - قسمٌ آمن بالله وبرسوله ﷺ ظاهرياً ولكن قلبه فيه مرض، فلم يسلم
أمره إلا لمصلحته الشخصية ومنافعه الدنيوية، فهو يعارض الرسول ﷺ في
أحكامه وأوامره، ويقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ، فكان من الخاسرين،
وهو لاءٌ يمثلون الأكثريّة، وقد عبر عنهم القرآن بأوْجَزْ تعبير، إذ يقول عزّ
وجل: ﴿لَقَدْ جَنَاحُكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكُنَّ أَنْفَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^١.

فالباحث يكتشف أنَّ هؤلاء (الأكثريّة) كانوا في حياة النبي ﷺ يعيشون
معه، ويصلُّون خلفه، ويصحبونه في حلّه وترحاله، ويقتربون إليه بكلٍّ وسيلة
لثلاّ ينكشف أمرهم للمؤمنين المخلصين، ويحاولون جهدهم أن يظهروا
بمظهر يغبطهم عليه المؤمنون؛ لكثرت تعبدُهم وورعهم في أعين الناس^٢.

إذا كان هذا حالهم في حياة النبي ﷺ، فكيف أصبحوا بعد وفاته؟
لا شكّ بأنَّهم نشطوا وتکاثروا، وازدادت تسُرُّهم وتمثيلهم، فلم يعد هناك نبيٌّ
يعرفهم، ولا وحيٌ يفضحُهم، وخصوصاً وقد ظهرت بموته ﷺ بودر

^١ الزخرف: ٧٨.

^٢ أخرج أبو يعلى في مسنده ١: ٩٠، وابن حجر في إصابته ٢: ٣٤١ في ترجمة ذي الثدية عن
أنس بن مالك، قال: كان في عهد رسول الله رجلٌ يعجبنا تعبده واجتهاده، وقد ذكرنا ذلك
لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرّفه، فوصفناه بصفته فلم يعرّفه، فبينما نحن نذكره إذ طلع
الرجلُ، قلنا: هو ذا! قال رسول الله: إنكم تخبروني عن رجلٍ إنَّ في وجهه لسعفةٌ من الشيطان،
إنَّ هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من
الرميَّة، أقتلُوهُمْ فهم شرُّ البريَّة. (المؤلف).

الشقاق والافتراء من أهل المدينة الذين مردوا على النفاق، وكذلك ارتداد العرب في شبه الجزيرة الذين هم أشد كفراً ونفاقاً، ومنهم من ادعى النبوة كمسيلمة الكذاب، وطليحة، وسجاح بنت الحارث وأتباعهم، وكل هؤلاء كانوا من الصحابة^١.

^١ طليحة بن خويف، اتفق المترجمون للصحابه على أنه صحيبي أسلم سنة تسع للهجرة، ثم ارتد، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١: ٣١٦. طليحة بن خويف ابن نوفل الأسدي البطل الكرار صاحب رسول الله ﷺ. أسلم سنة تسع ثم ارتد وظلم نفسه، وتباً بتجدد، وتمت له حروب مع المسلمين ثم انهزم وخذل ولحق بالجفنة الغسانيين بالشام ثم ارجعوه وأسلم.. وأحرم بالحج فلما رأه عمر قال: يا طليحة لا أحبك بعد قتلك عكاشه بن ممحض وثبت بن أقزم..، وراجع أيضاً أسد الغابة ٣: ٩٥، العبر ١: ٢٦، الإصابة ٥: ٢٤٣ وغيرها.

فهذا صحابي ارتد بعد النبي ﷺ وتباً، وقتل الصحابة منهم عكاشه وثبت، حتى إن عمر بن الخطاب يكره رؤيته لفعله الشنيع، وعلى ذلك هناك سؤالان لصاحب كتاب "كشف الجاني" وغيره وهما:

- ١- إنكم تدعون بأنه لم يرتد صحابي بعد وفاة النبي ﷺ عقب ذكركم لحديث الحوض، فهل هذا الشخص من الصحابة أم أنه لم يرتد؟!
- ٢- تقولون بأن الصحابة عدول وقد رضي الله عنهم جميعاً، ثم تقولون: بأن رضي الله لا يتعقبه سخط، فلا يمكن أن يرضى الله عن الصحابة - مثلا - ثم يغضب عليهم، فهنا نسأل: هل هذا الصحابي - وهو طليحة - حينما ارتد وتباً وقتل بعض الصحابة، هل أن الله كان راضياً عنه لأنه صحابي، أم أنه كان غاضباً عليه لأفعاله الشنيعة؟!

وأما سجاح بنت الحارث، فقد عدها ابن حجر في الإصابة ٨: ١٩٨ من الصحابة، وهي أيضاً ارتدت وتباً. وبهذا يبطل كلام صاحب "كشف الجاني": ١٣٣ في نفيه لصحبتها وتكذيب المؤلف، دفعاً للحججة باللغو والكلام بغير علم، وتقليداً لمنهج ابن تيمية الذي ينكر الواقع الصحيحه الثابتة نصرة لبني أمية وأعداء آل محمد ﷺ.

وإذا ترَكنا كلّ هؤلاء، واعتمدنا فقط على سُكّان المدينة من صحابة رسول الله ﷺ، فإنّا نجزم بأنّ هؤلاء - أيضاً - ظهرتْ فيهم حسيكة النفاق، و حتّى المؤمنين منهم أغلبهم انقلب على عقبه من أجل الخلافة.

وقد عرفنا فيما سبق من أبحاث أنّهم تآمروا على رسول الله ﷺ وعلى وصيّه، وعصوا رسول الله ﷺ في أوامره التي أمرهم بها وهو على فراش الموت.

وهذه الحقيقة لا مفرّ منها للباحثين عن الحق؛ إذ يصطدمون بها عند قراءة كتب التاريخ والسيرة النبوية، وقد سجلّها كتاب الله سبحانه بأجل العبارات، وأحکم الآيات بقوله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ فَدُولَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتُلَ انْقَلَبُتْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^١.

فالشاّكرون هم الأقلية من الصحابة الذين لم ينقلبوا، وثبتوا على العهد الذي أبرموه مع رسول الله ﷺ ولم يبدّلوا تبديلاً.

وبهذه الآية الكريمة ومدلولها المحكم تسقط دعوى أهل السنة: بأنّ الصحابة لا علاقة لهم بالمنافقين!!

ولو سلّمنا لهم جدلاً بذلك، فإنّ هذه الآية الكريمة خاطبت الصحابة

ويوجه السؤالين السابقين هنا - أيضاً - إلى عثمان الخميس وغيره لمعرفة موقفهم من هذين الصحابيين؟!.

^١ آل عمران: ١٤٤.

المخلصين الذين لم يكونوا منافقين في حياة النبي ﷺ، وإنما انقلبوا على
أعقابهم بعد وفاته مباشرة.

وسوف يتضح أمر هؤلاء إذا ما بحثنا أحوالهم في حياة النبي ﷺ وبعد
وفاته، وما قاله فيهم رسول الله ﷺ، وطفحت به كتب الحديث والسيرة
وال تاريخ.

السنة النبوية تكشف حقائق بعض الصحابة
وحتى لا يتوهّم معاندٌ في الأحاديث النبوية التي تناولت الصحابة،
ويحاول الطعن فيها أو تضييقها، فقد اعتمدنا فقط أحاديث البخاري، والذي
هو أصح الكتب عند أهل السنة، ورغم أن البخاري كتم الكثير من هذه
الأحاديث حفاظاً على كرامة الصحابة، كما هو معروف عنه، ولأن غيره من
صحاب أهل السنة أخرج أضعافها وبعارات أكثر وضوهاً، إلا أننا نكتفى
بهذا الموجز الذي أخرجه البخاري لتكون حجّتنا أبلغ.

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الأول في باب خوف المؤمن:
من أن يحيط عمله وهو لا يشعر من كتاب الإيمان:

قال إبراهيم التيمي: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون
مكذبًا، وقال ابن أبي مليكة: أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم
يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل
وميكائيل... (صحيح البخاري: ١: ١٧).

وإذا كان ابن أبي مليكة أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم
يخاف النفاق على نفسه، ولا يدعى الإيمان الصحيح لنفسه، فما بال أهل

السنة يرعنهم إلى منزلة الأنبياء، ولا يقبلون النقد في أيٍ واحد منهم؟!
وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب الجاسوس
والتجسس من كتاب الجهاد والسير:

أنّ حاطب بن أبي بلترة، وهو من صحابة النبي ﷺ، بعث إلى المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، وقد جيء بكتابه إلى النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا يا حاطب؟ فاعتذر للنبي ﷺ بأنّه يريد حماية قرابته في مكة، وصدقه رسول الله ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضربُ عنقَ هذا المنافق! قال: إِنَّه شهد بِدْرًا، وما يدريك لعلّ الله أن يكن قد اطّلَعَ على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم.. (صحيح البخاري: ٤: ١٩).

وإذا كان حاطب، وهو من الرّعيل الأوّل من الصحابة الذين شهدوا بدرًا يبعث بأسرار النبي ﷺ إلى أعدائه من مشركي مكة، ويخون الله ورسوله ﷺ بعد حماية قرابته، ويشهد عمر بن الخطاب نفسه على نفاقه، فكيف بالصحابة الذين أسلموا بعد الفتح أو بعد خير أو بعد حنين؟! وكيف بالطلقاء الذين استسلموا ولم يسلمو؟!

أمّا ما جاء في الفقرة الأخيرة من القول المنسوب للنبي ﷺ بأنّ الله قال لأهل بدر: "اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم". فترك التعليق عليه للقارئ الليّب.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه السادس في باب قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الفاسقين》 من كتاب فضائل القرآن سورة المنافقين:

أن رجلاً من المهاجرين كسر رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاريُّ: يا للأنصار، وقال المهاجرىُّ: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: "ما بال دعوى أهل الجاهلية؟" قالوا: يا رسول الله كسر رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: "دعوها فإنها مُستنةٌ"، فسمع بذلك عبد الله بن أبيٍّ فقال: فعلوها! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلُّ، بلغ النبي ﷺ، فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنقَ هذا المنافق! فقال النبي ﷺ: "دُعْهُ لا يتحدث الناس أنَّ محمداً يقتلُ أصحابه".

(صحيح البخاري: ٦٥).

وهذا الحديث صريح في أنَّ المنافقين كانوا من الصحابة، فقد أقرَّ رسول الله قول عمر بأنه منافق، ولكن منعه من قتله حتى لا يُقال بأنَّ محمداً يقتل أصحابه، ولعلَّ الرسول كان يعلم بأنَّ أكثر أصحابه منافقون، وإذا ما قتل كل المنافقين لم يبق من أصحابه عددٌ كثير، فأين أهل السنة من هذه الحقيقة المؤلمة التي تدحض مزاعمهم.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزءه الثالث في باب حديث الإفك من كتاب الشهادات:

أنَّ رسول الله ﷺ قال: "من يعذرني من رجل بلغني أذاهُ في أهلي؟" فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه، إنَّ كان من الأوس ضربنا عنقه، وإنَّ كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن

احتملته الحمّيّة، فقال: كذبَتْ لعمر الله لا تقتلنّه ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن الحضير فقال: كذبَتْ لعمر الله، والله لنقتلنّه فإنّك منافقٌ تجادلُ عن المنافقين، فشار العيّان الأوس والخررج حتّى همّوا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ على المنبر، فلم يزل يخوضهم حتّى سكتوا وسكت... (صحيح البخاري ١٥٦ و كذلك ٨:٦).

وإذا كان سعد بن عبادة سيد الأنصار يتهم بالنفاق بعدما كان رجلاً صالحاً كما تشهد بذلك الرواية، ويقال عنه "منافق" بحضور النبي ﷺ فلا يدافع عنه، وإذا كان الأنصار الذين امتدحهم الله في كتابه يشورون جميعاً بأوسمهم وخزرجهم، ويهمّوا بالاقتتال من أجل منافق آذى النبي ﷺ في أهله، فيدافعون عنه ويرفعون أصواتهم بحضور النبي ﷺ، فكيف يستغرب النفاق من غيرهم الذين كرسوا حياتهم في محاربة النبي ﷺ ودعوته، أو من الذين همّوا بحرق دار ابنته بعد وفاته من أجل الخلافة؟؟!!

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثامن من كتاب التوحيد في باب قول الله تعالى: ﴿تَرْجُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾^١.

أنّ علي بن أبي طالب بعث وهو باليمين إلى النبي ﷺ بقطع من الذهب، فقسّمه رسول الله ﷺ على بعض الناس، فتضيّبت قريش والأنصار، فقالوا: يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا؟ قال النبي ﷺ: "إنماأتائفهم"، فأقبل رجلٌ فقال: يا محمد اتق الله! فقال النبي ﷺ: " فمن يطع الله إذا عصيته؟ فیأمنی على أهل الأرض ولا تأمنوني"؟

^١ المراج: ٤.

فسائل خالد بن الوليد قتله، فمنعه النبي ﷺ من ذلك، فلما ولى قال النبي ﷺ: "إن من ضئضئي هذا قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروقاً السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأواثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد". (صحيح البخاري ٨: ١٧٨). وهذا منافق آخر من الصحابة يتهم رسول الله ﷺ بالحيف في القسمة، ويواجه النبي ﷺ في غير أدب بقوله: "يا محمد أتق الله!!" ورغم معرفة النبي ﷺ لنفاقه، وأنه يخرج من ضئضئه قوم يمرقون من الإسلام مروقاً السهم من الرمية، فيقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأواثان، ورغم ذلك كله من النبي خالد من قته.

وفي هذا جواب لأهل السنة الذين كانوا كثيراً ما يتحجّرون على بقولهم: لو كان رسول الله يعلم أن من أصحابه منافقين سيُكونون سبباً في ضلال المسلمين، لوجب عليه قتلهم لحماية أمته وحماية دينه!! وأخرج البخاري في صحيحه من جزءه الثالث في باب إذا أشار الإمام بالصلح من كتاب الصلح:

أن الزبير كان يحدّث أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدراً إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرّة كانا يسقيان به كلامهما، فقال رسول الله ﷺ للزبير: اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك، فغضب الأنصار فقال: يا رسول الله إن كان ابن عمّتك؟ فتلّوّن وجه رسول الله ﷺ. ثم قال: "اسق ثم أحبس حتى يبلغ الجدر..." (صحيح البخاري ٣: ١٧١).

وهذا نمط آخر من الصحابة المنافقين الذين يعتقدون بأن رسول

الله ﷺ تأخذه العاطفة فيميل مع ابن عمّته، ويقولها بكلّ وقاحة حتى يتغيّر وجه رسول الله ويتلوّن من شدّة الغضب.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب ما كان النبي ﷺ يعطى المؤلّفة قلوبهم من كتاب الجهاد والسير: عن عبد الله قال: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثراهم يومئذ في القسمة، فقال رجلٌ: والله إنّ هذه القسمة ما عُدلت فيها وما أُريدَ بها وجه الله، فقلتُ: والله لا أخْبَرُ النَّبِيَّ ﷺ، فأتيته فأخْبَرْتُه، فقال: " فمن يعدل إذا لم يعدل اللهُ ورسولُه؟" رحم اللهُ موسى قد أُوذى بأكثر من هذا فصبر" (صحيح البخاري ٤: ٦١).

وهذا منافق آخر من صحابة رسول الله ﷺ ولعله من عظماء قريش، ولذلك تحاشى الراوي ذكر اسمه خوفاً من الجهاز الحاكم في ذلك الوقت، وترى هذا المنافق يعتقد جزماً ويُقسم على ذلك بأنّ محمداً ما كان عادلاً ولا أراد بقسمته وجه الله، ورحم الله محمدًا فقد أُوذى بأكثر من هذا فصبر.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب علامات النبوة في الإسلام من كتاب بدء الخلق:

إنّ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً، إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجلٌ من بنى تميم، فقال: يا رسول الله أعدل! فقال: "وليك ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبتَ وخسرتَ إن لم أكن أعدل"، فقال عمر: يا رسول الله إئذن لي فيه فأصرب عنقه، فقال: "دعه فإنه

له أصحاباً يحرّر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرّقون من الدين كما يمرّق السهم من الرمية...
صحيح البخاري ٤: ١٧٩.

وهذا نمط آخر من الصحابة المنافقين الذين كانوا يظهرون أمام الناس بمزيد من التقوى والخشوع، حتى إن النبي ﷺ قال لعمر: إن أحدكم يحرّر صلاته وصيامه مع صلاتهم وصيامهم، ولا شك أنهم كانوا يحفظون القرآن حفظاً متراكماً ولكن لا يتجاوز حناجرهم، وقول الرسول ﷺ: "دُعْهُ فِإِنْ" له أصحاباً يدل على وجود المنافقين بأعداد كبيرة ضمن الصحابة.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه السابع في باب من لم يواجه الناس بالعتاب من كتاب الأدب:

قالت عائشة: صنع رسول الله ﷺ شيئاً فرخّص فيه فتنزّه عنه قوم،
بلغ ذلك النبي ﷺ، فخطب فحمد الله ثم قال: "ما بال أقوام يتنزّهون عن
الشي أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية". (صحيح البخاري
٧: ٩٦).

وهذا نوع آخر من الصحابة الذين يتنزّهون عن سنة النبي ﷺ، ولا
شك أنهم كانوا يسخرون من أفعاله، ولذلك نراه ﷺ يخطب فيهم، ويقسم
بالله أنه لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب الاشتراك في
الهدي والبدن من كتاب المظالم:

عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ صُبح رابعة من ذي الحجّة مهليّن

بالحج لا يخلطهم شيء، فلما قدمنا أمرنا فجعلناها عمرة وأن نحل إلى نسائنا، ففشت في ذلك الفالة، قال عطاء: قال جابر: فيروح أحدنا إلى مني وذكرة يقطر مني، فقال جابر بكفه، بلع ذلك النبي ﷺ، فقام خطيباً فقال: "بلغني أن أقاماً يقولون كذا وكذا، والله لأننا أبر وأتقى لله منهم..." (صحيح البخاري ٣: ١١٤).

وهذا نمط آخر من الصحابة الذين يعصون أوامر رسول الله في الأحكام الشرعية، وقول الرسول ﷺ: "بلغني أن أقاماً يقولون كذا وكذا" يدل على أن الكثير منهم رفضوا أن يتحلّلوا لنسائهم؛ بدعوى أنّهم يتنزّهون أن يروحوا إلى مني وذكرانهم تقطر مثيا!! وغاب عن هؤلاء الجهلة أن الله أوجب عليهم الغسل والطهارة بعد كل عملية جنسية، فكيف يروحون إلى مني والمني يقطر من ذكورهم؟ وهل هم أعلم بأحكام الله من رسول الله نفسه؟ أم هم أبر وأتقى لله منه؟

ولا شك أن زواج المتعة، أو (متعة النساء) وقمع تحريمها بعد الرسول ﷺ من طرف عمر من هذا القبيل، فإذا كانوا في حياة النبي ﷺ يرفضون أوامر بنكاح نسائهم أيام الحج، فلا يستغرب منهم أن يمنعوا نكاح المتعة بعد وفاته، تنزيهاً منهم لأنفسهم عمما كان يأمر به النبي ﷺ، ويعتبرون نكاح المتعة من قبيل الزنا، كما يقول اليوم أهل السنة بهذه المقالة !!

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم من كتاب الجهاد والسير:

عن أنس بن مالك: إن رسول الله حين أفاء الله عليه من أموال هوازن

فأعطى رجالاً من قريش، فقال الأنصار: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً
ويدعنا وسيوفنا تقطّر من دمائهم!

فجمعهم رسول الله ﷺ في قبة، ولم يدع معهم أحداً غيرهم وقال لهم:
”ما كان حديثُ بلغني عنكم؟“ ولما أعادوا عليه مقالتهم، قال: ”إني أعطى
رجالاً حديثُ عهدهم بـكفر، أما ترضون أن يذهب الناسُ بالأموال
وترجعون إلى رحالكم بـرسول الله، فوالله ما تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به“
قالوا: بلّ يا رسول الله قد رضينا، فقال لهم: ”إنكم سترون بعدِي أثرةٌ
شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض“ قال أنس: فلم
نصربر. (صحيح البخاري ٤: ٥٩).

ونتساءل: هل كان في الأنصار كـلهم رجلٌ واحدٌ رشيد اقتتنع بما فعله
رسول الله ﷺ، واعتقد بأنه لا يميل مع الهوى والعاطفة، وفهم قول الله
سبحانه في هذا الصدد: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
لَا يَجِدُو فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مَمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾^١؟

فهل كان فيهم من دافع عن رسول الله ﷺ عندما قالوا: يغفر الله لرسول
الله؟

كلاً لم يكن فيهم واحداً بمستوى الإيمان الذي اقضته الآية الكريمة!!
وقولهم بعد ذلك: بلّ يا رسول الله قد رضينا، لم يكن عن قناعة، ولذلك
جاءت شهادة أنس بن مالك وهو منهم في محلها، عندما قال: أوصانا
بالصبر فلم نصبر!!

^١ النساء: ٦٥.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب غزوة الحديبية من كتاب المغازي:

عن أحمد بن إشكاب، حدثنا محمد بن فضيل، عن العلاء بن المسوّب،
عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما، فقلت: طوبى لك
صحيحت النبي ﷺ، وبأيّعه تحت الشجرة!
قال: يابن أخي إنك لا تدرى ما أحدثنا بعده. (صحيح البخاري ٥: ٦٥).
لقد صدق البراء بن عازب، فإنَّ أغلب الناس لا يدرُون ما أحدث
الصحاباة بعد وفاة نبيِّهم ﷺ؛ من ظلم وصيَّه وابن عمِّه وإبعاده عن الخلافة،
ومن ظلم ابنته الزهراء وتهديدها بالحرق، وغضب حقها من النحله والإرث
والخمس، ومن مخالفة وصايا النبي ﷺ، وتبديل الأحكام التشريعية،
وحرق السنة النبوية، وضرب الحصار عليها، ومن أذيته ﷺ في لعن وقتل
أهل بيته وإبعادهم وتشريدهم، وإعطاء السلطة إلى المنافقين وال fasiqin من
أعداء الله ورسوله !!

نعم، كل ذلك وغيره كثير مما أحدثوه من بعده، وبقي مجھولاً عند عامة
الناس الذين ما عرفوا من الحقائق إلا ما أملته عليهم مدرسة الخلفاء التي
تفننت في تبديل أحكام الله ورسوله باجتهادات شخصية سميت البدع
الحسنة !!

وبهذه المناسبة نقول لأهل السنة: لا تغترروا يا إخواننا بالصحبة
والصحاباة، فها هو البراء بن عازب من الرعيل الأول، الذين بايعوا النبي ﷺ
تحت الشجرة، يقول لابن أخيه بلسان الحال: لا تغرنك صحبتى ولا يعتى

تحت الشجرة، فإنك لا تدرى ما أحدثت بعده، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾^١.

وكم كان عدد الصحابة الناكثين كبيراً حتى عهد النبي ﷺ لابن عمّه علي أن يقاتلهم، كما جاء ذلك في كتب التاريخ.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الأول والثالث في باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة من كتاب الجمعة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أقبلتْ عيرٌ من الشام تحمل طعاماً، ونحن نصلّى مع النبي ﷺ الجمعة، فانقضى الناس إلا اثنى عشر رجلاً، فنزلتْ هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أُولَئِكُمْ افْنَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ (صحيح البخاري ١: ٢٢٥ و ٣: ٦ و ٧).

وهذا نمط آخر من الصحابة المنافقين الذين لا يتورّعون ولا يخشعون، بل ويفرون من صلاة الجمعة ليتفرقوا على العير والتجارة، ويتركون رسول الله قائماً بين يدي الله يؤدّي فريضته في خشوع ورهبة.

فهل هؤلاء مسلمون كُمُلَ إيمانهم؟ أم هل هم منافقون يهزّون من الصلاة، وإذا قاموا إليها قاموا كُسالى؟ ولا يُستثنى منهم إلا الذين ثبتو مع النبي ﷺ لإتمام صلاة الجمعة، وعددهم اثنى عشر رجلاً.

ومن تتبع أحوالهم واستقصى أخبارهم فسوف يندهش لأفعالهم، ولا شك أن هروبهم من صلاة الجمعة تكرر لمرات متعددة، ولذلك سجله كتاب

^١ الفتح: ١٠.

الله سبحانه بقوله: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهُو وَمَنِ التَّجَارَةُ﴾ .

وحتى تعرف أيها القارئ العزيز مدى احترامهم لهذه الصلاة التي يحترمها
مسلموا العصر الحاضر أكثر منهم إليك هذه الرواية:
أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب ما جاء في
الغرس من كتاب الوكالة:

عن سهل بن سعيد رض أنه قال: إننا كنا نفرح بيوم الجمعة، كانت لنا عجوز رض
تأخذ من أصول سلق لنا كنا نغرسه في أربعائنا فتجعله في قدر لها، فتجعل
فيه حبات من شعير لا أعلم إلا أنه قال: ليس فيه شحم ولا دك، فإذا صلينا
الجمعة زرناها فقربته إلينا، فكنا نفرح بيوم الجمعة من أجل ذلك، وما كنا
نتغذى ولا نقيل إلا بعد الجمعة!! (صحيح البخاري ٣: ٧٣).

فهنيئاً لهؤلاء الصحابة الذين لا يفرحون بيوم الجمعة للقاء رسول
الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاستماع لخطبه ومواعظه، والصلاحة بإمامته، ولا بلقاء بعضهم
البعض، وما في ذلك اليوم من بركات ورحمات، ولكنهم يفرحون بيوم
الجمعة من أجل طعام مخصوص أعدّته لهم عجوز، ولو قال أحد المسلمين
اليوم بأنه يفرح بيوم الجمعة من أجل الطعام لأنّه من المسوّفين المهملين.
وإذا أردنا مزيداً من البحث والتنقيب، فإننا سنجد الشّاكرين الذين
مدحهم القرآن الكريم أقلية لا يتجاوز عددهم الائتمى عشر رجالا، وهؤلاء
هم المخلصون الذين لم ينفضوا إلى الله والتجارة ويتركوا الصلاة، وهم
أنفسهم الذين ثبتو في الجهاد مع النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العديد من المواطن التي فرّ
منها بقية الصحابة وولوا مُدربين.

فقد أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب من كتاب الجهاد والسير:

عن البراء بن عازب قال: جعل النبي ﷺ على الرجالة يوم أحد - و كانوا خمسين رجلا - عبد الله بن جبير، فقال: إِنْ رأَيْتُمُونَا تَخْطُّفُنَا الطِّيرُ فَلَا تَبْرُحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، فَهُمْ مُوْهُمٌ.

قال: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدُّونَ قَدْ بَدَتْ خَلَائِلُهُنَّ وَأَسْوَاقُهُنَّ رَافِعَاتِ ثِيَابِهِنَّ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أية قوم الغنية، ظهر أصحابكم بما تنتظرون؟

فقال عبد الله بن جبير: أنسىتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصلبهم من الغنيمة، فلمّا أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول ﷺ في آخرهم، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثنى عشر رجلا، فأصابوا مثنا سبعين... (صحيح البخاري ٤: ٢٦).

وإذا عرفنا مما ذكره المؤرخون لهذه الغزوـة بأن رسول الله ﷺ خرج بألف صحابي كلهم يتشوّدون للجهاد في سبيل الله، مغتربين بالنصر الذي حصل في غزوـة بدر، ولكنـهم عصوا أمر النبي ﷺ، وتسبّبوا في هزيمة نكـراء شـنيـعة قـتـلـ فيها سـبعـونـ وـعـلـى رـأـسـهـمـ حـمـزةـ عمـ النـبـيـ وـفـرـ الـبـاقـونـ، وـلـمـ يـبـقـ مـعـ النـبـيـ ﷺ فـي سـاحـةـ المـعـرـكـةـ غـيرـ اـثـنـيـ عـشـرـ رـجـلاـ علىـ ماـ يـقـولـهـ البـخـارـيـ، أـمـاـ غـيرـهـ مـنـ المؤـرـخـينـ فـيـنـزـلـ بـهـذـاـ العـدـدـ إـلـىـ أـرـبـعـةـ فقطـ، وـهـمـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ الذـيـ تـصـدـىـ لـلـمـشـرـكـينـ يـحـمـيـ بـذـلـكـ وـجـهـ رسولـ اللهـ ﷺ، وـأـبـوـ دـجـانـةـ يـحـمـيـ ظـهـرـهـ، وـطـلـحـةـ، وـالـزـيـرـ، وـقـيـلـ سـهـلـ بـنـ حـنـيفـ.

ومن هذه المواقف نفهم قول رسول الله ﷺ: "لَا أَرِي يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمْ النَّعْمٌ" (سيأتي البحث في هذا الحديث).

وإِذَا كَانَ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ تَوَعَّدُهُمْ بِالنَّارِ إِذَا فَرَّوْا مِنَ الْحَرْبِ فَقَالَ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُؤْلُوْهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فَتَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَيْسَنَ الْمَصِيرُ﴾^١.

فما هي قيمة هؤلاء الصحابة الذين يفرّون من الصلاة من أجل الله والتجارة، ويفرون من الجهاد خوفاً من الموت، تاركين رسول الله ﷺ وحده بين الأعداء، وفي كلتا الحالتين ينفضّوا ويولّوا الأدبار بأجمعهم ولا يبق معه ﷺ غير اثنى عشر رجلاً على أكثر التقديرات، فأين الصحابة يا أولى الألباب؟!

ولعل بعض الباحثين عندما يقرؤون مثل هذه الأحداث والروايات يستصغرون شأنها، ويظنّون بأنّها حادثة عرضية عفا الله عنها، ولم يُعد الصحابة إلى مثلها بعد ذلك.

كلا، فإن القرآن الكريم يوقننا على حقائق مذهلة، فقد سجّل الله سبحانه فرارهم يوم غزوة أحد بقوله:

﴿وَلَقَدْ صَدَقْكُمُ اللَّهُ وَعْدُهُ إِذْ تَحْسُنُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ

^١ الأنفال: ١٥ - ١٦.

وَلَا تَلُوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَأْكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بَغْمًّا لَكِيلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ .

فهذه الآيات نزلت بعد معركة أحد، والتي انهزم فيها المسلمون بسبب رغبتهم في متاع الدنيا عندما رأوا النساء رافعات ثيابهن، قد بدت أسواقهن وخلافلنهن على ما حكاه البخاري، فعصوا الله ورسوله ﷺ كما حكاه القرآن؛ فهل اعتبر الصحابة بتلك الحادثة وتابوا إلى الله واستغفروه ولم يعودوا مثلها بعد ذلك؟

كلاً فإنهم لم يتوبوا وعادوا إلى أكبر منها في غزوة حنين، والتي وقعت في آخر حياة النبي ﷺ، وكان عدهم في تلك المعركة اثنى عشر ألفاً على ما ذكره المؤرخون !!

ورغم كثرتهم فقد لاذوا بالفرار، وولوا مدربين كالعادة؛ تاركين رسول الله ﷺ وسط أعداء الله من المشركين، ومعه تسعة أو عشرة أنفار من بنى هاشم على رأسهم الإمام علي بن أبي طالب، كما نص عليه اليعقوبي في تاريخه وغيره ^٢.

وإذا كان فرارهم يوم أحد شنيع، فهو في حنين أشنع وأقبح؛ لأن الصابرين الذين ثبتو معه يوم أحد كانوا أربعة من ألف صاحبي، وهي نسبة واحد من كل مائتين وخمسين، أما في يوم حنين فكان الصابرون الثابتون

^١ آل عمران: ١٥٢ - ١٥٣.

^٢ ذكر اليعقوبي في تاريخه ^٢: ٣١ أنه لم يبق مع النبي ﷺ إلا ثلاثة نفر: عليّ والزبير وطلحة. وفي تاريخ الإسلام للذهبي ^١: ١٧٣: "لم يبق مع رسول الله إلا اثنا عشر رجلا".

عشرة من اثنى عشر ألف صحابي، وهي نسبة واحد من كل ألف ومائتين !!
وإذا كانت معركة أحد في بداية الهجرة، والناس لم يزالوا أقلية وحديثي
عهد بجاهلية، فما هو عذرهم في معركة حنين التي وقعت في آخر السنة
الثامنة للهجرة النبوية، ولم يبق من حياة النبي معهم إلا عامين؟! ورغم كثرة
عدهم وعدتهم فقد أطلقوا أرجلهم للريح، وهرروا غير ملتفتين إلى رسول

الله ﷺ !!

فالقرآن الكريم يُبَيِّنُ بوضوح مواقفهم المتخاذلة، وهررواهم من
الزحف في تلك المعركة بقوله:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُفْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ
الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ثُمَّ وَلَيْسَ مُدِيرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾^١.
يبين سبحانه بأنه قد ثبتَ رسوله ﷺ والذين صبروا معه على القتال
بإنزال السكينة عليهم، ثم أمدّهم بجنود من الملائكة يحاربون معهم،
ونصرهم على الكافرين، فلا حاجة للمرتدّين الذين يفرون من العدو خوفاً
من الموت، ويعصون بذلك ربّهم ونبيّهم، وكلّما امتحنهم الله وجدهم
فأشلين.

ولمزيد البيان لا بدّ لنا من استعراض الرواية التي أخرجها البخاري
بخصوص انهزام الصحابة يوم حنين:

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب قول الله تعالى:

﴿وَيَوْمَ حُنِينَ إِذْ أَعْجَبْتُكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾، من كتاب المغازى.

إنّ أبا قتادة قال: لمّا كان يوم حُنِين نظرتُ إلى رجل من المسلمين يقاتل رجالاً من المشركين، وآخر من المشركين يختله من وراءه ليقتلّه، فأسرعتُ إلى الذي يختله فرفع يده ليضرّبني، فضربت يده فقطعتها، ثمّ أخذني فضمّنني ضمماً شديداً حتّى تخوّفتُ، ثمّ ترك فتحّلّ ودفعته ثمّ قتلته، وانهزّ المسلمون وانهزّتُ معهم، فإذا بعمر بن الخطّاب في الناس، فقلّت له: ما شأن الناس؟ قال: أمرُ الله... (صحيح البخاري ٥: ١٠١).

عجبٌ والله أمر عمر بن الخطّاب الذي هو معدود عند أهل السنة من أشجع الصحابة إذا لم يكن أشجعهم على الإطلاق، لأنّهم يرون بأنّ الله أعزّ به الإسلام، وأنّ المسلمين لم يجهروا بالدعوة إلاّ بعد إسلامه!!

وقد أوقفنا التاريخ على الصحيح والواقع، وكيف أنّه ولّى دبره وهرب من المعركة يوم أحد، كما ولّى دبره وفرّ هارباً يوم خيبر عندما أرسله رسول الله ﷺ إلى مدينة خيبر ليفتحها، وأرسل معه جيشاً فانهزّ هو وأصحابه ورجعوا يجبنونه ويجبّنهم^١، كما ولّى دبره وهرب يوم حنين مع الهاريين، أو لعلّه كان أول الهاريين، وتبعه الناس إذ كان هو أشجعهم، ولذلك نرى أبا قتادة يلتفت من بين المنهزمين إلى عمر بن الخطّاب ويسأله كالمستغرب: ما شأن الناس؟ ولم يكتف عمر بن الخطّاب بهروبه من الجهاد،

^١ مستدرك الحاكم ٣: ٣٧، كما أخرجه الذبيهي في تلخيصه وقال عنه: صحيح، كنز العمال للمتقى الهندي ١٠: ٤٦٢ وقال: "ش البار، وسنده حسن"، المصنف لابن أبي شيبة ٨: ٥٢٥ وسنده حسن.

وترك رسول الله ﷺ وسط الأعداء من المشركين، حتى يموه على أبي

قتادة بأنه أمر الله!

فهل أمر الله عمر بن الخطاب بالفرار من الزحف؟ أم أنه أمره بالثبات والصبر في الحروب وعدم الفرار؟ فقد قال له ولأصحابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾^١.

كما أخذ الله عليه وعلى أصحابه عهداً بذلك، فقد جاء في الذكر الحكيم: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْوُلًا﴾^٢.

فكيف يُولى أبو حفص الدبر من الزحف ويدعى أن ذلك أمر الله؟؟
فأين هو من هذه الآيات البينات، أم على قلوب أفالها؟!
ولسنا هنا بصدده البحث عن شخصية عمر بن الخطاب، فسوف نفرد له باباً خاصاً به، ولكن حديث البخاري مثير لم يترك لنا مندوحة من هذه الملاحظة السريعة.

والذي يهمّنا الآن هو شهادة البخاري بأن الصحابة على كثرة عددهم ولّوا مُدبرين يوم حنين، والذي يقرأ كتب التاريخ في تلك الحروب والغزوات يظهر له العجب العجاب!!

وإذا كان أمر الله لا يطاع من أكثر الصحابة - كما عرفنا من خلال الأبحاث السابقة - فلا يستغرب منهم الإعراض عن أوامر الرسول ﷺ وهو حىٌ معهم، أمّا أوامره بعد وفاته - بأبي هو وأمي - وما لقيت منهم من

^١ الأنفال: ١٥.

^٢ الأحزاب: ١٥.

اهمال وتبديل فحدث ولا حرج.

الصحابة تجاه أوامر الرسول ﷺ في حياته

ولنبدأ بالأوامر التي أمر بها ﷺ في حياته، والتي قُوبلت بالتمرد والعصيان من قبل هؤلاء الصحابة.

وسوف لن نتحدث إلا بما أخرجه البخاري في صحيحه روماً لاختصار، وضاربأ على بقية صحاح أهل السنة صحفاً، وإلا فإن فيها أضعاف الأضعاف، وبعبارات أكثر وضوحاً، وأكثر تحدياً.

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب من كتاب الشروط، وبعد ما أورد البخاري قصة صلح الحديبية، وعارضه عمر بن الخطاب لما وافق عليه رسول الله ﷺ، وشكّه فيه حتى قال له صراحة: ألسْتَ نَبِيًّا اللَّهُ حَقًا؟ إلى آخر القضية. قال البخاري: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: "قوموا فانحرروا ثم أحلقوا"، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلم يقم منهم أحد، فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس. (صحيح البخاري ٣: ١٨٢ !!)

ألا تعجب أيها القارئ من تمرد الصحابة وعصيانهم تجاه أمر النبي ﷺ، ورغم تكرار الأمر ثلاث مرات فلم يستجب له منهم أحد؟!

ولا بد هنا من ذكر محاورة دارت بيني وبين بعض العلماء في تونس بعد صدور كتابي "ثم اهتديت"، وأنهم قرأوا فيه تعليقي على صلح الحديبية، فعلّقوا بدورهم على هذه الفقرة بقولهم: إذا كان الصحابة قد عصوا أمر

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلَهُ وَسَلَّمَ بِالنَّحْرِ وَالْحَلْقِ فَلَمْ يَمْتَشِّلْ لِأَمْرِهِ أَحَدٌ، فَإِنَّ عَلَيًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ

كَانَ مَعَهُمْ وَلَمْ يَمْتَشِّلْ هُوَ الْآخَرُ لِأَمْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلَهُ وَسَلَّمَ ؟

وَأَجَبُوهُمْ بِمَا يَلِي:

أولاً: لَمْ يَكُنْ عَلَيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَعْدُودًا مِنَ الصَّحَّابَةِ، فَهُوَ أَخُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ عَمِّهِ وَزَوْجِ ابْنِهِ وَأَبِيهِ وَلَدِهِ، وَقَدْ كَانَ عَلَيٌّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي جَانِبِ وَبَقِيَّةِ النَّاسِ فِي جَانِبِهِ، فَإِذَا قَالَ الرَّاوِي فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلَهُ وَسَلَّمَ أَمْرَ أَصْحَابِهِ بِالنَّحْرِ وَالْحَلْقِ، فَإِنَّ أَبَا حَسْنَ سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ مَعْدُودًا ضَمِّنَهُمْ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ لَا تَكُونُ كَامِلَةً إِلَّا إِذَا أُضْيِفَ إِلَيْهَا الصَّلَاةُ عَلَى آلِهِ، وَعَلَى هُوَ سَيِّدِ آلِ مُحَمَّدٍ بَدْوَنَ مَنَازِعٍ، فَأَبُو بَكْرٍ وَعُثْمَانَ وَكُلَّ الصَّحَّابَةِ لَا تَصْحُّ صَلَاتُهُمْ إِلَّا إِذَا كَانَ فِيهَا ذَكْرٌ عَلَيٌّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَعَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

ثانيًا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلَهُ وَسَلَّمَ كَانَ دَائِمًا يُشْرِكُ عَلَيًّا أَخَاهُ فِي هَدِيهِ، كَمَا وَقَعَ ذَلِكَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ عِنْدَمَا قَدِمَ عَلَيُّ مِنَ الْيَمِنِ، وَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلَهُ وَسَلَّمَ: "بِمَا أَهْلَلْتَ يَا عَلَيٌّ؟" فَقَالَ: "بِمَا أَهْلَلَ رَسُولُ اللَّهِ"، فَأَشَرَّ كَهُنَّبَيِّ فِي هَدِيهِ، وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ كُلَّ الْمَحْدُثَيْنَ وَالْمَؤْرِخَيْنَ، فَلَا بدَّ أَنْ يَكُونَ شَرِيكَهُ يَوْمَ الْحَدِيبِيَّةِ - أَيْضًا -

ثالِثًا: إِنَّ عَلَيًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ هُوَ الَّذِي كَتَبَ الصلحَ يَوْمَ الْحَدِيبِيَّةَ بِإِمْلَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلَهُ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ طِيلَةَ حَيَاتِهِ، لَا بِمَنَاسِبَةِ الْحَدِيبِيَّةِ وَلَا فِي غَيْرِهَا، وَلَمْ يَسْجُلْ التَّارِيخُ بِأَنَّهُ عَلَيًّا تَأْخُرَ عَنْ أَمْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلَهُ وَسَلَّمَ أَوْ عَصَاهُ مَرَّةً وَاحِدَةً - حَاشَاهُ - وَلَا فَرَّ مَرَّةً مِنَ الزَّحْفِ وَتَرَكَ

أخاه وابن عمّه بين الأعداء، بل كان دائمًا يفديه بنفسه، والخلاصة أنَّ عليًّا ابن أبي طالب هو كنفس النَّبِيِّ ﷺ، ولذلك كان النَّبِيُّ ﷺ يقول: "لا يحل لآحد أن يجنب في المسجد إلَّا أنا وعلىٌ" ^١.

واقتنع أغلب المحاورين بما أوردته، واعتبروا بأنَّ عليًّا بن أبي طالب ما خالف في حياته أمر رسول الله ﷺ.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثامن في الباب كراهية الخلاف من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة:

عن عبد الله بن عباس قال: لما احتضر النَّبِيُّ ﷺ قال وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: "هلْ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده"، فقال عمر: إنَّ النَّبِيُّ ﷺ غلبة الوجم، وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واحتضروا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر.

فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النَّبِيِّ ﷺ، قال: "قوموا عنِّي"، فكان ابن عباس يقول: إنَّ الرِّزْيَةَ كُلُّ الرِّزْيَةِ ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. (صحيح البخاري ٨: ١٦١ و١: ٣٧ و٥: ١٣٨).

^١ سنن الترمذى ٥: ٣٠٣ وقال: "حديث حسن.." ، تفسير القرطبي ٥: ٢٠٧، تاريخ دمشق ٤٢: ١٤٠، سير أعلام النبلاء ١٣: ٢٧٢، السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٦٦، فتح الباري لابن حجر ٧: ١٣، وفي أجوبة المصايح قال ابن حجر: "وررد ل الحديث أبى سعيد شاھد نحوه من حديث سعد بن أبى وقاص أخرجه البزار من رواية خارجة بن سعد عن أبىه، ورواته ثقات.." .

وهذا أمرٌ آخر لرسول الله ﷺ يقابله الصحابة بالرفض والعصيان،
وبانتقاد النبي ﷺ .

مع الملاحظة بأنَّ عمر بن الخطاب قال بحضور النبي ﷺ ، لمَّا طلب
منهم إحضار الكتف والدواء ليكتب لهم الكتاب الذي يمنعهم من الضلال
قال: إنَّ رسول الله يهجرُ، بمعنى يهذى - والعياذ بالله -
ولكنَّ البخاري هذَّب تلك العبارة وأبدلها بـ "غلبه الوجع"؛ لأنَّ قائلها
عمر بن الخطَّاب!! وتراه إذا أهمل اسم عمر في الرواية قال: فقالوا: هجر
رسول الله، وهذه أمانة البخاري في نقل الحديث (وسوف نعقد له باباً
خاصًا).

وعلى كلِّ حال، فإنَّ أكثر المحدثين والمؤرِّخين ذكرُوا بأنَّ عمر بن
الخطاب قال: إنَّ رسول الله يهجرُ^١، وتبعه كثير من الصحابة فقالوا مقالته

^١ ذكر ذلك كلَّ من الغزالى في سرِّ العالمين: ٤٠، سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٦٥، ابن الأثير في النهاية: ٥٢٤٥، الجوهرى في السقيفة وفدى، كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦٥١، ابن تيمية في منهاج السنة: ٦٣١٥، ٢٤٣١٥ تحقيق محمد رشاد سالم.
لكن صاحب كتاب كشف الجاني: ١٣٤ يضع رأسه في الرمل كالنعامنة عند الوصول إلى هذه النقاط الخطيرة، والتي تقلب الصورة المصطنعة عنده وعند غيره لعمر بن الخطاب، فأخذ كعادته بالاستهزاء والسخرية، والتهجُّم على المؤلَّف وعموم الشيعة، ونسبته عدم العقل إليهم، مع أنَّ إمامه ابن تيمية يقرُّ بذلك ويعرف بأنَّ الذي قالها عمر بن الخطاب!! فليس أمام عثمان الخميس إلَّا خيارين وأحلاهما مرًّ وهو: إما القول بأنَّ عمر بن الخطاب لم يقل ذلك - وهو غير صحيح - وفي ذلك ردٌّ على شيخه ابن تيمية!! وإما القول بأنَّ عمر بن الخطاب قال ذلك، وفي ذلك تجريح بعقريه العظيم واسطورته المصطنعة عمر بن الخطاب!! فأيهما اختاره كان مرًّا!

بحضرة النبي ﷺ .

ولنا أن نتصوّر ذلك الموقف الرّهيب، وتلك الأصوات المرتفعة، وكثرة اللّغط والاختلاف بحضوره ﷺ، ومهما تكن الرواية معبراً فلا تعبر في الواقع إلا قليلاً عن المشهد الحقيقي، كما إذا قرأنا كتاباً تارياً يحكي حياة موسى عليه السلام، فمهما يكن الكتاب معبراً فلا يبلغ تعبير الفيلم السينمائي الذي نشاهده عياناً.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه السابع في باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله عزّ وجلّ من كتاب الأدب، قال:

احتجر رسول الله ﷺ حجيرة مخصفة أو حصيراً، فخرج رسول الله ﷺ يُصلّي إليها، فتبعه رجالٌ وجاؤوا يصلّون بصلاته، ثم جاؤوا ليلة فحضرروا وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم وحصبووا الباب، فخرج إليهم مغضباً فقال لهم: "ما زال بكم صنعكم حتى ظنتُ أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاحة في بيوتكم، فإنَّ خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة". (صحيح البخاري ٢: ٩٩ و ٢٥٢).

ومع كلّ الأسف فإنَّ عمر بن الخطاب خالف أمر النبي ﷺ، وجمع الناس على صلاة النافلة أيام خلافته، وقال في ذلك: إنّها بدعة ونعم البدعة^١، وتبعه على بدعته أكثر الصحابة الذين كانوا يرون رأيه، ويؤيدونه

^١ صحيح البخاري ٢: ٢٥٢، كتاب صلاة التراويح.

في كلّ ما يفعل ويقول، وخالفه على بن أبي طالب وأهل البيت الذي لا يعملون إلاّ بأوامر سيدهم رسول الله صلى الله عليه وعليهم، ولا يبغون عنها بدلاً، وإذا كانت كلّ بدعة ضلاله وكلّ ضلاله في النار، فما بالك بالتأييّد جعلت

لُتَخَالِفُ أَحْكَامَ النَّبِيِّ ﷺ !!

وأخرج البخاري في صحيحه من جزءه الخامس في باب غزوة زيد بن حارثة من كتاب المغازي، عن ابن عمر... قال:

أمّر رسول الله ﷺ أُسامة على قوم فطعنوا في إمارته، فقال: "إن طعنوا في إمارته فقد طعتم في إماراة أبيه من قبله، وأيم الله لقد كان خليقاً للإمارة، وإن كان من أحب الناس إلى الله، وإن هذا المن أحب الناس إلى الله" (صحيح البخاري 5: 84).

وهذه القصة ذكرها المؤرخون بشيء من التفصيل، وكيف أنهم أغضبوا رسول الله ﷺ حتى لعن المتخلفين عن بعث أُسامة، وهو القائد الصغير الذي لم يبلغ عمره سبعة عشر عاماً، وقد أمره النبي ﷺ على جيش فيه أبو بكر، وعمر، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وكلّ وجوه قريش، ولم يعين في ذلك الجيش على بن أبي طالب، ولا أحداً من الصحابة الذين كانوا يتشيّعون له.

ولكن البخاري دائماً يقتصر الحوادث ويبتر الأحاديث حفاظاً على كرامة السلف الصالح من الصحابة!!، ومع ذلك فيما أخرجه كفاية لمن أراد الوصول إلى الحق.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزءه الثاني في باب التنكيل لمن أكثر

الوصال من كتاب الصوم، عن أبي هريرة قال:

نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم، فقال له رجلٌ من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله! قال: "وأيكم مثلِي؟ إني أبیت يطعمُنِي ربِّي ويُسقِنِي"، فلماً أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال، فقال: "لو تأخَّر لزدْتُكُمْ"، كتنكيل لهم حينَ أبوا أن ينتهوا. (صحيح البخاري ٢: ٢٤٣).

مرحى لهؤلاء الصحابة الذين ينهىهم رسول الله ﷺ عن الشيء فلا ينتهوا، ويكرر لهم نهيه فلا يسمعوا! أفلم يقرأوا قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب﴾^١.

ورغم تهديد الله سبحانه لمن خالف رسوله ﷺ بالعقاب الشديد فإن بعض الصحابة لا يقيمون لتهديده ووعيده وزناً.

وإذا كان حالهم على هذا الوصف فلا شك في نفاقهم ولو ظاهروا ببشرة الصلاة والصيام والتشدد في الدين، إلى درجة أنهم يحرّموا نكاح نسائهم لثلاّ بروحوا ومذاكيرهم تقطّر منياً! ويتنزّهون عمّا يفعله رسول الله ﷺ !! كما تقدّم في الأبحاث السابقة.

وآخر البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلىبني جذيمة من كتاب المغازي، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه قال:

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلىبني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام،

^١ الحشر: ٧.

فلم يُحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كلّ رجل منّا أسره، حتّى إذا كان يومُ أمر خالدُ أن يقتل كلّ رجل منّا أسيره، فقلتُ: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتلُ رجلٌ من أصحابي أسيره حتّى قدمنا على النّبِيِّ ﷺ، فذكرناه له، فرفع النّبِيُّ ﷺ يده فقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرُأُ إِلَيْكَ ممّا صنَعَ خالدٌ" مرّتين!! (صحيح البخاري ٥: ١٠٧ و ٨: ١١٨).

ذكر المؤرّخون هذه الحادثة بشيء من التفصيل، وكيف ارتكب خالد بن الوليد هذه المعصية الشنيعة، هو وبعض الصحابة الذين أطاعوه ولم يمثلوا أوامر النّبِيِّ ﷺ في تحريم قتل من أسلم، إنّها من أكبر المعااصي التي أراقت دماء بريئة، ولأنَّ النّبِيِّ ﷺ أمره بدعوتهم للإسلام ولم يأمرُهم بقتالهم!!

ولكنَّ خالد بن الوليد تغلّبتُ عليه دعوى الجاهلية، وأخذته الحمية الشيطانية؛ لأنَّ بنى جذيمة قتلوا عمّه "الفاكه بن المغيرة" أيام الجاهلية، فغدر بهم، وقال لهم: ضعُوا أسلحتكم فإنَّ الناس قد أسلموا، ثمَّ أمر بهم فكُتُّعوا وقتل منهم خلقاً كثيراً.

ولما علم بعض الصحابة المخلصين نوايا خالد هربوا من الجيش والتحقوا بالنّبِيِّ ﷺ وأعادوا عليه الخبر، فتبرأ رسول الله ﷺ من فعله، وأرسل على بن أبي طالب فوديًّا لهم الدّماء والأموال.

ولمعرفة هذه القضية بشيء من التفصيل لا بأس بقراءة ما كتبه عباس محمود العقاد في كتابه "عقبالية خالد" إذ قال العقاد بالحرف في صفحة ٤٥ ما يلي:

"بعد فتح مكّة، توجّهتْ عناته عَلَيْهِ إِلَى تطهير البوادي المحيطة بها من عبادة الأصنام، فأرسل السرايا إلى قبائلها لدعوتها والاستيقاظ من نياتها، ومنها سرية خالد إلىبني جذيمة في نحو ثلاثة وثلاثين وخمسين من المهاجرين والأنصار وبني سليم، أرسلها دعوة ولم يأمرهم بقتال، وكان بنو جذيمة شرّ حىٰ في الجاهلية يسمون لعقة الدم، ومن قتلهم الفاكه بن المغيرة وأخوه عمّا خالد بن الوليد ووالد عبد الرحمن بن عوف، ومالك بن الشريد وإخوته الثلاثة من بنى سليم في موطن واحد، وغير هؤلاء من قبائل شتى.

فلما أقبل عليهم خالد وعلموا أنّ بنى سليم معه، لبسوا السلاح وركبوا للحرب وأبوا النزول، فسألهم خالد: أسلمون أنتم؟ فقيل: إنّ بعضهم أجا به بنعم، وبعضهم أجا به: صبأنا صبأنا! أي تركنا عبادة الأصنام، ثم سألهم: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: إنّ بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح! فناداهم: ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا. فصاح بهم رجلٌ منهم يقال له جحدم: ويلكم يا بنى جذيمة إنه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلاّ الأسار، وما بعد الأسار إلاّ ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً، فما زالوا به حتّى نزع سلاحه في من نزع وتفرق الآخرون.

فأمر خالد بهم فكتّروا وعرضهم على السيف، فأطاعه في قتلهم بنو سليم ومن معه من الأعراب، وأنكر عليه الأنصار والمهاجرون أن يقتل أحداً غير مأمور من النبي عَلَيْهِ إِلَى القتال، ثم انتهى الخبر إلى النبي، فرفع يديه إلى السماء وقال ثلاثاً: "اللهم إِنّى أُبرأُ إِلَيْكَ ممّا صنعت خالد بن الوليد" وبعث بعلى بن

أبى طالب إلى بنى جذيمة، فودّى دماءهم وما أصيب من أموالهم...

وقد عم النكير على الحادث بين أجلاء الصحابة، من حضر منهم السّرية
ومن لم يحضرها، واشتد عبد الرحمن بن عوف حتى رمى خالداً بقتل القوم
عمداً ليدرك ثار عمّه "انتهى كلام العقاد".

نعم، هذا ما ذكره العقاد بالحرف في كتابه عقريّة خالد، والعقاد كغيره
من مفكّري أهل السنة بعد ما يورد القصة بكمالها يتّمسُ أعزّاراً باردة ملقة
لخالد بن الوليد، لا تقوم على دليل ولا يقبلها عقل سليم، وليس للعقاد عذرٌ
سوى أنه يكتب "عقريّة خالد"، فكلّ ما جاء به من أعزّار لخالد فهي واهية
كبيت العنكبوت، والذي يقرأها يشعر بسخافة الدفاع ووهنه.

فكيف وقد شهد هو بنفسه في كلامه بأنّ النبي ﷺ أرسلهم دعاة ولم
يأمرهم بقتال؟! وأعترف بأنّ بنى جذيمة نزعوا سلاحهم بعد ما لبسوه
عندما خدعهم خالد بقوله لأصحابه: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا؟!
واعترف - أيضاً - بأنّ جحمد الذي رفض نزع السلاح، وحذّر قومه بأنّ
خالداً سيغدر بهم بقوله: ويلكم يا بنى جذيمة إنّه خالد، والله ما بعد وضع
السلاح إلاّ الأسار، وما بعد الأسار إلاّ ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحى
أبداً!! وقال العقاد: بأنّ بنى جذيمة ما زالوا به حتّى نزع سلاحه، وهذا ما
يدلُّ على إسلام القوم وحسن نيتهم.

إذا كان رسول الله ﷺ أرسلهم دعاة ولم يأمرهم بقتال، كما شهدت
يا عقّاد، فما هو عذر خالد لمخالفة أوامر النبي ﷺ؟ هذه عقدة لا أحسبك
تحلّها يا عقاد.

وإذا كان القوم قد نزعوا السلاح، وأعلنوا إسلامهم، وغلبوا صاحبهم الذي
أقسم أن لا يضع سلاحه حتى أقنعواه كما اعترفت به يا عقّاد، فما هو عذر
خالد للغدر بهم وقتلهم صبراً وهم غُزّل من السلاح؟
وقد قلتَ بأنَّ خالد أمر بهم فكُفِّروا وعرضُهم على السيف، وهذه عقدة
أخرى ما أظنك قادرًا على حلّها يا عقّاد، وهل الإسلام أمر المسلمين بقتل
من لم يقاتلهم على فرض أنّهم لم يُعلنوا إسلامهم، كلاً فهذه حجّة
المستشرقين أعداء الإسلام والتي يروّجونهااليوم.
ثم اعترفت مرتَّ أخرى بأنَّ النبِيَّ ﷺ لم يأمره بقتال القوم، إذ قلتَ: بأنَّ
المهاجرين والأنصار أنكروا على خالد أن يقتل أحدًا غير مأمور من
النبِيِّ ﷺ بالقتال، فما هو عذرك - يا عقّاد - في التماس العذر لخالد؟
ويكفيها ردًاً على العقّاد، أنه أبطل أعداره بنفسه وناقضها بأكلمتها حين
اعترف بقوله:

”وقد عمَ النّكير على الحادث بين أجيالَ الصحابة، من حضر منهم
السرية ومن لم يحضرها“، فإذا كان أجيالَ الصحابة شدّدوا النّكير على
خالد حتى هربوا من جيشه، واشتكتوه للنبيِّ ﷺ، وإذا كان عبد الرحمن بن
عوف قد اتّهم خالدًا بقتل القوم عمداً ليدرك ثأر عميّه كما شهد بذلك العقاد،
وإذا كان رسول الله ﷺ قد رفع يديه إلى السماء، وقال ثلاث مرات: ”اللَّهُمَّ
إِنِّي أَبْرُأُ إِلَيْكَ ممّا صنَعَ خالدُ بْنُ الْوَلِيدِ“، وإذا كان النبِيَّ بعث بعلٰى ومعه
أموالٍ، فودّى لبني جذيمة دماءهم وما أصيب من أموالهم حتى استرضاهم -
كما شهد العقاد -؛ فكلَّ هذا يدلُّ على أنَّ القوم أسلموا، ولكنَّ خالد

ظلمهم واعتدى عليهم !!

فهل من سائل يسأل العقاد الذي يحاول جهده تبرير فعل خالد: إن كان هو أعلم من رسول الله ﷺ الذي تبرأ إلى الله ثلثاً من فعله؟ أو من أجلاء الصحابة الذين أنكروا عليه؟ أو من الصحابة الذين حضروا الواقعة، وهربوا من السرية لهول ما رأوه من صنيعه المُنكر؟ أو من عبد الرحمن بن عوف الذي كان معه في السرية، وهو لا شك أعرف بخالد من العقاد، والذي اتهمه بقتل القوم عمداً ليدرك ثأرَ عمّيه؟

قاتل الله التعصّب الأعمى، والحمية الجاهلية التي تقلب الحقائق!

ومهما اختصر البخاري القضية في أربعة سطور، فإنّ فيما أورده كفاية لإدانة خالد، وبقية الصحابة الذي أطاعوه في قتل المسلمين الأبرياء، والذين ذكرهم العقاد بقوله: فأطاعه في قتلهم بنو سليم ومن معه من الأعراب. ولكنّ البخاري لا يستثنى من الصحابة الذين أطاعوه إلاّ اثنين أو ثلاثة، هربوا من الجيش ورجعوا للنبي يشتكون خالد، فلا يمكن لك أن تقنعنا - يا عقّاد - بأنّ المهاجرين والأنصار - وعددهم ثلاثة وخمسون كما صرّحت أنت بذلك - لم يطبعوا خالداً في قتل القوم، وهربوا كلّهم من الجيش !! فهذا لا يصدقه أحدٌ من الباحثين.

ولكنّها محاولة منك للحافظ على كرامة السلف الصالح من الصحابة، وستر الحقائق بأىّ ثمن، وجاء الوقت لإزاحة الستار ومعرفة الحقّ.

وكم لخالد بن الوليد من مجازر شنيعة حدّثنا عنها التاريخ، خصوصاً يوم البطاح عندما انتدبه أبو بكر على رأس جيش كبير مؤلّف من

الصّحابة الأوّلين، فغدر - أيضًا - بمالك بن نويرة وقومه، ولما وضعوا السلاح أمر بهم فكتّفوا وضرب أعناقهم صبراً، ودخل بزوجة مالك ليلي أم تميم في نفس الليلة التي قتل فيها بعلها، ولما وقف عمر بن الخطاب يقتضي منه وقال له: قتلت امرئاً مسلماً ثم نزوت على زوجته!! والله لأرجُمنك بأحجارك يا عدو الله! وقف أبو بكر إلى جانب خالد وقال لعمر: إرفع لسانك عن خالد فإنه تأول فأخطأ^١.

وهذه قضية أخرى يطول شرحها ويبيح عرضها، فكم من مظلوم يهضم حقه؛ لأن ظالمه قويٌّ عزيز، وكم من ظالم ينصر ظلمه وباطله؛ لأنَّه غنىًّا ومقربٌ للجهاز الحاكم!! فهذا البخاري عندما يستعرض قصة بنو جذيمة يبترها بترًا ويقول: بحث النبي ﷺ خالدًا إلى بنى جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا.

فهل كان بنو جذيمة فرس أم أتراك أم هنود وألمان، حتى لا يحسنوا أن يقولوا أسلمنا يا بخاري؟! أم هم من القبائل العربية التي نزل القرآن بلغتهم؟ ولكن التعصّب الأعمى والمؤامرة الكبرى التي حيكت للحفاظ على كرامة الصحابة هي التي جعلت البخاري يقول مثل هذا القول ليبرر فعل خالد بن الوليد!!

وهذا العقّاد - أيضًا - يقول: فسألهم خالد المسلمين أنتم؟ ثم يقول العقاد:

^١ راجع بألفاظه المختلفة: تاريخ الطبرى ٢: ٥٠٤، أسد الغابة ٤: ٢٩٥، البداية والنهاية ٦: ٣٥٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧: ٢٠٦، تاريخ خليفة بن الخياط ٦٨، الإصابة لابن حجر

فقيل: إن بعضهم أجابه بنعم، وبعضهم أجابه صبأنا... وكلمة "فقيل" تدل دلالة واضحة على أن القوم يتمسكون بأي شيء قد يوهمون به الناس ليذروا خالد بن الوليد، لأن خالد بن الوليد هو سيف الحكم المسلط، وهو المدافع عن الخلافة المغصوبية، وهو وأتباعه يمثلون القوة الضاربة لكل من تحدّثه نفسه بالخروج والتمرد عما أبرمه أبطال السقيفة يوم وفاة الرسول ﷺ !! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

معاملة الصحابة لأوامر الرسول ﷺ بعد وفاته

تضييعهم سنة النبي ﷺ

أخرج البخاري في جزئه الأول في باب تضييع الصلاة.. عن غيلان قال أنس بن مالك: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي ﷺ ! قيل: الصلاة، قال: أليس ضيّعتم ما ضيّعتم فيها.
وقال: سمعت الزهرى يقول: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيّعت. (صحيح البخاري ١: ١٣٤).

كما أخرج البخاري في جزئه الأول في باب فضل صلاة الفجر في جماعة قال: حدثنا الأعمش قال: سمعت سالماً قال: سمعت أم الدرداء تقول: دخل على أبو الدرداء وهو مغضباً، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمّة محمد ﷺ شيئاً إلا أنّهم يصلّون جميّعاً. (صحيح البخاري ١: ١٥٩).

وأخرج البخاري في جزئه الثاني في باب الخروج إلى المصلى بغير

منبر، عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم بعد ذلك يعظ الناس، فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان، وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر، فأراد أن يرتقى المنبر قبل أن يصلى، فجذبت بثوبه، فجذبني فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيرتم والله، فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خيراً مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة. (صحيح البخاري ٤: ٢٤).
إذا كان الصحابة في عهد أنس بن مالك، وعلى عهد أبي الدرداء، وفي حياة مروان بن الحكم، وهو عهد قريب جداً بحياة الرسول ﷺ؛ يغيرون سنن النبي ﷺ، ويضيّعون كل شيء حتى الصلاة - كما سمعت - ويقلّبون سنن المصطفى ﷺ لصالحهم الخسيسة، وهي أنّ بنى أمية اتخذوا سنة سبّ ولعن على وأهل البيت على المنابر بعد كل خطبة، فكان أكثر الناس في عيد الفطر والأضحى عندما تنتهي الصلاة يتفرقون، ولا يحبّون الاستماع إلى الإمام يلعن على بن أبي طالب وأهل البيت، ولذلك عمد بنو أمية إلى تغيير سنة النبي ﷺ، وقدّموا الخطبة على الصلاة في العيددين؛ ليتسنى لهم سبّ ولعن على بمحضر المسلمين كافة، ويرغمون بذلك أنوفهم، وعلى رأس هؤلاء معاوية بن أبي سفيان، فهو الذي سنّ لهم تلك السنة التي أصبحت عندهم من أعظم السنن التي يتقرّبون بها إلى الله، حتى إن بعض المؤرّخين حكى أنّ أحد أمّتهم أتم خطبته في يوم الجمعة، ونسى لعن على وهو بالنزول للصلاحة، فإذا الناس يتضايقون من كل جانب: تركت السنة!
نسيت السنة! أين هي السنة؟!

نعم، وللأسف فهذه البدعة التي ابتدعها معاوية بن أبي سفيان بقيت ثمانين عاماً متداولة على منابر المسلمين، وبقيت آثارها حتى اليوم، ومع ذلك فأهل السنة والجماعة يترضّون على معاوية وأتباعه، ولا يطيقون فيه نقداً ولا تجريحاً بدعوى احترام الصحابة؟!!

والحمد لله فإن الباحثين المخلصين من أمّة الإسلام بدأوا يعرفون الحق من الباطل، وببدأ الكثير منهم يتخلص من عقدة الصحابة التي ما كونّها إلا معاوية وأشياعه وأتباعه، وأهل السنة والجماعة بدأوا يفيقون لهذا التناقض الشنيع، في الوقت الذي يُدافعون فيه عن الصحابة أجمعين حتى يلعنوا من انتقص واحداً منهم. وإذا قلت لهم: إن لعنكم هذا يشمل معاوية بن أبي سفيان، لأنّه سبّ ولعن أفضل الصحابة على الإطلاق، وهو يقصد بالطبع سبّ رسول الله الذي قال: "من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله" ^١.

^١ تاريخ دمشق: ٤٢، ٥٣٣، الجامع الصغير للسيوطى: ٢، ح ٦٠٨، ٨٧٣٦، نظم درر السمحين: ١٠٥، وروي صدره فقط في المستدرك: ٣، ١٢١ وصحّحه ووافقه الذهبي على تصحیحه، السنن الكبرى للنسائي: ٥، ١٣٣، مسند أحمد: ٦، ٣٢٣، عنه مجمع الزوائد: ٩، ١٣٠ وقال: "رجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة". وكذلك الحديث الذي مرّ عليك آنفاً في هامش ص ١٣١ وقد سب معاوية بن أبي سفيان ومن تبعه علي بن أبي طالب عليه السلام فقد أخرج ابن ماجة في سننه عن سعد بن أبي وقاص قال: "قدم معاوية في بعض حاجاته فدخل عليه سعد، فذكروا عليه، فنال منه، فغضّب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول فيه: "من

كنت مولاه فعلي مولاه، وسمعته يقول: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" ، وسمعته يقول: "لأعطي الرأي اليوم رجلاً يحب الله ورسوله".
وعلى الشيخ الألباني عليه بقوله: "فناه منه" ، أي نال معاوية من علي وتكلم فيه. راجع صحيح سنن ابن ماجة للألباني ١: ٧٦ ح ١٢٠

وقال الشيخ عبد الباقى في تعليقه على سنن ابن ماجة: " قوله (فناه منه) أي نال معاوية من علي ووقع فيه وسيبه" سنن ابن ماجه تحقيق الشيخ عبد الباقى ١: ٨٢ ح ١٢١

وقد مر عليك حديث أم سلمة في ص ١٣١ عندما اعترضت عليهم بأنَّ الرسول يسبُّ فيهم لأنَّهم يسبُّون علياً ومن يحبه، رسول الله كان يحبه.

وأخرج مسلم في صحيحه ٤: ١٤٩٠ كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب، عن سعد بن أبي وقاص قال: "أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبَّ أباً تراب؟" فقال: أمماً ما ذكرت ثلاثة قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبِّه.. سمعت رسول الله يقول له، خلفه في بعض مغازيه فقال له علي: "يا رسول الله! خلقتني مع النساء والصبيان؟" فقال له رسول ﷺ: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي" .. وسمعته يقول يوم خير: "لأعطي الرأي اليوم رجلاً يحب الله ورسوله، ويُحِبُّه الله ورسوله".

وعند ترتيب القضايا السابقة وهي: أن معاوية كان يسبُّ علياً كما ذكر ذلك ابن ماجة بسنده صحيح كما ذكر الألباني.

وأنَّ سابِّ علياً، أو سابِّ من يحبه يكون سابِّ الله كما ذكر ذلك الألباني وصححه.
 وأنَّ الله يحبُّ علياً كما هو واضح؛ لأنَّ مسلماً أخرجاً ذلك في صحيحه.

فبعد ترتيب هذه الأمور يتضح بلا أدنى شك أنَّ معاوية بن أبي سفيان كان يسبَّ الله سبحانه وتعالى، وقد اتفق عموم المسلمين على أنَّ سابِّ الله كافر سواء كان سبه عن جد أو هزل.

راجع المغني لابن قدامة ١٠: ١١٣، المحلي لابن حزم ١١: ٤١١ وغيرها.

إذن معاوية بن أبي سفيان يكون كافراً بنصَّ أحاديث الرسول ﷺ وأقواله.

وهذا الحكم على معاوية بن أبي سفيان لابدَّ أن يلتزم به الشيخ الألباني طبقاً لمبانيه؛ لأنَّه لم يلتزم بعدالة عموم الصحابة، بل حكم على بعضهم بأنَّهم في النار تبعاً لأحاديث النبي ﷺ، فقد ذكر تحت حديث: "قاتل عمَّار وسالبه في النار" ، أنَّ أباً الغادية الجهني (واسمه يسار بن سبع)، وهو صحابي، وهو قاتل عمَّار، وبما أنَّه صَحَّ عن النبي ﷺ أنَّ قاتل عمَّار في النار،

عند ذلك يتجلجون ويتكلّمون في الجواب، ويقولون أشياء إن دلتْ على شيء فلا تدلّ إلّا على سخافة العقول والتعصّب الأعمى المقيت، يقول بعضهم مثلاً: هذه أكاذيب من موضوعات الشيعة! والبعض الآخر يقول: هم صحابة رسول الله، ولهم أن يقولوا في بعضهم ما شاؤوا، أمّا نحنُ فلسنا في مستوى لهم لكي ننتقدّهم !!

فيكون أبو الغادية الجنبي من أهل النار مع أنه صحابي، قال الشيخ الألباني في صحيحته ٥:١٨ ح ٢٠٠٨ بعد تصحیحه حدیث (قاتل عمار وسالبه في النار، قال: .. وأبو الغادیة هو الجنبي، وهو صحابي كما أثبت ذلك جمع... وجزم ابن معین أنه قاتل عمار.. لا يمكن القول بأنّ أحداً غادیة القاتل لumar مأجور لأنّه قتله مجتهداً، ورسول الله ﷺ يقول: "قاتل عمار في النار"، فالصواب أن يقال: إنّ القاعدة صحيحة إلّا ما دلّ الدليل القاطع على خلافها، فيستثنى ذلك منها، كما هو الشأن هنا، وهذا خبر من ضرب الحديث الصحيح بها... "ومراد من القاعدة هي: إنّ جميع الصحابة مجتهدون، والله راض عنهم.. الخ.

فهنا على كلام الشيخ الألباني يلزم إخراج معاوية من القاعدة والحكم بكونه من أهل النار، وإلّا يلزم ضرب الأحاديث الصحيحة والتي صحت جميعها بالقاعدة، وهو لا يقبل ذلك بل يقول: بلزوم تقديم الحديث الصحيح على القاعدة!!

سبحانك اللهم وبحمدك! لقد أوقفني كلامك في القرآن الكريم على
 حقائق كان من الصعب على فهمها والاعتقاد بها، و كنت كلما قرأت: ﴿وَلَدَدْ
 ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجَنِّ وَالإِنْسَنُ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْهَمُونَ بَهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ
 بَهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بَهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^١.
 أتعجب في نفسي وأقول: كيف يكون ذلك؟ أيمكن أن يكون الحيوان
 الأبكم أهدى من هذا الإنسان؟! أيمكن أن ينحت الإنسان حجرا ثم يعبد
 ويطلب منه الرزق والمعونة؟ ولكن والحمد لله زال عجبى عندما تفاعلت مع
 الناس، وسافرت إلى الهند، ورأيت العجب العجاب، رأيت دكاترة في علم
 التشريح يعرفون خلايا الإنسان ومكوناته، ولا يزالون يعبدون البقر، ولو
 افترض هذا الإثم الجاهلون من الهندوس لكان عذرهم مقبول، ولكن أن ترى
 النخبة المثقفة منهم يعبدون البقر والحجر والبحر والشمس والقمر فما عليك
 بعد ذلك إلا أن تسلم وتفهم مدلول القرآن الكريم بخصوص البشر الذين هم
 أضل من الحيوان!!

شهادة أبي ذر الغفارى في بعض الصحابة
 أخرج البخاري في جزءه الثاني في باب ما أديت زكاته فليس بكنز،
 عن الأحنف بن قيس قال: جلست إلى ملاً من قريش، فجاء رجلٌ خشنٌ
 الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم ثم قال: بشـر الكاذبين برضفـ
 يُحـمى عليه في نار جـهـنـمـ، ثم يوضع على حـلـمةـ ثـديـ أحـدـهـمـ يـخـرـجـ منـ
 نـغـضـ كـتـفـهـ، ويـوـضـعـ عـلـىـ نـغـضـ كـتـفـهـ حتـىـ يـخـرـجـ منـ حـلـمةـ ثـديـهـ يتـزلـلـ، ثمـ

^١ الأعراف: ١٧٩.

ولى فجلس إلى سارية، وتبعته وجلست إليه، وأنا لا أدرى من هو.

فقلت له: لا أرى القوم إلا قد كرهو الذى قلت، قال: إنهم لا يعقلون شيئاً،
قال لي خليلي...، قلت: من خليلك؟ قال: النبي ﷺ، قال لي: "يا أبا ذر
أبصر أحداً؟" قال: فنظرت إلى الشمس ما بقى من النهار، وأنا أرى أن
رسول الله ﷺ يرسلني في حاجة له، قلت: نعم، قال: "ما أحب أن لى مثل
أحد ذهباً أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير. وإن هؤلاء لا يعقلون إنما يجمعون
الدنيا، لا والله لا أسألهم دنيا، ولا أستفتهم عن دين حتى ألقى الله عزّ
وجلّ". (صحيح البخاري ٢: ١١٢) ^١.

وأخرج البخاري في جزءه السابع في باب الحوض وقول الله تعالى:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: "بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعده أدبهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلم، فلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعده على أدبهم القهقرى، فلا رأه يخلصُ منهم إلا مثل همل النَّعَمَ".

^١ ولعل قائلا يقول: من قال بأن هؤلاء كانوا من الصحابة؟

وللجواب عليه نذكر ما قاله ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٢: ٤٦٩ حيث قال: .. إن من كان في عصر أبي بكر وعمر رجلا وهو من قريش فهو على شرط الصحبة، لأنه لم يبق بعد حجة الوداع منهم أحد على الشرك، وشهدوا حجة الوداع مع النبي ﷺ... .

وعن أبي سعيد الخدري: "فِيَقَالُ إِنْكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَوْا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي". (صحيح البخاري ٢٠٨).

كما أخرج البخاري في جزئه الخامس من باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ عن العلاء بن المسيب، عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما فقلت: طوبى لك صحبت النبي ﷺ، وبايته تحت الشجرة، فقال: يابن أخي، إنك لا تدرى ما أحدثنا بعده. (صحيح البخاري ٥٦). وإنها لشهادة كبيرة من صحابي كبير كان على الأقل صريح مع نفسه ومع الناس، وتأتي شهادته مؤكدة لما قاله الله تعالى فيهم: ﴿أَفَإِنْ ماتَ أُوْتُمْ فَتَلَوْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾.

ومؤكدة لما قاله النبي ﷺ: "فِيَقَالُ لَى، إِنَّهُمْ ارْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ وَمَؤْكَدَةً لِمَا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ".

القهقري.

والبراء بن عازب وهو صحابي جليل من الأكابر، ومن السابقين الأولين الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة: يشهد على نفسه وغيره من الصحابة بأنهم أحدثوا بعد وفاة النبي ﷺ كي لا يغترّ بهم الناس، وأوضح بأنّ صحبة النبي ﷺ و Bailey و مبايته تحت الشجرة، والتي سميت بيعة الرضوان، لا تمنعان من ضلاله الصحابي وارتداده بعد النبي ﷺ.

وآخر جزء البخاري في جزئه الثامن في باب قول النبي ﷺ: "لتتباعن سن من كان قبلكم" عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: "لتتباعن سن من كان قبلكم شبراً بشبراً وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحراً ضبّ تبعتموهם"، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟

قال: " فمن"؟ (صحيح البخاري ٨: ١٥١).

شهادة التاريخ في الصحابة

ولنا بعد القرآن والسنة شهادة أخرى قد تكون أوضح وأصرح؛ لأنّها ملموسة ومحسوسة، عاشهها الناس وشاهدوها وتفاعلوا معها، فأصبحت تاريخاً يُدْوَنُ، وأحداثاً تحفظ وتكتب.

وإذا قرأنا كتب التاريخ عند أهل السنة والجماعة كالطبرى، وابن الأثير، وابن سعد، وأبى الفداء، وابن قتيبة، وغيرهم لرأينا العجب العجاب، ولادركتنا أنّ ما يقوله أهل السنة والجماعة في عدالة الصحابة، وعدم الطعن في أيّ واحد منهم، كلام لا يقوم على دليل، ولا يقبله العقل السليم، ولا يوافق عليه إلا المتعصّبون الذين حجبت الظلمات عنهم النور، ولم يعودوا يفرقون بين محمد النبي ﷺ المعصوم، الذي لا ينطق عن الهوى ولا يفعل إلا الحق وبين صحابته الذين شهد القرآن بتفاقهم وفسقهم وقلة تقوتهم، فتراهم يدافعون عن الصحابة أكثر مما يدافعون عن رسول الله ﷺ، وأضرب لذلك مثلاً: عندما تقول لأحد هم بأنّ سورة عبسٍ وتولّى لم يكن المقصود بها رسول الله ﷺ، وإنما المقصود بها أحد كبار الصحابة الذي عاتبه الله على تكبره، و Ashton رازه عند رؤيته الأعمى الفقير، فتراه لا يقبل بهذا التفسير ويقول: ما محمد إلا بشرٌ، وقد غلط مرات عديدة، وعاتبه ربّه في أكثر من موقع، وما هو بمعصوم إلا في تبليغ القرآن، هذا رأيه في رسول الله!

ولكذلك عندما تقول بأنّ عمر بن الخطاب أخطأ في ابتداعه لصلاة التراويح التي نهى رسول الله ﷺ عنها، وأمر الناس بالصلاحة في بيوتهم فرادى إذا كانت الصلاة نافلة (أي غير المكتوبة) تراه يدافع عن عمر بن

الخطاب دفاعاً لا يقبل النقاش ويقول: إنها بدعةٌ حسنة!! ويحاول بكل جهوده أن يلتمس له عذرًا رغم وجود النص من النبي ﷺ على التهـى !!
وإذا قلت له: إن عمر عطل سهم المؤلفة قلوبهم، الذي حكم به الله تعالى في كتابه العزيز، فترأه يقول: إن سيدنا عمر عرف أن الإسلام قد قوي فقال لهم: لا حاجة لنا فيكم، وهو أعلم بمفاهيم القرآن من كل الناس! ألا تعجب من هذا؟!

ووصل الحدّ بأحدthem عندهما قلت له: دعنا من البدعة الحسنة ومن المؤلفة قلوبهم، ما هو دفاعك عنه إذ أخذ يهدّد بحرق بيت فاطمة الزهراء من فيه إلا أن يخرجوا للبيعة ^١؟

فأجابني بكل صراحة: معه الحق، ولو لا أنه لم يفعل ذلك لتأخّل كثير من الصّحابة عند علي بن أبي طالب، ولو قعـت الفتنة!!
فكلامـنا مع هذا النـمط من النـاس لا يجـدي ولا ينـفع، ومع الأسف الشـديد فإنـ الأغلـبية من أهلـ السنـة والـجمـاعة يـفـكـرونـ بـهـذـهـ العـقـلـيـة؛ لأنـهـمـ لاـ يـعـرـفـونـ الحقـ إـلـاـ مـنـ خـالـلـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ وـأـفـاعـالـ، فـهـمـ عـكـسـواـ القـاعـدـةـ وـعـرـفـواـ الحقـ بالـرـجـالـ، وـالـمـفـروـضـ أـنـ يـعـرـفـواـ الرـجـالـ بـالـحـقـ "أـعـرـفـ الـحـقـ" تـعـرـفـ أـهـلـهـ ^٢، كـمـ قـالـ الإـمـامـ عـلـىـ.
ثم سـرـتـ هـذـهـ الـعـقـيـدـةـ فـيـهـمـ، وـتـعـدـتـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ إـلـىـ كـلـ الصـحـابـةـ،

^١ ذكر ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٧٢ التهـيد بـحرـقـ دارـ الزـهـراءـ بـأسـانـيدـ قـوـيـةـ، وـصـحـيـحةـ.

^٢ أـسـابـ الـأـشـرـافـ لـلـبـلـادـرـيـ: ٢٧٤ـ، تـفـسـيرـ الـقـرـطـبـيـ ١: ٣٤٠ـ، فـيـضـ الـقـدـيرـ ١: ٢٨ـ، رـوـضـةـ الـوـاعـظـينـ لـلـفـتـالـ الـنـيـساـبـورـيـ: ٣١ـ.

فِهِمْ كَلَّهُمْ عَدُولٌ وَلَا يُمْكِنُ لَأَحَدٍ خَدْشَهُمْ أَوْ الطَّعْنَ فِيهِمْ، وَبِذَلِكَ ضَرَبُوا
حَاجِزاً كَيْفِاً وَسَدِّاً مِنِيعَاً عَلَى كُلَّ بَاحِثٍ يَرِيدُ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، فَتَرَاهُ لَا
يَتَخَلَّصُ مِنْ مَوْجَةٍ حَتَّى تَعْتَرِضَهُ أَمْوَاجٌ، وَلَا يَتَخَلَّصُ مِنْ خَطَرٍ حَتَّى
تَعْتَرِضَ سَبِيلَهُ أَخْطَارٌ، وَلَا يَكَادُ الْمَسْكِينُ يَصْلِي إِلَى شَاطِئِ السَّلَامَةِ إِلَّا إِذَا
كَانَ مِنْ أُولَى الْعَزْمِ وَالصَّابِرِ وَالشَّجَاعَةِ.

وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى مَوْضِيَّ التَّارِيخِ فَإِنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ قَدْ كُشِّفَتْ عُورَاتِهِمْ،
وَسَقَطَتْ أَقْنَعُهُمْ، وَظَهَرُوا عَلَى حَقِيقَتِهِمُ الَّتِي حَاوَلُوا جُهْدَهُمُ اخْفَاءِهَا عَلَى
النَّاسِ، أَوْ حَاوَلُ ذَلِكَ أَنْصَارُهُمْ وَأَتَبَاعُهُمْ، أَوْ قَلْ: حُكَامُ السُّوءِ وَالْمُتَزَلَّفِينَ
إِلَيْهِمْ.

وَأَوَّلُ مَا يَلْفِتُ النَّاظِرُ هُوَ مَوْقِفُ هُؤُلَاءِ تَجَاهَ رَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ غَدَاءَ وَفَاتِهِ
رُوحِي لِهِ الْفَدَاءِ، وَكِيفَ تَرَكُوهُ جَثَّةً وَلَمْ يَشْتَغِلُوا بِتَجْهِيزِهِ وَتَغْسِيلِهِ وَتَكْفِينِهِ
وَدْفِهِ، بَلْ أَسْرَعُوهُ إِلَى مَؤْتَمِرِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بْنِي سَاعِدَةِ يَخْتَصِّمُونَ
وَيَتَنَافَسُونَ عَلَى الْخِلَافَةِ، وَالَّتِي عَرَفُوا صَاحِبَهَا الشَّرِعيَّ، وَبَايِعُوهُ فِي حَيَاةِ
النَّبِيِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

مَمَّا يُؤْكِدُ لَنَا بِأَنَّهُمْ اغْتَنَمُوا فَرْصَةَ غِيَابِ عَلَى وَبْنِي هَاشِمٍ الَّذِينَ أَبْتَأْتُ
أَخْلَاقُهُمْ أَنْ يَتَرَكُوا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مُسْجِّيًّا وَيَتَسَابِقُوا لِلصَّقِيفَةِ، فَأَرَادُ هُؤُلَاءِ
أَنْ يُبَرُّمُوا الْأَمْرَ بِسُرْعَةٍ قَبْلَ فَرَاغِ أُولَئِكَ مِنْ مَهْمَمَتِهِمُ الشَّرِيفَةِ، وَيُلْزِمُوهُم
بِالْأَمْرِ الْوَاقِعِ فَلَا يَقْدِرُونَ بَعْدَهُ عَلَى الْكَلَامِ وَالْاحْتِجاجِ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ
الصَّقِيفَةِ تَعَاقَدُوا عَلَى قَتْلِ كُلِّ مَنْ يَحَاوِلُ فَسْخَ الْأَمْرِ الَّذِي أَبْرَمُوهُ بِدُعْوَى
مَقاوِمةِ الْمُخَالِفِينَ وَاخْمَادِ الْفَتْنَةِ.

ويذكِّر المؤرخون أشياء عجيبة وغريبة وقعت في تلك الأيام من أولئك الصحابة الذين اصْبَحُوا فيما بعد هم خلفاء الرسول ﷺ وأمراء المؤمنين، كحملهم الناس على البيعة بالضرب والتهديد بالقوة، وكالهجوم على بيت فاطمة وكشفه، وكحصر بطنها بالباب الذي كانت وراءه حتى أُسقطت جينها، وخروج علي مكتفًا وتهديده بالقتل إن رفض البيعة، وغضب الزهراء حقوقها من النحلة والإرث وسهم ذي القربى حتى ماتت غاضبة عليهم وهي تدعى عليهم في كل صلاة، ودفت في الليل سرًا ولم يحضروا جنازتها، وكقتلهم للصحابة الذين أبوا أن يدفعوا الزكوة لأبي بكر تريثًا منهم حتى يعرفوا سبب تأخر علي عن الخلافة، لأنهم بايعوه في حياة النبي في غدير خم^١.

وكهتكهم للمحارم، وتعدّي حدود الله في قتل الأبرياء من المسلمين، والدخول بنسائهم من غير احترام للعدة^٢، وكغيرهم أحكم الله ورسوله ﷺ المبينة في الكتاب والسنة، وإبدالها بأحكام اجتهادية تخدم مصالحهم الشخصية^٣، وكشرب بعضهم الخمر، والمداومة على الزنا، وهم ولاة المسلمين والحاكمون فيهم^٤.

وكنفُي أبي ذر الغفارى وطرده من مدينة رسول الله ﷺ حتى مات

^١ قضية مالك بن نويرة مشهورة في كتب التاريخ (المؤلف).

^٢ قضية خالد بن الوليد ودخوله بليلي بنت المنھال بعد قتل زوجها (المؤلف).

^٣ كتعطيل إرث الزهراء، وسهم ذي القربى - وسهم المؤلفة قلوبهم - ومتعة الزواج ومتعة الحج وغيرها كثیر (المؤلف).

^٤ قضية المغيرة بن شعبة وزناه بأم جميل، والقصة مشهورة في كتب التاريخ (المؤلف).

وحيداً بدون ذنب اقترفه، وضرب عمّار بن ياسر حتّى وقع له فتق، وضرب عبد الله بن مسعود حتّى كسرتْ أضلاعه، وعزل الصحابة المُخلصين من المناصب، وتولّية الفاسقين والمنافقين من بني أميّة أعداء الإسلام.

وَكَسَبَ وَلَعْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا،
وَقُتِلَ مِنْ تَشْيِيعٍ لَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ الْأَبْرَارِ^١.

وَكَاسْتِيلَانِهِمْ عَلَى الْخَلَافَةِ بِالْقَهْرِ وَالْقُوَّةِ وَالْقُتْلِ وَالْإِرْهَابِ، وَتَصْفِيهِ مِنْ عَارِضِهِمْ بِشَتَّى الْوَسَائِلِ كَالاغْتِيَالِ وَدَسْ السَّمِّ وَغَيْرِ ذَلِكِ^٢، وَكَإِبَاحَتِهِمْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ لِجَيْشِ يَزِيدَ يَفْعُلُ فِيهَا مَا يَشَاءُ رَغْمَ قَوْلِ الرَّسُولِ: "إِنَّ حَرْمَى الْمَدِينَةِ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ اجْمَعِينَ"^٣.

وَكَرْمِيهِمْ بَيْتُ اللَّهِ بِالْمَنْجِنِيقِ، وَحَرْقَهِمُ الْحَرَمُ الشَّرِيفُ، وَقَتْلَهِمْ بَعْضُ الصَّحَابَةِ بِدَاخْلِهِ.

وَكَحْرِبَهُمْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدِ الْوَصِيْنَ، سَيِّدِ الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ الَّذِي كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى فِي حَرْبِ الْجَمْلِ، وَحَرْبِ صَفِينِ،

^١ كما قتل معاوية بن أبي سفيان حجر بن عدي الصحابي الجليل وأصحابه؛ لأنّه امتنع عن لعن علي بن أبي طالب (المؤلف).

^٢ يقول المؤرّخون: كان معاوية يستدعي معارضيه ويسمّيهم عسلاً مسموماً فيخرجون من عنده ويموتون فيقول: إنّ الله جنداً من عسل (المؤلف).

^٣ نحوه مستند أحمد ٤٢٨، صحيح البخاري ١: ٤٦٠، كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، ٤: ٤٢٠ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب إثّم من آوى محدثاً.

وَحَرْبُ النَّهْرُوَانِ مِنْ أَجْلِ أَطْمَاعٍ خَسِيسَةٍ، وَدُنْيَا فَانِيَةٍ.

وَكَتْلَتْهُمْ سَيِّدِي شَبَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْإِمَامُ الْحَسَنُ بِالسَّمْ وَالْإِمَامُ الْحَسَنُ
بِالذِّبْحِ وَالْتَّمْثِيلِ، وَقُتِلَ عَتْرَةُ الرَّسُولِ وَالْمُلِيقُونَ بِأَجْمَعِهِمْ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا عَلَى
ابْنِ الْحَسَنِ، وَكَأْفَالُ أُخْرَى يَنْدِي لَهَا جَبِينُ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَأَنْزَهَ قَلْمَى عَنْ
كِتَابِهَا، وَأَهْلُ السَّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَعْرُفُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا، وَلَذِكَ يَحَاوِلُونَ جَهَدَهُمْ
صَدَّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ قِرَاءَةِ التَّارِيخِ وَالْبَحْثِ فِي حَيَاةِ الصَّحَابَةِ.

وَمَا ذَكَرَتْهُ الْآنُ مِنْ كِتَابَاتِ التَّارِيخِ مِنْ جَرَائِمِ وَمُوبِقَاتِهِ مِنْ أَعْمَالِ
الصَّحَابَةِ بِلَا شَكٍّ، فَلَا يَمْكُنُ لِعَاقِلٍ بَعْدَ قِرَاءَةِ هَذَا؟! أَنْ يَبْقَى مُصْرِّاً عَلَى
تَنْزِيهِ الصَّحَابَةِ وَالْحُكْمِ بِعَدَ الْتَّهْمِ وَعَدَمِ الطَّعْنِ فِيهِمْ إِلَّا إِذَا فَقَدَ عَقْلَهُ.

مَعَ الْمَلَاحَظَةِ الْأَكِيدَةِ بِأَنَّا وَاعْوَنَ جَدَّاً إِلَى عَدَالَةِ الْبَعْضِ مِنْهُمْ، وَنَزَّاهَتْهُمْ
وَتَقْوَاهُمْ، وَجَبَّهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُلِيقُونَ، وَثَبَاتُهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ وَالْمُلِيقُونَ، حَتَّى قَضَوْا
نِحْبَهُمْ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا، فَرَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَسْكَنَهُمْ بِجَوارِ حَبِيبِهِمْ وَنبِيِّهِمْ
مُحَمَّدٌ وَالْمُلِيقُونَ.

وَهُؤُلَاءِ هُمُ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ وَأَسْمَى مِنْ أَنْ يَخْدُشَ فِي سَمْعَتِهِمْ خَادِشٌ، أَوْ
يَتَقَوَّلُ عَلَيْهِمْ مَتَقَوَّلٌ، وَقَدْ مَدَحَهُمْ رَبُّ الْعَزَّةِ وَالْجَلَالَةِ فِي عَدَّةِ مواضعٍ مِنْ
كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، كَمَا نَوَّهَ بِصَحْبِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، كَمَا لَمْ
يَسْجُلْ لَهُمُ التَّارِيخُ إِلَّا المَوَاقِفُ الْمُشَرَّفَةُ الْمُلِيقَةُ بِالْمَرْوِعَةِ، وَالنَّبِلِ، وَالشَّجَاعَةِ،
وَالْتَّقْوَى، وَالخُشُونَةُ فِي ذَاتِ اللَّهِ، فَهُنَّئُوا لَهُمْ وَحْسَنُ مَآبِهِمْ، جَنَّاتُ عَدَنِ
مَفْتُوحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ، وَرَضَاءُهُمْ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ جَزَاءُ الشَّاكِرِينَ، وَالشَّاكِرُونَ -
كَمَا ذَكَرَ كِتَابُ اللَّهِ - هُمْ أَقْلَيَةٌ قَلِيلَةٌ، فَلَا تَنْسِ!

أما الذين استسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، وصاحبوا رسول الله ﷺ رغبة ورهبة، أو لحاجة في نفس يعقوب، ووبخهم القرآن وهددهم وتوعدهم، وحذرهم رسول الله ﷺ وحذر منهم، ولعنهم في عدّة مواطن، وسجل لهم التاريخ أعمالاً وموافق شنيعة... أما هؤلاء فليسوا جديرين بأي احترام ولا تقدير، فضلاً عن أن نترضى عليهم وننزلهم منزلة النبيين والشهداء والصالحين.

وهذا لعمري هو الموقف الحق الذي يزن الموازين بالقسط، ولا يتعدى حدود ما رسمه الله لعباده من موالة المؤمنين، ومعاداة الفاسقين، والبراءة منهم.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَلْمَ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذَبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَاحًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أُولَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * اسْتَحْوِذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أَوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ فِي الْأَذْلِينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلَبِنَا وَرَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِعُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْرَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلَئِكَ

حزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .

صدق الله العلي العظيم

ولا يفوتنـي في هذا الصدد أن أـسجل بأـن الشـيعة هـم عـلى حقـ لأنـهم لا يـلقـون بالـمودـة إـلا لـمـحمدـ وـأـهـلـ بـيـتهـ، ولـالـصـحـابـةـ الـذـينـ سـارـواـ عـلـىـ نـهـجـهـمـ، وـلـلـمـؤـمـنـينـ الـذـينـ اـتـبعـوـهـ بـإـحـسـانـ إـلـىـ يـوـمـ الدـيـنـ. وـغـيرـ الشـيعـةـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ يـلـقـونـ بـالـمـوـدـةـ لـكـلـ الصـحـابـةـ أـجـمـعـينـ، غـيرـ مـبـالـيـنـ بـمـنـ حـادـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ، وـعـادـةـ هـمـ يـسـتـدـلـلـونـ بـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بـإـيمـانـ وـلـاـ تـجـعـلـ فـيـ قـلـوبـنـاـ غـلـاـ لـلـذـينـ آمـنـواـ رـبـنـاـ إـنـكـ رـوـوفـ رـحـيمـ﴾^٢.

فترـاهـمـ يـترـضـيـونـ عـلـىـ عـلـىـ وـمـعـاوـيـةـ، غـيرـ مـبـالـيـنـ بـمـاـ اـرـتـكـبـهـ هـذـاـ الـأـخـيـرـ منـ أـعـمـالـ أـقـلـ مـاـ يـقـالـ فـيـهـاـ: إـنـهـاـ كـفـرـ وـضـلـالـ وـمـحـارـبـةـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ، وـقـدـ ذـكـرـتـ فـيـمـاـ سـبـقـ تـلـكـ الـطـرـيـفـةـ التـىـ لـاـ بـأـسـ بـتـكـرـارـهـاـ، وـهـىـ أـنـ أـحـدـ الصـالـحـينـ زـارـ قـبـرـ الصـحـابـيـ الجـلـيلـ حـجـرـ بنـ عـدـيـ الـكـنـديـ، فـوـجـدـ عـنـهـ رـجـلـاـ يـبـكـيـ وـيـكـثـرـ الـبـكـاءـ، فـظـئـهـ مـنـ الشـيـعـةـ فـسـأـلـهـ: لـمـاـذـاـ تـبـكـيـ؟ـ أـجـابـ: أـبـكـيـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ حـجـرـ رـضـيـ اللـهـ تـعـالـىـ عـنـهـ!

قالـ: ماـذـاـ أـصـابـهـ؟ـ

أـجـابـ: قـتـلـهـ سـيـدـنـاـ مـعـاوـيـةـ رـضـيـ اللـهـ تـعـالـىـ عـنـهـ!

قالـ: وـلـمـاـذـاـ قـتـلـهـ؟ـ

أـجـابـ: لـأـنـهـ اـمـتـنـعـ عـنـ لـعـنـ سـيـدـنـاـ عـلـىـ رـضـيـ اللـهـ تـعـالـىـ عـنـهـ!

^١ المجادلة: ١٤ - ٢٢.

^٢ الحشر: ١٠.

قال له ذلك الصالح: وأنا أبكي عليك أنت رضي الله تعالى عنك!!
 فلماذا هذا الإصرار والعناد على مودة كل الصحابة أجمعين حتى نراهم
 لا يصلّون على محمد وآله إلا ويُضيفون وعلى أصحابه أجمعين، فلا القرآن
 أمرهم بذلك، ولا رسول الله ﷺ طلب منهم ذلك، ولا أحد من الصحابة قال
 بذلك، وإنما كانت الصلاة على محمد وآل محمد كما نزل بها القرآن، وكما
 علمها لهم رسول الله ﷺ .

وإن شككت في شيء فلا ولن أشك في أن الله طلب من المؤمنين مودة
 ذي القربى وهم أهل البيت، وجعلها فرضاً عليهم كأجر على الرسالة
 المحمدية، فقال تعالى:

﴿فَلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَةُ فِي الْقُرْبَى﴾^١.

وقد اتفق المسلمون بلا خلاف على مودة أهل البيت عليهم الصلاة
 والسلام واختلفوا في غيرهم، وقد قال رسول الله ﷺ: "دع ما يريبك إلى ما
 لا يريبك"^٢.

وقول الشيعة في مودة أهل البيت ومنتبعهم لا ريب فيه، وقول أهل
 السنة والجماعة في مودة الصحابة أجمعين فيه ريب كبير، وإلا كيف يلقي
 المسلم بالمودة إلى أعداء أهل البيت عليه السلام وقاتلهم ويترضى عنهم؟! أليس
 هذا هو التناقض المقيت؟

^١ الشورى: ٢٣.

^٢ مسند أحمد ١: ٢٠٠ وصرح محقق المسند الشيخ أحمد شاكر بصحته، صحيح البخاري^٣:
^٤ كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات نقلها عنوان مقوله لحسان بن أبي سنان.

ودع عنك قول أهل الشطحات، وبعض المتصوّفة الذين يزعمون أن الإنسان لا يصفى قلبه، ولا يعرف الإيمان الحقيقى إلاً عندما لا يقى في قلبه مثقال ذرة من بغض لعبد الله أجمعين؛ من يهود ونصارى وملحدين ومشركين، ولهم في ذلك أقوال عجيبة وغريبة يتلقوا فيها مع المبشرى من رجال الكنيسة المسيحيين، الذين يموّهوا على الناس بأنَّ الله محبّة والدّين محبّة، فمن أحبّ مخلوقاته فليس له حاجة بالصلوة والصوم والحجّ وغير ذلك!!

إنّها لعمرى خزعبلاتٌ لا يقرّها القرآن والسنة ولا العقل، فالقرآن الكريم يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^١. ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ بَعْضُهُمُ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^٢. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا أَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُولَئِكَ اسْتَحْبِبُوا الْكُفَّارَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^٣. وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أُولَئِكَ تُلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾^٤.

وقال رسول الله ﷺ: "لا يتم إيمان المؤمن حتى يكون حبه في الله وبغضه في الله".

^١ المجادلة: ٢٢.

^٢ المائدة: ٥١.

^٣ التوبه: ٢٣.

^٤ الممتحنة: ١.

وقال - أيضاً - "لا يجتمع في قلب مؤمن حب الله وحب عدوه".
والأحاديث في هذا المجال كثيرة جدًّا، ويكتفى العقل وحده دليلاً بأنَّ الله
سبحانه حبَّ للمؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر
والفسق والعصيان، فقد يكره الإنسان ابنه أو أباه أو أخيه لمعاندة الحق
والتمادي في طريق الشيطان، وقد يحبُّ ويواли أجنبي لا تربطه به إلا إخوة
الإسلام.

ولكلَّ هذا يجبُ أن يكون حُبُّنا وودُّنا وموالاتنا لمن أمر الله بموذّتهم،
كما يجبُ أن يكون بغضنا وكرهنا وبراءتنا لمن أمر الله سبحانه بالبراءة
منهم.

ومن أجل ذلك كانت موالاتنا على والأئمَّة من بنيه من غير أن تكون لنا
علاقة مسبقة بموذّتهم، وذلك لأنَّ القرآن والسنة والتاريخ والعقل لم يتركوا
لنا فيهم أي ريب.

ومن أجل ذلك كانت - أيضاً - براءتنا من الصحابة الذين اغتصبوا حقَّه
في الخلافة، من غير أن تكون لنا علاقة مسبقة ببغضهم؛ وذلك لأنَّ القرآن
والسنة والتاريخ والعقل تركوا لنا فيهم ريباً كبيراً.

وبما أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرنا بقوله: "دع ما يربيك إلى ما لا يربيك" فلا
ينبغى لمسلم أن يتبع أيَّ أمر مريب، ويترك الكتاب الذي لا ريب فيه.
كما يجبُ على كلَّ مسلم أن يتحرر من قيوده وتقاليده، ويحكم عقله
بدون أفكار مسبقة ولا أحقاد دفينة؛ لأنَّ النَّفْس والشيطان عدوان خطيران
يُزَيَّنان للإنسان سوء عمله فираه حسناً، ولنعم ما قاله الإمام البوصيري في
البردة:

وَخَالِفُ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصَهُمْ
وَإِنْ هَمَا مَحْضًاكَ النَّصْحَ فَاتَّهُمْ
وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ مِنْهُمْ، أَمَّا الَّذِينَ لَمْ
يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ فَلَا حُرْمَةٌ لَهُمْ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا نَمِيمَةٌ فِي
فَاسِقٍ" لِيَكْشِفَ الْمُسْلِمُونَ أُمُرَهُ، فَلَا يَغْتَرُونَ بِهِ وَلَا يَوْلُونَهُ.
وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْهِمْ صَادِقِينَ مَعَ أَنفُسِهِمْ، وَيَنْظَرُوا إِلَى
وَاقْعَهُمُ الْمُؤْلِمُ الْحَزِينُ الْمُخْزِيُّ، وَيَكْفِيهِمُ مِنَ التَّعْنِيِّ وَالتَّفَارِخِ بِأَمْجَادِ
أَسْلَافِهِمْ وَكِبَرَائِهِمْ، فَلَوْ كَانَ أَسْلَافُنَا عَلَى حَقٍّ كَمَا نَصُورُهُمُ الْيَوْمَ لِمَا وَصَلَنَا
نَحْنُ إِلَى هَذِهِ النَّتْيَاجَةِ الَّتِي هِيَ حَتَّمًا حَصِيلَةُ الْانْقَلَابِ الَّذِي وَقَعَ فِي الْأُمَّةِ
بَعْدَ وَفَاهَا نَبِيًّا، رَوْحِيٍّ وَأَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ لِهِ الْفَدَاءُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّامِينَ بِالْقُسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ
الْوَالَّدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَبْغُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدُلُوا
وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^١.

قول أهل الذكر بخصوص بعض الصحابة

قال الإمام علي عليه السلام، يصف هؤلاء الصحابة المعدودين من السابقين
الأولين:

”فلما نهضت بالأمر، نكثت طائفه، ومرقت أخرى، وقسط آخر ون^٢،

^١. النساء: ١٣٥.

^٢ يقول محمد عبده في شرح نهج البلاغة من الخطبة الشقشيقية في هذا: الناكثون أصحاب الجمل، والمارقون أصحاب النهروان، والقادرون أي الجائزون وهم أصحاب صفين. (المؤلف).

كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حِيثُ يَقُولُ: ﴿تُلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^١ !! بَلِى وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنْهُمْ حَلِيتُ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقِهِمْ زُبْرُجُهَا".^٢

وَقَالَ - أَيْضًا - سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِيهِمْ: "اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَاكًا، وَاتَّخَذُهُمْ لَهُ أَشْرَاكًا، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الْزَّلْلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخُطْلَ، فَعَلَّمَ مِنْ قَدْ شَرَّكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانٍ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ".^٣

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصَّحَابِيِّ الْمُشَهُورِ عُمَرَ بْنَ الْعَاصِ: "عَجَباً لَابْنِ النَّابِغَةِ... لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا، وَنَطَقَ إِثْمًا، أَمَا وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذَبُ، إِنَّهُ يَقُولُ فِي كَذَبٍ، وَيَعْدُ فِي خَلْفٍ، وَيُسْأَلُ فِي لِحْفٍ، وَيُسْأَلُ فِي بَخلٍ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ وَيَقْطَعُ الْإِلَّا".^٤

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "آيَةُ الْمَنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتَمَنَ خَانَ".^٥

وَكُلُّ هَذِهِ الرِّذَايْلِ وَأَكْثَرُ مِنْهَا مُوجَودَةٌ فِي عُمَرِ بْنِ الْعَاصِ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مدح أبي ذر الغفارى، وَذَمِّ عُثْمَانَ وَمَنْ مَعَهُ الَّذِينَ أَخْرَجُوهُ إِلَى الرَّبْذَةِ، وَنَفَوْهُ إِلَى أَنْ مَاتَ وَحِيدًا:

^١ القصص: ٨٣

^٢ نهج البلاغة ١: ٣٦، الخطبة ٣.

^٣ نهج البلاغة ١: ٤٢، الخطبة ٧.

^٤ نهج البلاغة ١: ٤٧، الخطبة ٨٤.

^٥ تحف العقول: ١٠، صحيح البخاري ١: ١٤ كتاب الإيمان، باب علامه المنافق، صحيح مسلم ١: ٥٦ كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق.

"يا أبا ذر، إنك غضبت الله فارج من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفthem عليهم، فما أحوجهم إلى ما منعهم، وما أغناك عمّا منعوك، وستعلم من الرابع غالباً والأكثر حسداً، ولو أن السماء والأرضين كانت على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخرجاً، ولا يؤنسنك إلا الحق، ولا يوحشنك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك، ولو قرست منها لأنموك".^١

وقال عليه السلام في المغيرة بن الأحسن، وهو - أيضاً - من أكابر الصحابة: "يابن اللعين الأبتر، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، والله ما أعز الله من أنت ناصره، ولا قام من أنت منهضه، اخرج عنا أبعد الله نوالك، ثم أبلغ جهلك فلا أبقى الله عليك إن أبقيت".^٢

وقال عليه السلام في طلحة والزبير الصحابيين الشهيرين اللذين حارباه بعدما بايعاه ونكثا بيعته:

"والله ما أنكروا علي مُنكرأ، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً، وإنهم ليطلبون حقاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه...".^٣

"وإنها للفئة الbagية فيها الحما والحمّة، والشّبهة المعدقة، وإن الأمر واضح، وقد زاح الباطل عن نصابه، واقطع لسانه عن شغبه..."

^١ نهج البلاغة ٢: ١٣، الخطبة ١٣٠.

^٢ نهج البلاغة ٢: ١٨، الخطبة ١٣٥.

^٣ نهج البلاغة ١: ٥٩، الخطبة ٢٢.

فأقبلتمْ إلى إقبال العوذ المطافيل على أولادها، تقولون: البيعةَ البيعةَ،
قبضْتُ كفى ببساطُمُوها، ونازعتكم يدي فجاذبُمُوها.
اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قطعاني وظلماني، ونكثا بيتعى، وآلُّنَّاسَ عَلَىَّ، فاحلُّ مَا
عَدَّا، ولا تُحکم لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وَأَرْهَمَا الْمَسَاءَ فِيمَا أَمَّلَا وَعَمَّلَا، وَلَقَدْ
اسْتَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ، وَاسْتَأْتَيْتُ بَهُمَا أَمَّامَ الْوَقَاعِ، فَغَمَطَا النَّعْمَةَ، وَرَدَّا
الْعَافِيَةَ^١.

وفي رسالة منه إلىهما أيضاً:
”فارجعا أيها الشیخان عن رأيكما، فإن الآن أعظمُ أمركم العارُ من قبل
أن يجتمع العارُ والنارُ، والسلام“^٢.

وقال عليه السلام في مروان بن الحكم، وقد أسره في حرب الجمل ثم أطلق
سراحه، وهو من الذين بايعوا ونكثوا البيعة:
”لا حاجة لي في بيته؛ إنها كف يهودية، لو بايعني بكفه لغدر بسيبه،
أما إن كه إمرة كالعقة الكلب آنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة
منه ومن ولده يوماً أحمر“^٣.

وقال عليه السلام في الصحابة الذين خرجوا مع عائشة إلى البصرة في حرب
الجمل، وفيهم طلحة والزبير:

”فخرجوا يجرّون حُرْمَةَ رسول الله عليه السلام كما تُجرُّ الأمة عند شرائها،“

^١ نهج البلاغة ٢: ٢١، الخطبة ١٣٧.

^٢ نهج البلاغة ٣: ١١٢، الخطبة ٥٤.

^٣ نهج البلاغة ١: ١٢٣، الخطبة ٧٣.

متوجّهين بها إلى البصرة، فحبسَ نساءً هُما في بيوتِهِما وأبْرَزَ حبيس رسول الله ﷺ لهُما ولغيرِهِما، فِي جيشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وقد أعطاني الطاعة، وسمح لِي بالبيعة طائعاً غير مكره.

فقد مُوا على عاملِي بها، وخُرِّبَ بيت مال المسلمين وغيرِهم من أهلهَا، فقتلوا طائفة صبراً، وطائفة غدرًا، فوالله لو لم يصيروا من المسلمين إلَّا رجلاً واحداً متعمدين لقتله بلا جرمٍ جرءة، لحلَّ لِي قتل ذلك الجيش كُلُّه إِذْ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد، دع ما أَنْهُمْ قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم^١.

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عائشة وأتباعها من الصّحابة فِي حربِ الجمل: "كُتُمْ جندَ المرأة، وأتَيْتَ الْبَهِيمَةَ، رَغَا فَأَجِبْتُمْ، وَعَقَرَ فَهَرِبْتُمْ، أَخْلَاقُكُمْ دَفَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شَفَاقٌ، وَدِينُكُمْ نَفَاقٌ"^٢. "أَمَّا فلانة فادرَكَها رأيُ النّسَاءِ، وضُغْنُ عَلَى صدرِهَا كمرجَلِ القينِ، ولو دُعِيتُ لِتَالَ من غيرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ، ولها بَعْدَ حُرْمَتِهَا الْأُولَى، والحسابُ عَلَى اللهِ تَعَالَى"^٣.

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قريشِ عَامَّةٍ، وهم صَحَابَةُ بلا شَكٍ: "أَمَّا الاستِبدادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسْبًا، وَالْأَشَدُونَ بِرِسُولِ اللهِ ﷺ نَوْطًا، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثْرَرُ شَحْتُ عَلَيْهَا نُفُوسَ قَوْمٍ، وَسُختَ عَنْهَا

^١ نهج البلاغة ٢: ٨٦، الخطبة ١٧٢.

^٢ نهج البلاغة ١: ٤٥، الخطبة ١٣.

^٣ نهج البلاغة ٢: ٤٨، الخطبة ١٥٦.

نفوسُ قومٍ آخرينَ، والحكمُ اللهُ، والمعودُ إليهِ القيمةُ.

وعَدْ عنكَ نهباً صِحَّ في حُجَّرَاتِهِ
ولكنَ حديثاً ما حديث الرواحل
وهلْمُ الخطبَ في ابنِ أبي سفيانَ، فلقدْ أضحكَنِي الدَّهْرُ بعْدِ إِبْكَائِهِ، وَلَا
غَرَّ وَاللهُ فِيهِ خَطِيباً يَسْتَفْرِغُ العَجَبَ وَيُكْثِرُ الأَوْدَ، حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ
اللهِ مِنْ مَصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَارِهِ مِنْ يُنْبُوِعُهُ، وَجَدَهُوا بَيْنِهِمْ شَرِبَاً وَبَيْثَاً،
إِنْ تَرْفَعُ عَنْهُمْ مَحَنُ الْبَلْوَى أَحْمَلَهُمْ مِنْ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ
تَكَنَّ الْأُخْرَى ﴿فَلَا تَذَهَّبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^١.

وقالَ فِي هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ دَفْنِهِ سَيِّدَ النِّسَاءِ فَاطِمَةَ الرَّزْرَاءِ، وَهُوَ يَخَاطِبُ

رَسُولَ اللهِ ﷺ :

"وَسْتَبْتُ إِبْنَكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هُضْمِهَا، فَأَحْفَحَهَا السُّؤَالُ، وَاسْتَخْبَرَهَا
الحالُ، هَذَا وَلَمْ يَطْلِعْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرِ...".^٢

وَقَالَ ﷺ فِي رِسَالَةِ إِلَى مَعَاوِيَةَ بَعْثَ بَهَا إِلَيْهِ:

"إِنَّكَ مُتَرْفٌ قَدْ أَخْذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا خَدَّهُ، وَبَأْغَى فِيكَ أَمْلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ
مَجْرِي الرُّوحِ وَالدَّمِ".

وَمَتَى كُتْمَكُمْ - يَا مَعَاوِيَةَ - سَاسَةُ الرَّعْيَةِ، وَوَلَّةُ أَمْرِ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ قَدْمِ سَابِقِ
وَلَا شَرْفٌ بِاسْقَ، وَنَعْوَذُ بِاللهِ مِنْ لَزْوَمِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ؟! وَأَحْذَرُكَ أَنْ تَكُونَ
مُتَمَادِيًّا فِي غَرَّةِ الْأَمْنِيَةِ مُخْتَلِفُ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ.

وَقَدْ دَعَوْتُ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعَ النَّاسَ جَانِبًا، وَأَخْرَجْتُ إِلَيَّ وَأَعْفَفْتُ الْفَرِيقَيْنِ

^١ نهج البلاغة: ٢٤٦، الخطبة ١٦٢.

^٢ نهج البلاغة: ٢١٨٢، الخطبة ٢٠٢.

من القتال، ليعلمَ أئِنَا المَرِينُ على قلبه، والمُغطَّى على بصره، فأنا أبو الحسن
قاتلُ جَدَّكَ وَخَالَكَ وأخِيكَ شَدَّخاً يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ السِيفُ معي، وبِذَلِكَ الْقَلْبُ
الْقَى عَدُوِّي، مَا اسْتَبَدَلْتُ دِينِاً، وَلَا اسْتَحْدَثُ نِيَّاً، وَإِنِّي لَعَلِيَ الْمَنْهَاجِ الَّذِي
تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَدَخَلْتُمُوهُ مُكْرِهِينَ...^١.

"وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بْنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسُ أُمِّيَّةَ كَهَاشِمٍ، وَلَا
حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَلَّبِ، وَلَا أَبُو سَفِيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمَهَاجِرُ كَالظَّلِيقِ، وَلَا
الصَّرِّيْحُ كَاللَّصِيقِ، وَلَا الْمَحْقُّ كَالْمُبْطَلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغَلِ، وَلِيَسْ
الخَلَفُ خَلَفٌ يَتَبَعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمِ.

وَفِي أَيَّدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النَّبِيِّ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعْشَنَا بِهَا الدَّلِيلَ، وَلَمَّا
أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوعًا وَكَرْهًا كَنْتُمْ
مِّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبِقِ بِسَبِّقِهِمْ،
وَذَهَبَ الْمَهَاجِرُونَ الْأُولَوْنَ بِفَضْلِهِمْ^٢.

"وَقَدْ دَعَوْتُنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَكَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجْبَنَا، وَلَكَّا
أَجْبَنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَالسَّلَامُ^٣".

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^٤.

^١ نهج البلاغة ٣: ١٢، الخطبة ١٠.

^٢ نهج البلاغة ٣: ١٧، الخطبة ١٧.

^٣ نهج البلاغة ٣: ٧٨، الخطبة ٤٨.

^٤ الإسراء: ٤٨.

الفصل الخامس

في ما يتعلّق بالخلفاء الثلاثة: أبو بكر وعمر وعثمان

إنَّ أهل السنة والجماعة - وكما قدّمنا - لا يسمحون بنقد وتجريح أيٍّ
صحابي من صحابته عليهم السلام، ويعتقدون بعد التهم جميعاً، وإذا كتب أيٍّ مفكراً
حرّ، وتناول بالنقד أفعال بعض الصحابة، فهم يُشنّعون عليه بل ويُكفرون به ولو
كان من علمائهم.

وذلك ما حصل لبعض العلماء المتحرّرين المصريين وغير المصريين
أمثال الشيخ محمود أبو رية صاحب "أصوات على السنة المحمدية"، وكتاب
"شيخ المضيرة"، وكالقاضي الشيخ محمد أمين الأنصاري صاحب كتاب
"لماذا اخترت مذهب أهل البيت"، وكالسيد محمد بن عقيل الذي ألف
كتاب "النصائح الكافية لمن يتولى معاوية"، بل ذهب بعض الكتاب
المصريين إلى تكفير الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر عندما أفتى
بجواز التعبد بالمذهب الجعفري.

وإذا كان شيخ الأزهر ومفتى الديار المصرية يُشنّع عليه لمجرد اعترافه
بالمذهب الشيعي، الذي ينتسب لأستاذ الأئمة ومعلمهم جعفر الصادق عليه السلام،
فما بالك بمن اعتقد هذا المذهب بعد بحث وقناعة، وتناول بالنقד المذهب
الذي كان عليه وورثه من الآباء والأجداد؟! فهذا ما لا يسمح به أهل السنة

والجماعة، ويعتبرونه مروقاً عن الدين وخروجاً عن الإسلام، وكأنَّ الإسلام على زعمهم هو المذاهب الأربعة، وغيرها باطل !!

إنَّها عقول متحجَّرة وجامدة، تُشَبِّهُ تلك العقول التي يحدِّثنا عنها القرآن، والتي واجهت دعوة النبي ﷺ وعارضته معارضة شديدة؛ لأنَّه دعاهم إلى التوحيد وترك الآلهة المتعددة، قال تعالى: ﴿وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجْعَلَ الْآلهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾^١. ولكلَّ ذلك فأنا واثقٌ من الهجمة الشرسة التي سوف تواجهني من أولئك المتعصِّبين الذين جعلوا أنفسهم قوامين على غيرهم، فلا يحقُّ لأحد أن يخرج عن المأثور لديهم، ولو كان هذا المأثور لا يمت للإسلام بشيء !! وإلاَّ كيف يحكم على من انتقد بعض الصحابة في أعمالهم بالخروج عن الدين والكفر، والدينُ بِأَصْوْلَه وفروعه ليس فيه شيء من ذلك !؟

بعض المتعصِّبين كان يروج في أواسطه بأنَّ كتابي "ثم اهتديت" يشبه كتاب سلمان رُشدي، ليصدِّ الناس عن قراءته بل ويحثُّهم على لعن كاتبه !! إنَّ الدسْ والتزوير والبهتان العظيم الذي سوف يُحااسبه عليه رب العالمين، وإلاَّ كيف يُقارن كتاب "ثم اهتديت" الذي يدعو إلى القول بعصمة الرسول ﷺ وتنزيهه، والاقتداء بأئمَّة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهَّرُهم تطهيراً؛ بكتاب "الآيات الشيطانية" الذي يشتمُ فيه صاحبه الملعون الإسلام ونبي الإسلام ﷺ، ويعتبر أنَّ الدين الإسلامي هو نفحة الشياطين ؟!

^١ ص: ٥.

فالله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقُسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾^١.

ومن أجل هذه الآية الكريمة فأنا لا أبالي إلا برضاء الله سبحانه وتعالى، ولا أخشى فيه لومة لائم ما دمتُ أدفع عن الإسلام الصحيح، وأنزه نبيه الكريم عن كل خطأ، ولو كان ذلك على حساب نقد بعض الصحابة المقربين، ولو كانوا من "الخلفاء الراشدين"؛ لأن رسول الله ﷺ هو أولى بالتنزيه من كل البشر.

والقارئ الحرج الليبي يفهم من كل مؤلفاتي ما هو الهدف المنشود، فليست القضية هي انتقاد الصحابة والنيل منهم بقدر ما هو دفاع عن رسول الله ﷺ وعصمته، ودفع الشبهات التي ألقها الأمويون والعباسيون بالإسلام وبنبي الإسلام، خلال القرون الأولى التي تحكموا فيها على رقاب المسلمين بالقهر والقوة، وغيروا دين الله بما أملته عليهم أغراضهم الدينية، وسياستهم العقيمة، وأهواؤهم الخسيسة.

وقد أثرت مؤامرتهم الكبرى على كتلة كبيرة من المسلمين الذين اتبعوهم عن حسن نية فيهم، وتقبلوا كل ما رووه من تحريف وأكاذيب على أنها حقائق، وأنها من الإسلام، ويجب على المسلمين أن يتبعدوا بها ولا يُناقشوها!!

ولو عرف المسلمون حقيقة الأمر لما أقاموا لهم ولا لمروياتهم وزناً. ثم إن لو كان التاريخ يروي لنا بأن الصحابة كانوا يمثلون أوامر رسول

^١ النساء: ١٣٥.

الله بِالْحَمْدِ لِلّٰهِ ونواهيه، ولا يناقشونه ولا يعترضون على أحكامه، وأنهم لم يعصوه في أواخر أيام حياته في عدّة أحكام؛ لحكمنا بعد الهم جميعاً، ولما كان لنا في هذا المجال بحثٌ ولا كلام.

أمّا وإنّ منهم مكذبون، ومنهم منافقون، ومنهم فاسقون بنص القرآن والسنة الثابتة الصحيحة. أمّا وأنهم اختلفوا بحضورته، وعصوه في أمر الكتاب حتى اتهموه بالهذيان، ومنعوه من الكتابة، ولم يتمثلوا أوامرها عندما أمر عليهم أسامة.. أمّا وإنهم اختلفوا في خلافته بِالْحَمْدِ لِلّٰهِ حتى أهملوا تغسيله وتجهيزه ودفنه، واختصموا من أجل الخلافة، فرضى بها بعضهم ورفضها بعضهم الآخر.. أمّا وإنهم اختلفوا في كلّ شيء بعده حتّى كفر بعضهم ببعضًا ولعن بعضهم ببعضًا، وتحاربوا فقتل بعضهم ببعضًا، وتبرأ بعضهم من بعض.

أمّا وإن دين الله الواحد أصبح مذاهب متعدّدة وآراء مختلفة؛ فلا بدّ والحال هذه أن نبحث عن العلة وعن الخلل الذي أرجع خير أمّة أخرىت للناس، وأهوى بها إلى الحضيض، فأصبحتْ أذلّ وأجهل وأحقّر أمّة على وجه البسيطة، تنتهكُ حرمتها، وتحتلُ مقدساتها، وتستعمّ شعوبها، وتشرّدُ وتطردُ من أراضيها، فلا تقدر على دفع المعتدين، ولا مسح العار عن جبينها؟!

والعلاج الوحيد فيما أعتقد لهذه المعضلة هو النقد الذاتي، فكفانا التغنى بأسلافنا وبأمجادنا المزيفة التي تبخّرتْ وأصبحت متاحف أثرية خالية حتى من الزوار، والواقع يدعونا أن نبحث عن أسباب أمراضنا وتخلفنا، ونفرقنا وفشلنا حتى نكتشف الداء فنشخّص له الدواء الناجع لشفائنا، قبل

أن يقضى علينا ويأتي على آخرنا.

هذا هو الهدف المنشود، والله وحده هو المعبد، وهو الهادي عباده إلى سواء الصراط.

وما دام هدفنا سليماً، فما قيمة اعتراف المعارضين والمتغصبين الذين لا يعرفون إلا السباب والشتائم بحجّة الدفاع عن الصحابة، وهؤلاء لأن لومهم ولا نحقد عليهم بقدر ما نرثي لحالهم؛ لأنّهم مساكين منعهم حسن ظنّهم بالصحابة وحجبهم عن الوصول للحقيقة، فما أشبههم بأولاد اليهود والنصارى الذين أحسنوا الظنّ بآبائهم وأجدادهم، ولم يكلّفوا أنفسهم جهد البحث في الإسلام، معتقدين بمقالة أسلافهم بأنَّ محمداً كذاباً، وليس هو بنبيٍّ، قال تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَّقَ اللَّهُنَّا بَلْ أَنَّهُمْ أَنْجَاهُمْ أَبْيَةٌ﴾^١.

وبمرور القرون المتتالية أصبح من العسير اليوم على المسلم أن يقنع يهودياً أو نصرانياً بعقيدة الإسلام، فما بالك بمن يقول لهم بأنَّ التوراة والإنجيل اللذين يتداولونهما هما محرقاً، ويستدلّ على ذلك بالقرآن، فهل يجد هذا المسلم آذاناً صاغية لدفهم؟

وكذلك المسلم البسيط الذي يعتقد بعدلة كل الصحابة، ويتعصب لذلك بدون دليل، فهل يمكن لأحد من الناس أن يقنعه بعكس ذلك؟ وإذا كان هؤلاء لا يطيقون جرح ونقد معاوية وابنه يزيد، وأمثالهم كثير الذين شوهوا الإسلام بأعمالهم القبيحة؛ فما بالك إذا كلمتهم عن أبي بكر وعمر وعثمان (الصديق والفاروق ومن تستحب منه الملائكة)، أو عن عائشة

^١ البينة: ٣.

أُمّ المؤمنين زوجة النبي ﷺ وابنة أبي بكر، والتي تكلّمنا عنها في فصل سابق بما رواه عنها أصحاب الصحاح المعتمدين عند أهل السنة؟!
و جاء الآن دور الخلفاء الثلاثة لنكشف عن بعض أفعالهم التي سجلها عليهم صحاح السنة ومسانيدُهم وكتب التاريخ المعتمدة لديهم، لنبين
ـ أولاًـ أن مقوله عدالة الصحابة غير صحيحة، وأن العدالة انتفت حتى عن
بعض الصحابة المقربين.

ولنكشف - ثانياً - لإخواننا من أهل السنة والجماعة بأن هذه الانتقادات
لا تدخل في السب والشتم والانتقاد بقدر ما هي إزالة للحجب للوصول
إلى الحق، كما أنها ليست من مخلفات وأكاذيب الروافض كما يدعى عامّة
الناس، وإنما هي من الكتب التي حكموا بصحتها، وألزموا أنفسهم بها.

أبو بكر الصديق في حياة النبي ﷺ

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء السادس صفحة ٤٦ في كتاب
تفسير القرآن سورة الحجرات، قال: حدثنا نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة،
قال: كاد الخيران أن يهلكا؛ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما؛ رفعاً أصواتهما
عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركبُ بنى تميم، فأشار أحدُهما بالأقرع بن
حابس أخي بنى مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ
اسميه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافك، قال: ما أردت خلافك،
فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَاتَكُم﴾^١ الآية.

^١ الحجرات: ٢.

قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبو بكر.

كما أخرج البخاري في صحيحه في الجزء الثامن صفحة ١٤٥ من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من التعمّق والتتسّاع، قال: أخبرنا وكيع، عن نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر؛ لما قدم على النبي ﷺ وفُدُّ بنى تميم، وأشار أحدهما بالأقرع ابن حابس التميمي الحنظلي أخي بنى مجاشع، وأشار الآخر بغيره، فقال أبو بكر لعمر: إنما أردت خلافى، فقال عمر: ما أردت خلافك، فارتقت أصواتهما عند النبي ﷺ، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرٍ بَعْضُكُمْ لَبْعَضٌ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغْسِلُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ فُلُوْبَهُمْ لِتَتَّسْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^١.

قال ابن أبي مليكة: قال ابن الزبير: فكان عمر بعد ذلك لم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبو بكر إذا حدث النبي ﷺ بحديث حدثه كأخي السرار لم يسمعه حتى يستفهمه.

كما أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الخامس صفحة ١١٦ من كتاب المغازى - وفدي بنى تميم قال: حدثنا هشام بن يوسف، أنّ ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي مليكة، أنّ عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بنى تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرار،

^١ الحجرات: ٢ - ٣.

فقال عمر: بل أَمْرُ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرْدَتَ إِلَّا خَلَافَى، قَالَ عَمَرٌ: مَا أَرْدَتَ خَلَافَكَ، فَتَمَارِيًّا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَتْ فِي ذَلِكَ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^١ حَتَّى انْفَضَتْ.

والظاهر من خلال هذه الروايات أَنَّ أَبَا بَكْرَ وَعَمَرَ لَمْ يَتَأْدِبَا بِحُضُرَةِ الرَّسُولِ ﷺ بِالآدَابِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَسَمِحَا لِأَنفُسِهِمَا بِأَنْ يُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلَا طَلْبٍ مِّنْهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْدِيَ رَأْيَهُمَا فِي تَأْمِيرِ أَحَدٍ مِّنْ بَنِي تَمِيمٍ، ثُمَّ لَمْ يَكْتُفِيَا حَتَّى تَشَاجِرَا بِحُضُرَتِهِ، وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا أَمَامَهُ مِنْ غَيْرِ احْتِرَامٍ وَلَا مُبْلَاهَةٍ بِمَا تَفْرُضُهُ عَلَيْهِمَا الْأَخْلَاقُ وَالآدَابُ، الَّتِي لَا يُمْكِنُ لَأَيِّ أَحَدٍ مِّن الصَّحَابَةِ أَنْ يَجْهَلَهَا أَوْ يَتَجَاهِلَهَا، بَعْدَ مَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِيَاتَهُ فِي تَعْلِيمِهِمْ وَتَرْبِيَتِهِمْ.

ولو كَانَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ قَدْ وَقَعَتْ فِي بَدَائِيِّ الْإِسْلَامِ لَا لِتَمْسِنَا لِلشِّيخِينَ فِي ذَلِكَ عُذْرًا، وَلَحَاوَلُنَا أَنْ نَجْدِ لِذَلِكَ بَعْضَ التَّأْوِيلَاتِ.

وَلَكِنَّ الرَّوَايَاتِ تَثْبِتُ بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالًا لِلشُّكُّ بِأَنَّ الْحَادِثَةَ وَقَعَتْ فِي أَوَّلِ أَيَّامِ النَّبِيِّ ﷺ، إِذَا أَنَّ وَفَدَ بَنِي تَمِيمٍ قَدْمًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجَرَةِ، وَلَمْ يَعْشُ بَعْدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا بَضْعَةَ شَهُورٍ، كَمَا يَشَهَدُ بِذَلِكَ كُلُّ الْمُؤْرِخِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ ذَكَرُوا قَدْوَمَ الْوَفَودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالَّتِي تَحْدَثُ عَنْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي أَوَّلِ السُّورِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا جَاءَهُ اللَّهُ مُلْكُ الْعَالَمِينَ، وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^٢.

^١ الحجرات: ١.

^٢ النصر: ١ - ٢.

وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يعتذر المعتذرون عن موقف أبي بكر وعمر بحضره النبي ﷺ؟ ولو اقتصرت الرواية على الموقف الذي مثله الصحابيان فحسب لما وسعنا النقد ولا الاعتراض، ولكن الله الذي لا يستحي من الحق سجلها وأنزل فيها قرآنًا يتلى، فيه التنديد والتهديد لأبي بكر وعمر بأن يحبط الله أعمالهما إن عادا لمثلها!! حتى إن راوي هذه الحادثة بدأ كلامه بقوله: "كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر" !!

ويحاول راوي الحادثة بعد ذلك - وهو عبد الله بن الزبير - أن يقنعنا بأن عمر بعد نزول هذه الآية في شأنه إذا حدث رسول الله ﷺ لا يسمعه صوته حتى يستفهمه، ورغم أنه لم يذكر ذلك عن جده أبي بكر، فالتأريخ والأحداث التي ذكرها المحدثون ثبتت عكس ذلك، ويكتفي أن تذكر رزية يوم الخميس قبل وفاته ﷺ بثلاثة أيام، حتى نجد بأن عمر نفسه قال قوله المشهودة: "إن رسول الله يهجر وحسينا كتاب الله"، فاختطف القوم، فمنهم من يقول: قربوا إلى الرسول يكتب لكم، ومنهم من يقول مثل قول عمر، فلما أكثروا اللّغط والاختلاف^١ قال لهم رسول الله ﷺ: "قوموا عنّي لا ينبغي عندي التنازع"^٢.

فالمفهوم من كثرة اللغو واللغط والاختلاف والتنازع أنه تجاوزوا كل الحدود التي رسمها الله لهم في سورة الحجرات كما مر. ولا يمكن اقناعنا بأن اختلافهم وتنازعهم ولغطتهم كان همساً في الآذان، بل يُفهم من كل ذلك

^١ صحيح البخاري ٥: ١٣٨ كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته.

^٢ صحيح البخاري ١: ٣٧ كتاب العلم، باب كتابة العلم.

بأنهم رفعوا أصواتهم حتى أن النساء اللاتي كنّ وراء الستر والحجاب شاركن في النّزاع، وقلن: قربوا إلى رسول الله ﷺ يكتب لكم ذلك الكتاب، فقال لهنّ عمر: إنكنّ صويحبات يوسف، إذا مرض عصرتنّ أعينكنّ، وإذا صحّ ركبتنّ عنقه، فقال له رسول الله: "دعوهن فإنهن خير منكم" ^١.

والذي نفهمه من كلّ هذا بأنهم لم يمثلوا أمر الله في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ^٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ^٣ ولم يحترموا مقام الرسول، ولا تأدّبوا عندما طعنوه بكلمة الهجر.

وقد سبق لأبي بكر أن تلفظ بكلام بذيع بحضور النبي ﷺ، وذلك عندما قال لعروة بن مسعود أمصص ببظر اللات ^٤. وقال القسطلاني شارح البخاري معلقاً على هذه العبارة: والأمر بمص البظر من الشتائم الغليظة عند العرب ^٥، فإذا كانت أمثال هذه الكلمات تقال بحضوره ^٦، فما هو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرٍ بَعْضُكُمْ لَبْعْضٌ﴾ ^٧؟
وإذا كان رسول الله ﷺ على خلق عظيم كما وصفه ربّه، وإذا كان أشدّ

^١ الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٤ وسند الحديث حسن، المعجم الأوسط ٥: ٢٨٨، كنز العمال ٥:

٦٤٤ ح ١٤١٣٣.

^٢ الحجرات: ١ - ٢.

^٣ صحيح البخاري ٣: ١٦٩.

^٤ إرشاد الساري ٦: ٢٢٦، وفتح الباري ٥: ٢٤٨، والشوكتاني في نيل الأوطار ٨: ١٩٧ واستدلّوا به على جواز النطق بما يستبعش من الألفاظ!! (والمؤلف نقله بالمضمون).

^٥ الحجرات: ٢.

حياءً من العذراء في خدرها، كما أخرج ذلك البخاري ومسلم^١، وقد صرّح الشیخان البخاري ومسلم بأنَّ رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا مُفْحِشاً، وكان يقول: "إِنَّمَا خَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا"^٢ فما بال صحابه المقربين لم يتأثروا بهذا الخلق العظيم؟

أضف إلى كل ذلك بأنَّ أبا بكر لم يتمثل أمر رسول الله ﷺ عندما أمر عليه أُسامه بن زيد، وجعله من جملة عساكره، وشدَّ النكير على من تخلَّف عنه، حتى قال: "لعن الله من تخلَّف عن جيش أُسامه"^٣، وذلك بعدما بلغه ﷺ طعن الطاعنين عليه في مسألة تأمير أُسامه، التي ذكرها جل المؤرِّخين وأصحاب السير.

كما أنه سارع إلى السقيفة وشارك في إبعاد علي بن أبي طالب عن الخلافة، وترك رسول الله ﷺ مُسجِّي بأبي هو وأُمّي، ولم يهتم بتغسيله وتكفينه وتجهيزه ودفنه، متشارغاً عن كل ذلك بمنصب الخلافة والزعامة التي أشرَّبتُ لها عنقه، فأين هي الصحة المقربة، والخلة المزعومة؟! وأين هو الخلق؟!

وأنا أستغرب موقف هؤلاء الصحابة من نبيهم الذي قضى حياته في هدايتهم وتربيتهم والنصح لهم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْکُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

^١ صحيح البخاري ٤: ١٦٧ كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، صحيح مسلم ٧: ٧٨ كتاب الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ.

^٢ صحيح البخاري ٤: ١٦٦ كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، صحيح مسلم ٧: ٧٨ كتاب الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ.

^٣ كتاب الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٣ المقدمة الرابعة.

رَوْفٌ رَحِيمٌ^١ . فيتكونه جثة هامدة، ويصارعون للسقية لتعيين أحدهم خليفة له!!

ونحن نعيش اليوم في القرن العشرين الذي نقول عنه بأنه أتعس القرون، وأن الأخلاق تدهورت، والقيم تبخّرت، ومع كل ذلك فإن المسلمين إذا مات جار لهم أسرعوا إليه، وانشغلوا به حتى يواروه في حفرته، ممثلين قول الرسول ﷺ : "إكرام الميت دفنه"^٢ .

وقد كشف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن تلك الواقع بقوله: "أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلمُ أنّ محلّ منها محلّ القطب من الرحّا..."^٣ .

ثم بعد ذلك استباح أبو بكر مهاجمة بيت فاطمة الزهراء، وتهديده بحرقه إن لم يخرج المخالفون فيه لبيعته، وكان ما كان مما ذكره المؤرخون في كتبهم، وتناقله الرواية جيلاً بعد جيل، ونحن ننصرف عن ذلك صحفاً، وعلى من أراد المزيد أن يقرأ كتب التاريخ.

أبو بكر بعد حياة النبي ﷺ

تكذيبه للصادقة الطاهرة فاطمة الزهراء وغضبه حقّها أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الخامس صفحة ٨٢ في كتاب المغازي باب غزوة خير، قال: عن عروة، عن عائشة: أن فاطمة عليها السلام بنت

^١ التوبة: ١٢٨.

^٢ كشف الخفاء للعجلوني ١: ١٦٨.

^٣ نهج البلاغة ١: ٣٠، الخطبة رقم ٣ المعروفة بالشقشيقية.

النبي ﷺ أرسلتٌ إلى أبي بكر تسؤاله ميراثها من رسول الله ﷺ، ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفديه، وما بقي من خمس خير، فقال أبو بكر: إنَّ رسول الله ﷺ قال: لا نورثُ ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإنِّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولا عملنَّ فيها بما عمل به رسول الله ﷺ.

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشتْ بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنتها زوجها علي ليلاً، وصلّى عليها، ولم يؤذن بها أبو بكر، وكان لعلي من الناس وجّه في حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومباعته، ولم يكن يبایع تلك الأشهر...^١.

وأخرج مسلم في صحيحه من الجزء الثاني كتاب الجهاد، باب قول النبي ﷺ: "لا نورث ما تركنا فهو صدقة":

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ابنة رسول الله ﷺ سألتْ أبي بكر الصديق، بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ، وممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: "لا نورث، ما تركنا صدقة".

فضضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرتْ أبي بكر، فلم تزل مهاجرة

^١ صحيح مسلم: ١٥٣ أياضاً في كتاب الجهاد، باب قول النبي: لا نورث ما تركنا فهو صدقة.

حتى توفيتْ، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر^١.

قالتْ: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبيها ممّا ترك رسول الله ﷺ من خير وفديه، فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال: لستُ تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتْ به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي والعباس، فأمّا خير وفديه فأمسكها عمر، وقال: هما صدقة رسول الله كانتا لحقوقه التي تعروه ونوابيه، وأمرهما إلى من ولّ الأمر، فهُما على ذلك إلى اليوم.

ورغم أن الشّيخين البخاري ومسلم اقتضيا هذه الروايات واحتصرتا لئلا تنكشف الحقيقة للباحثين، وهذا فنٌ معروف لدىهما تخلياه للحفظ على كرامة الخلفاء الثلاثة - ولنا معهما بحث في هذا الموضوع إن شاء الله سنوافيكم به عمّا قريب - إلا أن الروايات التي نمقوها كافية للكشف عن حقيقة أبي بكر الذي ردّ دعوى فاطمة الزّهراء، ممّا استوجب غضبها عليه وهجرانها له حتى ماتت عليه، ودفنتها زوجها سرّاً في الليل بوصية منها دون أن يؤذن بها أبا بكر، كما نستفيد من خلال هذه الروايات بأنّ علياً لم يباعي أبا بكر طيلة ستة أشهر، وهي حياة فاطمة الزّهراء بعد أبيها، وأنه أضطرّ لبيعه اضطراراً لـمّا رأى وجوه الناس قد تنكّرت له، فالتمس مصالحة أبي بكر.

والذي غيره البخاري ومسلم من الحقيقة هو أدّعاء فاطمة عليهما السلام بأنّ أباها

^١ هذا المقطع لا يوجد في صحيح مسلم، بل أحده المؤلّف من صحيح البخاري ٤٢، كتاب الخمس باب فرض الخمس.

رسول الله ﷺ أعطاها فدك نحلة في حياته، فليس هي من الإرث، وعلى فرض أنّ الأنبياء لا يورثون، كما روى أبو بكر ذلك عن النبي ﷺ؛ كذبته فاطمة الزّهراء ظاهرًا، وعارضت روایته بنصوص القرآن الذي يقول: ﴿وَوَرَثَ سُلَيْمَانَ دَاؤِدَ﴾^١ فإنّ فدك لا يشملها هذا الحديث المزعوم؛ لأنّها نحلة ولن يكون لها إرث في شيء.
ولذلك تجد كل المؤرّخين والمفسّرين والمحدثين يذكرون بأن فاطمة ظاهرًا ادّعت بأنّ فدك ملك لها، فكذبها أبو بكر وطلب منها شهوداً على دعواها، فجاءت بعلي بن أبي طالب، وأمّ أيمن، فلم يقبل أبو بكر شهادتهما واعتبرها غير كافية^٢.

^١ النمل: ١٦.

^٢ أعطاء فدك لفاطمة ظاهرًا رواه كلّ من أبي يعلى في مسنده ٣٣٤، والحسّكاني في شواهد التنزيل ٤٣٨ بطرق متعدّدة، والسيوطى في الدر المثور عن البزار وأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مروديه، والمتقى الهندي في كنز العمال ٧٦٧ ح ٨٦٩٦، والقنوزي في ينابيع المودة ٣٥٩ وغيرهم.

ويدلّ على أنّ فدك كانت بيد فاطمة ظاهرًا أمور:

١ - قول علي ظاهرًا في كتابه لعثمان بن حنيف: "بلى كانت في أيدينا فدك..." (نهج البلاغة ٣: ٧١، الكتاب ٤٥).

٢ - الأحاديث التي وردت في إعطاء رسول الله ﷺ فدكاً لفاطمة ظاهرًا.

٣ - ما ورد في الأخبار من ردّ فدك لبني هاشم مما يدلّ على أنّها كانت بيدهم ثمّ أخذت ثم رُدت.

٤ - ما ورد في الاختصاص للشيخ المفيد: ١٨٣ من أنّ ابا بكر بعث إلى وكيل فاطمة ظاهرًا فأخرجه من فدك.

٥- شهادة بعض الصحابة بكون فدك لفاطمة، وهم: عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهما السلام، وأم أيمن، وغيرهم، هذا مضافاً إلى ادعاء فاطمة ذلك وهي معصومة لا تكذب، وقد أقرّها عليّ عليهما السلام وابنها المعصومون على ذلك.

لا يقال: ليس من العدل أن يعطي النبي ﷺ فدك لفاطمة دون سائر بناته؟
لأننا نقول:

أولاً: إنّ رسول الله ﷺ معصوم ولا يفعل القبيح ولا يظلم أحداً.

ثانياً: إنّ رسول الله ﷺ امثل أمر الله تعالى في إعطاء فدك لفاطمة، ورد في الكافي ٥٤٣: ح ٥ عن موسى بن جعفر عليهما السلام أنه قال للمهدي العباسي بخصوص فدك لما كان يردد المظالم: "فدعها رسول الله ﷺ فقال لها: يا فاطمة إنّ الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك" ولا اعتراض على فعل الله تعالى.

ثالثاً: لا نسلم أن يكون لرسول الله ﷺ بنات غير فاطمة عليهما السلام والباقي ربائب، كما حرق في محلّه.

رابعاً: لو سلّمنا جدلاً أنهن بناته، ولو سلّمنا أيضاً أنّ رسول الله ﷺ هو الذي أعطى فدك لفاطمة من تلقاء نفسه، فنقول: كان ذلك لعلم رسول الله ﷺ بأنّ ذريته ستكون من فاطمة دون سائر بناته، فكيف لا يهتم بشؤونهم ويدعهم عيال على الناس يتصدقون متى شاؤوا؟
أفمن العدل تركهم هكذا؟! ورسول الله ﷺ هو الذي منع سعد بن أبي وقاص أن يتصدق
بثلثي ماله وقال له: "إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكتفون الناس"
(صحيح البخاري ٢: ٨٢) والطريف أنّ رسول الله ﷺ عبر بقوله: "ورثتك" ولم يكن لسعد إلا ابنة واحدة، ولذا قال الفاكهي شارح العمدة - كما في نيل الأوطار للشوكانى ٦: ١٥٠ - "إنما
عبر ﷺ بالورثة؛ لأنّه اطلع على أنّ سعداً سيعيش ويحصل له أولاد غير البنت
المذكورة...".

خامساً: لقد نحل أبو بكر ابنته عائشة دون سائر ولده، وكذلك فعل عمر حيث نحل ابنه عاصماً دون سائر ولده (فتح الباري ٥: ١٥٨) فلو قالوا: إنما فعلاً ذلك مع رضي سائر الأولاد، قلنا: إنما فعل رسول الله ﷺ ذلك مع رضي سائر البنات.

قد يقال: ألستم تقولون بأنّ فدك إرث، والآن تقولون هبة؟

فنقول في الجواب: الثابت الصحيح أن فدك لم تكن إلا نحلة وهبة لفاطمة عليها السلام، والزهراء بدعواها الإرث قد طالبت بجميع متروكات النبي صلوات الله عليه وآله وسره التي قبضها أبو بكر بلا فرق بين فدك ومالبني النصير وسهمه من خمس خير وغيرها، فإن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسره قد ترك أموالاً كثيرة من صدقات وموقوفات وضياع وأملاك، والقوم أطلقوا على كلّها اسم الصدقة لمصالح سياسية، فأخذوها من أهلها ومن له ولية التصرف فيها، قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٤٧: ” وقد مات رسول الله صلوات الله عليه وآله وسره ولو ضياع كبيرة جليلة جداً بخير وفدي وبني النصير، وكان له وادي نخلة وضياع آخر كثيرة بالطائف، فصارت بعد موته صدقة بالخبر الذي رواه أبو بكر ”.

وممّا يؤيد أنّ الأمر تمّ لمصالح سياسية ما روی في المعجم الأوسط ٥: ٢٨٨ عن عمر قال: لما قبض رسول الله صلوات الله عليه وآله وسره جئت أنا وأبو بكر إلى عليّ فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله صلوات الله عليه وآله وسره؟ قال: ” نحن أحق الناس برسول الله وبما ترك ”، قال: فقلت: والذي بخير؟ قال: ” والذي بخير ”، قلت: والذي بفديك؟ فقال: ” والذي بفديك ”، قلت: أما والله حتى تحزنوا علينا بالمناشير فلا.

فتلخص: أنّ فاطمة عليها السلام حاكمت القوم بعدة محاكمات في عرض واحد: نحلتها، إرثها، موقوفات رسول الله صلوات الله عليه وآله وسره التي لها عليها السلام ولية التصرف فيها، خمس خير، سهم ذوي القربي، وذلك لأنّ القوم أرادوا اغتصابها جميعاً بعنوان أنها صدقة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسره والوالى أحق بها والنبي لا يورث، وإلاً كيف جاز لعمر أن يردّ صدقات النبي صلوات الله عليه وآله وسره التي بالمدينة إلى عليّ والعباس - كما في البخاري كتاب فرض الخمس - مع أنه هو الذي شهد مع أبي بكر بأنّ النبي لا يورث؟!!، فتبين مما مضى أنّ الأمر كان ذا أبعاد متشعبة.

ومن هنا يعرف أنّ ما ذكره مؤلف كتاب كشف الجاني في الصفحة ١٣٤ ما هو إلا ارتباك ناشئ عن الجهل الذي أطبق عليه.

وهذا ما اعترف به ابن حجر في الصواعق المحرقة، حيث ذكر بأنَّ

فاطمة ادَّعَتْ أَنَّهُ نحلها فدَّاكاً، ولم تأت عليها بشهادَة إلَّا بعلِيٍّ بن أبي طالب وأُمَّ أَيمِنَ، فلم يكُمل نصاب البَيِّنة^١.

كما قال الإمام الفخر الرازى في تفسيره: فلما مات رسول الله ﷺ كما أَدَّعَتْ فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ أَنَّهُ كان ينحلها فدَّاكاً، فقال لها أبو بكر: أنت أعز الناس على وأحبابهم إلى غنى، لكنني لا أعرف صحة قولك، فلا يجوز أن أحكم لك، قال: فشهدت لها أُمَّ أَيمِنَ ومولى لرسول الله، فطلب منها أبو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع، فلم يكن^٢.

ودعوى فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ أَنَّ فدَّاكاً انحلها لها رسول الله ﷺ، وأنَّ أبو بكر رد دعوتها، ولم يقبل شهادة على عَلَيْهَا السَّلَامُ وأُمَّ أَيمِنَ؛ معلومة لدى المؤرخين، وقد ذكرها كل من ابن تيمية، وصاحب السيرة الحلبية، وابن القيم الجوزية وغيرهم.

ولكن البخاري ومسلم اختصراها، ولم يذكرا إلَّا طلب الزهراء بخصوص الإرث، حتى يُوهما القارئ بأنَّ غضب فاطمة على أبي بكر في غير محله، ولم يعمل أبو بكر إلَّا بما سمعه من رسول الله ﷺ، فهي ظالمة وهو

^١ الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي ٩٣: ١ الشبهة السابعة.

^٢ تفسير مفاتيح الغيب للفارزى ٥٠٦: ١٠ تفسير سورة الحشر الآية السادسة.

مظلوم !! كل ذلك حفاظاً منها على كرامة أبي بكر، فلا مراعاة للأمانة في النقل، ولا لصدق الأحاديث التي كانت تكشف عن عورات الخلفاء، وتنزيل الأكاذيب والحجب التي نمّقها الأمويون وأنصار الخلافة الراشدة، ولو كان ذلك على حساب النبي ﷺ نفسه أو بضعيته الزهراء سلام الله عليها !!

ومن أجل ذلك حاز البخاري ومسلم على زعامة المحدثين عند أهل السنة والجماعة، واعتبروا كتبهما أصح الكتب بعد كتاب الله، وهذا تلقيق لا يقوم على دليل علمي، وسنبحثه إن شاء الله في باب مستقل حتى نكشف الحقيقة لمن يريد معرفتها.

ومع ذلك فإننا نناقش البخاري ومسلم اللذين أخرجا في فضائل فاطمة الزهراء ظن الشيء اليسير، ولكن فيه ما يكفي لإدانة أبي بكر الذي عرف الزهراء وقيمتها عند الله ورسوله ﷺ أكثر مما عرفه البخاري ومسلم، ومع ذلك كذبها ولم يقبل شهادتها، وشهادة بعلها الذي قال فيه رسول الله: "على مع الحق والحق مع على" يدور معه حيث دار^١ ولنكتف بشهادة البخاري وشهادته مسلم في ما أقره صاحب الرسالة ﷺ، في فضل بضعيته الزهراء.

فاطمة ظلّت معصومة بنص القرآن

أخرج مسلم في صحيحه الجزء السادس باب فضائل أهل البيت، قالت عائشة: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرتل مرحلا من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة

^١ راجع باختلاف ألفاظه تاريخ بغداد: ١٤٣٢ ح ٤٢، تاريخ دمشق: ٤٤٩، الإمامة والسياسة ١: ٩٨.

فأدخلها، ثم جاء على فادخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ^١
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا﴾.

إذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام هي المرأة الوحيدة التي أذهب الله عنها الرّجس، وظهرها من كل الذنوب والمعاصي في هذه الأمة، فما بال أبي بكر يكذبها، يطلب منها الشهود يا ترى؟

فاطمة عليها السلام سيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة
أخرج البخاري في صحيحه من الجزء السابع في كتاب الاستاذان في
باب من ناجي بين يدي الناس ومن لم يخبر بسر صاحبه فإذا مات أخبر به،
ومسلم في كتاب الفضائل، عن عائشة أم المؤمنين قالت: إنا كنا أزواجاً
النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه عنده جمِيعاً لم تغادر منا واحدة، فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي لا
والله ما تخفي مشيتها من مشية رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، فلما رأها رحب بها، قال:
”مرحباً بابنتي“، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارها فبكـت بكاءً
شدیداً، فلما رأى حزنهـا سارـها الثانية إذا هي تضـحك، فقلـت لها أنا من بين
نسائه: خـصـك رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بالسرـ من بينـا ثم أـنت تـبـكـينـ، فـلـمـا قـامـ رسولـ
الله صلوات الله عليه وآله وسلامه سـأـلـتـها عـمـا سـارـكـ؟ قـالـتـ: ”ـما كـنـتـ لـأـفـشـي عـلـى رـسـولـ اللهـ صلوات الله عليه وآله وسلامه
ـسـرـةـ“، فـلـمـا تـوـفـي قـلـتـ لهاـ: ”ـعـزـمـتـ عـلـيـكـ بـمـا لـيـ عـلـيـكـ منـ الـحـقـ لـمـا
ـأـخـبـرـتـنيـ، قـالـتـ: ”ـأـمـا الـآنـ فـنـعـمـ، فـأـخـبـرـتـنيـ قـالـتـ: ”ـأـمـا حـيـنـ سـارـتـيـ فـي الـأـمـرـ
ـالـأـوـلـ، فـإـنـهـ أـخـبـرـنـيـ أـنـ جـبـرـيـلـ كـانـ يـعـارـضـهـ بـالـقـرـآنـ كـلـ سـنـةـ مـرـةـ، وـأـنـهـ قدـ

^١ الأحزاب: ٣٣.

عارضنى به العامَ مرتَّين، ولا أرى الأجلَ إلا قد اقتربَ، فاتّقى اللهُ واصبِّرِي
فإنِّي نعم السلفُ أنا لكَ، قالت: فبكِيتُ بكَائِي الذي رأيْتَ، فلما رأى جزعِي
سارني الثانية قال: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو
سيدة نساء هذه الأُمّةِ.

إذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام، وهي سيدة نساء المؤمنين، كما ثبت ذلك
عن رسول الله يكذبها أبو بكر في أدعائهما فدك ولا يقبل شهادتها، فأي
شهادة تقبل بعدها يا ترى؟!

فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء أهل الجنة

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الرابع في كتاب بدء الخلق باب
مناقب قرابة رسول الله صلوات الله عليه وسلم. قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: "فاطمة سيدة نساء أهل
الجنة".

إذا كانت فاطمة عليها السلام سيدة نساء أهل الجنة، ومعناه أنّها سيدة نساء
العالمين؛ لأنّ أهل الجنة ليسوا أمّةً محمّدٍ وحدّهم كما لا يخفى، فكيف
يكذبها أبو بكر الصديق؟

ألم يدعوا بأنّ لقب الصديق أحرزه لأنّه كان يصدق كلّ ما يقوله صاحبه
محمّد! فلماذا لم يصدقه فيما قاله بخصوص بضعته الزهراء؟! أم أنّ الأمر لم
يكن يتعلّق بفكّه وبالصّدقة والنّحلـة بقدر ما يتعلّق بالخلافة التي هي من
حقّ على زوج فاطمة؟! فتكذب فاطمة وزوجها الذي شهد معها في قضية
النّحلـة أيسـر عليه ليقطع بذلك عليهمـا الطريق للمطالبة بما وراء ذلك، إنّه مكرٌ
كبير تكاد تزول منه الجبال!!

فاطمة عليها السلام بضعة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه والرسول يغضب لغصبيها

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الرابع من كتاب بدء الخلق في باب منقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، قال: حدثنا أبو الوليد، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي مليكا، عن المسور بن مخرمة، أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: "فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني".

وإذا كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يغضب لغضبة الزهراء، ويتأذى بأذها، فمعنى ذلك أنها معصومة عن الخطأ، وإنما جاز للنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أن يقول مثل هذا؛ لأن الذي يرتكب معصية يجوز إياذاؤه وإغضابه مهما علت منزلته؛ لأن الشرع الإسلامي لا يراعي قريباً ولا بعيداً، شريفاً أو وضيعاً، غنياً أو فقيراً. وإذا كان الأمر كذلك، فما بال أبي بكر يؤذي الزهراء ولا يبالي بغضبيها، بل يغضبها حتى تموت وهي واجدة عليه، بل ومهاجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وهي تدعى عليه في كل صلاة تصليها، كما جاء ذلك في تاريخ ابن قتيبة وغيره من المؤرخين؟!

نعم، إنها الحقائق المرّة، الحقائق المؤلمة التي تهزّ الأركان وتزعزع الإيمان؛ لأن الباحث المنصف المتجرد للحق والحقيقة لا مناص له من الاعتراف بأنّ أبي بكر ظلم الزهراء واغتصب حقّها، وكان بإمكانه وهو خليفة المسلمين أن يُرضيها ويعطيها ما ادّعت؛ لأنّها صادقة والله يشهد بصدقها، والنبي يشهد بصدقها، والمسلمون كلّهم بما فيهم أبو بكر يشهدون بصدقها، ولكنّ السياسة هي التي تقلب كلّ شيء، فيصبح الصادق كاذباً، والكاذب صادقاً.

نعم، إنّه فصل من فصول المؤامرة التي حيكت لإبعاد أهل البيت عن المنصب الذي اختاره الله لهم، وقد بدأت بإبعاد على عن الخلافة، واغتصاب نحلة الزّهراء وإرثها، وتکذبها واهانتها حتّى لا تبقى هيبيتها في قلوب المسلمين، وانتهت بعد ذلك بقتل على والحسن والحسين وكلّ أولادهم، وسبّيت نساؤهم، وقتل شيعتهم ومحبّوهم وأتباعهم، ولعلّ المؤامرة متواصلة ولا زالت حتى اليوم، تفعل فعلها وتؤتي ب Summersها.

نعم، أيّ مسلم حرّ ومنصف سوف يعلم عندما يقرأ كتب التاريخ، ويمحّص الحقّ من الباطل، بأنّ أبا بكر هو أول من ظلم أهل البيت، ويكتفي قراءة صحيح البخاري ومسلم فقط لتنكشف له الحقيقة إذا كان من الباحثين حقاً.

فها هو البخاري وكذلك مسلم يعترفان عفواً بأنّ أبا بكر يصدق أيّ واحد من الصحابة العاديين في ادعائه، ويکذب فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة، ومن شهد لها الله بإذهاب الرّجس والطّهارة، وكذلك يکذب علياً وأم أيمن، فاقرأ الآن ما يقوله البخاري ومسلم:
أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الثالث من كتاب الشهادات بباب من أمر بإنجاز الوعد.

ومسلم في صحيحه من كتاب الفضائل بباب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا، وكثرة عطائه.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال: لما ماتَ النَّبِيُّ ﷺ جاء أبا بكر مالٌ من قبل العلاء بن الحضرميّ، فقال أبو بكر: من كان له على

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِينُ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَبْلَهُ عَدَةٌ فَلِيأَتِنَا، قَالَ جَابِرٌ: فَقُلْتُ: وَعَدْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْطِنِي هَكُذَا وَهَكُذَا، فَبَسَطَ يَدِيهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،

قَالَ جَابِرٌ: فَعَدَ فِي يَدِي خَمْسَمَائَةً ثُمَّ خَمْسَمَائَةً ثُمَّ خَمْسَمَائَةً.

فَهَلْ مِنْ سَائِلٍ لِأَبِي بَكْرٍ يَسْأَلُهُ: لِمَاذَا صَدَقَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي ادْعَائِهِ
بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَهُ أَنْ يُعْطِيهِ هَكُذَا وَهَكُذَا، فَيَمْلأُ أَبُو بَكْرٍ يَدِيهِ
ثَلَاثَةَ مَرَّاتٍ بِمَا قَدْرِهِ أَلْفٌ وَخَمْسَمَائَةٌ، بَدْوَنَ أَنْ يَطْلَبَ مِنْهُ شَاهِدٌ وَاحِدٌ عَلَى
ادْعَائِهِ؟

وَهُلْ كَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ وَأَبْرَّ مِنْ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ؟
وَالْأَغْرِبُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ هُوَ رَدُّ شَهَادَةِ زَوْجِهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي أَذْهَبَ
اللَّهَ عَنْهُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُ تَطْهِيرًا، وَجَعَلَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ فَرْضًا عَلَى كُلِّ
الْمُسْلِمِينَ، كَمَا يُصْلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِي جَعَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَبَّهُ
إِيمَانَ وَبَعْضَهُ نُفَاقًا^١.

أَضَفَ إِلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الْبَخَارِيَّ نَفَسَهُ أَخْرَجَ حَادِثَةً أُخْرَى تَعْطِينَا صُورَةً
حَقِيقِيَّةً عَنْ ظُلْمِ الزَّهْرَاءِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْبَخَارِيَّ فِي صَحِيحِهِ فِي بَابِ لَا يَحْلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَرْجِمَ فِي
هُبْتَهِ وَصَدْقَتِهِ مِنْ كِتَابِ الْهَبَةِ وَفَضْلِهَا وَالْتَّحْرِيْضِ عَلَيْهَا، قَالَ: إِنَّ بْنَيَّ صَهَيْبٍ
مَوْلَى ابْنِ جَدِّهِ ادْعَوْا بَيْتَنِيْنِ وَحُجْرَةَ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى ذَلِكَ

^١ صحيح مسلم ٦١، سنن ابن ماجه ٤٣، سنن النسائي ١١٧، المصنف لابن أبي شيبة ٧، السنة لعمرو بن أبي العاص: ٥٨٤، مسنون أبي يعلى ٣٤٧، صحيح ابن حبان ١٥: ٣٦٧، وغيرها من المصادر.

صُهِيباً، فقال مروان: من يشهد لِكُما على ذلك؟ قالوا: ابن عمر! فدعاه، فشهد
لأعطا رسول الله ﷺ صهيباً بيتين وحجرة، فقضى مروان بشهادته لهم^١.
أنظر أيها المسلم إلى هذه التصرّفات والأحكام التي تطبق على البعض
دون البعض الآخر، أليس هذا من الظلم والحيف؟! وإذا كان خليفة المسلمين
يحكم لفائدة المدعين لمجرد شهادة ابن عمر، فهل لمسلم أن يتساءل لماذا
رُدّتْ شهادة علي بن أبي طالب وشهادة أم أيمن معه؟ والحال أن الرجل
والمرأة أقوى في الشهادة من الرجل وحده، إذا ما أردنا بلوغ النصاب الذي
طلبه القرآن.

أم أنّ أبناء صهيب أصدق في دعواهم من بنت المصطفى علیها السلام؟ وأنّ عبد
الله بن عمر موثوق عند الحكام، بينما على عائشة غير موثوق عندهم؟!
وأما دعوى أن النبي ﷺ لا يورث، وهو الحديث الذي جاء به أبو بكر،
وكذبته فاطمة الزهراء وعارضته بكتاب الله، وهي الحجّة التي لا تُدحضُ
أبداً؛ فقد صحّ عنه ﷺ قوله: "إذا جاءكم حديث عنّي فأعرضوه على
كتاب الله، فإن وافق كتاب الله فاعملوا به، وإن خالف كتاب الله فاضربوا به
عرض الجدار".^٢.

ولا شكّ أنّ هذا الحديث تعارضه الآيات العديدة من القرآن الكريم، فهل
من سائل يسأل أبا بكر، ويسائل المسلمين كافة: لماذا تُقبلُ شهادة أبي بكر

^١ صحيح البخاري ٣: ١٤٣.

^٢ تفسير أبي الفتوح الرازي ٣: ٣٩٢ نحوه، والأخبار في ذلك كثيرة، راجع الكافي ١: ٦٩ باب
الأخذ بالسنة، في أنّ ما خالف كتاب الله فهو مردود وزخرف.

وحده في رواية هذا الحديث الذي يُناقض النقل والعقل، ويعارض كتاب الله،
ولا تقبل شهادة فاطمة وعليٰ علیه السلام التي توافق النقل والعقل، ولا تتعارض مع
القرآن؟!

أصف إلى ذلك بأَنْ أباً بكر مهما علتْ مرتبته، ومهما انتحل له مؤيدوه
والدافعون عنه من فضائل، فإنَّه لا يبلغ مكانة الزَّهراء سيدة نساء العالمين،
ولا مرتبة علي بن أبي طالب الذي فضَّله رسول الله ﷺ على كلِّ الصَّحابة
في المواطن كلَّها، أذكر منها على سبيل المثال يوم إعطاء الرَايَة، عندما أقرَّ له
النبي ﷺ بأَنَّه يحبُّ الله ورسولَه ويحبُّه الله ورسولُه، وتطاول لها الصحابة
كلُّ يُرجى أن يُعطاهما، فلم يدفعها إلَّا إليه. وقال فيه رسول الله ﷺ: "إِنَّ
عَلَيَّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي".

ومهما شكَّكَ المتعصِّبون والتواصِب في صحة هذه الأحاديث، فلن
يشكُّوا في أنَّ الصَّلاة على عليٰ وفاطمة هي جزءٌ من الصَّلاة على
النبي ﷺ، فلا تقبل صلاة أبي بكر وعثمان والمُبَشِّرِين بالجنة، وكلَّ

^١ المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥٠٤، مسنون الطيالسي: ١١١، كتاب السنّة لابن أبي عاصم: ٥٥٠
٢: ١١٨٧، وقال محقق الكتاب الشيخ محمد الألباني: "إسناده صحيح، رجاله ثقات على شرط
مسلم. والحديث أخرجه الترمذى: ٢٩٧، وابن حبان: ٢٢٠٣، والحاكم: ٣: ١١٠ - ١١١
وأحمد: ٤: ٤٣٧، من طرق أخرى... وقال الترمذى: حديث حسن غريب، وقال الحاكم:
صحيح على شرط مسلم، وأقرَّه الذهبي، وله شاهد من حديث بريدة مرفوعاً به أخرجه أحمد
٥: ٣٥٦، من طريق أجلح... وإسناده جيد رجاله ثقات رجال الشَّيخين غير أجلح... وهو شيء
صادق".

الصّحابة ومعهم كُلّ المسلمين، إذا لم يُصلّوا على محمد وآل محمد، الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم، كما جاء ذلك في صحاح أهل السنة من البخاري ومسلم^١ وبقية الصّحاح، حتّى قال الإمام الشافعى في حَقِّهِم "من لم يصلّ عليكم لا صلاة له".^٢

إذا كان هؤلاء يجوز عليهم الكذب والادعاء بالباطل، فعلى الإسلام والسلام وعلى الدنيا العفا، أمّا إذا سألت: لماذا قبل شهادة أبي بكر وتردّ شهادة أهل البيت؟ فالجواب: لأنّه هو الحكم، وللحَاكم أن يحكم بما يشاء، والحق معه في كل الحالات، فدعوى القوى كدعوى السّبع من النّاب والظّفر برهانها.

وليتبيّن لك أيّها القارئ الكريم صدق القول، فتعال معي لتقرأ ما أخرجه البخاري في صحيحه من تناقض بخصوص ورثة النبي الذي قال حسبما رواه أبو بكر: "نحن عشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة" والذي يصدقه أهل السنة جميّعاً، ويستدلّون به على عدم استجابة أبي بكر لطلب فاطمة الزّهراء سلام الله عليها.

وممّا يدلّك على بطلان هذا الحديث وأنّه غير معروف، أنّ فاطمة عليها السلام طالبت بإرثها، وكذلك فعل أزواج النبي أمهات المؤمنين، فقد بعن لأبي بكر

^١ صحيح البخاري ٦: ٢٧ باب إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ، صحيح مسلم ١٦: ٢ كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي.

^٢ الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي ٢: ٤٣٥، الآية الثانية النازلة في أهل البيت عليهم السلام.

يُطالبه بميراثهن^١. فهذا ما أخرجه البخاري، وما يُستدلُّ به على عدم توريث الأنبياء.

ولكنَّ البخاري ناقض نفسه وأثبت بأنَّ عمر بن الخطاب قسم ميراث النبِي علَى زوجاته، فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الحرف والمزارعة من باب المزارعة بالشطر ونحوه، عن نافع: أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره عن النبِي ﷺ عَامِلٌ خَيْرٌ بِشَطْرٍ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ أَوْ زَرْعٍ، فَكَانَ يُعْطِي أَزْوَاجَهُ مَائَةً وسَقْ ثَمَانُونَ وسَقْ تَمْرٍ وعَشْرُونَ وسَقْ شَعْبَرٍ، فَقَسَّمَ عُمَرَ خَيْرًا، فَخَيْرُ أَزْوَاجِ النبِي ﷺ أَنْ يَقْطَعَ لَهُنَّ مِنَ الْمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَوْ يُمْضِي لَهُنَّ، فَمَنْهُنَّ مِنْ اخْتَارَ الْأَرْضَ، وَمَنْهُنَّ مِنْ اخْتَارَ الْوَسْقَ، وَكَانَتْ عَائِشَةَ قَدْ اخْتَارَتِ الْأَرْضَ.

وهذه الرواية تدلُّ بوضوح بأنَّ خَيْرَ الَّتِي طَالَبَتِ الزَّهْرَاءَ بِنَصْبِيهَا مِنْهَا كَمِيرَاثٍ لَهَا مِنْ أَبِيهَا، وَرَدَّ أَبُو بَكْرَ دُعْوَتَهَا بِأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَا يَورِثُ، وهذه الرواية تدلُّ أيضًا بوضوح بأنَّ عمر بن الخطاب قسم خَيْرَ في أَيَّامِ خَلْفَتِه عَلَى أَزْوَاجِ النبِي ﷺ وَخَيْرُهُنَّ بَيْنَ امْتِلَاكِ الْأَرْضِ أَوِ الْوَسْقِ، وَكَانَتْ عَائِشَةَ مَمْنُ اخْتَارَ الْأَرْضَ، فَإِذَا كَانَ النبِي ﷺ لَا يَورِثُ، فَلِمَاذَا تَرَثُ عَائِشَةُ الْزَّوْجَةُ، وَلَا تَرَثُ فَاطِمَةُ الْبَنْتِ؟!^٢.

^١ صحيح البخاري ٥: ٢٤ باب حديث بنى النضير من كتاب المغازى، وصحيح مسلم ٥: ١٥٣ باب قول النبي: "لَا نُورِثُ" من كتاب الجهاد والسير.

^٢ قال ابن حجر في فتح الباري ٦: ١٤١: "وكان أبو بكر يقدم نفقة نساء النبي ﷺ وغيرها مما كان يصرفه، فيصرفه من خير وفده"، فنقول لابن حجر ولغيره: كيف إذاً من فاطمة عليها السلام

أفتونا في ذلك يا أولى الأ بصار لكم الأجر والثواب.

أصف إلى ذلك أن عائشة ابنة أبي بكر استولت على بيت رسول

الله ﷺ بأكلمه، ولم تحظ أي زوجة أخرى بما حظيت به عائشة، وهي التي

حتى جاءت وسألته نصيحتها، كما روى ذلك البخاري في كتاب فرض الخمس عن عائشة حيث قالت: "وكانت فاطمة تسأل أبي بكر نصيحتها مما ترك رسول الله ﷺ من خير وفديه وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك.. فاما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي والعباس...". ولا أدرى كيف اجتهد عمر أمام النص الثابت -بحسب زعمهم- الذي تمسّك به أبو بكر في منع الإرث، فخالفه عمر ودفع صدقات المدينة إلى علي والعباس؟ وما معنى هذا التناقض من الخليفتين؟

ثم لا يقال: يشهد لصنيع أبي بكر حديث أبي هريرة المرفوع... بلحظ: "ما تركت نفقة نسائي ومؤنة عاملٍ فهو صدقة" (فتح الباري ٦: ١٤١) لأنّه أولاً: مرفوع كما صرّح به ابن حجر، فكيف يعتمد عليه في مثل هذه الأمور الخطيرة وقد قال محمد رشيد رضا: "ليس كلّ ما صح سنه من الأحاديث المرفوعة يصح متنه؛ لجواز أن يكون في بعض الرواية من أحاط في الرواية عمداً أو سهواً..." (أضواء على السنة المحمدية لأبي رية: ٢٩١).

ثانياً: أن النبي ﷺ أعدل من أن يفكّر بمستقبل أزواجه وعامله ويدع ذريته من دون أن يوصي لهم أو يترك لهم شيئاً بل ويمنعهم، وهو ﷺ القائل لسعد بن أبي وقاص لما أراد أن يتصدق بشاشي ماله لما ظنّ دنوًّا أجله: "إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتکفون الناس" (البخاري ٢: ٨٢) فكيف يصح أن يترك رسول الله ﷺ ذريته وأحبّ الخلق إليه الذين أوصى بهم كثيراً، عالة يتکفون الناس؟ نحن ننزع ساحة النبي ﷺ الإسلام ﷺ عن هذا الأمر ولا نسلم بحديث أبي هريرة ولا بحديث أبي بكر، كيف وأول من رفض حديث أبي بكر وخالفه هو عمر بن الخطاب حيث سلم صدقات المدينة إلى علي والعباس في حين أن أبي بكر منع فاطمة منها تمسكاً بحديث: "لا نورث".

دفتْ أباها في ذلك البيت، ودفت عمر إلى جانب أبيها، ومنعت الحسين أن يدفن أخيه الحسن بجانب جده، مما حدى بابن عباس أن يقول فيها:

تجملتْ تبغلتْ ولو عشتْ تفيلتْ

لَكَ التسْعَ مِنَ الشَّمْنٍ وَفِي الْكُلِّ تَصْرِفْتَ

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَأَنَا لَا أُرِيدُ الإِطَالَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِوعِ، فَإِنَّهُ لَا بدَّ

للباحثين من مراجعة التاريخ، ولكن لا بأس بذكر مقطع من الخطبة التي ألقتها فاطمة الزهراء عليها السلام بمحضر أبي بكر وجل الصحابة؛ ليهلك من هلك منهم عن بيته، وينجو من نجا منهم عن بيته. قالت لهم:

”أَعْلَى عَمَدِ تِرْكُتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَنَبْذَتُمُوهُ وَرَاءَ ظَهُورِكُمْ، إِذْ يَقُولُونَ: ﴿وَوَرَثَ سُلَيْمَانُ دَاؤِدَ﴾^١ ، وَقَالَ فِيمَا اقْتَصَّ مِنْ خَبْرِ زَكْرِيَا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾^{*} يَرْثِي وَيَرْثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا^٢ ، وَقَالَ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أُولَى بِيَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^٣ ، وَقَالَ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أُولَادِكُمْ لِلَّذِكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأَنْثَيْنِ﴾^٤ ، وَقَالَ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالَّدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^٥.

أَفَخَاصَّكُمُ اللَّهُ بِآيَةِ أَخْرَجَ مِنْهَا أَبِيهِ؟ أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخَصُوصِ الْقُرْآنِ

^١ النمل: ١٦.

^٢ مريم: ٥ - ٦.

^٣ الأنفال: ٧٥.

^٤ النساء: ١١.

^٥ البقرة: ١٨٠.

وَعِمُومَهُ مِنْ أَبْيٍ وَابْنِ عَمٍّي؟ أَمْ تَقُولُونَ: أَهْلُ مَلَتِينَ لَا يَتَوَارَثُانَ؟ فَدُونَكُهُمَا
مَخْطُومَةٌ مَرْحُولَةٌ، تَلْقَائِكَ يَوْمَ حَشْرَكَ، فَنَعْمَ الْحُكْمُ اللَّهُ، وَالْزَعْيمُ مُحَمَّدٌ،
وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ، وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسِرُ الْمُبْطَلُونَ".^١

أبو بكر يقتل المسلمين الذين امتنعوا عن إعطائه الزكوة

أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ كِتَابَ اسْتِتابَةِ الْمُرْتَدِّينَ بَابَ قَتْلِ مِنْ أَبْيٍ
قَبْوِ الْفَرَائِضِ وَمَا نُسْبِوا إِلَى الرَّدَّةِ، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ كِتَابَ الْإِيمَانِ بَابَ
الْأَمْرِ بِقَتْلِ النَّاسِ، عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ: لَمَّا تَوَفَّى النَّبِيُّ ﷺ وَاسْتُخْلَفَ أَبُو
بَكْرٍ وَكَفَرَ مِنْ كُفَّارِ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ
قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَا لَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحْسَابُهُ عَلَى اللَّهِ؟
قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَا أُقَاتِلُنَّ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقٌّ
الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنْعَنِي عُنَاقًاً كَانُوا يُؤْدِنُونِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقَاتَلَهُمْ عَلَى
مَنْعِهَا، قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ
لِلْقَتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

وليس هذا بغرير على أبي بكر وعمر اللذين هددَا بحرق بيت الزهراء

^١ وَرَدَتْ خَطْبَةُ الزَّهْرَاءِ ؛ فِي عَدَّةِ مَصَادِرٍ وَبِأَفْلَاطٍ مُخْتَلِفَةٍ، انْظُرْ: شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٢١٠: ١٦، كَشْفُ الْغَمَةِ لِلْأَرْبَلِيِّ ٢: ١٠٨، مَرْوِجُ الذَّهَبِ ٢: ٣٠٤، الْاحْتِاجَاجُ لِلْطَّبَرِسِيِّ ١: ٧٧، ٢٥٣ ح ٤٩، بِلَاغَاتُ النِّسَاءِ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ: ١٤، الْمَقْتُلُ لِلْخَوارِزْمِيِّ ١: ٣٦، أَعْلَامُ النِّسَاءِ ٤: ١١٦، شَرْحُ الْأَخْبَارِ ٣: ٣٤، دَلَائِلُ الْإِمَامَةِ: ١٠٩ ح ٣٦، وَغَيْرُهَا.

سيّدة النّساء بمن فيه من الصّحابة المتخلّفين عن البيعة^١، وإذا كان حرق علي وفاطمة والحسن والحسين ونخبة من خيرة الصّحابة الذين امتنعوا عن البيعة أمراً هيئاً عليهم، فليس قتال مانعي الزّكاة إلّا أمراً ميسوراً، وما قيمة هؤلاء الأعراب الأبعد مقابل العترة الطّاهرة والصّحابة الأبرار!!

أضف إلى ذلك أنّ هؤلاء المتخلّفين عن البيعة يرون أنّ الخلافة هي حقّ لهم بنصّ الرسول ﷺ، وحتّى على فرض عدم وجود النصّ عليهم فمن حقّهم الاعتراض والنقد والإدلاء بآرائهم إنّ كان هناك شوري كما يزعمون، ومع ذلك فإنّ تهديدهم بالحرق أمر ثابت بالتواتر، ولو لا استسلام على وأمره للصّحابة بالخروج للبيعة حفاظاً على حقن دماء المسلمين ووحدة الإسلام لما تأخر القائمون بالأمر عن إحراقهم.

أما وقد استتب الأمر لهم، وقويت شوكتهم، ولم يعد هناك معارضة تذكر بعد موت الزّهراء ومصالحة عليّ لهم، فكيف يسكنون عن بعض القبائل التي امتنعت عن دفع الزّكاة لهم بحجّة التريّث حتى يتبيّنوا أمر الخلافة، وما وقع فيها بعد نبيهم ﷺ، تلك الخلافة التي اعترف عمر نفسه بأنّها فلتة^٢.

^١ الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٣٠، العقد الفريد ٥: ١٣ في الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر، تاريخ أبي الفداء ١: ٢١٩، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٥٧٢ بسند حسن، كنز العمال ٥: ٦٥١ ح ١٤١٣٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٤٥، فقد ورد فيها تهديد عمر بإحرق الدار.

^٢ صحيح البخاري ٨: ٢٦ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم العجل من الزنا.

إذاً، ليس بالغريب أن يقوم أبو بكر وحكومته بقتل المسلمين الأبراء، وانتهاك حرماتهم، ونبي نسائهم وذرياتهم، وقد ذكر المؤرخون بأنَّ أبو بكر بعث بخالد بن الوليد فأحرق قبيلة بنى سليم^١، وبعثه إلى اليمامة، وإلى بنى تميم وقتلهم غدرًاً بعد ما كتّفهم، وضرب أعناقهم صبراً، وقتل مالك بن نويرة الصحابي الجليل الذي لا يُله رسول الله ﷺ على صدقات قومه ثقة به، ودخل بزوجته في ليلة قتل زوجها^٢، فلا حول ولا قوَّة إِلَّا بالله العلي العظيم.

وما ذنب مالك وقومه إِلَّا أَنْهُمْ لَمَّا سمعوا بما حديث من أحداث بعد موت النبي ﷺ، وما وقع من إبعاد عليٍّ وظلم الزهراء حتى ماتت غاضبة عليهم، وكذلك مخالفة سيد الأنصار سعد بن عبدة وخروجه عن بيعتهم، وما تناقله العرب من أخبار تُشكّل في صحة البيعة لأبي بكر، لكل ذلك ترىَت مالك وقومه لإعطاء الرِّحْمة، فكان الحكم الصادر من الخليفة وأنصاره بقتلهم، ونبي نسائهم وذرياتهم، وانتهاك حرماتهم، وإخمام أنفاسهم، حتى لا يتفسّش في العرب رأي للمعارضة أو المناقشة في أمر الخلافة.

والموسف حقًاً أنك تجد من يدافع عن أبي بكر وحكومته، بل ويصحّح أخطاءه التي اعترف هُوَ بها^٣، ويقول كقول عمر: والله ما هو إِلَّا أن رأيتُ أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفتُ أنه الحق.

^١ سير أعلام النبلاء للذهبي ١: ٣٧٢، الرياض النبرة ١: ١٢٩ ح ٣٠٢.

^٢ تاريخ الطبرى ٢: ٥٠٤، أسد الغابة ٤: ٢٩٦، البداية والنهاية ٦: ٣٥٥.

^٣ عندما اعتذر لأخي مالك متتم وأعطيه دية مالك من بيت مال المسلمين وقال: إنَّ خالداً تأولَ فأخطأ (المؤلف).

وهل لنا أن نسأل عمر عن سر اقتناعه بقتل المسلمين، الذين شهد هو نفسه بأن رسول الله ﷺ حرم قتالهم بمجرد قوله: لا إله إلا الله، وعارض هو نفسه أبا بكر بهذا الحديث، فكيف انقلب فجأة واقتنع بقتالهم، وعرف أنه الحق بمجرد أن رأى أن قد شرح الله صدر أبي بكر، فكيف تمت عملية شرح الصدر هذه، وكيف رآها عمر دون سائر الناس؟

وإن كانت عملية الشرح هذه معنوية وليس حقيقة، فكيف يشرح الله صدور قوم بمخالفتهم لأحكامه التي رسمها على لسان رسوله ﷺ؟ وكيف يقول الله لعباده على لسان نبيه: من قال: لا إله إلا الله حرام عليكم قتلهم، وحسابه على، ثم يشرح صدر أبي بكر وعمر قتالهم؟ فهل نزل وحيٌ عليهمما بعد محمد ﷺ؟ أم هو الاجتهاد الذي اقتضته المصالح السياسية، والتي ضربت بأحكام الله عرض الجدار؟

أمام دعوى المدافعين: بأن هؤلاء ارتدوا عن الإسلام فوجب قتالهم، فهذا غير صحيح، ومن له أي اطلاع على كتب التاريخ يعلم علم اليقين أن مانعى الزكاة لم يرتدوا عن الإسلام، كيف وقد صلوا مع خالد وجماعته عندما حلوا بفنهائهم.

ثم إن أبا بكر نفسه أبطل هذه الدعوى الكاذبة بدفعه دية مالك من بيت مال المسلمين واعتذر عن قتله، والمرتد لا يعتذر عن قتله ولا تدفع ديته من بيت المال، ولم يقل أحدٌ من السلف الصالح أن مانعى الزكاة ارتدوا عن الإسلام إلا في زمن متاخر عندما أصبحت هناك مذاهب وفرق، فأهل السنة حاولوا جدهم وبدون جدوى أن يبرروا أفعال أبي بكر فلم يجدوا

بدأً من نسبة الارتداد إليهم؛ لأنهم عرفوا أن سبابَ المسلم فسوقٌ وقتاله كفرٌ، كما جاء في صحاح أهل السنة^١.

وحتى إن البخاري عندما أخرج حديث أبي بكر قوله: "والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة"^٢ جعل له باباً بعنوان: من أبي قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة، وهو دليل على أن البخاري نفسه لا يعتقد بردّتهم (كما لا يخفي).

وحماه البعض الآخر تأويل الحديث كما تأوله أبو بكر: بأن الزكاة هي حق المال، وهو تأويل في غير محله.

أولاً: لأن رسول الله ﷺ حرّم قتل من قال: لا إله إلا الله فقط، وفي ذلك أحاديث كثيرة أثبتتها الصّحاح سنّوافيك بها.

ثانياً: لو كانت الزكاة حق المال، فإن الحديث يبيح في هذه الحالة أن يأخذ الحاكم الشرعي الزكاة بالقوّة من مانعها بدون قتله وسفكه دمه.

ثالثاً: لو كان هذا التأويل صحيحاً لقاتل رسول الله ﷺ ثعلبة الذي امتنع عن أداء الزكاة له (القصة معروفة لا داعي لذكرها)^٣.

رابعاً: إليك ما أثبتته الصّحاح في حرمة من قال: لا إله إلا الله، وسأقتصر على البخاري ومسلم، وعلى بعض الأحاديث روماً للاختصار.

^١ صحيح البخاري ١: ١٧ كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحيط عمله وهو لا يشعر، وصحيح مسلم ١: ٥٨ كتاب الإيمان، باب قول النبي: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

^٢ صحيح البخاري ٨: ٥٠، كتاب استتابة المرتدين.

^٣ راجع كتاب "ثم اهتديت": ١٨٣، نشر مؤسسة الفجر لندن (المؤلف).

(أ) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب تحرير قتل الكافر
بعد أن قال: لا إله إلا الله.

والبخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب حدثني خليفة عن
المقداد بن الأسود أنه قال لرسول الله ﷺ: أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار
فاقتلنا، فضرب إحدى يديه بالسيف قطعها؟ ثم لا ذنبي بشجرة، فقال:
أسلمت الله، أقتلته يا رسول الله بعد أن قال لها؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله
قال: يا رسول الله إنه قطع إحدى يديه، ثم قال ذلك بعدهما قطعها، فقال
رسول الله ﷺ: لا تقتله، فإن قتلتَه فإنه بمنزلتك قبل أن قتلتَه، وإنك
بمنزلته قبل أن يقول كلماتُه التي قال.

هذا الحديث يفيد بأن الكافر الذي قال: لا إله إلا الله ولو بعد اعتدائه على
مسلم بقطع يده فإنه يحرم قتله، وليس هناك اعتراف بمحمد رسول الله، ولا
إقامة الصلاة، ولا إيتاء الزكوة، ولا صوم رمضان، ولا حج البيت، فأين
تدھبون وماذا تتاؤلون؟

(ب) أخرج البخاري في صحيحه من كتاب المغازي، باب بعث
النبي ﷺ أُسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، وصحيح مسلم في كتاب
الإيمان، في باب تحرير قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، عن أُسامة بن
زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرققة فصبخنا القوم فهزمناهم، ولحقت
أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف
الأنصاري عنه، وطعنته برمحي حتى قتلتُه، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال:
يا أُسامة أقتلْتَه بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ قلت: كان متعمداً، مما زال

يُكررُهَا حتّى تمنّيْتُ أني لم أكنْ أسلمتُ قبل ذلك اليوم.

وهذا الحديث يفيد قطعاً بأنَّ من قال: لا إله إلّا الله يحرُّ قتلَه، ولذلك

ترى رسول الله ﷺ يشدّد النكير على أُسامة، حتّى يتمنّى أُسامة أنَّه لم

يكنْ أسلم قبل ذلك اليوم ليشمله حديث "الإسلام يحبُّ ما قبله"، ويطمع

في مغفرة الله له ذلك الذنب الكبير.

(ت) أخرج البخاري في صحيحه من كتاب اللباس، باب الثياب البيض،

وكذلك مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً

دخل الجنة:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: أتيتُ النبِيَّ ﷺ وعليه ثوبٌ أبيضٌ وهو

نائم، ثم أتته وقد استيقظ، فقال: "ما من عبد قال: لا إله إلّا الله ثم ماتَ على

ذلك إلّا دخل الجنة"، قلتُ: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "إن زنى وإن سرق،"

قلتُ: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "إن زنى وإن سرق"، قلتُ: وإن زنى وإن

سرق؟ قال: "إن زنى وإن سرقَ على رغم أنف أبي ذرٍ". وكان أبو ذر إذا

حدّث بهذا الحديث قال: وإن رغم أنف أبي ذرٍ.

وهذا الحديث هو الآخر يثبت دخول الجنة لمن قال: لا إله إلّا الله، ومات

على ذلك فلا يجوز قتلهم، وذلك رغم أنف أبي بكر وعمر، وكلَّ أنصارهم

الذين يتأولون الحقائق ويقبلونها حفاظاً على كرامَة أسلافهم وكبرائهم الذين

غيروا أحكام الله.

وبالتأكيد أنَّ أبا بكر وعمر يعرفان كلَّ هذه الأحكام، فهما أقرب منا

لمعرفتها، وألصق بصاحب الرسالة من غيرهما، ولكنَّهما ومن أجل الخلافة

تَأْوِلًا جُلُّ أَحْكَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ عَلَى عِلْمٍ وَبَيْنَةٍ.

ولعلّ أبا بكر لما عزم على قتال مانع الزكاة، وعارضه عمر بحديث الرسول ﷺ الذي يحرم ذلك أقمع صاحبه بأنه هو الذي حمل الحطبة لحرق بيت فاطمة بنفسه، وأنّ فاطمة أقلّ ما يقال بحقها: إنّها كانت تشهد أن لا إله إلا الله، ثمّ أقمعه بأنّ فاطمة وعلى لم يعد لها كثيرون شأن في عاصمة الخلافة، بينما هؤلاء القبائل الذين منعوا الزكاة لو تركوه لهم واستشرى أمرهم في داخل البلاد الإسلامية، فسيكون لهم تأثير كبير على مركز الخلافة، عند ذلك رأى عمر أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فاعترف بأنه الحق.

أبو بكر يمنع من كتابة السنة النبوية

وكذلك يفعل بعده عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان إن الباحث إذا ما قرأ كتب التاريخ، وأحاط بعض الخلفيات التي توختها حكومة الخلفاء الثلاثة، علم علم اليقين بأنّهم هم الذين منعوا من كتابة الحديث النبوى الشريف وتدوينه، بل منعوا حتى التحدث به ونقله إلى الناس؛ لأنّهم بلا شك علموا بأنه لا يخدم مصالحهم، أو على الأقل يتعارض ويتناقض مع الكثير من أحكامهم، وما تأولوه حسب اجتهاداتهم، وما اقتضته مصالحهم.

وبقى حديث النبي ﷺ، والذي هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، بل هو المفسّر والمبيّن للمصدر الأول ألا وهو القرآن الكريم، بقى ممنوعاً ومحرماً على عهدهم، ولذلك اتفقت كلمة المحدثين والمؤرخين على بداية جمع الحديث والتدوين في عهد عمر بن عبد العزيز رض أو بعده بقليل.

فقد نقل البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم
قال: وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: أنظر ما كان من حديث
رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفتُ دروس العلم وذهاب العلماء، ولا يقبل
إلا حديث النبي ﷺ، وليفسوا العلم، ول يجعلوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن
العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً.

فهذا أبو بكر يخطب في الناس بعد وفاة النبي ﷺ قائلاً لهم: إنكم
تحدّثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ
اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بينما
وينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه^١.

عجبٌ والله أمر أبي بكر! ها هو وبعد أيام قلائل من ذلك اليوم
المشؤوم الذي سُميَ بـرميَّة يوم الخميس، يُوافق ما قاله صاحبه عمر بن
الخطاب بالضبط عندما قال: إنَّ رسول الله يهجر وحسيناً كتاب الله يكفياناً!!!
وها هو يقول: لا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بينما
وينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه.

والحمد لله على اعترافه صراحة بأنَّهم نبذوا سنة نبيِّهم وراء ظهورهم،
وكانَت عندَهم نسيانِاً منسياً!!

والسؤال هنا إلى أهل السنة والجماعة الذين يدافعون عن أبي بكر وعمر،
ويعتبرانهما أفضلَ الخلق بعد رسول الله ﷺ، فإذا كانت صحاحك كما
تعتقدون تروي بأنَّ رسول الله ﷺ قال: "تركت فيكم خليفتين ما إن

^١ تذكرة الحفاظ للذهبـي ١: ٣.

تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنّتي" - على فرض أننا سلّمنا بصحة هذا الحديث - فما بال أفضل الخلق عندكم يرفضان السنّة، ولا يقيمان لها وزناً، بلٌ ويمعنان الناس من كتابتها والتحدث بها؟! وهل من سائل يسأل أبا بكر في أي آية وجد قتال المسلمين الذين يمنعون الزكاة، ونبي نسائهم وذرارיהם؟!

فكتاب الله الذي بيننا وبين أبي بكر يقول في حق مانعي الزكاة: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ أَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصْدِقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخُلُوا بِهِ وَتَوَلُّوا وَهُمْ مُعْرَضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نَفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يُلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^١.

وباتفاق جميع المفسّرين، فإن هذه الآيات نزلت بخصوص ثعلبة الذي منع الزكاة على عهد النبي ﷺ، أضف إلى ذلك بأن ثعلبة منع الزكاة، وامتنع من أدائها إلى النبي ﷺ، لأنّه أنكرها وقال هي جزية^٢.

وقد شهد الله في هذه الآيات على نفاقه، ومع ذلك فالنبي ﷺ لم يقاتلته، ولم يأخذ أمواله بالقوة، وكان قادراً على كل ذلك، أمّا مالك بن نويرة وقومه فلم ينكروا الزكاة كفرض من فروض الدين، وإنما أنكروا الخليفة الذي استولى على الخلافة بعد الرسول بالقوة والقهر، وانتهاز الفرصة.

ثم إنّ أمراً بكر أغرب وأعجب عندما نبذ كتاب الله وراء ظهره، وقد

^١ التوبة: ٧٥ - ٧٧.

^٢ تفسير الطبرى ١٠: ٢٤٢، تفسير ابن كثير ٢: ٣٨٨، زاد المسير لابن الجوزي ٣: ٣٢١.

احتجّت به عليه فاطمة الزّهراء سيدة نساء العالمين، وتلتُ على مسامعه آياتٌ بيّناتٌ محكمات من كتاب الله الذي يُقرُّ وراثة الأنبياء، فلم يقبل بها ونسخها كلّها بحديث جاء به من عنده لحاجة في نفسه!! وإذا كان يقول: إنَّكُم تحدّثُون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والنّاس بعدكم أشدُّ اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيتنا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه. فلماذا لم يفعل هو بما يقول عندما اختلف مع بضعة المصطفى الصدّيق الطّاهرة، في حديث النّبِي "نحن عشر الانبياء لا نورٍ ثالث" ولم يحتكم معها إلى كتاب الله، فيُحلّ حلاله ويُحرّم حرامه؟

والجواب معروف، في تلك الحالة سوف تجد كتاب الله ضده، وسوف تنتصر عليه فاطمة في كلّ ما ادعته ضده، وإذا ما انتصرت عليه يومها فسوف تحاججه بنصوص الخلافة على ابن عمّها، وأنّى له عندئذ دفعها وتکذيبها، والله يقول بهذا الصدد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^١.

نعم، لكل ذلك ما كان أبو بكر ليترأح إذا ما بقيت أحاديث النّبِي ﷺ متداولة بين الناس، يكتبونها ويحفظونها ويتناقلونها من بلد آخر ومن قرية لأخرى، وفيها ما فيها من نصوص صريحة تتعارض والسياسة التي قامت عليها دولته، فلم يكن أمامه حلاً غير طمس الأحاديث وسترها بل ومحوها وحرقها.

^١ الصف: ٢ - ٣.

فها هي عائشة ابنته تشهد عليه، قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله، فكانت خمسمائة حديث، فبات يتقلب، فقلت: يتقلب لشكوى أو لشيء بلغه، فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها، فأحرقها... الحديث^١.

عمر بن الخطاب بتشدّد أكثر من صاحبه في الحديث عن رسول الله ﷺ ويمنع الناس من نقله

لقد رأينا سياسة أبي بكر في منع الحديث، حتى وصل به الأمر أن أحرق المجموعة التي جُمعت على عهده، وهي خمسمائة حديث، لئلا تنفسّى عند الصحابة وغيرهم من المسلمين الذين كانوا يتعطشون لمعرفة سنة نبيّهم ﷺ.

ولما ولّى عمر الخلافة بأمر من أبي بكر، كان عليه أن يتوكّى نفس السياسة ولكن بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فلم يقتصر على حظر ومنع تدوين الحديث ونقله فحسب، بل تهدّد وتوعّد وضرب أيضاً واستعمل فرض الحصار هو الآخر.

روى ابن ماجة في سنته من الجزء الأول، باب التوقي في الحديث. قال: عن قرظة بن كعب، بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة، وشيعنا فمشى معنا إلى موضع صرار، فقال: أتدرون لم مشيتُ معكم؟ قال: قلنا لحقَّ صحبة رسول الله، ولحقَّ الأنصار، قال: لكنني مشيتُ معكم لحديث أردتُ أن

^١ كنز العمال ١٠: ٢٨٥ ح ٢٩٤٦٠، تذكرة الحفاظ ١: ٥.

أحدّثكم به، فأردتُ أن تحفظوه لممثالي معكم، إنكم تقدمون على قوم
للقرآن في صدورهم أزيز كأزيز المرجل، فإذا رأوكم مدّوا إليكم أعناقهم،
وقالوا أصحاب محمد! فأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ ثم أنا شريككم.
فلما قدم قرظة بن كعب قالوا: حدثنا، قال: نهانا عمر^١.

كما روى مسلم في صحيحه في كتاب الآداب، باب الاستئذان، بأنَّ
عمر هدَّد أبا موسى الأشعري بالضرب من أجل حديث رواه عن رسول
الله ﷺ .

قال أبو سعيد الخدري: كنا في مجلس عند أبي بن كعب، فأتى أبي
موسى الأشعري مغضباً، حتى وقف فقال: أنسدكم الله هل سمع أحدٌ منكم
رسول الله ﷺ يقول: الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإنما فارجم؟ قال أبي:
وما ذاك، قال: استأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات، فلم يؤذن
لي فرجعت، ثم جئته اليوم فدخلت عليه، فأخبرته أني جئت بالأمس
فسلمت ثلاثاً ثم اصرفت، قال: قد سمعناك ونحن حينئذ على شغل، فلو ما
استأذنت حتى يؤذن لك، قلت: استأذنت كما سمعت رسول الله ﷺ ، قال:
فوالله لا وجعني ظهرك وبطنك أو لتأتيني من يشهد لك على هذا، فقال أبي بن
كعب: فوالله لا يقوم معك إلا أحد ثنا سنَا، قم يا أبا سعيد، فقمت حتى أتيت
عمر، فقلت: قد سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا.

وروى البخاري هذه الحادثة، ولكنه كعادته بتراها وحذف منها تهديد

^١ سنن ابن ماجة ١: ٢٨٥، ط دار الفكر وصحّح البوصيري في حاشيته على السنن بصحته،
تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ٧.

عمر بضرب أبي موسى حفاظاً كعادته على كرامته^١. مع أنَّ مسلم في صحيحه زاد قول أبي بن كعب لعمر: يابن الخطاب فلا تكونَ عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ.

وقد روى الذهبي في تذكرة الحفاظ من جزئه الأول الصفحة السابعة عن أبي سلمة قال: قلت لأبي هريرة: أكنتَ تحدثَ في زمان عمر هذا؟ فقال: لو كنتُ أحدثَ في زمان عمر مثل ما أحدثُكم لضربني بمخفته^٢.

كما أنَّ عمر بعد منع الحديث والتهدي بالضرب، أقدم هو الآخر على حرق ما دونه الصّحابة من الأحاديث، فقد خطب الناس يوماً قائلاً: أيها الناس، إنَّه قد بلغني أنَّه قد ظهرت في أيديكم كتبٌ، فأحببها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقىَ أحدٌ عنده كتاباً إلَّا أتاني به فأرِي فيه رأيي، فظنّوا أنَّه يريد النّظر فيها ليقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنّار^٣.

كما أخرج ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله، أنَّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة، ثمَّ بدا له أن لا يكتبها، ثمَّ كتب إلى الأمصار من كان عنده شيءٍ فليمحه^٤.

^١ صحيح البخاري ٦: ١٧٨ في كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثة.

^٢ تذكرة الحفاظ ١: ٧.

^٣ حجية السنة لعبد الغني: ٣٩٥ ونحوه: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥: ١٨٨، سير أعلام النبلاء للذهبي ٥: ٥٩.

^٤ كنز العمال ١٠: ٢٩٢ ح ٢٩٤٧٦، عن ابن عبد البر وأبي خشيمة، جامع بيان العلم وفضله: ٧٧.

ولمّا أعيته الحيلة ورغم تهديده ووعيده، ومنعه وتحريمه، وحرقه كتب الأحاديث، بقي بعض من الصحابة يُحدِّثون بما سمعوا من رسول الله ﷺ عندما يلتقطون في أسفارهم خارج المدينة بالناس الذين يسألونهم عن أحاديث النبي ﷺ، رأى عمر أن يحس هؤلاء النفر في المدينة، ويضرب عليهم حصاراً وإقامة جبرية.

فقد روى ابن إسحاق، عن عبد الرحمن بن عوف، قال: والله ما مات عمر حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق: عبد الله بن حذيفة، وأبي الدرداء، وأبي ذر الغفاري، وعقبة بن عامر. فقال: ما هذه الأحاديث التي قد أفضيتم عن رسول الله في الآفاق، قالوا: تنهانا؟ قال: لا، أقيموا عندى، لا والله لا تفارقوني ما عشت^١.

ثم جاء بعده ثالث الخلفاء عثمان الذي اتّبع نفس الطريق، وسلك ما سطّره له أصحابه من قبل، فصعد على المنبر وأعلن صراحة قوله: لا يحل لأحد أن يروي حديثاً عن رسول الله ﷺ لم أسمع به في عهد أبي بكر وعمر^٢.

وهكذا دام الحصار طيلة حياة الخلفاء الثلاثة، وهي خمسة وعشرون عاماً، ويا ليته كان حصاراً في تلك المدة فحسب، ولكنّه توّاصل بعد ذلك، وعندما جاء معاوية للحكم صعد المنبر هو الآخر وقال: إياكم وأحاديث إلّا

^١ كنز العمال ١٠: ٢٩٣، تاريخ مدينة دمشق ٤٠: ٥٠٠.

^٢ الطبقات لابن سعد ٢: ٣٣٦، كنز العمال ١٠: ٢٩٥ ح ٢٩٤٩٠، تاريخ مدينة دمشق

حدِيثاً كان في عهد عمر، فإنَّ عمرَ كان يخيفُ النَّاسَ فِي اللهِ عزَّ وجلَّ.
الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، فِي كِتَابِ الزَّكَاةِ بَابَ النَّهْيِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ
مِنْ جُزْئِهِ الثَّالِثِ.

وَنَهَى الْخَلْفَاءُ الْأُمَوِّيُّونَ عَلَى هَذَا الْمَنْوَالِ، فَمَنْعَوْا أَحَادِيثَ الرَّسُولِ
الصَّحِيقَةِ، وَتَفَنَّنُوا فِي وَضْعِ الْأَحَادِيثِ الْمَزَوَّرَةِ وَالْمَكْذُوبَةِ عَلَى رَسُولِ
اللهِ بِالْكَلْمَانِ، حَتَّى ابْتَلَى الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ الْعَصُورِ بِالْمُتَاقْضَاتِ، وَبِالْأَسَاطِيرِ
وَالْمُخَارِقِ الَّتِي لَا تَمْتُ لِإِسْلَامِ بَشِّيْءٍ.

وَإِلَيْكَ مَا نَقْلَهُ الْمَدَائِنِي فِي كِتَابِهِ "الْأَحَدَاثِ" قَالَ: كَتَبَ مَعاوِيَةُ نَسْخَةً
وَاحِدَةً إِلَى عَمَّالِهِ بَعْدِ عَامِ الْجَمَاعَةِ: أَنْ بَرَئَتِ الْذَّمَّةُ مِنْ رَوْيِ شَيْئًا مِنْ فَضْلِ
أَبِي تَرَابٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ (يَقْصُدُ عَلَيْهِ بْنَ أَبِي طَالِبٍ)، فَقَامَ الْخَطَّابُ فِي كُلِّ كُورَةٍ
وَعَلَى كُلِّ مَنْبَرٍ يَعْنُونَ عَلَيْهِ وَيَرْؤُونَ مِنْهُ، وَيَقْعُونَ فِيهِ وَفِي أَهْلِ بَيْتِهِ.
ثُمَّ كَتَبَ مَعاوِيَةُ إِلَى عَمَالِهِ فِي جَمِيعِ الْآفَاقِ: أَنْ لَا يَجِيزُوا لِأَحَدٍ مِنْ
شِيعَةِ عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ شَهَادَةً.

ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِمْ: أَنْ انظُرُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ شِيعَةِ عُثْمَانَ وَمُحَبِّيهِ، وَأَهْلِ
وَلَايَتِهِ وَالَّذِينَ يَرَوُونَ فَضَائِلَهُ وَمَنَاقِبَهُ فَأَدْنُوا مَجَالِسَهُمْ، وَقَرْبُوهُمْ وَأَكْرَمُوهُمْ،
وَأَكْتَبُوا إِلَىٰ بَكْلَ مَا يَرَوِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، وَاسْمُهُ وَاسْمُ أَبِيهِ وَعَشِيرَتِهِ.
فَفَعَلُوا ذَلِكَ حَتَّىٰ أَكْثَرُوا مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ وَمَنَاقِبِهِ، لَمَّا كَانَ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ
مَعاوِيَةُ مِنَ الصَّلَاتِ وَالْكَسَاءِ وَالْحَبَاءِ وَالْقَطَائِعِ، وَيَفِيضُهُ فِي الْعَرَبِ مِنْهُمْ
وَالْمَوَالِيِّ، فَكَثُرَ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَصْرٍ، وَتَنَافَسُوا فِي الْمَنَازِلِ وَالْدُّنْيَا، فَلَا يَأْتِي
أَحَدٌ مَرْدُودٌ مِنَ النَّاسِ عَامِلًا مِنْ عَمَّالِ مَعاوِيَةَ، فَيَرَوِي فِي عُثْمَانَ فَضْيَلَةً أَوْ

منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبيتوا بذلك حيناً.

ثم كتب معاوية إلى عمّاله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، إذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتونى بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلى وأقر لعيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرأت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتولة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم، حتى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونسائهم وخدمتهم وحشّهم، فلبيتوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: أنظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوا اسمه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه.

ثم شفع ذلك بنسخة أخرى: من انتهتموا بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به، واهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة، حتى إن الرجل من شيعة على ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته فيلقى إليه سرره، ويختاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدّثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه.

فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس بليّة القراء المراوئون والمستضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسلك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها لهم يظنّون أنها حقّ، ولو علموا أنها باطلة لما رووها، ولا تدّينوا بها^١.

وأقول: بأنّ المسؤولية في كلّ ذلك يتحمّلها أبو بكر وعمر وعثمان، الذين منعوا من كتابة الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، بدعاوى خوفهم بأن لا تختلط السنة بالقرآن، هذا ما يقوله أنصارهم والمدافعون عنهم.

وهذه الدّعوى تُضحك المجانين، وهل القرآن والسنة سُكّر وملح إذا ما اخترطا فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وحتى السُّكّر والملح لا يختلطان؛ لأنّ كلّ واحد محفوظ في علبة الخاصة به، فهل غاب عن الخلفاء أن يكتبوا القرآن في مصحف خاصّ به، والسنة النبوية في كتاب خاصّ بها، كما هو الحال عندنا اليوم!! ومنذ دوّت الأحاديث في عهد عمر ابن عبد العزيز رض، فلماذا لم تختلط السنة بالقرآن، رغم أن كتب الحديث تُعدُّ بالمئات؟! فصحيح البخاري لا يختلط ب صحيح مسلم، وهذا لا يختلط بمسند أحمد، ولا بموطأ الإمام مالك، فضلاً عن أن يختلط بالقرآن الكريم.

^١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٤.

فهذه حجّة واهية كبيت العنكبوت لا تقوم على دليل، بل الدليل على عكسها أوضح، فقد روى الزهري عن عروة أَنَّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب رسول الله ﷺ، فأشاروا عليه أن يكتُبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً فقال: إِنِّي كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكُتُبَ الْسُّنْنَ، وَإِنِّي ذَكَرْتُ قَوْمًا قَبْلَكُمْ كَتَبُوا كِتَابًا فَأَكَبَّوْا عَلَيْهَا وَتَرَكُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَشُوبُ كِتَابَ اللَّهِ بِشَيءٍ أَبْدَأْ .

أنظر أيها القارئ إلى هذه الرواية، كيف أشار أصحاب رسول الله ﷺ على عمر بأن يكتب السنن، وخالفهم جمِيعاً واستبدَّ برأيه، بدعوى أنَّ قوماً قبلهم كتبوا كتاباً فأكَبَّوا عليها، وتركوا كتاب الله، فأين هي دعوى الشورى التي يتشدّق بها أهل السنة والجماعة؟! ثمَّ أين هؤلاء القوم الذين أكَبُوا على كتبهم وتركوا كتاب الله، لم نسمع بهم إلَّا في خيال عمر بن الخطاب؟! وعلى فرض وجود هؤلاء القوم فلا وجه للمقارنة، إذ إنَّهم كتبوا كتاباً من عند أنفسهم لتحريف كتاب الله، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيَسْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبُتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ .^٢

أمَّا كتابة السنن فليست كذلك؛ لأنَّها صادرة عن نبِيٍّ معصوم لا ينطقُ عن الهوى إن هو إلَّا وحْيٌ يُوحَى، وهي مُبِينةٌ ومفسِّرةٌ لكتاب الله، قال

^١ كنز العمال ١٠: ٢٩١ ح ٢٩٤٧٤ عن ابن عبد البر، المصنف لعبد الرزاق ١١: ٢٥٧ ح ٢٠٤٨٤

نحوه الطبقات لابن سعد ٣: ٢٨٧، جامع بيان العلم وفضله: ٧٦.

^٢ البقرة: ٧٩

تعالى: ﴿وَأَنْزَلَنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^١.

وقد قال رسول الله ﷺ: "أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمُثْلُهُ مَعَهُ"^٢ ، وهذا أمرٌ بديهيٌّ
لكلّ من عرف القرآن، فليس هناك الصّلوات الخمس، ولا الزّكاة بمقاديرها،
ولا أحكام الصّوم، ولا أحكام الحجّ، إلى كثير من الأحكام التي بينها رسول
الله ﷺ ، ولكلّ ذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ
فَانْتَهُوا﴾^٣.

وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ﴾^٤.

وليتَ عمر عرف كتاب الله وأكبّ عليه؛ ليتعلّم منه الامتثال إلى أوامر
الرسول، ولا يُناقشها ولا يطعن فيها^٥.

وليته عرف كتاب الله وأكبّ عليه، ليتعلّم منه حكم الكلالة^٦ التي ما
عرفها حتى مات، وحكم فيها أيام خلافته بأحكام متعدّدة ومتناقضة، وليته
عرف كتاب الله وأكبّ عليه؛ ليتعلّم منه حكم التّيمّم الذي ما عرفه حتى أيام
خلافته، وكان يفتى بترك الصّلاة لمن لم يجد الماء^٧ ، وليته عرف كتاب الله
وأكبّ عليه ليتعلّم منه حكم الطلاق مرّتان، فإمساك بمعرفة أو تسريح

^١ النحل: ٤٤.

^٢ مسنّد أحمد ٤: ١٣١، تفسير ابن كثير ١: ٤.

^٣ الحشر: ٧.

^٤ آل عمران: ٣١.

^٥ صحيح البخاري ١: ٣٧ باب كتابة العلم، و ٥: ١٣٨، في رزية الخميس.

^٦ صحيح مسلم ٢: ٨١، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلًا.

^٧ صحيح البخاري ١: ٩٠، صحيح مسلم ١: ١٩٣ باب التّيمّم وفيه: "إِنْ رجلاً أتى عمر فقال:
إِنِّي أَجْنِبْتُ فِلْمَ أَجْدَ مَاءً؟ فَقَالَ: لَا تَصْلِ...".

بإحسان، والذي جعله هو طلقةٌ واحدةٌ^١ ، وعارض برأيه واجتهاده أحكام الله، وضرب بها عرض الحائط.

والحقيقة التي لا مجال لدفعها، هي أنَّ الخلفاء منعوا من انتشار الأحاديث، وهدّدوا من يتحدث بها، وضربوا عليها الحصار؛ لأنَّها تفضح مخطّطاتهم، وتكشف مؤامراتهم، ولا يجدون مجالاً لتأویلها كما يتأنّلون القرآن؛ لأنَّ كتاب الله صامتٌ وحمالٌ أوجه، أمّا السُّنْن النبوية فھي أقوال وأفعال النَّبِي ﷺ، فلا يمكن لأحدٍ من النَّاس دفعها.

ولذلك قال أمير المؤمنين على لابن عباس عندما بعثه للاحتجاج على الخوارج: "لا تُخاصِّهم بالقرآن، فإنَّ القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاجتهم بالسنة، فإنَّهم لن يجدوا عنها محيصاً"^٢.

أبو بكر يسلِّم الخلافة لصاحبِه عمر ويخالف بذلك النصوص الصريحة

يقول الإمام على عَلَيْهِ السَّلَام في هذا الموضوع بالذات:

"أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنَّه ليعلمُ أنَّ محلَّ منها محلٌ القطب من الرّحى، ينحدر عنى السَّيْلُ ولا يرقى إلىَ الطير، فسدلتُ دونها ثوبًا، وطويتُ عنها كشحًا، وطفقتُ أرتئي بين أنَّ أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياً، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويُكَدِّح فيها مؤمن حتى يلقى ربَّه، فرأيتُ أنَّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرتُ وفي العين

^١ صحيح مسلم: ٤١٨٣ في كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث من جزءه الأول.

^٢ نهج البلاغة: ٣١٣٦، الخطبة ٧٧.

قدى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً، حتّى مضى الأولُ لسبيله، فأدلى
بها إلى ابن الخطاب بعده.

(شنان ما يومي على كورها و يوم حيّان أخي جابر)

فيما عجبنا! بينما هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما
تشطّر ضرعيها، فصيّرها في حوزة خشناء، يغلظُ كلامُها، ويخشّنُ مسْهَا،
ويكثُرُ العشارُ فيها، والاعتذار منها... "الخطبة" ^١.

يعرفُ كلّ محقّق وباحث بأنّ رسول الله ﷺ نصّ بالخلافة وعيّن عليّ
ابن أبي طالب قبل وفاته، كما يعرف ذلك أغلب الصحابة، وفي مقدّمتهم
أبو بكر وعمر، ولهذا كان الإمام علي يقول: "إنه ليعلمُ أنَّ محلّي منها محلٌ
القطب من الرّحى".

ولعلَّ ذلك ما دعا أبو بكر وعمر أن يمنعوا رواية الحديث عن النبي ﷺ،
كما قدّمنا في الفصل السابق، وتمسّكاً بالقرآن لأنَّ القرآن وإن كان فيه آية
الولاية، غير أنَّ اسم علي لم يذكر صراحة كما هو الحال في الأحاديث
النبوية، كقوله ﷺ: "من كنت مولاه فهذا علىٌ مولاه" ^٢، و"علىٌ مني

^١ نهج البلاغة ١: ٣٠، الخطبة ٣، المعروفة بالشقشقة.

^٢ مسنّد أحمد ١: ٨٤ وصرّح محقّق الكتاب الشيخ أحمد شاكر بصحة متن الحديث وقال:
(ورد عن طرق كثيرة، ذكر المناوي في شرح الجامع الصغير في الحديث ٩٠٠٠ عن السيوطي
أنه قال: "حديث متواتر..."), سنن ابن ماجة ١: ٤٥ ح ١٢١، سنن الترمذى ٥: ٢٩٧ ح ٣٧٩٧
المستدرك للحاكم ٣: ١١٠، كتاب السنة لابن أبي عاصم: ٥٩٠، وغيرها من المصادر الكثيرة.
وهو حديث متواتر كما صرّح الشيخ الألباني في صحيحته ٤: ٣٤٣.

بمنزلة هارون من موسى^١ و"علي أخي ووصي و الخليفي من بعدي"^٢ .
و"على مني وأنا منه وهو ولـي كل مؤمن بعدي"^٣ .

^١ صحيح مسلم ١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب، سنن الترمذى ٥: ٣٠٢ ح ٣٨٠٨، المستدرك للحاكم ٣: ١٠٩، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٩٤، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٤٩٦، كتاب السنة ٥٨٦، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٤ ح ٨١٣٨، وغيرها.
^٢ قريب منه في تاريخ الطبرى ٢: ٦٣، الخصائص للنسائي ٤٩ ح ٦٥ في حكاية يوم الدار ونزل قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين).

^٣ سنن الترمذى ٥: ٦٣٢ ح ٣٧١٢ وقال: "هذا حديث حسن غريب"، خصائص أمير المؤمنين ١٠٩ ح ٨٩ - ٩٠، مستند أحمد بن حنبل ٤: ٤٣٧، فضائل الصحابة ٢: ٦٠٥ ح ١٠٣٥، مسند أبي داود الطیاسی: ١١١ ح ٨٢٩، المصنف لابن أبي شيبة ٦: ٣٧٥ ح ٣٧٥، صحيح ابن حبان ٥: ٣٧٣ ح ٦٩٢٩، المستدرك ٣: ١١٠، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخر جاه ولم يعقبه الذهبي بشيء، حلية الأولياء ٦: ٢٩٤، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥: ٢٦١ ح ٢٢٣ البداية والنهاية ٧: ٣٥١، مختصر إتحاف السادة المهرة ٩: ١٧٠ ح ٧٤١ وقال البوصيري: رواه أبو داود الطیاسی بسنده صحيح.

ولأجل وضوح دلالة هذا الحديث على خلافة أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْمُبَشَّرَةُ أَنْكَرَهُ أَبْنَى تِيمَةَ وَطَعَنَ فِيهِ، قال في منهاج سنته ٤: ١٠٤: "قوله: (وهو ولـي كل مؤمن بعدي) كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هو في حياته وبعد مماته ولـي كل مؤمن، وكل مؤمن ولـي في المحيا والممات. فالولاية التي هي ضد العداوة لا تختص بزمان، أما الولاية التي هي الامارة فيقال فيها: والـي كل مؤمن بعدي".

ويكفي ردًا على كلام ابن تيمية ما ذكره شيخ السلفية المحدث محمد ناصر الدين الألباني في سلسلته الصحيحة ٥: ٢٦٣ إذ قال بعد تحريرجه الحديث: " فمن العجب حقًّا أن يتجرأً شيخ الإسلام ابن تيمية على إنكار هذا الحديث وتکذيبه في منهاج السنة (١٠٤/٤) كما فعل بالحديث المتقدم هناك.. فلا أدرى بعد ذلك وجہ تکذيبه للحديث إلا التسرع والبالغة في الرد على الشيعة".

وبذلك نفهم مدى نجاح المخطط الذي رسمه أبو بكر وعمر في منع وحرق الأحاديث النبوية، وجعل كمامات على الأفواه حتى لا يتحدث الصحابة بها، كما قدمنا في روایة قرظة بن كعب، واستمر ذلك الحصار ربع قرن، وهي مدة الخلفاء الثلاثة، حتى إذا جاء علي للخلافة نرى أنه استشهد الصحابة يوم الرحبة على حديث الغدير، فشهادته ثلاثون صحابياً^١ منهم سبعة عشر بدرية^٢.

وهذا يدل دلالة واضحة بأن هؤلاء الصحابة، وعددهم ثلاثون، ما كانوا ليتكلّموا لو لا أن طلب منهم أمير المؤمنين ذلك، ولو لم يكن على خليفة وبيده القوة لأقدهم الخوف عن أداء الشهادة، كما وقع ذلك فعلا من بعض الصحابة الذين أقدهم الخوف أو الحسد عن الشهادة، أمثال أنس بن مالك، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وجريير بن عبد الله البجلي، فأصابتهم دعوة علي بن أبي طالب^٣.

ولم ينعم أبو تراب^{عليه السلام} بالخلافة، فكان أيامه كلها محن وفتن، ومؤامرات وحروب شنت عليه من كل حدب وصوب، وبرزت تلك الأحقاد

^١ مسند أحمد ٤: ٣٧٠ وفيه أيضاً ”وقال أبو نعيم: ققام ناس كثير فشهادوا...”.

^٢ مسند أحمد ١: ١١٩ وصرح محقق الكتاب أحمد شاكر بصحته، وفيه أيضاً: ”فقام إلا ثلاثة لم يقوموا، فدعوا عليهم فأصابتهم دعوته“.

^٣ أنساب الأشراف ١٥٧ ح ١٦٩، ونحوه السيرة الحلبية ٣: ٣٨٥، المعجم الكبير ٥: ١٧٥، تاريخ دمشق ٤٢: ٢٠٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٢١٨.

والضغائن البدرية والحنينية والخبيرية حتى سقط شهيداً، ولم تجد تلك السّنن النبوية آذاناً صاغية لدى الناكثين والقاسطين والمارقين، والانتهازيين الذين ألهوا الفساد والرشوة وحب الدنيا أيام عثمان، فلم يكن ابن أبي طالب ليصلح فساد وانحراف ربع قرن في ثلاثة أو أربع سنوات إلا بفساد نفسه، وهيئات منه ذلك وهو القائل: "والله إني لأعرف ماذا يصلاحكم، ولكن لا أصلاحكم بفساد نفسي".^١

ولم تطل المدّة حتى اعتلى سدة الخلافة معاوية بن أبي سفيان، فواصل المخطّط، كما قدمنا في من الأحاديث إلا ما كان في زمن عمر، وذهب شوطاً بعد من ذلك، فانتدب من الصحابة والتّابعين زمرة لوضع الأحاديث، فضاعت سنة الرّسول ﷺ في خضم تلك الأكاذيب والأساطير والفضائل المختلفة. واستمرّ المسلمون على ذلك قرناً كاملاً، وأصبحت سنة معاوية هي المتبعة لدى عامة المسلمين، وإذا قلنا سنة معاوية فمعناه السنة التي ارتضاها معاوية من أفعال الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، وما أضافه هو وأتباعه من وضع وتزوير، ولعن وسبّ لعلى وأهل بيته وشيعته من الصحابة المخلصين.

ولذلك أعود وأكرر بأنَّ أبي بكر وعمر نجحا في هذا المخطّط لطمس السّنن النبوية بدعوى الرجوع إلى القرآن، فإنك ترى اليوم وبعد مرور أربعة عشر قرناً، إذا ما حاججت بالنصوص النبوية المتواترة التي ثبتت بأنَّ رسول الله ﷺ عينَ علياً خليفةً له، فسيُقال لك: دعنا من السنة النبوية التي اختلف فيها وحسبنا كتاب الله، وكتاب الله لم يذكر بأنَّ علياً هو خليفة النبي، بل

^١ نحوه الكافي بـ ٣٦١، أنساب الأشراف: ٤٥٨.

قال: "وأمرهم شوري".

وهذه هي حجّتهم، فما كلّمتُ أحداً من علماء أهل السنة إلا وكانت الشوري هي شعارهم وديدنهم.

وبقطع النّظر على أنّ خلافة أبي بكر كانت فلتةً وقى الله المسلمين شرّها^١ ، فلم تكن عن مشورة كما يدعى البعض، بل كانت بالغفلة وبالقوّة والقهر والتهديد والضرب^٢ ، وتخلّف عنها وعارضها الكثير من خيرة الصحابة، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب، وسعد بن عبادة، وعمّار، وسلامان، والمقداد، والزبير، والعباس، وغير هؤلاء كثيرون، كما يعترف بذلك جل المؤرخين لهذا الحدث.

ولنغضّ الطرف عنها ونأتي إلى استخلاف أبي بكر لعمر بعده، ونسائل أهل السنة الذين يتسلّدون بمبدأ الشوري: لماذا عيّن أبو بكر خليفةه، وفرضه على المسلمين بدون أن يترك الأمر شوري بينهم كما تدعون؟ ولمزيد من التوضيح وكالعادة لا نستدل إلا بكتب أهل السنة، أقدم إلى القارئ كيفية استخلاف أبي بكر لصاحبه.

ينقل ابن قتيبة في كتابه تاريخ الخلفاء، في باب مرض أبي بكر واستخلافه عمر رضي الله عنهما، قال:

"... ثم دعا عثمان بن عفان فقال: أكتب عهدي، فكتب عثمان وأملّى

^١ البخاري ٢٦:٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم العجل من الزنا.

^٢ الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١:٢٦، بيعة أبي بكر وكيفيةأخذ البيعة من علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عليه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا عَاهَدَ بِهِ أَبُو بَكْرُ بْنُ أَبِي قَحَافَةَ، آخِرُ عَهْدِهِ فِي الدُّنْيَا نَازَ حَلَقَةَ عَنْهَا، وَأَوْلَى عَهْدِهِ بِالآخِرَةِ دَاخِلًا فِيهَا، إِنِّي اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَابَ، إِنَّمَا تَرَوُهُ عَدْلًا فِيمَكُمْ فَذُلِكَ ظَنِّي بِهِ وَرْجَائِي فِيهِ، وَإِنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ فَالْخَيْرَ أَرْدَتُ، وَلَا أَعْلَمُ بِالْغَيْبِ، وَسَيَعْلَمُ الظَّالِمُونَ أَيْ مَنْ قَلَبَ يَنْقُلِبُونَ".

ثُمَّ خَتَمَ الْكِتَابَ وَدَفَعَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْمَهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ حِينَ بَلَغُهُمْ أَنَّهُ اسْتَخَلَفَ عُمَرَ، فَقَالُوا: نَرَاكَ اسْتَخَلَفْتَ عَلَيْنَا عُمَرَ، وَقَدْ عَرَفْتَهُ، وَعَلِمْتَ بِوَاقِفِهِ فِينَا وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا، فَكَيْفَ إِذَا وَلَيْتَ عَنَّا، وَأَنْتَ لَاقَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سَائِلِكَ، فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَئِنْ سَأَلْنِي اللَّهُ لَا أَقُولُنَّ: اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَهُمْ فِي نَفْسِي".^١

وَيَذَكُرُ بَعْضُ الْمُؤْرِخِينَ: أَنَّ أَبَا بَكْرَ لَمَّا اسْتَدْعَى عُثْمَانَ لِيَكْتُبَ عَهْدَهُ، أَعْمَيَ عَلَيْهِ أَثْنَاءَ الْإِمْلَاءِ، فَكَتَبَ عُثْمَانَ اسْمَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَابَ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَقْرَأْ مَا كَتَبْتَ، فَقَرَأْ وَذَكَرَ اسْمَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَنِّي لَكَ هَذَا؟ قَالَ: مَا كُنْتَ تَعْدُوهُ، فَقَالَ: أَصْبَتَ.

فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكِتَابِ دَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِّنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَا أَنْتَ قَائِلُ لِرَبِّكَ غَدًا وَقَدْ وَلَيْتَ عَلَيْنَا فَظًا غَلِيلًا، تَفَرَّقَ مِنْهُ النُّفُوسُ وَتَنْفَضُّ عَنِ الْقُلُوبِ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَسْنَدُونِي وَكَانَ مُسْتَلْقِيًّا، فَأَسْنَدُوهُ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَبِاللَّهِ

^١ تاريخ الخلفاء لابن قتيبة المعروف بالإمامية والسياسة ١: ٣٧.

تَخْوِّفَنِي، إِذَا قَالَ لِي ذَلِكَ غَدًا قُلْتُ لَهُ: وَلَيْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرًا أَهْلَكَ^١.

وإذا كان المؤرخون يتفقون على استخلاف أبي بكر لعمر بدون استشارة الصحابة، فلنا أن نقول بأنه استخلفه رغم أنف الصحابة وهم له كارهون، وسواء أقال ابن قبية: "دخل عليه المهاجرون والأنصار فقال: قد علمت بوائقه فيما" أم كما قال غيره: "دخل عليه قوم من الصحابة منهم طلحة فقال له: ما أنت قائل لربك وقد وليت علينا فظاً غليظاً تفرق منه النفوس وتنقض عنده القلوب" فالنتيجة واحدة، وهي إن الصحابة لم يكن أمرهم شورى، ولم يكونوا راضين عن استخلاف عمر، وقد فرضه عليهم أبو بكر فرضاً بدون استشارتهم، والنتيجة هي التي تنبأ بها الإمام علي عندما شدد عليه عمر بن الخطاب لباع أبي بكر، فقال له: "أحلب حلبًا لك شطره، وأشدد له اليوم أمره يرده عليك غداً".^٢

وهذا بالضبط ما قاله أحد الصحابة لعمر بن الخطاب، عندما خرج بالكتاب الذي فيه عهد الخلافة، فقال له: ما في الكتاب يا أبي حفص؟ قال: لا أدرى، ولكنني أول من سمع وأطاع، فقال الرجل: لكنني والله أدرى ما فيه،

^١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٦٣، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ١٦: "وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب". تاريخ الطبرى ٣: ٤٣٣، ط رواع التراث، الكامل في التاريخ ٢: ٤٢٥ والذى قال عن تاريخه: "لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة، والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقولوه وصححة ما دونوه ولم أكن كالخابط في علماء الليالي، ولا كمن يجمع الحصباء واللائى" الكامل في ١: ٣ المقدمة.

^٢ الإمامة والسياسة ١: ٢٩.

أمّرته عام أوّل، وأمّرك العام^١.

وبهذا يتبيّن لنا بوضوح لا شكّ فيه بأنّ مبدأ الشورى الذي يطّبل له أهل السنة لا أساس له عند أبي بكر وعمر، أو بتعبير آخر: إنّ أبي بكر هو أوّل من هدم هذا المبدأ وألغاه، وفتح الباب أمام الحكام من بنى أميّة أن يُعيدوها ملكية قيصرية يتوارثها الأبناء عن الآباء، وكذلك فعل بنو العباس من بعدهم، وبقيت نظرية الشورى حُلماً يراود أهل السنة والجماعة لم ولن يتحقق.

وهذا يذكّرني بمحاورة دارت بيني وبين عالم من علماء الوهابية السعوديين في مسجد نيرobi بكينيا على مشكلة الخلافة، وكنتُ من أنصار النصّ على الخليفة، وأنّ الأمر كله لله يجعله حيث يشاء، ولادخل لاختيار الناس في ذلك.

وكان هو من أنصار الشورى، ويدافع عنها دفاعاً مستميتاً، وكان حوله مجموعة من الطلبة الذين يأخذون العلم عنه، وهم يؤيّدونه في كلّ ما يقول، بدعوى أنّ حجّته من القرآن الكريم، إذ يقول تعالى لرسوله ﷺ:

﴿وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأُمْرِ﴾^٢ ويقول: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^٣.

ولمّا عرفتُ أنّي مقهور مع هؤلاء لأنّهم تعلّموا من أستاذهم كلّ الأفكار الوهابية، كما عرفتُ أنّهم غير قابلين للاستماع إلى الأحاديث الصحيحة، وهم يتّشّرون بعض الأحاديث التي يحفظونها وأغلبها من الموضوعات،

^١ الإمامة والسياسة ١: ٣٨.

^٢ آل عمران: ١٥٩.

^٣ الشورى: ٣٨.

عند ذلك استسلمت لمبدأ الشورى وقلت لهم ولأستاذهم:

هل لكم أن تقنعوا حكومة جلالة الملك عندكم بمبدأ الشورى حتى يتنازل عن عرشه، ويقتدي بسلفكم الصالح، ويترك للمسلمين في الجزيرة العربية حرية اختيار رئيساً لهم، وما أظنه يفعل ذلك، فآباؤه وأجداده لم يملكو الخلافة فحسب، بل والجزيرة العربية أيضاً أصبحت من ممتلكاتهم حتى أطلقوا على أرض الحجاز كلّها اسم المملكة السعودية.

وعندئذ تكلّم سيدهم العالم ليقول: نحن لا شغل لنا في السياسة، ونحن في بيت الله الذي أمر أن يذكر فيه اسمه وأن تقام فيه الصلوات.

قلت: وكذلك لطلب العلم.

قال: نعم وهو كذلك، نحن نعلم الشباب هنا.

قلت: كنا في بحث علمي!

قال: لقد أفسدته بالسياسة.

خرجت مع مرافقتي، وأنا أتحسّر على شباب المسلمين الذين استولت الوهابية على أفكارهم بكل الطرق، فأصبحوا حرباً على آبائهم، وكلّهم من معتنقى المذهب الشافعى، وهو أقرب المذاهب إلى أهل البيت على ما أعتقد.

وكان للشيخ احترام ووقار لدى المثقفين وغير المثقفين، باعتبار أنّ أغلبهم من السادة المنحدرين من السلالة الطاهرة، فجاء الوهابيون للشباب واستغلّوا فقرهم، فأغروهم بالأموال والإمكانيات المادية، وقلبو نظرتهم بأنّ ما يفعلونه من احترام للسادة هو شرك بالله؛ لأنّه تقديس للبشر، فأصبح

الأبناء نفحة على الآباء، وهذا ما يحدث في كثير من البلدان الإسلامية في أفريقيا للأسف.

ونعود لوفاة أبي بكر لنجد أنه قبل موته ندم على ما اقترفت يداه، فقد نقل ابن قتيبة في تاريخ الخلفاء قوله: "أجل والله ما آسى إلا على ثلات فعلتهن ليتنى كنتُ تركتهنَ: فليتنى تركتُ بيت على، وفي رواية لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد أعلنوا على الحرب، وليتني يوم سقيفة بنى ساعدة كنتُ ضربتُ على يد أحد الرجلين أبي عبيدة أو عمر، فكان هو الأمير و كنت أنا الوزير، وليتني حين أتيتُ ذي الفجاءة السلمي أسيراً أني قتلتُ ذيحاً أو أطلقته نجحياً، ولم أكن أحرقته بالنار" ^١.

ونحن نُضيف: ليتك يا أبي بكر لم تظلم الزهراء، ولم تؤذها، ولم تغضبها، وليتك ندمتَ قبل موتها وأرضيتها، هذا بخصوص بيت على الذي كشفته وأبحث حرقه.

أما بخصوص الخلافة فليتك تركتَ صاحبيك وعاصديك أبو عبيدة وعمر، وضربت على يد صاحبها الشرعي الذي استخلفه صاحب الرسالة، فكان هو الأمير، إذن لكان العالم اليوم غير ما نشاهده، ولكن دين الله هو الذي يسود الكرة الأرضية، كما وعد الله ووعده حق.

وأما بخصوص الفجاءة السلمي الذي أحرقه بالنار، فيا ليتك لم تحرق السنّن النبوية التي جمعتها، ولكنك تعلمت منها الأحكام التشريعية

^١ تاريخ الطبرى ٢: ٦١٩، تاريخ دمشق ٣٠: ٤٢٠، الإمامة والسياسة ١: ٣٦، تاريخ العقوبى ٢: ١٣٧، ط دار صادر، باختلاف في الألفاظ.

الصحيحة، وما التجأت إلى الاجتهاد بالرأي.

وأخيراً وأنت على فراش الموت ليتك إذا فَكِرْتَ في الاستخلاف،
أرجعت الحق إلى نصابه إلى من كان محله منها محل القطب من الرحى،
فأنت أعلم الناس بفضله وفضائله، وزهده وعلمه وقواه، وأنه كان كنفس
النبي ﷺ، وخصوصاً أنه سلم لك الأمر، ولم ينمازرك حفاظاً على الإسلام،
فكان حريّاً بك أن تنصح لأمة محمد ﷺ، وتحتار لها من يصلح شأنها،
ويлем شعثها، ويوصلها إلى ذروة المجد.

وندعوا الله سبحانه وتعالى أن يغفر لك ذنبك، ويرضي عنك فاطمة
واباها، وزوجها وبنتها، فقد أغضبت بضعة المصطفى، والله يغضب لغضبها
ويرضي لرضاهما، كما وأن من من آذى فاطمة فقد آذى أباها بنص
حديثه ﷺ، والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولُ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^١.
ونعوذ بالله من غضب الله، ونسأله أن يرضى عنا وعن جميع المسلمين
والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات.

عمر بن الخطاب يعارض كتاب الله باجتهاده

إن لل الخليفة الثاني عمر تاریخاً حافلاً من اجتهاده مقابل النصوص
الصریحة من القرآن الكريم، والسنّة النبوية الشريفة.
وأهل السنّة يجعلون ذلك من مفاخره ومناقبه التي يمدحونه لأجلها،
والمنصفون منهم يتمسون لذلك أعداراً وتاويلاً باردة لا يقبلها عقل ولا

^١ التوبية: ٦١

منطق، وإلاًّ كيف يكون من يعارض كتاب الله وسنة نبيه من المجتهدين، والله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةً إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^١.

وقال عزّ من قائل: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾
﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^٢.

وأخرج البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، في باب ما يذكر من ذم الرأي وتکلف القياس ولا تقف ولا تقل ما ليس لك به علم، قال النبي ﷺ: إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعاً، ولكن ينزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يُستفتون فيفتلون برأيهم فيضلُّون ويضلُّون^٣.

كما أخرج البخاري في صحيحه من نفس الكتاب في الباب الذي يليه: "ما كان النبي ﷺ يسئل مما لم ينزل عليه الوحي" فيقول: لا أدرى، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي، ولم يقل برأي ولا قياس، لقوله تعالى: ﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾^٤.

وقد قال العلماء قديماً وحديثاً قولًا واحدًا: إنه من قال في كتاب الله

^١ الأحزاب: ٣٦.

^٢ المائدة: ٤٤ - ٤٥ - ٤٧.

^٣ صحيح البخاري ٨: ١٤٨.

^٤ المصدر السابق.

برأيه فقد كفر، وهذا بديهي من خلال الآيات المحكمات، ومن خلال أقوال وأفعال الرسول ﷺ .

فكيف تنسى هذه القاعدة إذا ما تعلق الأمر بعمر بن الخطاب أو بأحد الصحابة أو أحد أئمة المذاهب الأربعة، فيصبح القول بالرأي في معارضة أحکام الله اجتهاداً، يؤجر عليه صاحبه أجراً واحداً إن أخطأ، وأجران إن أصاب؟!

وللائل أن يقول: إن هذا ما اتفقت عليه الأمة الإسلامية قاطبة سنة وشيعة للحديث النبوي الشريف الوارد عندهم.

أقول: هذا صحيح ولكن اختلفوا في موضوع الاجتهداد، فالشيعة يوجبون الاجتهداد في ما لم يرد بشأنه حكم من الله أو من رسوله ﷺ ، أما أهل السنة فلا يتقيدون بهذا، واقتداء بالخلفاء والسلف الصالح عندهم لا يرون بأساساً في الاجتهداد مقابل النصوص.

وقد أورد العلامة السيد شرف الدين الموسوي في كتابه "النص والاجتهداد" أكثر من مائة مورد خالف فيه الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة النصوص الصريحة من القرآن والسنة، فعلى الباحثين مطالعة ذلك الكتاب.

وما دمنا في هذا الموضوع بالذات، فلا بد لنا من إيراد بعض النصوص التي خالف فيها عمر صريح النص، وذلك إما جهلا منه بالنصوص، وهذا أمر عجيب!! لأن الجاهل ليس له أن يحكم في حلّ وحرّ من عند نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصْنَعُونَ أَسْتَكْنُكُمُ الْكَذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَفَتَرُوا عَلَى﴾

اللهُ الْكَذَبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْرُوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكَذَبَ لَا يُفْلِحُوْنَ ﴿١﴾ .

وليس للجاهل أن يتقلّد منصب الخلافة لقيادة أُمّة بِأكملها، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْنٌ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنَ﴾ .^٢

وإِمَّا أَنَّهُ لَا يَجْهَلُ النَّصوصَ وَيَعْرُفُهَا، وَلَكِنَّهُ يَتَعَمَّدُ الاجْتِهادَ لِمَصْلَحةِ اقْتِصَادِهَا الْحَال حَسْبَ رَأْيِهِ الشَّخْصِيِّ، لَا يَعْدُ أَهْلُ السَّنَّةِ هَذَا كُفَّارًا وَمَرْوِقًا، كَمَا لَابَدَ أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا بِوُجُودِ مَنْ يَعْرُفُ الْأَحْكَامَ الصَّحِيحَةَ مِنْ مَعَاصِرِهِ، وَهَذَا باطِلٌ لِمَعْرِفَتِهِ بِالْمَامِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ الْكَلَّاْلَةُ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَّةِ إِلَمَامًا تَامًا، وَإِلَّا لِمَا اسْتَفْتَاهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَعْضُلَاتِ حَتَّى قَالَ فِيهِ: "لَوْلَا عَلَى لَهْلَكِ عَمْرٍ" ^٣، فَلَمَّا يَا تُرَى لَمْ يَسْتَفْتَهُ فِي الْمَسَائِلِ الَّتِي اجْتَهَدَ فِيهَا بِرَأْيِهِ الَّذِي يَعْرُفُ قُصُورَهُ؟

وَأَعْتَدَ بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْرَارَ يَوْافِقُونَ عَلَى هَذَا؛ لَأَنَّ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الاجْتِهادِ هُوَ الَّذِي أَفْسَدَ الْعِقِيدَةَ، وَأَفْسَدَ الْأَحْكَامَ وَعَطَّلَهَا، وَتَسَبَّبَ فِي اخْتِلَافِ عَلَمَاءِ الْأُمَّةِ، وَتَفْرِيقَهَا إِلَى الْفَرَقِ وَالْمَذاهِبِ الْمُتَعَدِّدَةِ، وَمِنْ ثُمَّ النَّزَاعِ وَالْخَصَامِ، فَالْفَشْلُ وَذَهَابُ الرِّيحِ وَالتَّخَلُّفُ الْمَادِيُّ وَالرُّوحِيُّ.

وَلَنَا أَنْ نَتَصَوَّرَ حَتَّى بُوْجُودِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ عَلَى مَنْصَبِ الْخِلَافَةِ وَإِزَاحَةِ

^١ النَّحْل: ١١٦.

^٢ يونس: ٣٥.

^٣ تأویل مختطف الحديث لابن قتيبة: ١٥٢، فیض القدیر للمناوي: ٤: ٤٧٠، المناقب للخوارزمي: ٨١، ذخائر العقبی: ٨٢، نظم درر السمحین: ١٣٠، ينایع المودة: ١: ٢١٦.

صاحبها الشرعي، نتصور لو أن أبا بكر وعمر جمعا السنن النبوية، وحفظاها في كتاب خاص بها، لوفرا على أنفسهما وعلى الأمة الخير العميم، ولما دخلت في السنة النبوية ما ليس منها، ولكان الإسلام بكتابه وسنته واحداً ملة واحدة، وأمة واحدة، وعقيدة واحدة، ولكان لنا اليوم كلاماً غير هذا.

أما وأن السنن قد جمعت وأحرقت، ومنعت من التدوين ومن النقل حتى شفويأ، فهذه هي الطامة الكبرى، وهذه هي البائفة العظمى، فلا حول ولا قوى إلا بالله العلي العظيم.

وإليك بعض النصوص الصريحة التي اجتهد فيها عمر بن الخطاب في مقابل القرآن:

(أ) يقول القرآن: ﴿وَإِنْ كُتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجْدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^١.

والمعروف في السنة النبوية بأن رسول الله ﷺ علم الصحابة كيفية التيمم، وبحضور عمر نفسه.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التيمم، في باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه عن الماء. قال: عن عمران، قال: كنا في سفر مع النبي ﷺ، وإنما أسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أخلى عند المسافر منها، فما أيقظنا إلا حر الشمس، وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان يسميهم أبو رجاء فنسى عوف ثم عمر بن الخطاب الرابع.

وكان النبي ﷺ إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ لأنما لا ندرى

^١ المائدة: ٦.

ما يحدُثُ له في نومه، فلما استيقظ عمرٌ ورأى ما أصاب الناسَ وكان رجلاً جليداً، فكبّر ورفع صوته بالتكبير، فما زال يكبّر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبيُّ ﷺ، فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم، قال: لا خيرَ ولا يضرُّ ارتاحلوا.

فارتحل فسار غير بعيد، ثم نزلَ فدعَا بالوضوء فتوضأً ونوديَ بالصلاحةِ فصلَّى بالناسِ، فلما انفلت من صلاتِه إذا هو برجُل معتزل لم يصلٌ مع القومِ، قال: ما منعك يا فلانُ أن تصلَّى مع القومِ؟ قال: أصابتني جنابةٌ ولا ماء! قال: عليك بالصعيد فإنه يكفيك...^١.

ولكنَّ عمر يقول معارضة لكتاب الله وسنة رسوله: من لم يجد الماء لا يصل.. وهذا مذهب سجّله عليه أغلب المحدثين. فقد أخرج مسلم في صحيحه ج ١ من كتاب الطهارة باب التيمم: أنَّ رجلاً أتى عمرَ فقال: إنَّي أجبت فلم أجده ماءً، فقال: لا تصلِّ^٢، فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية، فأجبنا فلم نجده ماءً، فأماماً أنت فلم تصلِّ وأماماً أنا فنعمتُ في التراب وصليتُ، فقال النبيُّ ﷺ: إنما كان يكفيك أنْ تضرب بيديك الأرضَ، ثم تنفخَ ثم تمسحَ بهما وجهكَ وكفيكَ، فقال عمر:

^١ صحيح البخاري ٨٨: كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء.

^٢ وفي جامع الأصول ٧: ٢٩٣ ذيل حديث ٥٢٩٠ عن أبي داود أنَّ عمر قال: "أما أنا فلم أكن أصلّى حتى أجده الماء!" ولا ندرى كم من الصلاة فاتته في حياته لجهله بالأحكام.

اتّق الله يا عمار! قال: إن شِئتَ لَمْ أُحدِثْ بِهِ^١.

^١ وزاد في بعض الروايات إضافة قول عمر: "بل نوليك ما توليت" فكأنّ عمر جعل عماراً مصداقاً لقوله تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقُ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهُ مَا تَوَلَّ إِنَّمَا نُصْلِهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا).

وقد حاول عثمان الخميس في كتابه كشف الجناني: ص ١٣٦ إظهار المؤلف بلباس المدلّس، كما هي عادته دائماً مع أنه يجهل فن الحديث والرواية؛ لأنّ الرواية قد انتهت إلى ما نقله المؤلف، ثم قال مسلم: قال الحكم وحدثني ابن عبد الرحمن.. فقال عمر: نوليك ما توليت. وهذه زيادة في الرواية أضافها الرواذي.

وهذه الزيادة لا تصح؛ لأنّ الروايات التي وردت في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم نفسه تصرّح على لسان عبد الله بن مسعود أنّ عمر بن الخطاب لم يقنع بكلام عمار بن ياسر، ولم يرضه، فكيف بعد ذلك يوافق عمار على التحدّث به وهو لم يقبله، ومعلوم من عمر أنّه منع الحديث الذي لا يعرفه، فما بالك بالحديث الذي رفضه!، وأيضاً طلب من أبي موسى أن يشهد معه شاهداً عندما حدّثه حديثاً عن رسول الله ﷺ في الاستئذان، فلما أنكره عمر طالب أبا موسى بشاهد يشهد معه على أنّه سمع الحديث من رسول الله ﷺ حتى إنّ أبا موسى ذهب يبحث عن يشهد معه، وإلا ضربه عمر، ولمّا شهد معه بعض الصحابة عند ذلك تخلّص من وطأة عمر، (البخاري ٤: ٤٣٠، ح ٧٣٥٣).

وأمر ثبت عمر في الرواية معروف لديكم ومتداول، فكيف يقبل عمر أن يحدّث عماراً مع عدم قناعته بالحديث؟! بل إنّ ما يوافق سيرة عمر وعمله من الروايات أنّ عمر لم يقبل بقول عمار، وعدم قبوله يعني منعه من التحدّث.

أضف إلى ذلك أنّ هذه الزيادة وإن كانت من ثقة، إلا أنها تخالف الروايات الكثيرة التي روتها الثقات من أنّ عمر لم يقنع بقول عمار، ومعلوم أنّ عدم قناعة عمر تساوي رفضه للتحديث كما هو واضح.

وأنصح عثمان الخميس أن يطالع كتب علم الحديث البدائية كي يطلع على هذا الفن، حتى يصلح أخطاءه الفظيعة في كتابه كشف الجناني وغيره.

وأماماً ما ذكره بقوله: "وَهُنَا يَجْدِرُ بِنَا أَن نذَكِّرَ الشِّيْعَةَ الْعُقَلَاءَ بِمَوْقِفِ فَاطِمَةَ عِنْدِمَا ذُكِّرَهَا أَبُو بَكْرُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ فَعَارِضَتْهُ وَذَلِكَ فِي قَصَّةِ فَدْكٍ، فَهَلْ يَتَهَمُونَ فَاطِمَةَ بِمِثْلِ مَا يَتَهَمُونَ بِهِ عَمْرٌ؟!"

وهذا من عجائب الأمور وذلك:

أولاً: إن حديث "نَحْنُ مَعَاشُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَّثُ..." رواه أبو بكر فقط دون غيره، بخلاف التي تم من الجناة، فقد رواه الكثير من الصحابة، ومعنى ذلك أاماً الرسول ﷺ لم يبيّن هذا الأمر المهم لأهل بيته فضلاً عن عامة المسلمين وخصّ به أبو بكر، وهذا لا يمكن قبوله في حق الرسول ﷺ؟!

وثانياً: إن حديث أبي بكر يخالف القرآن الكريم، وما خالف القرآن الكريم لا يؤخذ به كما هو واضح لدى علماء السنة، بخلاف حديث عمّار فإنه يوافق القرآن، خصوصاً وأن عمّاراً ذكر به عمر بعد أن تم جمع القرآن وفيه قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ جُبَانًا فَاطَّهِرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا...) المائدة: ٦.

فكيف تقيس مسألة عمر مع مسألة فاطمة سلام الله عليها، مع أن الفارق يعرفه أقل طالب علم !!

لكن لا يبعد ذلك عن عمر بن الخطاب، فإنه يجهل الكثير من أحكام القرآن والسنة النبوية المطهّرة... كما هو معلوم لديك.

وثالثاً: إن فاطمة سلام الله عليها سيدة نساء العالمين، وأنها بضعة من رسول الله ﷺ وأن الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، فهل تطالب من هذه صفتها حقاً ليس لها؟! وهل تغضب على أبي بكر - كما أخرج ذلك البخاري ومسلم - وتموت غاضبة عليهم لأجل حق منعه الله عنها - على فرض صدق أبي بكر - مع أن الله يغضب لغضبها!؟ فما ذلك إلا تناقض في الحكمة الإلهية - والعياذ بالله - ومن ذلك يتضح أنها طابت حقاً، وغضبت صدقاً، وأن اللذين منعوا إرشها، وهددوها بإحرق بيتهما هما إلا من الذين غضب الله عليهم.

سبحان الله! لم يكتف عمر بمعارضته للنّصوص الصرّيحة من الكتاب والسنّة، حتى يحاول منع الصّحابة من معارضته في رأيه، ويضطّر عمّار بن ياسر أن يعتذر للخليفة بقوله: "إن شئت لم أحدث به".

وكيف لا أعجب ولا تعجبون من هذا الاجتهد، وهذه المعارضة وهذا الإصرار على الرأي رغم شهادة الصّحابة بالنّصوص، فإنّ عمر لم يقتنع إلى أن مات وهو مصر على هذا الاعتقاد، وقد أثر مذهبه هذا في كثير من الصحابة الذين كانوا يرون رأيه، بل ربّما كانوا يقدّمونه على رأي رسول الله. فقد أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، باب التيمم من جزئه الأول صفحة ١٩٢ قال: عن شقيق: كنت جالساً مع عبد الله وأبى موسى فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن أرأيت لو أنّ رجلاً أُجنب فلم يجد الماء شهراً كيف يصْنَع بالصلوة؟ فقال عبد الله: لا يتيمم وإن لم يجد الماء شهراً!

رابعاً: إنّ فاطمة سلام الله عليها، قد أشهدت زوجها وابناها وأم أيمن على أنّ فدك هبة، فرفض أبو بكر وردّ شهادتهم، وهنا لا يمكن الاستدلال بحديث (ما تركناه صدقة)، لأنّها طالبت بهبتها لا بتركة رسول الله ﷺ، ثم طالبت بتركة رسول الله، فقرأ عليها هذا الحديث، ثمّ بعد ذلك أعطى عمر صدقة رسول الله ﷺ على المدينة إلى العباس وعلى !! وأعطى أرض فدك إلى عائشة باعتبار أنها لها!! وهذا كله تقدّم، وتبقى المسألة مضطربة وشائكة، وتبقى هذه المسألة وهي: هل إنّ رسول الله ﷺ يورث أم لا؟ وإذا كان نعم؛ فلماذا لم تورث فاطمة؟ وإذا كان لا فلماذا أعطيت صدقات المدينة إلى العباس وعلى، وأعطيت عائشة بعض أرض فدك؟!!.. وغير ذلك من التناقضات الكثيرة التي يعجز عثمان الخميس وغيره من إيجاد حلّاً لها، دفاعاً عن سيديهما أبي بكر وعمر!

فقال أبو موسى: فكيف بهذه الآية في سورة المائدة: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمِّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ ف قال عبد الله: لو رُخّصَ لهم في هذه الآية لأوشك إذا برد عليهم الماءُ أن يتيّموا بالصعيد.

فقال أبو موسى لعبد الله: ألم تسمع قول عمار: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة، فأجبنته فلم أجده الماء، فتمرّغت في الصعيد كما تمرّغ الدابة، ثم أتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: إنما يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة، ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وجهه. فقال عبد الله: أو لم ترَ عمرَ لم يقنع بقول عمار^١.

ونحن إذا تأملنا في هذه الرواية التي أثبتها البخاري ومسلم وغيرهم من الصحاح، نفهم من خلالها مدى تأثير مذهب عمر بن الخطاب على الكثير من كبار الصحابة، ومن هذا نفهم أيضاً مدى تناقض الأحكام، وتهافت الروايات وتضاربها، ولعل ذلك هو الذي يفسّر استخفاف الحكماء والأمويين والعباسيين بالأحكام الإسلامية ولا يقيمون لها وزناً، ويسمّحون بتعديّ المذاهب المتعارضة في الحكم الواحد، ولسان حالهم يقول لأبي حنيفة وأبي حمزة الشافعي: قولوا ما شئتم بآرائكم، فإذا كان سيدكم وإمامكم عمر يقول برأيه ما شاء^٢ مقابل القرآن والسنة، فلا لوم عليكم، مما أنتم إلا

^١ كما أخرجه البخاري في صحيحه ٩١: كتاب التيمم، باب التيمم ضربة، والمؤلف لفق بين ما ورد في المصادرين.

^٢ كما جاء ذلك في صحيح البخاري ١٥٨: من كتاب تفسير القرآن، باب قوله:

تابعون وأتباع التابعين ولستم مبتدعین.

والأعجب من كل ذلك قول عبد الله بن مسعود لأبي موسى: لا يتيمم وإن لم يجد الماء شهراً. وعبد الله بن مسعود من أكابر الصحابة يرى أنَّ المجبَ إذا لم يجد الماء يترك الصلاة شهراً كاملاً ولا يتيمم، ويبدو أنَّ أبي موسى حاول إقناعه بالآية الكريمة النازلة بخصوص هذا الموضوع في سورة المائدة، فأجابه بأنه: لو رخَّص لهم في هذه الآية لأوشك إذا برداً عليهم الماء أن يتيمموا بالصعيد!!

ومن هنا نفهم أيضاً كيف يجتهدون في النصوص القرآنية على حسب ما يرونه، وما يرونه مع الأسف هو الشدَّة والتعسیر على الأُمَّة، في حين يقول الله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^١.

يقول هذا المسكين: لو رخَّص لهم في هذه الآية لأوشك إذا برداً الماء أن يتيمموا، فهل وضع نفسه مُبلغاً عن الله ورسوله؟ وهل هو أحرص وأرأف على العباد من خالقهم ومربيهم؟

وبعد ذلك يحاول أبو موسى أن يقنعه بالسنة النبوية التي رواها عمَّار، وكيف علمه رسول الله التيمم، فيرد عبد الله هذه السنة النبوية المشهورة بأنَّ عمر بن الخطاب لم يقنع بقول عمَّار!

ومن هنا نفهم أنَّ قول عمر بن الخطاب هو الحجة المقنعة لدى بعض

وأنفقوا في سبيل الله، عن عمران بن حصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمه، ولم ينه عنها حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء. قال محمد: يقال: إنَّه عمر.

^١ البقرة: ١٨٥.

الصحابة، وأنّ قناعة عمر بال الحديث أو الآية هي المقياس الوحيد لصحة الحديث أو لمفهوم الآية، وإن تعارض مع أقوال وأفعال الرسول ﷺ.

ولذلك نجد أن كثيراً من أفعال الناس اليوم تتناقض مع القرآن والسنة سواء في الحلية والحرمة؛ لأنّ اجتهاد عمر في مقابل النصوص أصبح مذهباً مُتبعاً، ولمّا رأى بعض المترافقين ومن لهم دراية بأنّ الأحاديث التي منعت في عهد الخلفاء، قد دُوّنت فيما بعد وسجلّها الرواية والحفظ، وهي تتعارض مع مذهب عمر بن الخطاب، اختلفوا روايات أخرى من عندهم ونسبواها إلى الرسول ﷺ ليوّيدوا بها مذهب أبي حفص، كمسألة زواج المتعة، وصلوة التراويح وغيرها.

فجاءت الروايات متناقضة، وبقيت حتّى اليوم محلّ خلاف بين المسلمين، وستبقى ما دام هناك من يدافع عن عمر لأنّه عمر، ولا يريد البحث من أجل الحق، وأن يقول لعمر: أخطأت يا عمر فإن الصلاة لا تسقط بفقدان الماء، وأنّ هناك آية التيمم مذكورة في كتاب الله، وهناك حديث التيمم مذكور في كلّ كتب السنة، فجهلوك بهما لا يسمح لك باعتلاء منصة الخلافة ولا قيادة أمّة، وعلّمك بهما يكفرك إذا عارضت أحکامهما، فما كان لك إن كنت مؤمناً إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لك الخيرة، فتحكم بما تشاء وتردّ ما تشاء، وأنت أعلم مني بأنّ من يعصي الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً.

(ب) قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^١.

وكان من السنة النبوية المعروفة أنَّ رسول الله ﷺ يخص المؤلفة قلوبهم بسهمهم الذي فرضه الله لهم، كما أمرَه الله تعالى، ولكنَّ عمر بن الخطاب أبطل هذا العطاء المفروض في خلافته، واجتهد مقابل النص وقال لهم: "لا حاجة لنا بكم، فقد أعزَ الله الإسلام وأغنى عنكم".

بل لقد عطلَ هذا الحكم في خلافة أبي بكر، إذ جاءَه المؤلفة قلوبهم جرياً على عادتهم مع رسول الله، فكتب لهم أبو بكر بذلك، فذهبوا إلى عمر ليأخذوا نصيبيهم، فمزقَ عمر الكتاب وقال لهم: لا حاجة لنا بكم فقد أعزَ الله الإسلام وأغنى عنكم، فإنْ أسلتم وإلا فالسيف بيننا وبينكم، فرجعوا إلى أبي بكر فقالوا: أنت الخليفة أم هو؟ فقال: بل هو إن شاء الله، وترجمَ أبو بكر فيما كتب موافقاً لرأي صاحبه عمر^٢.

والعجبُ أيضاً أنك تجد حتى اليوم من يدافع عن عمر في هذه القضية، ويعتبرها من مناقبِه وعقبرياته، ومن هؤلاء الشيخ محمد المعرف بالدواليبي، إذ يقول في كتابه أصول الفقه في الصفحة ٢٣٩: "ولعلَ اجتهاد عمر رض في قطع العطاء الذي جعله القرآن الكريم للمؤلفة قلوبهم، كان في مقدمة الأحكام التي قال بها عمر تبعاً لتغيير المصلحة بتغيير الأزمان، رغم أنَّ النص القرآني في ذلك لا يزال ثابتاً غير منسوخ".

ثمَّ أخذ بعد ذلك يعتذر لعمر بأنه نظر إلى علة النص لا إلى ظاهره.. إلى

^١ التوبة: ٦٠.

^٢ بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ٤٥، النص والاجتهد: ٤٣.

آخر كلامه الذي لا تفهمه العقول السليمة، ونحن نقبل شهادته بأنّ عمر غيّر الأحكام القرآنية تبعاً لرأيه بأنّ المصلحة تتغيّر بحسب الأزمان. ونرفض تأويله بأنّ عمر نظر إلى علّة النص ولم ينظر إلى ظاهره، ونقول له ولغيره: بأنّ الصوّص القرآنية والنصوص النبوية لا تتغيّر بتغيّر الأزمان، فالقرآن صريح بأنّ رسول الله ﷺ نفسه ليس من حقّه أن يبدل، قال تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَبْيَنُونَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتْبِعْرُ آنَّ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِنَفْسِي إِنْ أَتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^١.

والسنة النبوية الظاهرة تقول: "حلال محمد حلال إلى يوم القيمة، وحرامه حرام إلى يوم القيمة"^٢.

ولكن على زعم الدواليسي، ومن يرى رأيه من أنصار الاجتهاد فإنّ الأحكام تتغيّر بتغيّر الزمان، ولا لوم إذن على بعض الأحكام الذين غيروا أحكام الله بأحكام الشعب، وأحكام وضعية اقتضتها مصالحهم وهي مخالفة لأحكام الله، فمنهم من قال: أفطروا لتقوا على عدوكم، ولا حاجة بالصوم في الوقت الحاضر الذي نجاهد فيه التخلف والفقير والجهل، والصوم يُعدنا عن الانتاج!!

ومنع تعدد الزوجات لأنّه يرى في ذلك ظلماً وتعدياً على حقوق المرأة، وقال: بأن في زمن محمد كانت المرأة تعتبر "شقفة بول" أمّا الآن فقد

^١ يونس: ١٥.

^٢ الكافي ١: ٥٨ ح ١٩.

حررناها وأعطيتها حقوقها كاملة !!

ونظر هذا الرئيس إلى النصّ من حيث العلة، ولم ينظر إلى ظاهره كما نظر عمر، فقال: إن الميراث يجب أن يقسم الآن للذكر والأنثى على حد سواء؛ لأن الله أعطى للرجل سهemin باعتبار أنه هو الذي يُعول الأسرة في حين كانت المرأة معطلة، أما اليوم وبفضل جهود فخامته أصبحت المرأة تشتعل وتعول أسرتها، وضرب للشعب مثلاً بزوجته التي أنفقت على أخيها وأصبح وزيراً بفضلها وعنديتها.

كما وأنه أباح الزنا واعتبره حقاً شخصياً لمن بلغ سن الرشد ما لم يكن غصباً أو حرفةً للعيش، وفتح دوراً لحضانة الأطفال الذين يولدون من الزنا، معللاً ذلك بأنه رحيم بأولاد الزنا الذين كانوا يدفنون أحياe خوف العار والفضيحة، إلى غير ذلك من اجتهاداته المعروفة.

والغريب أن هذا الرئيس كان لحد ما معجبًا بشخصية عمر، فقد ذكره مرّة بإعجاب، وذكره مرّة بأنه لم يتحمل المسؤولية حياً وميتاً بينما هو (الرئيس) سيتحملها حياً وميتاً، ومرة أخرى وكأنه بلغه بأن المسلمين انتقدوا اجتهاداته فقال: إن عمر بن الخطاب كان من أوّل وأكبر المجتهدin في عصره، فلماذا لا أجتهد أنا في عصرِي الجديد، فقد كان عمر رئيس دولة وأنا أيضاً رئيس دولة!

والأغرب أن هذا الرئيس كان عندما يذكر محمد رسول الله ﷺ ترى في كلامه سخرية واستهزاء، فقد قال في خطابه بأنَّ محمداً كان لا يعرف حتى الجغرافيا، فقد قال: "أطلبو العلم ولو كان في الصين" ظنّاً منه بأنَّ

الصين هي آخر الدنيا، فما كان محمد يتصور بأن العلم سيصل إلى هذه الدرجة، وأن أطناناً من الحديد ستسيطر في الهواء، وما بالك لو قيل له أو حدثوه عن الأورانيوم، والبوتاسيوم، والعلوم الذرية، والأسلحة النووية!!
هذا ولا ألم شخصياً هذا المسكين الذي ما فهم من كتاب الله وسنة رسوله شيئاً، ووجد نفسه يوماً يحكم دولة باسم الإسلام، وهو يسخر من الإسلام، ويجري وراء الحضارة الغربية، ويريد أن يصنع من بلاده دولة أوروبية متطورة بالمفهوم الذي يراه هو.

وقد حدا حذوه كثيرون من الرؤساء والملوك لما حصل عليه من تأييد الدول الغربية واللائكة، ومدحهم وإطرائهم له، حتى لقبوه بالمجاهد الأكبر، ثم لا ألمه فالشيء من مأته لا يستغرب، وكل إباء بالذي فيه ينضح.
وإذا كنت منصفاً فسألقي باللّوم على أبي بكر وعمر وعثمان، الذين فتحوا هذا الباب من يوم وفاة النبي ﷺ، وتسبّبوا في كل الاجتهدات التي دأب عليها الحكام الأمويون والعباسيون وما أكثرهم، سبع قرون خلت وكلّها طمس لحقائق الإسلام بنصوصه وأحكامه، واستفحّل الأمر في القرون التي أعقبتها، حتّى وصل الأمر بأن يخطب الرئيس أمّام شعبه المسلم مستهزئاً برسول الله ﷺ، ولا ينكر عليه أحد لا في الداخل ولا في الخارج !!!

وهذا ما قلته وما أقوله لبعض الإخوة من الحركة الإسلامية: إن كنتم تنكرنون اليوم على الرئيس عدم اتّباع النّصوص القرآنية والسّنة النبوية، فواجب عليكم أن تنكرروا على من سنّ هذه البدعة في الاجتهد مقابل

النّصوص، إن كنتم منصفين وتريدون فعلاً اتّباع الحقّ.

فلا يقبلون مِنْيَ هذَا الْكَلَامُ، وَيَعْيَيُونَ عَلَىَّ كِيفَ أَقَارِنَ الرُّؤْسَاءِ الْيَوْمَ
بِالخُلُفَاءِ الرَّاشِدِينَ؟

وأجيئُهُمْ بِأَنَّ الرُّؤْسَاءِ الْيَوْمَ وَمُلُوكَ الْيَوْمِ هُمُ النَّتِيجَةُ الْحُتْمِيَّةُ لِمَا وَقَعَ فِي
التَّارِيخِ، وَمَتَىٰ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمًا أَخْرَارًا مِنْذُ وَفَاتَ الرَّسُولُ وَهَذِهِ الْيَوْمُ؟
فَيَقُولُونَ: أَتَمُ الشِّيَعَةُ تَفَقَّرُونَ وَتَشَتَّمُونَ الصَّحَابَةَ، وَلَوْ وَصَلْنَا يَوْمًا إِلَىٰ
الْحُكْمِ فَسَنَحْرُقُكُمْ بِالنَّارِ!

فَأَقُولُ: لَا أَرَاكُمُ اللَّهَ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

(ت) قال الله تعالى: ﴿الظَّالِمُ مَرَّتَانٌ فِيمَسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيعٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا
يَحْلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافُوا أَلَا يُقْيِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خَفْتُمُ أَلَا
يُقْيِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تُلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ
يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا تَحْلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرْجِعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقْيِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتُلْكَ
حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^١.

والسُّنْنَةُ النَّبُوَيَّةُ الشَّرِيفَةُ فَسَرَّتْ بِغَيْرِ لُبْسٍ بِأَنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَحْرِمُ عَلَى زَوْجِهَا
إِلَّا بَعْدِ ثَلَاثَةِ تَطْلِيقَاتٍ، وَلَا يَحْقِّ لَزَوْجِهَا أَنْ يَرْجِعَهَا إِلَّا بَعْدِ أَنْ تَنكِحَ زَوْجًا
آخَرَ، إِذَا طَلَقَهَا هَذَا الْأَخِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ يُمْكِنُ لَزَوْجِهَا أَنْ يَتَقدِّمَ لِخُطْبَتِهَا مِنْ
جَدِيدٍ كَبِيقِيَّةِ الرِّجَالِ، وَعَلَيْهَا أَنْ تَقْبِلَ أَوْ تَرْفَضَ فَالْخِيَرَةَ لَهَا.

وَلَكِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ وَكَعَادَتِهِ تَخْطِي حَدُودَ اللَّهِ الَّتِي بَيْنَهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ،

^١ البقرة: ٢٣٠.

فأبدل هذا الحكم بحكمه الذي يقول طلقةٌ واحدة فعلية بلفظ الثلاثة، تحرم

على الزوج زوجه، وخالف بذلك القرآن الكريم والسنّة النبوية.

فقد جاء في صحيح مسلم في كتاب الطلاق باب طلاق الثلاث عن ابن

عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وستين من

خلافة عمر طلاقُ الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد

استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أئمة، فلو أمضيناهم عليهم، فأمضاه

عليهم^١.

عجبًا! والله كيف يجرؤ الخليفة على تغيير أحكام الله بمحضر من

الصحابة، فيوافقون على كل ما يقول وما يفعل ولا من منكر ولا من

معارض، ويموّهون علينا نحن المساكين بأن أحد الصحابة قال لعمر: "والله

لو رأينا فيك اعواججاً لقومناك بحد السيف!!

فهذا زور من القول وبهتان، ليتشدقوا بأن الخلفاء كانوا المثل الأعلى في

الحرية والديمقراطية، والتاريخ يُكذّبهم بواقعه العملي، ولا عبرة بالأقوال إذا

كانت الأفعال على تقضها.

أو لعلهم كانوا يرون الاعوجاج في الكتاب والسنّة، وأن عمر بن الخطاب

هو الذي قوّمها وأصلحها، نعوذ بالله من الهذيان، وكنت في مدينة قصبة

كثيراً ما أفتى للرجال الذين حرّموا نسائهم بكلمة: "أنت حرام بالثلاث"،

ويفرّحون عندما أعرّفهم بأحكام الله الصحيحة التي لم يتصرّف فيها الخلفاء

^١ صحيح مسلم ٤: ١٨٣، مسند أحمد ١: ٣١٤، المستدرك للحاكم ٢: ١٩٦.

باجتها دااتهم، ولكن من يدّعون العلم يخوّفونهم بأن الشيعة عندهم كل شيء حلال.

وأذكّر بأن أحدّهم جادلني مرّة بالحسنى وسألني: إذا كان سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بدّل حكم الله في هذه القضية وفي غيرها، ووافق الصحابة على ذلك، فلماذا لم يعارض سيدنا عليّ كرم الله وجهه ورضي الله عنه، ولم ينكر على سيدنا عمر؟ وأجبته بجواب الإمام علي عليه السلام عندما قالت قريش:

بأنه رجل شجاعٌ، ولكن لا علم له بالحرب، فقال:

"للّه أبوهم! وهل أحدّ منهم أشدّ لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً مني! لقد نهضتُ فيها وما بلغتُ العشرين، وهذا إنما قد ذرفت على السّتين، ولكن لا رأيَ لمن لا يُطَاع" ^١.

نعم، وهل استمع المسلمين لرأي غير شيعته الذين آمنوا بإمامته، فقد عارض تحريم المتعة، وعارض بدعة التراویح، وعارض كل الأحكام التي غيرها أبو بكر وعمر وعثمان، ولكن بقيت آراؤه محصورة في أتباعه وشيعته، أمّا غيرهم من المسلمين فقد حاربوه ولعنوه، وحاولوا جهدهم القضاء عليه ومحو ذكره.

ولا أدلّ على معارضته من موقفه العظيم البطولي عندما دعا عبد الرحمن بن عوف الذي رشحه لاختيار الخليفة بعد موت عمر فاشترط عليه - بعد أن اختاره ليكون هو الخليفة - أن يحكم فيها بسنة الخليفتين أبو

^١ نهج البلاغة ١: ٧٠، الخطبة ٢٧.

وكذلك فعل أئمّتهم في الحديث كالبخاري ومسلم، فتراهم يررون عن أبي هريرة، وعن ابن عمر، وعن الأقرع والأعرج، وعن كلّ قريب وبعيد مئات الأحاديث، ولا يررون عن على إلا بضعة أحاديث مكذوبة عليه، وفيها مسٌّ بكرامة أهل البيت.

ثم هم لا يكتفون بذلك، فيستنكرون ويُكفرون من قلده واقتدى به من شيعته المخلصين، وينبذونهم بالرّواض و بكل ما يُشين. والحقيقة: إن هؤلاء ليس لهم ذنب إلا أنهم اقتدوا بعلي الذي كان منبوذاً وبعدها في عهد الخلفاء الثلاثة، ثم هو ملعون ومحارب في عهد الأمويين والعباسيين، وكل من له إمام ومعرفة بالتاريخ، سيدرك هذه الحقيقة واضحة جلية، وسيفهم الخلفيات والمؤامرات التي حيكت ضدّه، وضدّ أهل بيته وشيعته.

عثمان بن عفان يُتّبع سنة صاحبيه في مخالفته النّصوص

لعلّ عثمان بن عفان عندما عاهد عبد الرحمن بن عوف غداة بيعته بالخلافة أن يحكم فيهم بسنة الخليفتين أبي بكر وعمر كان يرمي بأنّه سيجتهد كما اجتهد، ويغيّر النّصوص القرآنية والنّصوص النّبوية كما كانوا يفعلان.

ومن تتّبع سيرته أيام خلافته يجده قد ذهب أشواطاً بعيدة في الاجتهد، حتى أنسى الناس اجتهدات صاحبيه أبي بكر وعمر !!

وأنا لا أريد الإطالة في هذا الموضوع الذي ملأ كتب التاريخ قدّيماً وحديثاً، وما أحدثه عثمان من أمور غريبة سبّبت الشّورة عليه وأودت بحياته، ولكنّي سأقتصر على بعض الأمثلة الوجيزة كالعادة؛ ليتبين للقارئ ولكلّ باحث ما أحدث أنصار الاجتهد في دين محمد ﷺ :

(أ) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين عن عائشة قالت: فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين، ثم أتمّها في الحضر، فأقرّت صلاة السّفر على الفريضة الأولى.

كما أخرج مسلم في صحيحه في نفس الكتاب المذكور أعلاه، عن يعلى ابن أمّيّة قال: قلتُ لعمر بن الخطّاب: ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصّلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا، فقد أمن الناس! فقال: عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: "صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته".

كما أخرج مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها عن

ابن عباس، قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة.

كما أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلّى ركعتين.

وعنه أيضاً قال: خر جنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، فصلّى ركعتين ركعتين حتى رجع، قلت: كم أقام بمكة؟ قال: عشرأ^١.

ومن خلال هذه الأحاديث التي أخرجها مسلم في صحيحه، يتبيّن لنا بأنَّ الآية الكريمة التي نزلت بخصوص تقصير الصلاة في السفر، فهم منها رسول الله ﷺ وفسّرها قوله عملاً بآيتها رخصة تصدق الله بها على المسلمين ويجب قبولها.

وبهذا تبطل دعوى الدوالبي ومن كان على شاكلته في التماس العذر لعمر وتصحيح أخطائه، بأنَّه نظر إلى علة الحكم ولم ينظر إلى ظاهره؛ لأنَّ رسول الله ﷺ علمه بمناسبة نزول آية قصر الصلاة عندما تعجبَ عمر، بأنَّ النّصوص الثابتة لا تتوافقُ على علتِها، وبذلك تقصير الصلاة في السفر، ولو أمنَ الناسُ ولم يخافوا أن يفتنهم الذين كفروا، ولكن عمر له رأي آخر غير الذي يرتئيه الدوالبي وعلماء أهل السنّة بحسن ظنِّهم.

ولننظر إلى عثمان بن عفان، فلا بدَّ له هو الآخر أن يجتهدَ في النّصوص القرآنية والنبوية حتَّى يلحق برَبِّ الخليفة الرَّاشدين، فما أن استتبَّ له الأمر حتَّى أتمَ الصلاة في السفر، وأبدلها بأربع ركعات عوض ركعتين !!

^١ صحيح مسلم : ٢ - ١٤٥ كتاب صلاة المسافرين.

وكم بقيتُ أتساءل عن السبب في تغيير هذه الفريضة والزيادة فيها، وما هي الدوافع لذلك، ولم أر إلا أنه أراد أن يوهم الناس وبالخصوص بنى أمية بأنه أبٌ وأنقي لله من محمد وأبي بكر وعمر.

فقد أخرج مسلم في صحيحه في باب صلاة المسافرين وقصر الصلاة بمنى، قال: عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه صلى صلاة المسافر بمنى وغيره ركعتين، وأبو بكر وعمر وعثمان ركعتين صدرًا من خلافته، ثم أتمها أربعًا^١.

كما جاء في صحيح مسلم أيضًا أن الزهرى قال: قلت لعروة: ما بال عائشة تعم في السفر؟ قال: إنها تأولت كما تأول عثمان^٢.

وهكذا يصبح دين الله بأحكامه ونوصوشه خاضعاً لتأول المتأولين وتفسير المفسّرين.

(ب) كما أن عثمان اجتهد برأيه لتأييد ما ذهب إليه عمر من تحريم متعة الحجّ أيضًا كما حرم متعة النساء، فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الحجّ في باب التمتع والإقران، عن مروان بن الحكم قال: شهدت عثمان وعلياً رضي الله عنهمَا، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلما رأى علىًّا أهلَّ بهما ليكَ بعمره وحجّة، وقال: ما كنتُ لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد.

^١ صحيح مسلم ١٤٦: كتاب صلاة المسافرين.

^٢ صحيح مسلم ١٤٣: كتاب صلاة المسافرين، صحيح البخاري ٣٦: ٢: كتاب تفضير الصلاة باب يقصر إذا خرج من موضعه.

وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب الحج باب جواز التمتع عن سعيد ابن المسيب، قال: اجتمع علىٰ وعثمان رضي الله عنهما بعسفان، فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة، فقال علىٰ: ما تريده إلى أمر فعلة رسول الله ﷺ تنهى عنه؟ فقال عثمان: دعنا منك، فقال: إني لا أستطيع أن أدعك، فلما رأى علىٰ ذلك أهلًّا بهما جميعاً.

نعم، هذا هو علىٰ بن أبي طالب سلام الله عليه، فما كان ليدع سنة النبي ﷺ لقول أحد من الناس، والرواية الثانية تفيدنا بأن شجاراً دار بين علي وعثمان، وقول عثمان لعلي: "دعنا منك" فيه ما فيه من مخالفته في كل شيء، وعدم اتباعه فيما يرويه عن ابن عمّه ﷺ، كما أنّ الرواية مبتورة إذا تقول: فقال علىٰ: "إني لا أستطيع أن أدعك، فلما رأى علىٰ ذلك" ما هو الذي رآه علىٰ؟ لا شك أن الخليفة ورغم تذكير علي له بالسنة النبوية أصر على رأيه في مخالفتها، ومنع الناس من التمتع، عند ذلك خالفه علىٰ وأهلًّا بهما جميعاً، يعني الحج والعمرة.

(ت) كما أنّ عثمان بن عفان اجتهد أيضاً في أجزاء الصلاة، فكان لا يكابر في السجود ولا في الرفع منه.

فقد روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده الجزء الرابع الصفحة ٤٣٢ عن عمران بن حصين قال:

"صليتُ خلف علىٰ صلاةً ذكرتني بصلاه صليتها مع رسول الله ﷺ والخليفتين، قال: فانطلقتُ فصليتُ معه، فإذا هو يكابر كلما سجد ورفع رأسه من الركوع، فقلت: يا أبا نجيد من أول من تركه؟ قال: عثمان رضي الله عنه حين كبر

وضعف صوته تركه^١.

نعم، هكذا تضييع السنن النبوية، وتبدل بسنن خلفائية، وسنن ملوكية، وسنن صحابية، وسنن أموية، وسنن عباسية، وكلها بدع مبتدعة في الإسلام، فكل بذلة ضلاله وكل ضلاله في النار، كما قال صاحب الرسالة عليه وآلها وأله أفضل الصلاة وأزكي السلام.

^١ وراجع أيضاً فتح الباري ٢: ٢٢٤، تحفة الأحوذى للمباركفوري ٢: ٨٦، عن المعبد للعظيم آبادى ٣: ٤٥. وفي فتح الباري أيضاً ٢: ٢٢٤ قال: "روى أحمد والطحاوى باسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري قال: ذكرنا على صلاة كنا نصليها مع رسول الله ﷺ إما نسيناها وإما تركناها عمداً...".

فهذا الصحابي يصرّح بأنهم قد نسوا سنة النبي ﷺ مع أنهم جديدوا عهدهم بمماته !! ثم يصرّح بأنّه قد يكون تركنا لها عمداً لا نسيناً، وهذا طامة كبيرة سترها أفضليّة من إفشائهما؛ لأنّها تهدم ركناً عظيم وتشكّك في أمر قام عليه المذهب السني، وهو عدالة الصحابة، فاقرأ وأعجب !!

ولأجل هذه المسائل التي تفضحهم وتهدم ركتهم تراهم يدعون إلى عدم إفشاء هذه الأمور بين عموم المسلمين وجعلها مستورة مغمورة لا يطلع عليها إلا المتيقّن من نفسه أنه ثابت على سنة بنى أمية وأتباعهم، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠: ٩٢: "كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوىًّا وعصبية لا يلتفت إليه، بل يطوى ولا يروى كما تقرر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم.. وكتمان ذلك متعمّن عن العامة وأحاديث العلماء، وقد يرخص في مطالعة ذلك للعالم المنصف.. بشرط أن يستغفر لهم..".

فلا يطلع عليه إلا من يحكم مسبقاً بأنهم عدول خيرين !؟

وهذا من العجب العجاب فالمسلم يريد معرفة الحق بالبحث، فإذا كان مسبقاً حاملاً لقاعدة عدالة عموم الصحابة وكل ما صدر عنهم لا يضرّ فأى قيمة لبحثه ! وأىفائدة من مطالعته !؟

فما لكم كيف تحكمون !!

ولذلك فأنتَ ترى اليوم أشكالاً وألواناً في صلاة المسلمين، وتحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى؛ لأنهم يصطفون للصلاة صفاً واحداً، فترى هذا سادلٌ يديه، وذاك قابضٌ، وآخر له شكلاً خاصاً في القبض، فهو يضم يديه فوق السرّة، وذاك يضعها قرب قلبه.. واحدٌ جامع بين قدميه وآخر مفرق بينهما، وكلّ واحد يعتقد بأنه هو الحق، وإذا ما تكلّمت في ذلك فسيقال لك: يا أخي إنها شكليات فلا تهتم بها وصلّ كاماً تريده، فالملهم هو أن تُصلّى.

نعم، هذا صحيح إلى حد ما، فالملهم هي الصلاة، ولكن يجب أن تكون صلاة مطابقة لصلاة رسول الله ﷺ، فقد قال: "صلوا كما رأيتمني أصلّى" ^١ ، فعلينا أن نجتهد في البحث عن صلاته ﷺ؛ لأنّ الصلاة عمود الدين.

(ث) عثمان الذي استحق منه ملائكة الرحمن.

قال البلاذري في أنساب الأشراف ٥: ٥٤.

لما بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال: رحمة الله. فقال عمّار بن ياسر: نعم، فرحمه الله من كلّ أنفسنا، فقال عثمان لعمّار: يا عاصٌ أير أيه أتراني ندمتُ على تسيري، وأمر فدفع في قفاه وقال: إلهق بمكانه.

فلما تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى على، فسألوه أن يكلّم عثمان فيه، فقال له على: يا عثمان اتق الله فإنك سيرت رجلاً صالحًا من المسلمين فهلك في تسيري، ثمّ أنت الآن تريدين تنفي نظيره؟

^١ صحيح البخاري ١٣٣:٨، الأدب المفرد ٥٥، صحيح ابن خزيمة ٢٠٦، صحيح ابن حيان ٤: ٥٤٢، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٣٤٥، سنن الدارقطني ١: ٢٨٠

وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان لعلى: أنت أحق بالغنى منه، فقال على: رُم ذلك إن شئت.

واجتمع المهاجرون إلى عثمان فقالوا: إن كنتَ كَلِّمَكَ رجُلٌ سَيِّرَهُ ونفيتهُ فإن هذا شيء لا يسوغ، فكفَ عن عمار.

وفي رواية العقوبي من تاريخه ١٤٧: أن عمار بن ياسر صلى على المقداد ودفنه، ولم يؤذن بذلك عثمان بوصية من المقداد، فاشتد غضب عثمان على عمار وقال: ويلي على ابن السوداء، أما لقد كنت به عليماً^١. أفيمكن للحيي الذي تستحبى منه الملائكة أن يتفحش في الأقوال، ولخيرة المؤمنين؟

ولم يكتفى عثمان بشتم عمار وقوله له فحشاً من القول، كقوله: يا عاصٌ^٢ أير أبيه، حتى أمرَ غلمانه فمسكوا عماراً، ومدوا بيديه ورجليه، ثم ضربه عثمان برجليه، وهي في الخفين على مذاكيره فأصاباه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغُشي عليه، وهذه قصة معروفة عند المؤرخين^٣، عندما كتب جمع من الصحابة كتاباً وأمروا عمار أن يوصله له.

وكذلك فعل عثمان مع عبد الله بن مسعود إذ أمر به أحد جلاوزته، وهو عبد الله بن زمعة، فاحتمله ابن زمعة حتى جاء به بباب المسجد، وضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أصلاعه^٣، لا لشيء إلا أن عبد الله بن مسعود

^١ راجع الغدير للأميني ٩: ١٩ عن أنساب الأشراف وتاريخ العقوبي ٢: ١٧٣.

^٢ راجع الغدير ٩: ١٦ عن أنساب الأشراف ٦: ٢٠٩، الاستيعاب، رقم ١٨٦٣، الامامة والسياسة ١: ٣٥.

^٣ الغدير ٩: ٣ عن أنساب الأشراف ٦: ١٤٦، تاريخ العقوبي ٢: ١٧٠.

استنكر على عثمان أن يعطي بنى أمية الفسقة أموال المسلمين بغير حساب.
و قامت الثورة على عثمان وكان ما كان حتى ذبح، ومنعوا دفنه ثلاثة أيام، وجاء من بنى أمية أربعة ليصلوا عليه، فمنعهم بعض الصحابة من الصلاة عليه، فقال أحدهم: ادفنوه فقد صلى الله عليه وملائكته، فقالوا: لا والله لا يدفن في مقابر المسلمين أبداً، دفونوه في حش كوكب، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما ملكت بنو أمية أدخلوا ذلك الحش في البقيع^١.

هذه نبذة يسيرة من تاريخ الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، وهي وإن كانت يسيرة لأنها الاختصار وإعطاء بعض الأمثلة فقط، ولكنها كافية لكشف الستار عن تلکم الفضائل المزعومة، والمناقب المخترعة التي لا يعرفها الخلفاء الثلاثة، ولا حلموا بها يوماً في حياتهم.
والسؤال الذي يُطرح هو: ما يقول أهل السنة والجماعة في هذه الحقائق؟

والجواب عند أهل الذكر هو: إن كنتم تعرفونها ولا تنكرونها لأنّ صاحبكم أثبتتها على حقيقتها رغم التعنيف، فقد أسقطتم بذلك أسطورة الخلافة الراسدة!! وإن كنتم تنكرونها ولا تثقون في صحتها، فقد أسقطتم صاحبكم وكتبكم المعتبرة التي أخرجنها، وبذلك أسقطتم كلّ معتقداتكم!!

^١ ومن شاء فليرجع إلى كتاب الفتنة ووقيعة الجمل لسيف بن عمر ^{٨٤} شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ^٥: ^{٢٠٧}، ^{١٠}، ^٧، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ^٣: ^{٢٨٩}، الطبقات الكبرى ^٣: ^{٧٨}، الثقات لابن حبان ^٥: ^{٤٨٢}، تاريخ مدينة دمشق ^{١٣}: ^{٢٨٨}، ^{٣٠}، ^{٢١٩}، ^{٣٩}، ^{٤٨}، ^{٥٢٦}، الإصابة ^١: ^{٢١٤}، ^{٥٦٦}، تاريخ المدينة لابن شيبة ^١: ^{١١٣}.

الفصل السادس:

في ما يتعلّق بالخلافة

الخلافة، وما أدرك ما الخلافة! فهي التي جعلها الله فتنة الأمة، وهي التي قسمتها وأطمعت فيها الطامعين، وهي التي أهرقـت في سبيلها الدماء البريئة، وهي التي كفرـت من أجلها مسلمون، فأغـرـتهم وأبعـدـتهم عن الصراط المستقيم وأدخلـتهم نار الجـهـنـمـ، ولا بدـ لنا من دراسة تكون على اختصارها محـيـطة بالخفـاياـ والملابسـاتـ، التي كانتـ الخـلـافـةـ مـسـرـحـاـ لهاـ قـبـيلـ وـبـعـدـ وـفـاةـ

الرسـولـ صلـوة اللـهـ عـلـىـهـ وـبـرـئـةـ مـسـنـدـهـ.

وأولـ ما يتـبـادرـ لـلـأـذـهـانـ أنـ الزـعـامـةـ عـنـدـ الـعـربـ كانـتـ منـ الـأـمـورـ الـضـرـوريـةـ فـيـ كـلـ الـعـصـورـ فـتـراـهمـ يـقـدـمـونـ رـئـيـسـ الـقـبـيلـةـ أوـ زـعـيمـ الـعـشـيرـةـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ، فـلاـ يـبـرـمـونـ أـمـرـاـ دـوـنـهـ، وـلـاـ يـتـخـذـونـ قـرـارـاـ إـلـاـ بـمـشـورـتـهـ، وـلـاـ يـسـبـقـونـهـ بـالـقـوـلـ.

فرـعـيمـ الـعـشـيرـةـ هـذـاـ عـادـةـ مـاـ يـكـونـ أـكـبـرـهـ سـنـاـ، وـأـعـلـمـهـ بـالـأـمـورـ، وـأـسـرـفـهـمـ حـسـبـاـ وـنـسـبـاـ.

ويـيدـوـ أـنـ هـذـاـ الرـئـيـسـ يـبـرـزـ مـنـ خـلـالـ الـأـحـدـاثـ فـيـ عـشـيرـتـهـ، وـمـمـاـ يـظـهـرـ عـلـيـهـ مـنـ ذـكـاءـ وـفـطـنةـ، وـشـجـاعـةـ وـعـلـمـ بـالـأـمـورـ، وـسـخـاءـ وـإـكـرـامـ الـضـيـفـ، وـغـيـرـ ذـلـكـ مـنـ الـخـصـالـ الـحـمـيدـةـ، وـلـكـنـ فـيـ أـغـلـبـ الـأـحـيـانـ هـيـ وـرـاثـةـ

وليس اختيار.

ونجد بعد ذلك أن القبائل والعشائر رغم استقلاليتها، فهي تخضع لزعامة القبيلة الواحدة التي قد تكون أكثر عدداً ومالاً، ولها أبطال يخوضون المعارك، ويحملون بقية القبائل تحت رعايتها، ومثال ذلك قريش التي كانت تتوزع بقية القبائل العربية الخاضعة لها بحكم الزّعامة والسيادة التي فرضتها رعايتها لبيت الله الحرام.

ولما جاء الإسلام أقرّ رسول الله ﷺ إلى حدّ ما هذا الأسلوب في التعامل، فكان يولي على القبائل التي وفدت عليه وأقرّت بالإسلام سيدهم وشريفهم ليكون والياً عليها، ف يصلّى بهم، ويجمع زكاتهم، ويكون همزة الوصل بينهم وبينه.

ثم إنَّ محمداً ﷺ أنساً بأمر الله سبحانه الدولة الإسلامية، التي تخضع في كلِّ أحكامها وقراراتها إلى ما ينزل به الوحي من الله، فكان نظام المجتمع ونظام الفرد من عقود نكاح وطلاق، وبيع وشراء، وأخذ وعطاء، وإرث وزكاة، وكلَّ ما يخصُّ الفرد والمجتمع في الحرب والسلم من معاملات وعبادات، كلَّها خاضعة إلى أحكام الله، ومهمة الرسول ﷺ هي التنفيذ، والشهر على تطبيق تلك الأحكام.

ومن الطبيعي أنَّ رسول الله ﷺ كان يفكّر في من سيخلفه في هذه المهمة العظمى، ألا وهي قيادة الأمة.

ومن الطبيعي أن يهتم كلَّ رئيس دولة - إن كان يهمه شعبه - بالشخص الذي يختاره؛ ليكون نائبه في كلِّ المهمات التي يكون هو غائب عنها،

فيكون وزير الأول والمقرّب الذي يحضر إذا يغيبون، ومن الطبيعي أيضاً أن يكون نائبه معلوماً لدى كلّ الوزراء وعند الشعب أيضاً.

فلا يمكن أن يصدق العقل بأنّ رسول الله ﷺ أغلق كلّ ذلك ولم يهتمّ به، ولا شكّ بأنّه كان شغله الشاغل، ولا شكّ بأنّ الأحاديث المتعلّقة بالموضوع خضعت للحصار الذي ضربه الخلفاء الذين كانوا يتزعّمون نظرية الشورى والذين عملوا بكلّ جهودهم لمعارضة النّصوص التي عيّنت وشخصت الخليفة.

وكان من هذه الجهود أيضاً الطعن بقداسة الرسول ﷺ واتهامه بالهجر، ثمّ الطعن فيه وفي الأمير الذي ولأه قيادة الجيش؛ بدعوى أنه لا يصلح للإمارة والقيادة لصغر سنّه، ثمّ التّشكيل في وفاة الرّسول ﷺ حتى تضطرب الأمور، ولا يسبق الناسُ عامّة لبيعة الخليفة الذي عيّنه رسول الله ﷺ من قبل.

ومن تلك الجهود اغتنامهم فرصة اشتغال عليٍّ وأنصاره بتجهيز النبي ﷺ، وعقد مؤتمر السّقيفة الطارئ، واختيار من يرضونه وترتاح نفوسهم إليه وتعقد آمالهم عليه، ثمّ حمل الناسُ عامّة على البيعة بالتهديد والتّنديد، والوعد والوعيد، ثمّ إقصاء المعارضة كلياً عن السّاحة السياسيّة، ثمّ الوقوف بحزم وصرامة ضدّ كلّ من تحدى نفسه بشقّ عصا الطّاعة، أو شكّ في شرعية الخلافة الجديدة، ولو كانت فاطمة بنت النبي ﷺ.

ثمّ ضرب الحصار والمنع الباتّ على الأحاديث النّبوية الشريفة عامّة، حتى لا تتشّشى النّصوص بين الناسُ وتضطرب الأمور، ولو أدى ذلك

للاغتيال الفردي والقتال الجماعي؛ لإخمام المعارضه بدعوى القضاء على

الفتنه مرّة والرّدّة أُخرى !!

كل ذلك عرفناه من خلال ما كتبه المؤرّخون، وإن كان بعضهم يحاول تغطية الحقيقة بوضع بعض الروايات المتناقضة، أو بعض التأويلات والاعتذارات التي كشفت خفاياها الأيام والأحداث والأبحاث.

وقد يكون بعضهم معذوراً؛ لأنّه أخذ معلوماته من المصادر الأولى التي كُتبت تحت التأثير السياسي والاجتماعي الذي خلفته الفتنة الكبرى، وما أعقبها من أحداث عندما استولى بنو أميّة على الخلافة، وأغدقوا الأموال والمناصب على بعض الصحابة والتبعين المأجورين، فأخذ بعض المؤرّخين من هؤلاء لحسن ظنه بهم، وهو لا يعلم خائنة الأعينُ وما تخفي الصّدور، فاختلطت الروايات الصحيحة بالروايات المكذوبة، وأصبح من العسير على الباحث الوصول إلى الحقيقة.

ولتقريب القارئ الباحث من هذه الحقيقة، لابد من إثارة وطرح هذه الأسئلة، حتى يكتشف من خلالها أو من خلال الإجابة عليها بعض الحقائق، أو بعض الإشارات التي توصله إلى الحقيقة.

أسئلة وأجوبة لا غنى عنها لكلّ باحث

وردت على رسائل عديدة من أقطار كثيرة، تحمل في طيّها بعض التساؤلات المهمّة، والتي تنبئ عن حرص القراء الكرام لمزيد البحث والتنقيب عن الحقائق، وقد أجبت على البعض منها، وأعرضت عن البعض الآخر غير مستخفّ بها، ولكن لأنّ الجواب عليها موجود في كتابي "ثم

اهتديت" ، و"لأكون مع الصادقين" .

وتعيمياً للفائدة فأنا أنشرها في هذا الفصل مع الأوجبة، ومع الملاحظة بأنَّ القارئ سيجدُ بعض الأحاديث والأحداث مكررة في الكتاب الواحد أو في الكتب الثلاثة، فقد تعمدَ ذلك اقتداءً بكتاب الله العزيز الذي يكرر الحادثة في عدّة سور؛ لترسخ في ذهن المؤمن، ولتكون في متناول الجميع.

س١: إذا كان الرسول يعلم ما سيؤول إليه أمر الأمة من النزاع والاختلاف بسبب الخلافة فلماذا لم يعيّن خليفة له؟

* ج: لقد عيّن رسول الله خليفة له بعد حجّة الوداع، وهو علي بن أبي طالب، وأشهد على ذلك صحابته الذين حجّوا معه، وكان يعلم بأنَّ الأمة ستغدر به ^١ وتنقلب على أعقابها.

س٢: كيف لم يسأل الرسول أحدَ من أصحابه عن هذا الأمر وقد كانوا يسألونه عن كلّ شيء؟

* ج: لقد سأله وأجاب: قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ فُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ .

وسأله وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يُقْرَبُونَ الصَّلَاةَ﴾ .

^١ المستدرك للحاكم ٣: ١٤٢ وصحّحه وصرّح الإمام الذهبي في تلخيص المستدرك بصحته، كنز العمال ١١: ٦١٧ ح ٣٢٩٩٧، تاريخ بغداد ١١: ٢١٦ رقم ٥٩٢٨، تذكرة الحفاظ للذهبي

.٩٩٥^٣

^٤ آل عمران: ١٥٤

وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ^١.

وسأله فقال: "إن هذا أخي ووصيٌّ وخلفتي من بعدي".^٢

س٣: لماذا عارض بعض الصحابة رسول الله حين أراد أن يكتب لهم

كتاباً يعصّهم من الضلاله بعده وقالوا بأنه يهجر؟

* ج: لقد عارض بعض الصحابة النبى ﷺ حين أراد أن يكتب لهم ما

يمنعهم من الضلاله واتهموه بالهجر؛ لما عرفوا بأنه يريد تعين علي بن أبي

طالب كتابياً، لأنّه سبق أن قال لهم في حجّة الوداع بأن المتمسك بالكتاب

والعترة لن يضلّ بعده أبداً، ففهموا بأنّ مضمون الكتاب سيكون بنفس

الألفاظ، لأنّ علياً هو سيد العترة، وإنّما اتهموه بالهجر ليعدل عن الكتابة

نهائيّاً، ولأنّ النزاع والخلاف قام حول الكتاب قبل كتابته، وإذا كان النبى

يهجر (حسب اعتقادهم) فإنّ كتابه سيكون هذياناً، فالحكمة تقتضي عدم

الكتابة.

س٤: لماذا لم يصرّ على كتابة الكتاب خصوصاً وأنّه يعصّ الأمة

الإسلامية من الضلاله؟

* ج: لم يكن في وسم الرسول ﷺ أن يصرّ على الكتابة؛ لأنّ العصمة

من الضلاله قد انتفت لموافقة الكثير من الصحابة على أنه يهجر، فأصبح

الكتاب هو مصدر ضلاله بدلاً أن يكون عاصماً منها، ولو أصرّ النبى ﷺ

^١ المائدة: ٥٥.

^٢ تاريخ الطبرى ٢: ٦٣، الخصائص للنسائي: ٤٩ ح ٦٥ في حديث الدار حينما انذر النبي ﷺ

عشيرته، وسند الحديث صحيح.

على كتابته لقامتْ بعده دعاوى باطلة، قد تُشكّك حتّى في كتاب الله
ونصوص القرآن.

س٥: لقد أوصى النبي ﷺ قبل موته بثلاث وصايا شفوّية فلماذا
وصلت إلينا وصيّتان وضاعت الوصيّة الثالثة؟

* ج: الأمرُ واضحٌ في أنَّ الوصيّة الأولى هي التي ضاعتْ لأنَّها تخصّ
استخلاف عليٍّ، ولأنَّ الخلافة التي قامتْ منعت الحديث عنها، وإلاًّ كيف
يصدق عاقل أن يوصي النبي ﷺ فتنسى وصيّته كما ذكره البخاري.

س٦: هل كان النبي ﷺ يعلم بموعده موته؟
* ج: لا شكّ بأنَّه كان يعلم مسبقاً بموعده وفاته في الوقت المعلوم، وقد
علم بذلك قبل خروجه لحجّة الوداع، ومن أجل ذلك سماها حجّة الوداع،
وبذلك علم أكثر الصحابة دنوًّا أجله.

س٧: لماذا جهز النبي ﷺ جيشاً عبّاً فيه وجوه المهاجرين والأنصار من
كبار الصحابة وأمرهم بالمسير إلى مؤتة بفلسطين قبل وفاته بيومين؟

* ج: عندما علم النبي ﷺ بالمؤامرة التي دبرتها قريش، وأنّهم تعاقدوا
على نبذ العهد بعده، وإبعاد علي عن الخلافة، عمد إلى تعيئة هؤلاء لبعدهم
عن المدينة وقت وفاته، فلا يرجعون إلاًّ وقد استتبّ الأمر لخليفته، فلا
يقدرون بعدها على تنفيذ مخطّطهم، وليس هناك تفسيراً مقبولاً غير هذا
لسريّة أسماء؛ لأنَّه ليس من الحكمة أن يُخلِّي النبي ﷺ عاصمة الخلافة
من الجيش والقوّة قبل وفاته بيومين فقط.

س٨: لماذا لم يعين النبي ﷺ علياً في جيش أسامة؟

* ج: لأنّه لا ينبغي لرسول الله ﷺ أن يذهب إلا ويترك خليفة ليدّبر

الأمور بعده، وبما أنه لم يعيّنَ علياً ضمن ذلك الجيش الذي عبّا فيه وجوه المهاجرين والأنصار، بما فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف، فدلّ هذا التصرّف الحكيم بأنّ علياً هو الخليفة بعد النبي ﷺ مباشرة، ولأنّ الذين لم يعبّئهم رسول الله في الجيش ليس فيهم من يطمع في الخلافة، ولا من يبغضُ علياً ويريد الغدر به.

س٩: لماذا أمرَ عليهم شاباً صغيراً لا نبات بعارضيه؟

* ج: لمّا كان الحاسدون والغادرون لعلى يتذرّعون بصغر سنّه، وأنّ عظماء قريش الذين بلغوا السّتين لا يقادون لعلي، وعمره لم يجاوز الثلاثين إلا قليلاً، فأمرَ عليهم النبي ﷺ أسامي وعمره سبعة عشر، لا نبات بعارضيه وهو من الموالى؛ ليأْلأ عناقهم وإرغاماً لأنوفهم، كي يُبيّن لهم أولاً ولكل المسلمين ثانياً بأنّ المؤمن الصادق في إيمانه يجب عليه أن يسمع ويعطي، ولو وجد في نفسه حرجاً مما قضى الرسول ﷺ ويسّلم تسليماً.

وأين أسامي بن زيد بن حارثة من علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وسيد الوصيّين، باب علم النبي ﷺ، وأسد الله، الغالب وهارون محمد ﷺ، ولذلك تقطّعوا إلى تدبّره ﷺ في تأمیره أساميّة عليهم، فطعنوا في إمارته، ورفضوا الخروج معه والتخلّف عنه، ولا ننسى أنّ فيهم الدهاء الذين قال في حقّهم القرآن الكريم: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرُهُمْ وَعَنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ﴾

لَنَزُولَ مِنْهُ الْجَبَالُ^١.

س ١٠: لماذا اشتدّ غضب النبي ﷺ على المخالفين منهم حتى لعنهم؟

* ج: لقد اشتدّ غضبه ﷺ عليهم لما علم أنّهم طعنوا في تأميره، فالطعن موجه إليه لا إلى أُساميّة، وتحقّق بذلك عنده عدم إيمانهم وإخلاصهم لله ولرسوله ﷺ، وأنّهم عازمون على تنفيذ مخطّطهم كلفهم ذلك ما كلفهم، عند ذلك أطلق لعنته الأخيرة على المخالفين؛ ليفهمهم وأتباعهم وال المسلمين كافة بأنّ الأمر قد بلغ منتهاه؛ ليهلك من هلك عن بيّنة.

س ١١: هل يجوز لعن المسلم خصوصاً من النبي ﷺ؟

* ج: إذا كان الإسلام هو التلّفظ بالشهادتين، بأن يقول الإنسان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله، ثم لا يمثّل إلى أوامرها، ولا يسمع ولا يطيع لله ولرسول ﷺ فيجوز لعنه.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْلَاعُونُ﴾^٢. وإذا كان الله يلعّن من كتم الحق، فما بالك بمن عاند الحق وعمل على إبطاله؟!

س ١٢: هل عين الرسول ﷺ أبا بكر ليصلّي بالنّاس؟

* ج: من خلال الروايات المتناقضة نفهم أنّ رسول الله ﷺ لم يعين أبا

^١ إبراهيم: ٤٦.

^٢ البقرة: ١٥٩.

بكر ليصلّى بالناس، اللّهم إلّا إذا اعتقدنا ما قاله عمر بن الخطّاب في هجرانه، ومن اعتقد بذلك فقد كفر، وإلّا كيف يصدق عاقلٌ بأنّه أمره ليصلّى بالناس في حين أتّه عبّاء في جيش أسامة، وجعل هذا الأخير أميراً عليه وإماماً له؟ وكيف يُعينه لإماماة الصلاة في المدينة وهي خالية منه، والتاريخ يشهد بأنّه لم يكن حاضراً في المدينة يوم وفاة النبي ﷺ!

والثابت كما ذكر بعض المؤرّخين الذين روى عنهم ابن أبي الحميد بأنّ علياً عليه السلام اتهم عائشة بأنّها هي التي أرسلت إلى أبيها ليصلّى بالناس، ولمّا علم النبي ﷺ بذلك غضب وقال لها: "إنك صواحب يوسف" وخرج إلى المسجد فأزاح أبا بكر وصلّى بهم صلاة المضطربين؛ لثلا يترك لهم حجّة بعد ذلك.

س ١٣: لماذا أقسم عمر بن الخطّاب بأنّ رسول الله لم يمت، وتهنّد كلّ من يقول بموته بالقتل ولم يهدأ إلّا بوصول أبي بكر؟

* ج: لقد هدّد عمر بالقتل كلّ من حاول أن يقول بموت النبي ﷺ؛ ليشكّوكهم ويترّكهم في حيص بيص حتى لا تتمّ بيعة لعليٍّ، وحتى يصل إلى المدينة أبطال المعارضة الذين تعاقدوا على الأخذ بزمام الأمور والذين لم يصلّوا بعد، فوجد نفسه قد سبّقهم، فلعب دور المصاب بالذّهول، وسلّ سيفه فخوّف الناس.

ولا شكّ بأنّه منع الناس الدخول إلى الحجرة النبوية ليثبتوا الأمر، وإلّا لماذا لم يجرأ أحدٌ على الدخول إلّا أبا بكر، عندما وصل دخل وكشف عن وجهه وخرج ليقول لهم: "من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومن

كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت".

ولا بد لنا هنا من تعلية صغيرة على هذا القول، فهل كان أبو بكر يعتقد بأن في المسلمين من يعبد محمداً؟ كلا وإنما هو تعبير مجازي على شتم وانتهاص بنى هاشم عامة وعلى بن أبي طالب خاصة، الذين كانوا يفخرون على سائر العرب بأن محمداً رسول الله منهم وهم أهله وعشيرته وأحق الناس به.

وهو أيضاً تعبير عمّا أفصح به عمر بن الخطاب يوم رزية الخميس عندما قال: "حسبنا كتاب الله يكفيانا" ولسان حاله يقول: لا حاجة لنا بمحمد فقد انتهى أمره وولى عهده، وهذا بالضبط ما أكدّه أبو بكر بقوله: من كان يعبد محمداً فإنه قد مات، ويعني بذلك: يا من تفتخروا علينا بمحمد تأخرروا اليوم فإنه انتهى أمره، وحسبنا كتاب الله فإنه حي لا يموت.

ومن الملاحظ أن علياً وبني هاشم كانوا يعرفون أكثر من غيرهمحقيقة النبي ﷺ، وكانوا يُبالغون في احترامه وتقديسه وتنفيذ أوامره، واتبعهم على ذلك الموالي من الصحابة، والذي كانوا غرباء عن قريش، وكانوا إذا بصدق رسول الله بقصة تسارعوا إليها ليمسحوا بها وجوههم، ويتحاصمون على فضل وضوئه أو على شعره، وكل هؤلاء المساكين والمستضعفين كانوا شيئاً لعلي من زمن النبي ﷺ، وهو الذي سماهم بهذا الاسم^١.

أما عمر بن الخطاب وبعض الصحابة من سراة قريش، فكانوا كثيراً ما

^١ الدر المنشور ٦: ٣٧٩ سورة البينة، المعجم الكبير ١: ٣١٩ ح ٩٤٨، فتح القدير للشوكياني ٥:

يُعارضوا أحكام النبي ﷺ ويناقشوه ويعصوه، بل ويُنْزَّهون أنفسهم عن
أفعاله^١.

وقد قطع عمر بن الخطاب شجرة بيعة الرضوان؛ لأنَّ بعض الصحابة كانوا
يتبرّكون بها، كما فعل الوهابيون في هذا القرن، فإنَّهم محووا آثار النبي ﷺ
من الوجود، وحتى البيت الذي ولد فيه لم يتركوه، وهم يحاولون الآن بكلِّ
جهودهم وأموالهم أن يمنعوا المسلمين من الاحتفال بذكرى مولده الشريف،
ومن التبرّك به وبالصلوة عليه، حتى أفسوا لدى المغفلين بأنَّ الصلاة الكاملة
هي شرٌّ^٢.

^١ صحيح البخاري: ١١٤ كتاب المظالم، باب الاشتراك في الهدي.

^٢ قال أحمد بن زيني دحلان مفتى الشافعية بمكة - في كتابه فتنة الوهابية الصفحة ٢٠
"كانوا يمنعون من قراءة دلائل الخيرات المشتملة على الصلاة على النبي ﷺ وعلى ذكرها
كثير من أوصافه الكاملة، ويقولون: إنَّ ذلك شرك، ويعانون من الصلاة عليه على المنابر بعد
الأذان، حتى إنَّ رجلاً صالحًا كان أعمى وكان مؤذنًا وصلَّى على النبي ﷺ بعد الأذان بعد
أنَّ كان المنع منهم، فأتوا به إلى ابن عبد الوهاب، فأمرَّ به أن يقتل فقط...".

وقال أيضًا في الدرر السنّية في الرد على الوهابية الصفحة ٥٢: "... ومنع الناس من قراءة دلائل
الخيرات ومن الرواتب والأذكار ومن قراءة مولد النبي ﷺ ومن الصلاة على النبي ﷺ في
المنابر بعد الأذان، وقتل من فعل ذلك...".

قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٦٦ "ورخص بعضهم في السلام عليه إذا دخل
المسجد للصلوة ونحوها، وأمّا قصده دائمًا للصلوة والسلام فما علمت أحدًا رخص
فيه".

وقال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في فتح المجيد: ٢٢٤ "وأمّا دخولهم عند قبره للصلوة
والسلام عليه هناك أو الصلاة والدعاء فلم يشرعه (أي النبي ﷺ) لهم بل نهاهم عنه...".

س١٤: لماذا اجتمع الأنصار في سقيفة بنى ساعدة سرًّا؟

* ج: لِمَّا عَلِمَ الْأَنْصَارُ بِالْمُؤْمَنَةِ الَّتِي دَبَّرَتْهَا قَرِيشٌ لِإِبعادِهِمْ عَنِ الْخَلْفَةِ، اجْتَمَعُوا عِنْدَ وَفَاتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَرَادُوا إِبْرَامَ الْأَمْرِ فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْخَلِيفَةُ مِنْهُمْ، إِذَا كَانَ زُعمَاءُ قَرِيشٍ وَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قِرَابَةِ الرَّسُولِ وَعَشِيرَتِهِ يَرِيدُونَ نَفْضَ الْبَيْعَةِ لِعَلِيٍّ، فَلِأَنَّ الْأَنْصَارَ أُولَئِكَ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ لِاعْتِقَادِهِمْ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ قَامَ بِحَدٍّ سِيَوفَهُمْ، وَأَنَّ الْمُهَاجِرِينَ عِيَالٌ عَلَيْهِمْ، وَلَوْلَا أَنَّهُمْ فَتَحُوا بِلَادَهُمْ وَمَنَازِلَهُمْ وَكُلَّ مَا يَمْلِكُونَ لِمَا كَانَ لِلْمُهَاجِرِينَ ذِكْرٌ وَلَا فَضْلٌ، وَلَوْلَا وُجُودُ الْخَلَافَ بَيْنَ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَاجِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَنَافَسُونَ عَلَى الرُّعَايَةِ وَكُلَّ مَنْهُمَا يَرِيدُهَا لِقَبِيلَتِهِ، لَمَّا وَجَدَ أَبُو بَكْرَ وَعَمْرَ فَرْصَةً لِأَخْذِ الْخَلْفَةِ مِنْهُمْ وَلَا ضُطْرًا لِمَتَابِعِهِمْ.

س١٥: لماذا أسرع أبو بكر وعمر وأبا عبيدة إلى السقيفة وفاجئوا الأنصار؟

* ج: لِمَّا كَانَ لِلْمُهَاجِرِينَ - أَعْنِي زُعمَاءَ قَرِيشٍ - أَعْنِي تَرَاقِبَ تَحْرِكَاتِ الْأَنْصَارِ وَمَا يَدْوِرُ مِنْ تَدْبِيرِهِمْ، فَقَدْ أَسْرَعَ أَحَدُهُمْ - وَهُوَ سَالِمُ مُولَى أَبِي حَذِيفَةِ - وَأَعْلَمَ أَبَا بَكْرَ وَعَمْرَ وَأَبَا عَبِيدَةَ بِالْجَمَاعِ السَّرِّيِّ، فَأَسْرَعُوهُمْ إِلَى السَّقِيفَةِ لِيَفْسِدُوا عَلَى الْأَنْصَارِ تَخْطِيطَهُمْ وَمَا أَبْرَمُوهُ، وَلِيَفْجُئُوهُمْ بِأَنَّهُمْ عَلَى

وَمِنْهُ تَعْرِفُ أَنَّ مَا ذُكِرَهُ فِي كِشْفِ الْجَانِيِّ الصَّفَحةُ ١٣٦ مَا هُوَ إِلَّا لِجَاجٌ، لِقُصْرِ باعِهِ عَنِ الْحِجَاجِ بِالْدَلِيلِ السَّاتِرِ لِمَا يَرْتَكِبُهُ أَبْنَاءُ مَذْهَبِهِ وَمَا قَامَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْسِ الْوَاهِيَّةِ.

علم بكلّ ما يحدث في غيابهم.

س١٦: لماذا كان عمر بن الخطاب طوال الطريق يُهوي مقالة لإقناع
الأنصار؟

* ج: لا شكَّ بأنَّ عمر بن الخطاب كان يخشى ردَّة فعل الأنصار، كما يخشى أن لا يوافق الأنصار على إبعاد علي بن أبي طالب، فيسبب ذلك هدم كلَّ ما خطَّطوه ودبَّروه، وتذهب جهودهم أدراج الرياح بعدهما تجرُّؤوا على النبي نفسه، وأفسدوا كلَّ تدبيره من أجل الخلافة، ولذلك كان عمر بن الخطاب في طريقه للسقية يزور ماذا سيقوله لهم، حتى يكسب تأييدهم وموافقتهم على المخطَّط.

س١٧: لماذا انتصر المهاجرون على الأنصار وسلموا الأمر لأبي بكر؟

* ج: هناك عدَّة عوامل لعبت دورها في هزيمة الأنصار وفوز المهاجرين، فقد كان الأنصار قبيلتين متنافستين على الزُّعامنة منذ عهد الجاهلية، وسكنت فورتهم بوجود الرَّسول ﷺ بينهم، أمّا الرَّسول ﷺ قد مات وقومُه يريدون اغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعي، فشار الخرج يرشحون لها زعيمهم سعد بن عبادة، ولكن بشير بن سعد - وهو زعيم الأوس - حسد ابن عمِّه، وأيقن أنه لا يصل إلى الخلافة وسعد بن عبادة موجود، فنقض أمر الأنصار وأنضمَّ إلى صف المهاجرين، ومثل دور الناصح الأمين.

كما أنَّ أبا بكر أثار فيهم النُّعرة الجاهلية، وضرب على الوتر الحساس

بقوله: لو سلمنا هذا الأمر للأوس فلن ترض الخزرج، وإذا سلمناه للخزرج
فلن ترض الأوس، ثم إنه أطمعهم بأن يقاسمهم الحكومة بقوله: نحن الأمراء
وأنتم الوزراء، ولا تستبد عليكم بالرأي أبداً.

ثم إنه بذلك لعب دور الناصل الأمين للأمة، إذ أخرج نفسه وأظهر زهده
في الخلافة، وأنه لا يرغب فيها بقوله: اختاروا من شئتم من هذين الرجلين،
يعني عمر بن الخطاب أو أبو عبيدة عامر بن الجراح.

وكانت الخطبة محكمة والمسرحية ناجحة، فقال عمر وأبو عبيدة: لا
ينبغى لنا أن نتقدّم عليك، وأنت أولنا إسلاماً، وأنت صاحبه في الغار، فابسط
يدك نبايك، فبسط أبو بكر يده لهذه الكلمات، فسبق إلى بيته بشير بن
سعد سيد الأوس، وتتابع الباقيون إلا سعد بن عبادة.

س ١٨: لماذا امتنع سعد بن عبادة عن البيعة وهدّده عمر بالقتل؟

* ج: عندما بايع الأنصار وتسابقو إلى أبي بكر؛ لينالوا بذلك الجاه
والقربى من الخليفة، امتنع سعد بن عبادة عن البيعة، وحاول جهده منع قومه
عنها، ولكنّه عجز عن ذلك لشدة مرضه إذ كان طريح الفراش ولا يسمع
صوته، عند ذلك قال عمر: اقتلوه إنّه صاحب فتنة؛ ليقلم بذلك دابر الخلاف،
ولئلا يخلّف عن البيعة أحد؛ لأنّه سيشقّ عصا المسلمين، ويتسبّب في
انقسام الأمة وخلق الفتنة.

س ١٩: لماذا هددوا بيت فاطمة الزهراء بالحرق؟

* ج: لقد تخلّف عدد كبير من الصحابة الذين لم يبايعوا أبو بكر في بيت
علي بن أبي طالب، ولو لم يُسارع عمر بن الخطاب وطوق الدار بالخطب

وهدّدهم بالحرق، لاستفحال الأمر وانشقت الأُمّة إلى حزبين علوي وبكري،
ولكنّ عمر ومن أجل فرض الأمر الواقع ذهب شوطاً بعيداً عندما قال:
"لتخرجن للبيعة أو لأحرّقن الدّار بمن فيها" ^١ ويقصد علياً وفاطمة بنت رسول
الله ﷺ .

وبهذا القول لا يبقى في النّاس أحد تسوّل له نفسه شقّ عصا الطاعة
وعدم الدخول في البيعة، فأيّ حرمة له أكبر من حرمة سيدة نساء العالمين،
وزوجها سيد الوصيّين؟

س. ٢٠: لماذا سكت أبو سفيان بعدما هدّدهم وتوعّدهم؟
* ج: لما رجع أبو سفيان للمدينة بعد وفاة النبي ﷺ وكان أرسله
لجمع الصّدقات، فوجئ بخلافة أبي بكر، وأسرع إلى دار علي بن أبي طالب
وحرّضه على الثورة، وعلى حرب الجماعة واعداً إياه بالمال والرجال،
ولكنّ علياً طرده لعلمه بنوایاه.

ولما علم أبو بكر وعمر بذلك ذهبا إليه واستملاه، ووعداه بإعطائه كلّ ما
جمعه من الصّدقات، وبasherake في الأمر بتعيين ابنه وإلياً على الشام، فرضيَّ
أبو سفيان بذلك وسكت عنهم، فعيّنا يزيد بن أبي سفيان وإلياً على الشام،
ولما مات عيّنا أخاه معاوية بن أبي سفيان مكانه، ومكّنوه من الوصول إلى
الخلافة.

^١ تاريخ الطبرى ٢: ٤٤٣. وورد تهديد فاطمة ؓ بإحراق دارها أيضاً في المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٥٧٢ بسنّد صحيح.

س ٢١: هل رضي الإمام علي بالأمر الواقع وبایع الجماعة؟

* ج: لا، أبداً لم يرض الإمام علي بالأمر الواقع ولم يسكت، بل احتج عليهم بكل شيء، ولم يقبل أن يبايعهم رغم التهديد والوعيد، وذكر ابن قتيبة في تاريخه بأنّ علّيَاً قال لهم: والله لا أبأيعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، وحمل زوجته فاطمة الزهراء يطوف بها على مجالس الأنصار، فكانوا يعتذرون بأنّ أبا بكر سبق إليهم^١.

وقد ذكر البخاري^٢ بأنّه لم يُبايع مدة حياة فاطمة، فلما تُوفيت واستنكر وجود الناس اضطرّ لمصالحة أبي بكر.

وقد عاشت فاطمة ستة أشهر بعد أبيها، فهل ماتت فاطمة وليس في عنقها بيعة، وأبوها رسول الله ﷺ يقول: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميّة جاهليّة"^٣!^٤

^١ الإمامة والسياسة ١: ٢٩.

^٢ صحيح البخاري ٥: ٨٢ كتاب المغازي، باب غزوة خير، صحيح مسلم ٥: ١٥٤، كتاب الجهاد، باب قول النبي "لأنورث...".

^٣ صحيح مسلم ٦: ٢٢ كتاب الامارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، المعجم الكبير ١٩: ٣٣٥، كتاب السنة: ٤٨٩ ح ١٠٥٧ وفيه: "من مات وليس عليه امام مات ميّة جاهليّة".

^٤ قال إبراهيم الرحيلي في كتابه الانتصار للصحاب والآل: إن هذا الكلام يتنافي مع ما ذكره المؤلف في كتابه الشيعة هم أهل السنة، حيث قال هناك: "..ولولا استسلام علي وتضحيته بحقه في الخلافة ومسالمته لهم لقضى عليهم وانتهى أمر الإسلام"، بينما هنا نراه ينقض كلامه ويقول بأنّ علّيَاً ﷺ لم يرض بالأمر الواقع؟!

وفي الحقيقة لا يوجد تدالع في كلام المؤلف هنا وهناك، والتخالف المتصور هو في ذهن الرحيلي فقط، وإلا فالكلام واضح حيث بين المؤلف هناك أنّ علّي بن أبي طالب ﷺ لم

وهل كان على يعلم بأنه سيعيش إلى ما بعد أبي بكر، فيتأخر عن بيعته تلك الشهور الستة؟ فعلى لم يسكت، وبقي طيلة حياته كلما وجد فرصة إلا وأثار مظلمه واغتصاب حقه، ويكتفى دليلا على ذلك ما قاله في خطبته المعروفة بالشقشيقية.

س ٢٢: لماذا أشاروا فاطمة وأغضبوها بينما هم في حاجة إلى المصالحة؟

* ج: لقد تعمدوا إثارة فاطمة بانتزاع أرضها وممتلكاتها، ومنعها ميراث أبيها، وتکذيبها في كل دعواها، حتى يسقطوا بذلك هيتها وعظمتها من نفوس الناس، وحتى لا يصدقونها إذا ما أثارت نصوص الخلافة، ولذلك اعتذر الأنصار إليها بأن بيتهم سبق لأبي بكر ولو سبق إليهم زوجها لما تخلّفوا عنه.

يشهر سيف المعارضة، ولم يقم بالقوة لأخذ حقه الذي غضبوه منه، وهذا هو الواقع الذي ينقله التاريخ.

أما هنا فالمؤلف بين بأن علي بن أبي طالب شهر المعارضة، لكن المعارضة القولية لا السيفية، وأخذ يبين حقه كلما واتته الفرصة، وكلماته في ذلك مشهورة معلومة في النهج وغيره، بل البخاري نقل لنا معارضة الإمام علي الفعلية وذلك برفضه بيعة الأول لمدة ستة أشهر، وأضاف الزهري بأن علي بن أبي طالب لم يكن المعارض الوحيد للبيعة، بل بنو هاشم عموماً كانوا معارضين أيضاً، فلا تضارب بين الكلامين بل بينهما تمام المواءمة لمن نزع عن رأسه العصبية الأموية ونظر بعين الحقيقة الصافية.

ولذلك اشتدّ غضبها على أبي بكر وعمر حتّى صارت تدعى عليهما في كلّ صلاة تصليها، وأوصت زوجها بأن لا يحضر جنازتها أحدٌ منهمما، وأنّ يجنبها تلك الوجوه التي تكرهها.

وقد تعمّدوا إيذاءها ليشعروا علّياً بأنّه أهون عليهم من ابنة النبي التي هي سيدة نساء العالمين، والتي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاهما، فما عليه إلا السّكوت والرّضى.

س ٢٣: لماذا تخلف عن سرية أُسامي عظاماء القوم؟

* ج: لما استتبّ الأمر لأبي بكر، وأصبح خليفة المسلمين بجهود عمر رغم أنوف المعارضين، طلب من أُسامي أن يترك له عمر بن الخطاب ليستعين به على أمر الخلافة، لأنّه لا يقدر على إتمام المخطط بمفرده، ولا بدّ له من العناصر الفعالة الذين لهم من القوة والجرأة ما عارضوا بها رسول الله ﷺ، ولم يبالوا بغضب الله ولا بلعن النبي ﷺ لمن تخلف عن بعث أُسامي ممّن عبّاهم بنفسه، ولا شكّ بأنّ المخططين لهذا الأمر تخلّفوا عن السرية ليبرموا أمرهم، ويتعاونوا على تركيز قواعدهم.

س ٢٤: لماذا أبعد الإمام على عن كلّ مسؤولية ولم يشر كوه في شيء؟

* ج: بالرّغم من أنّهم قرّبوا عدداً كبيراً من الطلقاء، وأعطواهم المناصب في حوكمةهم، وأشار كوه في أمرهم، وعيّنوا منهم أمراً وولاة في كلّ الجزيرة العربية، وفي كلّ الأقطار الإسلامية، ومن هؤلاء الوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، ومعاوية ويزيد ابن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وأبو هريرة، وكثيرون من الذين كانوا يجرّعون رسول

الله بِالْحَمْدِ لِلّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الغُصْصُ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَبْعَدُوا عَلٰى بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَبَذُوهُ وَتَرَكُوهُ حَبِيساً
دارِهِ، وَلَمْ يُشَرِّكُوهُ فِي شَيْءٍ مِّنْ أَمْرِهِمْ طِيلَةَ رِبْعِ قَرْنٍ؛ لِيَذْلِلُوهُ وَيُحَقِّرُوهُ
وَيُبَعِّدُوَا النَّاسَ عَنْهُ؛ لِأَنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا يَمْلِئُونَ مَعَ صَاحِبِ السُّلْطَةِ
وَالجَاهِ وَالْمَالِ، وَمَا دَامَ عَلٰى لَا يَجِدُ قُوَّتَ يَوْمَهُ إِلَّا بِكَسْبِ يَمِينِهِ وَعَرْقِ
جَبِينِهِ، فَسِيَفِرُّقُ النَّاسُ عَنْهُ وَلَا يَمْلِئُونَ إِلَيْهِ.

وَفَعْلًا فَقَدْ بَقِيَ عَلٰى سَلَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلٰى تِلْكَ الْحَالَةِ مَدَّةَ خَلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ
وَخَلَافَةِ عُمَرٍ وَخَلَافَةِ عُثْمَانَ رَهِينَ الْبَيْتِ، يَعْمَلُ الْجَمِيعُ عَلٰى تَحْقِيرِهِ، وَإِطْفَاءِ
نُورِهِ، وَإِخْفَاءِ فَضَائِلِهِ وَمَنَاقِبِهِ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ حَطَامِ الدِّينِيَا وَمَا يَرْغُبُ النَّاسُ
فِيهِ.

س ٢٥: لماذا حاربوا مانع الزكاة رغم تحريم النبي بِالْحَمْدِ لِلّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ لِذَلِكَ؟

* ج: لأن الصحابة الذين حضروا بيعة الإمام على في غدير خم، وهم
راجعون من حجّة الوداع بصحبة النبي بِالْحَمْدِ لِلّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، امتنعوا عن أداء الزكاة لأبي
بكر، لأنهم لم يحضروا وفاة النبي بِالْحَمْدِ لِلّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، ولا الأحداث التي أعقبتها في شأن
تبديل الخلافة من على أبي بكر؛ لأنهم لا يسكنون المدينة، ولا شكّ بأنَّ
بعض الأخبار وصلت إليهم بأنَّ فاطمة تخاصمت معهم وغضبت عليهم،
وبأنَّ علياً امتنع عن بيعتهم، لكن ذلك رفضوا إعطاء الزكاة لأبي بكر حتى
يتبيّنوا الأمر.

ومن هنا قرر أبو بكر وعمر وجهاز الحكم أن يبعثوا إليهم جيشاً بقيادة
خالد بن الوليد الذي كان سيفهم المسلح، فأحمد ثورتهم، وأسكت حسنه،
وقتل رجالهم، وسبى نساءهم وذراريهم، ليكونوا عبرةً لمن تحدّثه نفسه

بعدم الطاعة أو بمس هيبة الدولة.

س ٢٦: لماذا منعوا تدوين ونقل الأحاديث النبوية؟

* ج: عملوا من الأيام الأولى على منع الأحاديث النبوية جملة وتفصيلاً، ليس فقط لأنها تتضمن نصوص الخلافة وفضائل الإمام علي، بل لأنَّ الكثير منها يتعارض مع أقوالهم وأفعالهم التي يديرون بها شؤون الحياة، ويركّزون على أسسها معالم الدولة الجديدة التي ابتدعواها وفق اجتهاداتهم.

س ٢٧: هل كان أبو بكر قادراً على تحمل أعباء الخلافة؟

* ج: لم يكن أبو بكر قادراً على تحمل أعباء الخلافة لولا عمر بن الخطاب، وبعض الدهاء من رؤوس بنى أميّة، ولقد سجّل التاريخ بأنَّ أبو بكر كان دائماً يخضع إلى أحكام وآراء عمر بن الخطاب الحاكم الفعلي، ودليل ذلك قصة المؤلفة قلوبهم الذين جاؤوا لأبي بكر في بداية خلافته، وكتب لهم كتاباً وبعثهم إلى عمر الذي كان بيده أمر بيت المال، فمزق عمر الكتاب وطردتهم، فرجعوا إلى أبي بكر يسألونه: أنت الخليفة أم هو؟ فأجابهم: هو إن شاء الله!

وكذلك عندما أقطع أبو بكر قطعة أرض إلى عيسنة بن حصن والأقرع بن حابس، فرفض عمر عندما قرأ كتاب أبي بكر وتفل فيه ومحاه، فرجعا إلى أبي بكر يتذمّران مما فعله عمر، وقالا لأبي بكر: والله ما ندرى أنت الخليفة أم عمر؟ فقال: بل عمر هو الخليفة، ولما أقبل عمر مغضباً وناقش أبي بكر على إعطائه الأرض بكلام غليظ، قال له أبو بكر: ألم أقل لك: إنك أقوى

مني على هذا الأمر لكنك غلبتني^١.

وقد أخرج البخاري في صحيحه بأنّ عمر كان يحثّ الناس على بيعة أبي بكر فيقول لهم: إنّ أبا بكر صاحب رسول الله ثانٍ اثنين، وإنّه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا بباعيده، قال أنس بن مالك: سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: أصعد المنبر، فلم يزل به حتّى صعد المنبر، فباعيده الناس عامة^٢.

س ٢٨: لماذا عقد أبو بكر الخلافة وعهد بها إلى عمر قبل وفاته؟

* ج: بما أنّ عمر بن الخطاب هو الذي لعب الدور البطولي في إقصاء علي عن الخلافة؛ بمعارضته العنيفة للنبي صلوات الله عليه أوّلاً، وبحمل الأنصار على بيعة أبي بكر وفرضها على الناس بكل حزم وشدة، حتّى وصل به الأمر إلى تهديد بيت فاطمة بالحرق.

وبما أنه كان هو الخليفة الفعلي - كما قدّمنا - فكانت له الكلمة الأولى والأخيرة، ولا شكّ بأنه كان من دهاء العرب، فعلم بأنّ المسلمين وخصوصاً الأنصار لا يُوافقون على بيعته لطبعه الفظ الغليظ وسرعة غضبه، فعمل على تقديم أبي بكر لهم لأنّ في طبعه ليناً ورقة، وهو أسبقهم للإسلام، وابنته

^١ العسقلاني في كتابه الإصابة في معرفة الصحابة ٤: ٦٤، "ترجمة عيينة"، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٢: ٥٩.

^٢ صحيح البخاري ٨: ١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف، المصنف لعبد الرزاق ٥: ٤٣٨ وفيه: "لقد رأيت عمر يزعج أبي بكر إلى المنبر ازعاجاً" والسنّد صحيح.

عائشة هي المرأة الجريئة القادرة على ركوب الصعاب وتغيير الأمور، وهو يعلم علم اليقين بأنّ أبي بكر طوع يديه ورهن إشارته في كلّ ما يصبووا إليه.

ولم يكن عهد أبي بكر بالخلافة لعمر يخفى على كثير من الصحابة من قبل كتابته، فقد قال له الإمام على منذ اليوم الأول: "أحلب حلبًا لك شطره، وأشدد له اليوم ليردّه عليك غدًا"^١، كما قال آخر لعمر عندما خرج بالكتاب الذي عهد فيه أبو بكر قال له: "أنا أعرف ما فيه، إنّك أمرتـه عام أول وأمّرك هذا العام".^٢

فعهد أبي بكر لعمر بالخلافة أمر معلوم لدى عامة الناس، وإذا كان في حياته يُعْرَف له أمام الجميع بأنّه أقوى منه على هذا الأمر، فلا غرابة أن يسلّم له مقاليد الخلافة عند الموت.

وبهذا يتبيّن لنا مرّة أخرى بأنّ ما يقوله أهل السنة بأنّ الخلافة لا تكون إلا بالشوري أمر ليس له وجود، وليس له في خيال أبي بكر وعمر أي اعتبار، وإذا كان رسول الله ﷺ توفي وترك الأمر شوري بين الناس - كما يزعمون - فإنّ أبي بكر هو أول من هدم هذا المبدأ، وخالف سُنّة النّبِي ﷺ بعهده لعمر بن الخطّاب من بعده.

وأهل السنة دائمًاً تراهم يتبعّجون بكلّ فخر واعتزاز على أنّهم يؤمّنون بالشوري ولا تصلح الخلافة إلاّ بها، ويُسخرون من قول الشيعة الذين يعتقدون بأنّها لا تكون إلا بالنصّ من الله ورسوله ﷺ، وتسمع أغليّهم ينتقدُ

^١ الإمامة والسياسة ١: ٢٩.

^٢ المصدر نفسه ١: ٣٨.

هذا الاعتقاد على أنه دخيل على الإسلام من قبل الفرس الذين يقولون بوراثة السلطة الإلهية.

وَكَثِيرًا مَا يُسْتَدِلُّ أَهْلُ السَّنَّةِ بِآيَةٍ: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾^١ عَلَىٰ أَنَّهَا نازلة بخصوص الخلافة، وعلى هذا فيحقق لنا بأن نقول: إنَّ أباً بكر وعمر خالفا الكتاب والسنة معاً، ولم يقيما لهما وزناً في شأن الخلافة.

س ٢٩: لماذا اشترط عبد الرحمن بن عوف على علي بن أبي طالب أن يحكم بسنة الخليفتين؟

* ج: من هوان الدنيا على الله أن يصبح عبد الرحمن بن عوف هو الذين يتحكم بمصير الأمة بعد عمر، فيختار لهم من يشاء، ويقصى من يشاء، كل ذلك من تدبير عمر الذي رجح كفته على بقية الصحابة، وعبد الرحمن بن عوف هو الآخر من دهاء العرب، ولا شكّ بأنّه من أعضاء الحزب المخطط للخلافة وصرفها عن صاحبها الشرعي.

وإذا كان البخاري يعترف بأنَّ عبد الرحمن بن عوف كان يخشى من علىٰ شيئاً^٢ ، فمن الطبيعي أن يعمل هو الآخر على إبعاده عنها ما استطاع لذلك سبيلاً. وعبد الرحمن بن عوف يعرف كغيره من الصحابة بأنَّ علياً لم يكن يُواافق على اجتهادات أبي بكر وعمر، وما غيراه من أحكام الكتاب والسنة، وكان يحاول جهده معارضتهما والإنكار عليهم، لذلك اشترط عبد الرحمن على علي أن يحكم بسنة أبي بكر وعمر، وهو يعلم مسبقاً أكثر من

^١ الشوري: ٣٨.

^٢ صحيح البخاري ١٢٣: ٨ كتاب الأحكام، باب كيف يباع الناس الإمام.

غيره بائعاً على لا يداهن ولا يكذب ولا يقبل بذلك الشرط أبداً، كما كان يعلم بأنّ صهره عثمان هو الذي ترثى إليه قريش وكلّ أعضاء المخطّط.

س٣٠: حديث الأئمة عشر هل له وجود عند أهل السنة؟

* ج: أخرج البخاري ومسلم وكلّ المحدثين من أهل السنة حديث النبي ﷺ: "لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش".^١

وبقي هذا الحديث من الألغاز العويصة التي لا جواب لها عند أهل السنة والجماعة، ولم يجرأ أحد من علمائهم أن يعدّ بعد الخلفاء الراشدين الأربع سوى عمر بن عبد العزيز، ورؤساء خمسة، ويبقى من العدد سبعة لا وجود لهم.

فإمّا أن يقولوا بإمامية علي وبنيه الذين تقول بهم الإمامية، ويصبحوا شيعة لأهل البيت النبوى، وإمّا أن يكذّبوا الحديث وتصبح صحاحهم مجردة من الحقّ وليس فيها إلا الأكاذيب.

أضف إلى ذلك بأنّ هذا الحديث الذي يخصّص الخلافة في قريش وحدها يتنافى مع مبدأ الشورى الذي يقولون به؛ لأنّ الاختيار والديمقراطية تشمل كلّ أفراد الأمة، ولا تختصّ بقبيلة معينة دون سائر القبائل الأخرى، بل يتعدّى القبائل العربية إلى غيرها من القبائل الإسلامية غير العربية!!

هذه أجوبة سريعة ومحضّة لقارئ بعض المسائل التي قد

^١ صحيح مسلم: ٦: ٣ كتاب الإمارة، الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، صحيح البخاري ٨: ١٢٧.

تخامر ذهنه، على أنه قد يجد إجابة مفصلة في كتب التاريخ، وكذلك في كتابي "ثم اهتديت"، و"لأكون مع الصادقين".

فعلى الباحث أن يرجع إلى المصادر الموثوقة، وأن يتجرّد للحقيقة، فيمحّص الروايات والأحداث التاريخية؛ ليكتشف من خلالها الحقائق المكسوّة بشباب الباطل، فيجرّدّها وينظر إليها في ثوبها الأصلي.

الفصل السابع

في ما يتعلّق بالحديث الشريف

سأُبَيِّن للقارئ بأن مشكلة الأحاديث هي من أكبر المشاكل التي يعيشها المسلمين اليوم، وبالخصوص في الزَّمن الحاضر، إذ تخرّج من جامعات الوهابية دكاترة متخصصون في فنون الأحاديث، فتراءهم يحفظون من الأحاديث ما يتماشى مع مذهبهم وعقيدتهم، وأغلب هذه الأحاديث هي من وضع الأمويين أسلافهم، الذين كان همّهم أيضاً إطفاء نور الرّسالة، وتصوير النبي ﷺ بذلك المحرّف المهرّج الذي لا يدرى ما يقول، ولا يتبنّى إلى أحاديثه وأفعاله المتناقضة التي تُضحك المجانين.

ورغم ما قام به المحققون والعلماء من أهل السنة لتنقية الأحاديث وغربلتها، فما زال هناك للأسف الشديد داخل الكتب الصّحيحة والمعتبرة الشيء الكثير، وكذلك لم تسلم كتب الشيعة من هذا الدسّ والوضع، ولكن هؤلاء يعترفون بأنّ ليس عندهم كتاباً صحيحاً إلّا كتاب الله، وما سواه فيه الغث والسمّين.

أمّا أهل السنة فإنّهم متّفقون بأنّ الصّحّيحين (البخاري ومسلم) أصحّ الكتب بعد كتاب الله، بل يقولون بأنّ كلّ ما جاء فيهما هو صحيح، ومن أجل ذلك فساخاول أن أضع بين يدي القارئ بعض النماذج من الأحاديث التي

أخرجها البخاري ومسلم، والتي فيها ما فيها من الحطّ من قداستة الرّسول العظيم ﷺ، أو من أهل بيته علیهم السلام.

وسأحاول هنا طرح بعض الأحاديث التي وضعناً لتبرير أعمال الحكماء والأمويين والعباسيين، وهم في الحقيقة ي يريدون النيل من خلالها من عصمة النبي ﷺ؛ لتبرير جرائمهم وقتلهم الأبرياء.. إليك ما يلي:

النبي ﷺ يختلس

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان، وفي كتاب الديات، باب من اطماع في بيت قوم ففقوءوا عينه فلا دية له، وكذلك مسلم في صحيحه في كتاب الآداب، باب تحرير النظر في بيت غيره.

عن أنس بن مالك: أن رجلاً اطماع من بعض حجر النبي ﷺ، فقام إليه النبي ﷺ بمشقص أو بمساقص، فكان ينظر إليه يختلس الرجل ليطعنه! إنَّ الخلق العظيم يأبى هذا التصرُّف من نبي الرحمة الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، والمفترض أن يقوم النبي ﷺ لهذا الرجل الذي اطماع على حجرة النبي ويعلمُه الآداب الإسلامية، ويُفهمه بأنَّ ما فعله حرامٌ، لا أن يأخذ مشقصاً ويختله ليطعنه ويفقد عينه. على أنَّ الرجل قد يكون على حسن نية؛ لأنَّ الحجرة لم تكن حجرة أزواجه، والدليل أنَّ أنس بن مالك كان موجوداً فيها، فأي تهمة هذه توجّه إلى رسول الله، وتصوّره بالفظّ الغليظ الذي يختلس أي يستغفلُ الرجل ليفقأ عينه؟!

وناهيك أنَّ شارح البخاري استفطعها، وقال ما نصّه: "يختلس أي يستغفله ويأتيه من حيث لا يرآه - كذا فسروه - والاستغفال مستبعدٌ منه ﷺ".

النبي ﷺ يعاقب عقاباً شنيعاً ويمثل بال المسلمين

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الطب من جزئه السابع الصفحة ١٣ في باب الدّواء بألبان الإبل، وفي باب الدّواء بأبوالإبل. قال: حدثنا ثابتُ عن أنسٍ: أَنَّ نَاساً كَانَ بِهِمْ سَقْمٌ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ آتُنَا وَأَطْعُنَا، فَأَمْرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُلْحَفُوا بِرَاعِيهِ، يَعْنِي الْإِبْلَ فَيُشَرِّبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبُوَالَهَا، فَلَحِقُوا بِرَاعِيهِ فَشَرِبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبُوَالَهَا حَتَّى صَلَحْتُ أَبْدَانُهُمْ، فَقَتَلُوا الرَّاعِي وَسَاقُوا الْإِبْلَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَبَعْثَ فِي طَلَبِهِمْ فَجَاءُهُمْ بِهِمْ، فَقَطَعُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجَلَهُمْ وَسَمَّرَ أَعْيُنَهُمْ، فَرَأَيْتَ الرَّجُلَ مِنْهُمْ يَكْدُمُ الْأَرْضَ بِلِسَانِهِ حَتَّى يَمُوتُ.

هل يصدق مسلمٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الَّذِي يَنْهَا عَنِ الْمُثْلَةِ، يَقُولُ هُوَ بِنَفْسِهِ فَيُمْثِلُ بِهؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَيَقْطَعُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجَلَهُمْ وَيَسْمِرُ أَعْيُنَهُمْ لِأَنَّهُمْ قُتِلُوا رَاعِيهِ؟! وَلَوْ قَالَ الرَّاوِي: أَنَّ هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ مُثُلُوا بِالرَّاعِي؛ لِكَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَذْرٌ فِي الْمُعَاقِبَةِ بِالْمُثْلَةِ، وَلَكِنْ ذَلِكَ غَيْرُ وَارِدٍ، وَكَيْفَ يَقْتَلُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيُمْثِلُ بِهِمْ هَذِهِ الْمُثْلَةَ، بِدُونِ بَحْثٍ وَتَحْرِّكٍ مِنْهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ مِنَ الْقَاتِلِ مَنْهُمْ فَيَقْتَلُهُ بِهِ؟!

ولعلّ البعض يقول بأنهم شاركوا جميعاً في قتيله، أفلم يكن في وسع الرّسول ﷺ أن يعفو ويصفح عنهم لأنهم مسلمون، بدليل قوله: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَمْ يَسْمَعْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمُثْلِ مَا عُوقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^١.

^١ النحل: ١٢٦

وإذا كانت هذه الآية نازلة على رسول الله ﷺ، عندما احترق قلبه على عمه سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، الذي بقرروا بطنه، وأكلوا كبده، وقطعوا مذاكيه، اغتاظ رسول الله عندما رأى عمه على تلك الحال وقال: "لئن مكنتني الله منهم لأمثلن بسبعين" ^١ فنزلت عليه الآية فقال: "صبرت يا رب". وعفى عن وحشي قاتل عمه، وهند التي مثلت بجسده الطاهر وأكلت كبده، وهذا هو خلق النبي ﷺ.

ومما يدلّك على فظاعة الرواية، وأن الرّاوي نفسه استفطعها فأردف يقول: قال قتادة: فحدّثني محمد بن سيرين أن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود ^٢ ، ليبرر فعل النبي ؛ بذلك، فحاشى رسول الله ﷺ أن يحكم

^١ المعجم الكبير للطبراني ١٤٣:٣، لباب النقول للسيوطى: ١٢١، زاد المسير لابن الجوزي ٤: ٣٧٠.

^٢ وأضافوا: "أن رسول الله ﷺ لما قطع الذين سرقوا لقاحه وسلم أعينهم بالنار عاتبه الله في ذلك فأنزل: (إنما جزاء الذين يحاربون الله...) (نيل الأوطار للشوکانی ٧: ٣٣١). واعتراض في كشف الجاني: ١٣٧ على المؤلف بأن مسلماً روى في صحيحه أن النبي ﷺ فعل ذلك لأنّهم فعلوا براعيه ذلك.

وهذا الاعتراض غير صحيح؛ لأن الله سبحانه وتعالى وصف نبيه بأنه على خلق عظيم، وأنه رءوف رحيم وهو في مكة في بداياتبعثة، فكيف يأتي ويعاقب هذه المعاقبة الشنيعة عدة أشخاص؛ لأنّهم قتلوا شخصاً واحداً؟ فain رأفته وأين رحمته؟!

وكذلك استدل بآية: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يُصلبو..) على جواز فعل النبي ﷺ.

وهذا الكلام لا يصدر إلا من لم يقرأ كتب الحديث والتفسير، ولم يطلع عليها مرّة واحدة؛ لأن المفسّرين والمحدثين رووا أن هذه الآية وهي في سورة المائدة الآية ٣٣ نزلت بعد معاقبة النبي ﷺ لهؤلاء، وفيها عتاب من الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ على هذا الفعل، فكيف يستدل بها على صحة فعل رسول الله ﷺ؟

من عند نفسه قبل أن يبَيِّن له ربُّه، وإذا كان في المسائل الصغيرة لا يحكم
حتى ينزل عليه الوحي، فما بالك في الدِّماء والحدود؟

وأنَّه لمن اليسير جدًا على من يتَّمَّل في ذلك ليعرف أنَّها روايات
موضوعة من جهة الأمْوَيْن وأتباعهم؛ ليرضوا بها الحُكَّام الذين لا يتورّعون
عن قتل الأُبْرِياء على الظنِّ والتهمة، ويمثُّلون بهم أشنع التمثيل.

حتى إنهم ذكروا أنَّ النبي ﷺ لم يعد لهذا الفعل بعد نزول الآية، وارجع إلى سنن أبي داود ح ٤٣٦٢، سنن النسائي ح ٣٥٠٥، تفسير القرطبي ٦: ١٤٩.

فهذا الكلام يردُّ كلام المحدثين والمفسرين على السواء؛ لأنَّهم يصرّحون بأنَّ الآية نزلت بعد فعل النبي ﷺ، وأنَّ فعل النبي ﷺ قبل أن تنزل الحدود، فكيف يستدلُّ بها صاحب كتاب كشف الجاني على صحة الرواية؟!

وثانياً: إنَّ آية القصاص التي استدلَّ بها صاحب كشف الجاني على تصحيح روایة البخاري ومسلم ليس فيها سمل الأعين، فما هو المبرر للنبي ﷺ أن يسمِّل عيونهم مع عدم ورود الترخيص به؟!

وثالثاً: إنَّ هناك روایات تصرَّح بأنَّ هذه الآية نازلة في الكُفَّار، والمفروض أنَّ هؤلاء مسلمين لا يجوز أن يطبق عليهم ما على الكفار.

ولأجل استبعاد هذا الفعل ذهب بعضهم إلى أنَّ هؤلاء ارتدوا وخرجوا عن الإسلام (فتح الباري ١٠: ١٧٥)، لكنَّ هذا أيضاً لا يدفع بشاعة الرواية؛ لأنَّ النبي ﷺ رحمة للعالمين فكيف يتصور صدور هذا الفعل منه حتى لو كان مع كفار مشركين !!

والدليل على ذلك ما جاء في ذيل الرواية نفسها التي أخرجها البخاري يقول: ”قال سلام: فبلغني أن الحجاج قال لأنس: حدثني بأشد عقوبة عاقبها النبي ﷺ، فحدثه بهذا، فبلغ الحسن فقال: وددت أنه لم يحدثه بهذا“^١.

ويُسمّ من الرواية رائحة الوضع لإرضاء الحجاج الثقفي الذي عاث في الأرض فساداً، وقتل من شيعة أهل البيت آلاف الأبرياء، ومثل بهم، فكان يقطع الأيدي والأرجل، ويسلام الأعين، ويخرج الألسن من القفا، ويصلب الأحياء حتى يحترقوا بالشمس، ومثل هذا الرواية تبرر أعماله، فهو إنما يقتدي برسول الله، ولكم في رسول الله أسوة حسنة!! فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

ولذلك تفتن معاوية في التكيل والتمثيل بال المسلمين الذين كانوا شيعة على، فكم أحرق بالنار، وكم دفن أحياء، وكم صلب على جذوع النخل، ومن الفنون التي ابتكرها وزيره عمرو بن العاص أنه مثل بمحمد بن أبي بكر، والبسه جلد حمار وقدف به في النار!! ولتبير مجنونهم وكثرة شغفهم بالجواري والنساء إليك ما يلي:

النبي ﷺ يحب الجماع

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد، ومن دار على نسائه في غسل واحد.

قال: حدثنا معاذ بن هشام، قال: حدثني أبي عن قتادة، قال: حدثنا أنس

^١ صحيح البخاري ١٣: كتاب الطب باب الدواء بالبان الأبل.

ابن مالك، قال: كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة، قال: قلت لأنس: أو كان يُطيقُه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوّةً ثلاثة...

إنها رواية موضوعة للنيل من عظمة الرسول ﷺ حتى يبرروا بـ بلاط الرشيد، وأفعال معاوية ويزيد الماجن! ومن أين لأنس بن مالك أن يعرف بأنّ رسول الله ﷺ كان يجامع إحدى عشرة زوجة في ساعة واحدة، فهل أعلم الرسول بذلك، أم أنه كان حاضرًا؟ ومن أين له أنه أعطي قوّةً ثلاثة؟.. أعود بالله من قول الزور^١.

^١ وذكر عثمان الخميس في كتابه كشف العجاني: أنّ الرسول ﷺ كان يطوف على نسائه بالحلال لا المتعة طعنةً منه بالشيعة؛ لأنّهم يحوّزون المتعة، وبما أنها حرام - حسب زعمه - فالشيعة إذن يحلّلون الحرام.

وهذا من جهله وعدم اطلاعه على الحكم الشرعي للمتعة، إذ تقدّم منا في كتاب "لأكون مع الصادقين" بيان حال المتعة، وأنّها حلال وتوفي رسول الله ﷺ والصحابة تفعّلها، وكذلك في زمن أبي بكر فعلتها الصحابة إلى أن جاء عمر ونهى عنها وعاقب على فعلها، ولأجل الاختصار ننقل هنا كلام بعض علماء أهل السنة - وأحدهم سلفي - يقررون بأنّ عمر هو المحرّم لها:

١- قال ابن القيم الجوزية في كتاب "زاد المعاد" ٤:٦٣: "فإن قيل: فما تصنعون بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله وأبي بكر حتى نهانا عنها عمر في شأن عمرو بن حرث، وفيما ثبت عن عمر أنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهى عنهما؛ متعة النساء، ومتعة الحج".

فهذا تلميذ ابن تيمية وحافظ مدرسته يصرّح بأنّ عمر هو المحرّم للمتعة، وأنّ ذلك مروي في الصحيح (صحيح مسلم).

٢- قال السيوطي في تاريخ الخلفاء ١٠٧: "فصل: في أوليات عمر" قال: قال العسكري: هو أول من سُمي أمير المؤمنين.. وأول من حرم المتعة..".

٣- وقال السرخسي في المبسوط ٤: ٢٧: "... قد صح أنّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - نهى الناس عن المتعة، فقال: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما؛ متعة النساء، ومتعة الحجّ".

وذكر صاحب كتاب كشف الجاني بأنّ هذه الرواية موجودة في كتب الشيعة - أيضاً - وهو غفلة منه وجهل فظيع، لأنّ الرواية أولاً ضعيفة السند عندنا، وهو واضح عند مراجعة سند الرواية بأدني تأمل؛ لأنّ فيها جهالة، بخلاف الرواية التي نقلها المؤلف فهي من صحيح مسلم.

وثانياً: إنّ الوارد في الرواية التي عندنا أنه كان يذهب إلى نسائه ويتفقدهن لا أنه يجامعهن كما صرّح الشهيد الثاني بذلك، بخلاف رواية مسلم فإنّه يصرّح بأنه كان يجامعهن.

وذكر صاحب كشف الجاني أيضاً رواية تقبيل النبي ﷺ لوجه فاطمة سلام الله عليها وقال: كيف يضع رسول الله ﷺ وجهه بين ثدييها؟ وهو كلام باطل وذلك:

أولاً: الرواية مرسلة كما هو واضح نقلها صاحب البخار ناسباً لها إلى الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ من دون ذكر سند، وهذا لا يخفى على من يدّعي دارسة علم الحديث.

ثانياً: إنه كان ينظر إلى فاطمة سلام الله عليها وفاطمة هي ابنته، فهل رفع عثمان الخميس الحسن الأبوى والعاطفة الأبوية عن النبي ﷺ، بحيث جعله أسوأ الآباء - والعياذ بالله - مصورةً للقارئ بأنّ رسول الله ﷺ شخص لا حياء له - والعياذ بالله - بحيث حتى النظر إلى ابنته نظر... إلخ.

وثالثاً: إن النظر إلى الوجه والتقبيل يلزム عادة أن تكون الابنة مواجهة لابيها بواجهة جسمها، فعليه تكون المسألة طبيعية ناشئة من خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان، لكن أتى لهؤلاء السلفية إدراك ذلك، وإدخاله في عقولهم !!

وهذا من آثار القصور الخاطئ لشخص النبي ﷺ في ذهن عثمان الخميس وأسلافه، إذ تصوّروا أنّ رسول الله ﷺ شخص جنسي لا هم له إلا ذلك، بحيث يركض وراء عائشة، ويغتسل معها، ويبلطم على عروسه، ويؤخّر الناس عن الصلاة لأجلها.. وغير ذلك من الروايات الخرافية التي دسّها اليهود والأمويّون.

وأمّا ما ذكره بشأن الرضيعة وأنّ الشيعة تجوز نكاحها، فهو افتراء وقدف للتهم على الغير، سيراً على منهج سلفه، وهذه كتب الشيعة قاطبة تصرّح بعدم جواز نكاح الرضيعة، وعثمان الخميس يكتب أشياء وهو لا يعرف معناها، وينقلها بصورة مشوهة.

وإذا رجعنا إلى كتب أهل السنة وجدنا أنّ علماءهم يجوزون نكاح الصبيّة، وإليك بعض كلماتهم:

١ - قال الإمام النووي: "يجوز وقف العبد والجحش والصغيرين والزمن الذي يرجى زوال زمانته، كما يجوز نكاح الرضيعة" روضة الطالبين ٥: ٣٤.

٢ - قال السرخيسي: "عرضية الوجود بكون العين متتفعاً بها تكفي لانعقاد العقد، كما لو تزوج رضيعة صحيحة النكاح باعتبار أنّ عرضية الوجود فيما هو المعقود عليه وهو ملك الحلّ يقام مقام الوجود" المبسوط ١٥: ١٠٩.

٣ - قال ابن قدامة: "فأمّا الصغيرة التي لا يوطأ مثلها، فظاهر كلام الخرقى تحريم قبلتها وبماشرتها لشهوتها قبل استبرائها، وهو ظاهر كلام أحمد، وفي أكثر الروايات عنه تستبرأ وإن كانت في المهد.

وروي عنه أنه قال: إن كانت صغيرة بأيّ شيء تستبرأ وإذا كانت رضيعة؟ وقال في رواية أخرى تستبرأ بحيسة إذا كانت ممّن تحيس، وإنّ ثلاثة أشهر إن كانت ممّن توطأ وتحبل.

إنّها جنایات بحقّ رسول الله ﷺ الذي قضى حياته جهاداً وعبادة،
وتدریساً وتعلیماً لأمّته.

وماذا يعتقد هؤلاء الجهلة عندما يررون مثل هذه الخزایات، وكأنّهم
وحسب عقلياتهم المنتجّسة بالشهوات البهيمية، أنّهم كانوا يفتخرون على
أترا بهم بكثرة الجماع وقوّة النكاح، وفي الحقيقة فهـى روايات وضعـت للنيل
من قدسيّة النبي ﷺ، وثانياً لتبرير مُجون الحـكام والخلفاء الذين امتلأـت
قصورهم بالجواري والنساء بلا حدود لأنـها ملك يمين !!

وماذا يقول أنس بن مالـك راوي هذا الحديث إذا ما عارضـته أم المؤمنـين
عائشـة زوجـ النبي ﷺ، والتي كانت تقول بأنـه ﷺ كغيرـه من الرجالـ في
شأنـ الجمـاع.

فقد أخرج مسلمـ في صحيحـه من كتابـ الطهارةـ في بـاب نسخـ الماءـ من
الماءـ ووجـوب الغسلـ بالـتقـاءـ الـختـانـينـ. عنـ أبيـ الزـبـيرـ، عنـ جـابرـ بنـ عـبدـ اللهـ،
عنـ أمـ كـلـشـومـ، عنـ عـائـشـةـ زـوـجـ النـبـيـ ﷺ قـالـتـ: إـنـ رـجـلاـ سـأـلـ رـسـولـ
الـلهـ ﷺ عـنـ الرـجـلـ يـجـامـعـ أـهـلـهـ ثـمـ يـكـسـلـ، هلـ عـلـيـهـمـاـ الغـسـلـ؟ـ وـعـائـشـةـ
جـالـسـةـ، فـقـالـ رـسـولـ اللهـ ﷺ: إـنـىـ لـأـفـعـلـ ذـلـكـ أـنـاـ وـهـذـهـ ثـمـ نـغـتـسـلـ.

ثـمـ يـضـيـفـ شـارـحـ الـحـدـيـثـ عـلـىـ هـامـشـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ قولـهـ "ثـمـ يـكـسـلـ"
معـناـهـ فـيـ الـمـصـبـاحـ: "أـكـسـلـ الـمـجـامـعـ بـالـأـلـفـ إـذـاـ نـزـعـ وـلـمـ يـنـزـلـ، ضـعـفـاـ كـانـ أـوـ
غـيـرـهـ"، فـأـيـنـ هـذـاـ مـنـ أـنـهـ أـعـطـيـ قـوـةـ ثـلـاثـيـنـ؟ـ

وـظـاهـرـ هـذـاـ أـنـهـ لـاـ يـجـبـ استـبـرـاؤـهـ وـلـاـ تـحرـمـ مـباـشـرـتهاـ، وـهـذـاـ اـخـتـبـارـ اـبـنـ أـبـيـ مـوسـىـ وـقـولـ
مالـكـ وـهـوـ الصـحـيـحـ؛ـ لـأـنـ سـبـبـ الإـبـاحـةـ مـتـحـقـقـ"ـ المـغـنـيـ ١٦٠/٩ـ

إـلـىـ غـيـرـ ذـلـكـ مـنـ الـكـلـمـاتـ الـكـثـيرـةـ الـتـيـ طـفـحـتـ بـهـاـ كـتـبـ أـهـلـ السـنـةـ، فـالـأـخـرـىـ بـعـثـمـانـ
الـخـمـيسـ وـغـيـرـهـ مـلـاحـظـةـ كـتـبـهـمـ قـبـلـ التـهـجـمـ عـلـىـ غـيـرـهـمـ.

وهذه الرواية هي الأخرى من وضع الوضاعين، قاتلهم الله وضاعف لهم العذاب الأليم، وإنما كيف يقبل عاقل مثل هذه الروايات عن صاحب الرسالة الذي ذهب عنه الحباء، فيقول للرجال بحضرته زوجته ما يستحب المؤمن العادي أن يقول مثله؟!!

ولتبرير الغناء والرقص الذي اشتهر في عهد الأمويين إليك ما يلي:

الرسول ﷺ يتفرّج على الرقص ويستمع للغناء
أخرج البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، باب ضرب الدف في
النكاح والوليمة، قال:

حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا خالد بن ذكوان، قال: قالت الريعة بنت معاذ بن عفراً: جاء النبي ﷺ فدخلَ حِينَ بُنْيَ علىَّ، فجلسَ علىَ فراشِي كمجلسك مني، فجعلتْ جُوَيْرَاتٌ لنا يضرِّين بالدَّفِّ، ويندبُن من قتلَ من آبائي يومَ بدرٍ، إذ قالتْ إِحْدَاهُنَّ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فقال: دَعَى هَذِهِ وَقْوَلِي بِالذِّي كُنْتَ تَقُولِينَ.

كما روى البخاري في صحيحه من كتاب الجهاد باب الدرق، وكذلك مسلم في صحيحه في كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه، عن عائشة قالت:

دخل على رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه، فدخل أبو بكر فانتهروني وقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: دعهما، فلمّا غفل غمز تهما فخرجا.

وقالت: كان يوم عيد يلعبُ السودان بالدّرق والحراب، فـإِمَّا سأّلت رسول الله ﷺ وإِمَّا قال: تشهيـن تنظرـين؟ فـقلـت: نـعـم، فأـقـامـني وراءـه خـدـي عـلـى خـدـه وـيـقـولـ: دـونـكـمـ ياـ بـنـيـ أـرـفـدـةـ، حـتـىـ إـذـاـ مـلـلـتـ قـالـ: حـسـبـكـ؟ قـلـتـ: نـعـمـ. قـالـ: اـذـهـبـيـ.

كـماـ أـخـرـجـ الـبـخـارـيـ فـيـ صـحـيـحـهـ فـيـ كـتـابـ النـكـاحـ، بـابـ نـظـرـ الـمـرـأـةـ إـلـىـ
الـجـبـشـ وـنـحـوـهـمـ مـنـ غـيـرـ رـيـبةـ:

قـالـتـ عـائـشـةـ: رـأـيـتـ النـبـيـ ﷺ يـسـتـرـنـيـ بـرـدـائـهـ، وـأـنـظـرـ إـلـىـ الـجـبـشـ
يـلـعـبـوـنـ فـيـ الـمـسـجـدـ، حـتـىـ أـكـوـنـ أـنـاـ الـذـيـ أـسـأـمـ فـاقـدـرـواـ قـدـرـ الـجـارـيـةـ الـحـدـيـثـةـ
الـسـنـ الـحـرـيـصـةـ عـلـىـ اللـهـوـ.

كـمـاـ روـيـ مـسـلـمـ فـيـ صـحـيـحـهـ كـتـابـ صـلـاتـ الـعـيـدـيـنـ، بـابـ الرـخـصـةـ فـيـ
الـلـعـبـ عـنـ عـائـشـةـ قـالـتـ: جـاءـ حـبـشـ يـزـفـنـوـنـ فـيـ يـوـمـ عـيـدـ (أـيـ يـرـقـصـوـنـ) فـيـ
الـمـسـجـدـ فـدـعـانـيـ النـبـيـ ﷺ، فـوـضـعـتـ رـأـسـيـ عـلـىـ منـكـيـهـ فـجـعـلـتـ أـنـظـرـ إـلـىـ
لـعـبـهـمـ، حـتـىـ كـنـتـ أـنـاـ التـيـ أـنـصـرـفـ عـنـ النـظـرـ إـلـيـهـمـ.

كـماـ أـخـرـجـ الـبـخـارـيـ فـيـ صـحـيـحـهـ فـيـ كـتـابـ النـكـاحـ، بـابـ ذـهـابـ النـسـاءـ
وـالـصـبـيـانـ إـلـىـ الـعـرـسـ:

عـنـ أـنـسـ بـنـ مـالـكـ قـالـ: أـبـصـرـ النـبـيـ ﷺ نـسـاءـً وـصـبـيـانـاً مـقـبـلـيـنـ مـنـ
عـرـسـ، فـقـامـ مـمـتـنـاً فـقـالـ: اللـهـمـ أـنـتـمـ مـنـ أـحـبـ النـاسـ إـلـىـ.

يـقـولـ شـارـحـ الـبـخـارـيـ: مـمـتـنـاً مـعـنـاهـ قـامـ مـسـرـعاًـ مـشـتـدـاًـ فـيـ ذـلـكـ فـرـحاًـ

بـهـمـ^١.

ولتبرير معاقة الخمر المسكرات إليك ما يلي:

النبي ﷺ يشرب النبيذ

روى البخاري في صحيحه كتاب النكاح، في باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس، وكذلك في باب النعيم والشراب الذي لا يسكن في العرس:

عن أبي حازم عن سهل، قال: لما عرّس أبوأسيد الساعدي دعا النبي ﷺ وأصحابه، فما صنع لهم طعاماً ولا قربه إليهم إلا امرأته أم أسيد، بلت تمرات في تور من حجارة من الليل، فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام أمامته له فسقته إياه تحفه بذلك.

ومما يدلّك على أنهم يقصدون بهذه الرواية أن النبي ﷺ شرب النبيذ، إذ لعل المراد هو غير النبيذ المعروف، وإنما هي عادة كانت لدى العرب وهي وضع تمرات في الماء لتذهب رائحة الماء، فهو ليس النبيذ الحقيقي، وبعضهم يرى صحة استعماله؛ فقد أخرج مسلم هذه الرواية في صحيحه من كتاب الأشربة باب إباحة النبيذ الذي لم يشدّ ولم يصر مُسّكراً، ومن هنا بدأ شرب النبيذ، وذهب الحكام إلى إباحة الخمر بدعة أنها حلال ما لم تسكر.

ولتبرير الإباحية التي كان عليها الأمويون والعباسيون إليك ما يلي:

النبي والابتدا!

روى البخاري في صحيحه في كتاب الحجّ، باب الزيارة يوم النحر، عن عائشة قالت: حججنا مع النبي ﷺ، فأفضينا يوم النحر فحافت صفية،

فَأَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا مَا يُرِيدُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا حَائِضٌ.

عَجَباً لِهَذَا النَّبِيِّ الَّذِي يَحْبُّ مِجَامِعَةَ زَوْجَةٍ عَلَى مَشْهَدِ وَعْلَمَ مِنْ زَوْجَتِهِ الْأُخْرَى، فَتَعْلَمُهُ بِأَنَّهَا حَائِضٌ، بَيْنَمَا لَا تَعْلَمُ الْمُعْنَى بِالْأَمْرِ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً؟!

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَحِي!

كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ الْفَضَائِلِ عَثَمَانَ بْنَ عَفَانَ قَالَ:

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَثَمَانَ، حَدَّثَاهُ أَنَّ أَبَا بَكْرَ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضطَبِّعٌ عَلَى فِرَاشِهِ لَابْسٌ مَرْطَ عَائِشَةَ، فَأَذْنَ لِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتِهِ ثُمَّ انْصَرَفَ.

قَالَ عَثَمَانَ: ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَمْرَ فَأَذْنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتِهِ ثُمَّ انْصَرَفَ، قَالَ عَثَمَانَ: ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ وَقَالَ لِعَائِشَةَ: يَا أَجْمَعِي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ، فَقَضَيْتُ إِلَيْهِ حَاجَتِي ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَيْ لَمْ أَرَكَ فَزَعَتْ لِأَبِي بَكْرٍ وَعَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَمَا فَزَعَتْ لِعَثَمَانَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ عَثَمَانَ رَجُلٌ حَيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذْنَتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ.

أَيْ نَبِيٌّ هَذَا الَّذِي يَسْتَقْبِلُ أَصْحَابَهُ وَهُوَ مُضطَبِّعٌ فِي مَرْطِ زَوْجَتِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، وَبِجَانِبِهِ زَوْجَتِهِ فِي لَبَاسٍ مُبْتَدِلٍ، حَتَّى إِذَا جَاءَ عَثَمَانَ جَلَسَ وَأَمْرَ زَوْجَتِهِ بِأَنْ تَجْمَعَ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا؟!!

البَّيْنَ الْمُتَّقِيَّ يَكْشِفُ عُورَتَهُ!

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، باب كراهيّة التعرّي في الصلاة، وكذلك أخرج مسلم في كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة: عن جابر بن عبد الله: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْقُلُ مَعْهُمُ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ، وَعَلَيْهِ إِزَارَةٌ، فَقَالَ لِهِ الْعَبَّاسُ عَمَّهُ: يَا بْنَ أَخِي، لَوْ حَلَّتْ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَهُ عَلَى مَنْكِبِكَ دُونَ الْحِجَارَةِ، قَالَ: فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبِهِ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ عَرِيَانًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أنظر أيها القارئ إلى الاتهامات المزورّة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جعل الحياة من دعائم الإيمان، والذي كان أشدّ حياءً من العذراء في خدرها!! ولم يكتفوا برواية الابتدا وكشف فخذيه أمام أصحابه، حتى اتهموه بكشف عورته بهذه الرواية الموضوعة، فهل كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندهم أبله إلى هذه الدرجة، فيسمّع إلى كلام عمّه ويكشف عن سوأته أمام الناس؟! استغفر الله العظيم من أقوال الشياطين الأبالسة الذين يتقولون على الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لم ير أزواجه وأقرب الناس إليه عورته، والذي يبيح الشرع له أن يكشف عورته لهن، ومع ذلك فإنّ أم المؤمنين عائشة تقول: "ما نظرتُ وما رأيتُ فرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قطّ" ١.

فإذا كان هذا فعله مع زوجاته اللاتي كنّ يغتسلن معه في إناء واحد،

^١ سنن ابن ماجه ١: ٢١٧ ح ٦٦٢، مسند أحمد ٦: ١٩، المصنف لابن أبي شيبة ١: ١٢٩.

فيستر عورته عنهن، وما رأينه عرياناً أبداً، فكيف مع أصحابه والناس

عامة؟!

نعم، كل ذلك من وضع خنافس الأمويين الذين كانوا لا يتورّعون عن أيّ شيء، وإذا كان الخليفة منهم - وهو أمير المؤمنين - يطربُ لقول شاعر من الشعراء الذي ينشده قصيدة في الغزل، فيقوم إليه ويكشف عورته ويقبل قضيبيه!! فلا غرابة بعدها أن يكشفوا عورة النبي، وقد تفشي من بينهم هذا المرض النفسي، وأصبح اليوم أمراً عادياً عند بعض المستهتررين الذين لا يقيمون وزناً للأخلاق والحياء، فأصبح هناك نوادي ومجاميع للعراة في كل مكان، يجمع النساء والرجال تحت شعار: (ربنا ها نحن كما خلقتنا). ولتبرير تلاعيبهم بالدين وبالأحكام الشرعية إليك ما يلي:

النبي ﷺ يسهو في صلاته

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب ما يجوز من ذكر الناس، وأخرج مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة، في باب السهو في الصلاة والسجود له:

عن أبي هريرة، قال: صلى بنا النبي ﷺ الظهر ركعتين، ثم سلم، ثم قام إلى خشبة في مقدم المسجد ووضع يده عليها، وفي القوم يومئذ أبو بكر وعمر فهاباه أن يكلمه، وخرج سرعان الناس فقالوا: فَصَرْتَ الصَّلَاةَ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو هَذَا الْيَدِينَ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنْسَيْتَ أَمْ قَصْرَتْ؟ فَقَالَ: لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تَقْصُرْ، قَالُوا: بَلْ نَسِيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: صَدِقَ ذُو الْيَدِينَ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَرَ فَسَجَدَ مثِلَ سَجْدَتِه أَوْ أَطْوَلَ،

ثم رفع رأسه وكبير، ثم وضع مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكبير.
 حاشا رسول الله أن يسهو في صلاته ولا يدرى كم صلى، وعندما يقال له بأنه قصر من الصلاة يقول: "لم أنس ولم تقصرا!! إنه الكذب لتبرير فعل خلفائهم الذين كانوا كثيراً ما يأتون إلى الصلاة وهم سكارى فلا يدرؤون كم يصلون، وقصة أميرهم الذي صلى بهم صلاة الصبح أربع ركعات، ثم التفت إليهم وقال: أزيدكم أو يكفيكم؟ مشهورة في كتب التاريخ^١.
 كما أخرج البخاري في صحيحه كتاب الأذان، في باب إذا قام الرجل عن يسار الإمام، قال عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: نمت عند ميمونة والنبي ﷺ عندها تلك الليلة، فتوضاً ثم قام يُصلِّي، فقمت عن يساره، فأخذني فجعلني عن يمينه، فصلَّى ثلث عشرة ركعة، ثم نام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ، ثم أتاه المؤذن فخرج فصلَّى ولم يتوضأ.

قال عمرو: فحدثت به بُكْرِيًّا، فقال: حدثني كُرَيْبٌ بذلك.

وبمثل هذه الروايات المكذوبة عن رسول الله ﷺ، يستخفُّ الأمراء والسلاطين من بنى أمية وبني العباس وغيرهم بالصلاوة وبالوضوء وبكل شيء، حتى أصبح المثل شائعاً عندنا "صلاة القياد في الجمعة والأعياد".

النبي ﷺ يحلف ويحث روى البخاري في صحيحه في كتاب المغازي قصة عمان والبحرين،

^١ السنن الكبرى للنسائي ٣: ٢٤٨ ح ٥٢٦٩، أسد الغابة ٥: ٩١، تهذيب الكمال للمزمي ٣١: ٥٧، سير أعلام النبلاء للذهبي ٣: ٤١٤، ٦: ٤١٤، وهو حديث صحيح.

باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن:

عن أبي قلابة عن زَهْدَم قال: لِمَا قَدِمَ أَبُو مُوسَى أَكْرَمُ هَذَا الْحَيَّ مِنْ جَرْمٍ، وَإِنَّا لَجَلُوسٌ عِنْدَهُ وَهُوَ يَتَغَدَّى دِجَاجًا فِي الْقَوْمِ رَجُلٌ جَالِسٌ، فَدَعَاهُ إِلَى الْغَدَاءِ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئًا فَقَدْرَتُهُ، فَقَالَ: هَلْمَ فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُهُ، فَقَالَ: إِنِّي حَلَفْتُ لَا آكُلُهُ.

فَقَالَ: هَلْمَ أَخْبَرْتُكَ عَنْ يَمِينِكَ، إِنَّا أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْرًا مِنَ الْأَشْعُرِيِّينَ، فَاسْتَحْمَلْنَاهُ فَأَبَيْتُ أَنْ يَحْمِلَنَا، فَاسْتَحْمَلْنَاهُ فَحَلَفْتُ أَنْ لَا يَحْمِلُنَا، ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُتَيَ بِنَهْبِ إِبْلٍ فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذُودٍ، فَلَمَّا قَبضَنَا هَا قَلَنَا: تَغْفَلْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينَهُ لَا نُفْلِحُ بَعْدَهَا أَبْدًا، فَأَتَيْتُهُ فَقَلَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَلَفْتُ أَنْ لَا تَحْمِلْنَا وَقَدْ حَمَلْنَا، قَالَ: أَجَلُ، وَلَكُنْ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا.

أَنْظُرْ إِلَى هَذَا النَّبِيِّ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ لِيَعْلَمَ النَّاسَ الْحَفَاظَ عَلَى الْأَيْمَانِ وَلَا يَنْقُضُوهَا إِلَّا بِكَفَّارَةٍ، وَلَكِنْهُ هُوَ يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ وَلَا يَأْتِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكُنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَفَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَيَّامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^١، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدهَا﴾^٢، وَلَكِنْ هُؤُلَاءِ لَمْ يَتَرَكُوا الرَّسُولَ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضْلًا وَلَا فِضْلَةً.

^١ المائدة: ٨٩

^٢ النحل: ٩١

اعتقدت عائشة أربعين رقبة لتكفر عن يمينها

وأين رسول الله ﷺ من زوجته عائشة التي كفرت عن يمين نقضته
بتحرير أربعين رقبة، فهل هي أبر وأتقى الله من رسول الله؟

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأدب بباب الهجرة، وقول رسول

الله ﷺ : لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث:

إن عائشة حدثت أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته
عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها، فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا:

نعم! قالت: هو والله على نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً، فاستشفع ابن الزبير
إليها حين طالت الهجرة، فقالت: لا والله لا أشفع فيه أبداً ولا أتحنث إلى

نذري، فلما طال ذلك على ابن الزبير كلام المسور بن مخرمة وعبد الرحمن
بن الأسود بن عبد يغوث، وهما من بنى زهرة، وقال لهم: أنسد كمبا بالله لمما

أدخلتماني على عائشة، فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي، فأقبل به المسور
وعبد الرحمن مشتملين بأرديةهما حتى استأذنا على عائشة، فقالا: السلام

عليك ورحمة الله وبركاته أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا. قالوا: كلنا؟ قالت:

نعم ادخلوا كلّكم ولا تعلم أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا، دخل ابن الزبير
الحجاب، فاعتنق عائشة وطفق يناسدُها ويبكي، وطفق المسور وعبد الرحمن

يناسدانها إلا ما كلامته وقبلت منه، ويقولان: إن النبي ﷺ نهى عمما
قد علمت من الهجرة، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال،

فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحرير طفت تذكرةهما وتبكي
وتقول: إني ندرت والنذر شديد، فلم يزال بها حتى كلامت ابن الزبير،

وأعتقدت في نذرها ذلك أربعين رقبةً، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبلّ دموعها حماراً.

ورغم أنّ قسم عائشة لا يجوز؛ لأنّ النبي ﷺ حرم أن يهجر المسلم أخاه أكثر من ثلاثة أيام، ولكنّها أبّت إلا أن تكفر عن يمينها بتحرير أربعين رقبة، وهذا أيضاً يدلّنا دلالة أخرى من أنها كانت دولة بمفردها، وإلاّ كيف تملك عائشة أربعين رقبة أو ثمنها فليس ذلك بالشيء اليسير، ولم يسجل التاريخ أنَّ رسول الله ﷺ أعتقد هذا العدد الهائل طيلة حياته!! إنّهم لم يتركوا سيئة أو نعية إلا وألصقوها به، كل ذلك ليبررُوا أفعال أمرائهم، قاتلهم الله أنّي يؤفكون.

ولتبرير استهتارهم بالأحكام الشرعية إليك ما يلي:

النبي ﷺ يتنازل في أحكام الله حسبما يريد
أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الصوم باب اغتسال الصائم،
وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب الصيام باب تغليظ تحريم الجماع في
نهار رمضان على الصائم، ووجوب الكفارة الكبرى فيه، وأنّها تجب على
الموسر والمعسر:

عن أبي هريرة قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل
قال: يا رسول الله هلكت! قال: "مالك"? قال: وقعت على امرأتي وأنا
صائم. قال رسول الله ﷺ: "هل تجد رقبة تعتقها"? قال: لا. قال: "فهل
 تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين"? قال: لا. قال: "فهل تجد إطعام ستين
مسكيناً"? قال: لا.

قال: فمكث عند النبي ﷺ، في بينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر، والعرق المكتل قال: "أين السائل؟" فقال: أنا، قال: "خذه فتصدق به"، فقال الرجل: أعلى أفق من يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها (يريد الحرّتين) أهل بيته أفق من أهل بيته، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيناته، ثم قال: "أطعمه أهلك".

أنظر كيف تصبح أحكام الله وحدود الله التي رسمها لعباده، من تحرير رقبة على الموسرين، والذين لا يقدرون على تحرير رقبة بما عليهم إلا إطعام ستين مسكيناً، وإذا تعذر وكان فقيراً بما عليه إلا بالصوم، وهو كفارة الفقراء الذين لا يجدون أموالاً كافية لتحرير أو لإطعام المساكين، ولكن هذه الرواية تتعذر حدود الله التي رسمها لعباده، ويكتفى أن يقول هذا الجانى الكلمة يضحك لها الرسول حتى تبدو أنيناته، فيتساهم في حكم الله، ويبكي له أن يأخذ الصدقة لأهل بيته!!

وهل هناك أكبر من هذه الغرية على الله ورسوله ﷺ، فيصبح الجناني مُجازاً على ذنبه الذي تعمده بدلاً من العقوبة؟!، وهل هناك تشجيعاً أكبر من هذا لأهل المعااصي والفسقة، الذين سيتشبّثون بمثل هذه الروايات المكذوبة ويرقصون لها؟!

وبمثل هذه الروايات أصبح دين الله وأحكامه لعباً وهزوةً، وأصبح الزانى يفتخر بارتكابه الفاحشة، ويُتغنى باسم الزانى في الأعراس والمحافل، كما أصبح المفطر في شهر الصيام يتحدى الصائمين؟! كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنت ناسياً:

عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهمَا قال: قال رجلٌ للنبي ﷺ : زرتُ قبلَ أَنْ أَرمِي (أي طفتَ باليتْ طوافَ الزيارة؟)؟ قال النبي ﷺ : "لا حرجٌ"، قال آخر: حَلَقْتُ قبلَ أَنْ أَذْبَحَ؟ قال: "لا حرجٌ"، قال آخر: ذَبَحْتُ قبلَ أَنْ أَرْمِي؟ قال: "لا حرجٌ".

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ النَّحرِ إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: كُنْتُ أَحْسَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَذَّا وَكَذَّا قَبْلَ كَذَّا وَكَذَّا، ثُمَّ قَامَ آخَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتُ أَحْسَبُ كَذَّا وَكَذَّا لِهُؤُلَاءِ الْثَّلَاثَةِ (الْحَلْقُ وَالنَّحرُ وَالرَّمْيُ؟)؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "افْعُلْ وَلَا حرجٌ لَهُنَّ كُلُّهُنَّ يَوْمَئِذٍ" ، فَمَا سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا قَالَ افْعُلْ افْعُلْ وَلَا حرجٌ .
والغريب أنك عندما تقرأ هذه الروايات مستنكراً لها يجابهك بعض المعاندين بأن دين الله يسر و ليس عسراً، وأن الرسول ﷺ قال: "يسروا ولا تعسروا" ^١.

وإنها كلمة حق يراد بها باطل، لأنَّه ليس هناك شَكًّا في أَنَّ اللَّهَ يَرِيدُ بِنَا الْيُسْرَ وَلَا يَرِيدُ بِنَا الْعُسْرَ، وَمَا جَعَلَ عَلَيْنَا فِي الدِّينِ مِنْ حرجٍ، وَلَكِنْ فِيمَا سَطَرَهُ وَرَسَمَهُ لَنَا مِنْ أَحْكَامٍ وَحَدْدَوْدَ عَنْ طَرِيقِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنْنَةِ النَّبُوَيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَأَعْطَانَا الرَّخْصَ الْالَّازِمَةَ عَنْدَ اقْتِضَاءِ الْحَالِ، كَالْتَّيْمَمُ عَنْدَ فَقْدَانِ الْمَاءِ، أَوِ الْخُوفِ مِنِ الْمَاءِ الْبَارِدِ، وَكَالصَّلَاةِ جَالِسًا عَنْدَ اقْتِضَاءِ، وَكَالْإِفْطَارِ وَتَقْصِيرِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ.

^١ صحيح البخاري ١: ٢٥ كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، صحيح مسلم ١٤١ كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتسير وترك التغير.

كلّ هذا صحيح، ولكن أن نخالف أوامره سبحانه بأنّ نجعل مثلاً ترتيب الوضوء أو التيممّ كما نريد، فنغسل اليدين قبل الوجه مثلاً، أو نمسح الرجلين قبل الرأس، فهذا لا يجوز.

ولكن الوضاعين أرادوا أن يتنازل رسول الله ﷺ عن كلّ شيء ليجدوا منفذاً، وكما يقول كثير من الناس اليوم عندما تجادلهم في الأمور الفقهية: لا عليك يا أخي، المهم صلّ فقط، صلّ كما يحلو لك!

والغريب أنّ البخاري نفسه يخرج في نفس الصفحة التي بها قول الرسول "افعل افعل ولا حرج"، واقعةً يظهرُ فيها النبي متشدّداً إلى أبعد الحدود، قال عن أبي هريرة: إنّ رجلاً دخل المسجد يصلي ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد، ف جاء فسلم عليه فقال له: "ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ"، فرجع فصلّ ثم سلم فقال: "وعليك، ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ".

وكرر الرجل الصلاة ثلاثة مرات، وفي كلّ مرة يقول له الرسول "ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ"، فقال الرجل للرسول: علّمني يا رسول الله، فعلمه الاطمئنان في الركوع، والاطمئنان في السجود، قال: "ثمّ اركع حتى تطمئن راكعاً، ثمّ ارفع رأسك حتى تعتدل قائماً، ثمّ اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثمّ ارفع حتى تستوي وتطمئن جالساً، ثمّ اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثمّ ارفع حتى تستوي قائماً، ثمّ افعل ذلك في صلاتك كلها^١.

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب قول الله عز

^١ صحيح البخاري ٧: ١٣٢ كتاب الإيمان والنذور، باب حثّ ناسياً.

وَجْلٌ ﴿فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ .

عن عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقرائته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلبيته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأ؟ قال: اقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئها، فقال: "أَرْسَلْهُ، إِقْرَأْ يَا هَشَامَ"، فقرأ القراءة التي سمعته، فقال رسول الله ﷺ: "كَذَلِكَ أُنْزِلْتُ" ، ثم قال رسول الله ﷺ: "اقرأ يا عمر" ، فقرأاتُ التي أقراني فقال: "كَذَلِكَ أُنْزِلْتُ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَاقْرُؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ".

فهل يبق بعد هذه الرواية شك في أن الوضاعين تطاولوا على قداسة الرسول ﷺ حتى من خلال القرآن الكريم، وأنه علم الصحابة بقراءات مختلفة، ويقول لكل منهم: "كذلك أُنزل" ، ولو لم تكن القراءة فيها اختلاف كبير ما كان عمر يكاد يقطع على هشام الصلاة ويتهدّده.

وهذا يذكرني بعلماء أهل السنة الذين يتسبّبون بقراءة معينة، فلا يجوزون لأحد أن يقرأ على غير ما يعرفون، وكنت يوماً أقرأ: ﴿إِذْ كُرُوا نَعْمَتِي أَتَيَّ﴾^١ فانتهري أحدهم بشدة وصرخ قائلاً: لا تكسر القرآن إن كنت تجهل القراءة.

^١ البقرة: ٤٠

قلت: كيف كسرت القرآن؟

قال: اذْكُرُوا نِعْمَتِي، وَلَيْسَ نِعْمَتِي.

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الاستقراس وأداء الدين، في باب الخصومات من جزئه الثالث صفحة: ٨٨

عن عبد الملك بن ميسرة أخبرني قال: سمعت النزال، سمعت عبد الله يقول: سمعت رجلا قرأ آية سمعت من النبي ﷺ خلافها، فأخذت بيده فأتيت به رسول الله ﷺ، فقال: "كلاً كُما محسن".

قال شعبة أظنه قال: لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهم كُوا. سبحان الله وبحمده! كيف يُقْرِرُ رسول الله ﷺ اختلافهم بقوله: "كلاً كُما محسن"؟ ولا يرجع بهم إلى قراءة موحّدة تقطع دابر الاختلاف.

ثم بعد ذلك يقول لهم: لا تختلفوا فهم كُوا، أليس هذا هو التناقض؟ يا عباد الله افتونا يرحمكم الله، وهل اختلفوا إلّا بإقراره هو ومبركته وتشجيعه!! كلاً وحاش رسول الله ﷺ من هذا التناقض، والاختلاف الذي تنفر منه العقول.

أفلا يتدبّرون القرآن الذي يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^١؟ وهل وقع اختلاف أكبر وأخطر على الأمة الإسلامية من القراءات المتعددة التي غيرت معانى القرآن إلى تفاسير وآراء مختلفة، فأصبحت آية الوضوء الواضحة مختلفاً فيها؟!

النبي ﷺ يتصرّف كالصبيان! ويعاقب من لا يستحق العقوبة!

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، باب كراهة التداوي باللّدود:

عن عائشة قالت: لدّنَا^١ رسول الله ﷺ في مرضه، فجعلَ يشيرُ إلينا أن لا تلدّوني، فقلنا: كراهيّة المريض للدّواء، فلمّا أفاقَ قال: ألم أنهكمْ أَنْ تُلْدُونِي؟ قلنا: كراهيّة المريض للدّواء، فقال: لا يُبْقَى أَحَدٌ في الْبَيْتِ إِلَّا دُوَّنَتْ عَيْنُهُ، إِلَّا عَبَاسٌ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهُدْ كُمْ.

عجب أمر هذا النبي المفترى عليه، الذي جعله المفترون كالصّبي الذي يغرّروه الدّواء المرّ الذي لا يقبله، فيشير إليهم أن لا يلدوه، ولكنّهم يغضبونه على ذلك رغم أنفه!

ولما يفيق يقول لهم: "ألم أنهكمْ أَنْ تُلْدُونِي؟" فيعتذرون له بأنّهم ظنّوا بأن النهي هو كراهيّة المريض للدّواء، فيحكم عليهم جميعاً بأن يُلْدُوا، وهو ينظر ليشفى غليه منهم، ولا يستثنى منهم إلا عمه العباس؛ لأنّه لم يكن حاضراً عمليّة اللّدود.

ولم تكمل السيدة عائشة نهاية القصة، وهل نفّذ النبي ﷺ حكمه فيهم أم لا، وعلى طريق من وكيف تمّت عملية اللّدود بين النساء والرجال الحاضرين.

^١ يقول ابن منظور في لسان العرب ٣٩٠ عن هذه العملية: "اللهُ هو أَنْ يُؤْخَذُ بِلِسَانِ الصّبّي فِيمَدُ إِلَى أَحَدِ شَقَّيْهِ وَيُوجَرُ فِي الْآخِرِ الدّوَاءُ فِي الصَّدْفِ بَيْنَ الْلِسَانِ وَالشَّدْقِ" (المؤلف).

النبي ﷺ يسقط بعض آيات من القرآن!

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب نسيانُ^١ القرآن، وكذلك في باب من لا يرى أبداً أن يقول سورة كذا وكذا. وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب صلاة المسافرين وقصرها، في باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول: نسيت آية كذا:

حدثنا أبوأسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل، فقال: "يرحمه الله لقد أذكروني آية كذا وكذا كنتُ أنسيتها من سورة كذا وكذا".

كما أخرج البخاري رواية أخرى عن علي بن مسهر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع النبي ﷺ قارئاً يقرأ في الليل في المسجد، فقال: "يرحمه الله لقد أذكروني كذا وكذا آيةً أسقطتها من سورة كذا وكذا".

ها هو النبي الذي أرسله الله سبحانه بالقرآن، وهو معجزته الخالدة، والذي كان يحفظه من يوم نزوله عليه جملة قبل نزوله أنجماً، وقد قال له تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لَتَعْجَلَ بِهِ﴾^١، وقال أيضاً: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذَرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُّبِينٌ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾^٢.

ولكن الكاذبين والدجالين والوضاعين يأبون إلا أن يلصقوا به كلّ

^١ القيمة: ١٦.

^٢ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٦.

الأباطيل، وكل السفاسف والمخاريق التي لا يقبلها عقل ولا ذوقٌ سليم، ومن حق المسلمين الباحثين أن ينزعوا رسم رسول الله ﷺ عن أمثال هذه الروايات المزيفة التي ملأت كتب الأحاديث، وخصوصاً منها المعدودة من الصّحاح.

فحن لم نخرج إلا من كتاب البخاري ومسلم، اللذين هما عند أهل السنة أصح الكتب بعد كتاب الله، وإذا كان هذا شأن الصّحاح بخصوص الطعن بقداسة الرسول ﷺ وعصمته، فلا تسأل عن باقي الكتب الأخرى. كل ذلك من وضع أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ الذين تزلّفوا إلى حكم بنى أمية في عهد معاوية وما بعده، حتى ملأوا المطامير بالأحاديث المكذوبة، والتي يريدون من خلالها الطعن على صاحب الرسالة ﷺ؛ لأنهم لم يؤمنوا بكل ما جاء به من عند الله.

هذا من جهة أخرى ليبررّوا أفعال أسيادهم البشعة والشنيعة التي سجّلها تاريخ المسلمين، وقد كشفهم رسول الله ﷺ من بداية البعثة، وحدّر منهم وطردهم من المدينة ولعنهم.

فقد أخرج الطبرى في تاريخه، قال: رأى النبي ﷺ أبا سفيان مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به، ويزيد ابنه يسوق به، فقال: لعن الله القائد والراكب والسائق^١.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق أبي بربة الإسلامي، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فسمع رجلين يتغنىان وأحدهما يجib الآخر

^١ تاريخ الطبرى ٨: ١٨٥.

وهو يقول:

لَا يزال حواري تلوح عظامه
زوى الحرب عنه أَنْ يجنّ فِي قِبْرٍ
فقال النبي ﷺ: أُنظروا من هم؟ فقالوا: فلان وفلان، فقال النبي ﷺ:
اللَّهُمَّ ارْكِسْهُمَا رَكْسًا، وَدَعْهُمَا إِلَى النَّارِ دَعَّاً^١.

وعن أبي ذر الغفاري قال لمعاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول وقد مررت به: "اللَّهُمَّ أَعْنِهِ وَلَا تُشَبِّعْهُ إِلَّا بِالْتَّرَابِ"^٢.

وقد قال الإمام علي عليه السلام في كتاب بعث به لأهل العراق:
"والله لو لقيتهم فرداً وهم ملء الأرض ما باليت ولا استوحشت، وإنّي
من ضلالتهم التي هم فيها، والهدى الذي نحن عليه، لعلى ثقة وبيّنة ويقين
وبصيرة، وإنّي إلى لقاء ربّي لمشتاق، ولحسن ثوابه لمتظر، ولكنّ أسفًا
يعترني، وحزناً يخامرني أنّ يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجّارها،
فيتّخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، والصالحين حرباً، والقاسطين
حزباً"^٣.

وبما أنّ رسول الله ﷺ قد لعنهم - كما مرّ عليك - ولم يجدوا لتلك
الأحاديث دسّاً؛ لأنّ جل الصحابة كانوا يعرفونها، فوضعوا في مقابلها
أحاديث أخرى تقلب الحقّ باطلاً، وتجعل من رسول الله ﷺ شخصاً

^١ مسنّ الإمام أحمد ٤٤٢١ وللم يسمّ الرجلين والسند حسن، وعن ابن عباس في المعجم الكبير ١١: ٣٢ وقد ذكر اسم الرجلين فيكون متابعاً لرواية مسنّ أحمد.

^٢ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٢٥٨.

^٣ الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٧٩.

عادِيًّاً تعترِيَه الحمَيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ، وَيَأْخُذُهُ الغَضَبُ إِلَى أَبْعَدِ الْحَدُودِ، فَيُسَبِّ
وَيُلْعَنُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُ ذَلِكَ، وَدَفَاعًاً عَلَى أَسِيادِهِمُ الْمَلَائِكَةِ فَقَدْ وَضَعُوا هَذَا
الْحَدِيثَ.

أَخْرَجَ البَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الدُّعَوَاتِ، بَابِ قَوْلِ
النَّبِيِّ ﷺ: مِنْ آذِيَّتِهِ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الْبَرِّ وَالصَّلَةِ وَالآدَابِ، بَابِ مِنْ لَعْنَهِ
النَّبِيِّ ﷺ أَوْ سَبِّهِ أَوْ دُعَا عَلَيْهِ وَلَيْسَ هُوَ أَهْلًا لِذَلِكَ كَانَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا
وَرَحْمَةً:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا، فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لَا
أَدْرِي مَا هُوَ، فَأَغْضَبَاهُ فَلَعْنُهُمَا وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَاهُ قَلَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا
أَصَابَ أَحَدًا مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَا، قَالَ: "وَمَا ذَاكَ؟" قَالَتْ: قَلَتْ:
لَعْنَهُمَا وَسَبَبَتْهُمَا، قَالَ: "أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي، قَلَتْ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا
أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعْنَتُهُ أَوْ سَبَبَتْهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًاً.

وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخَذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنِ
تُخْلِفُنِيهِ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذِيَّتُهُ؛ شَتَمْتُهُ، لَعَنْتُهُ، جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ
صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تَقْرِبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ^١.

وَبِمِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمُوْضِوَّةِ يَصْبُحُ النَّبِيُّ يَغْضَبُ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَيُسَبِّ
وَيُشَتَّمُ، بَلْ وَيُلْعَنُ وَيُجَلَّدُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُ ذَلِكَ!! أَيْ نَبِيٌّ هَذَا الَّذِي يَعْتَرِيَهُ
الشَّيْطَانُ فَيَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ الْمَعْقُولِ، وَهُلْ يَسْمَحُ أَيْ رَجُلٌ دِينَ عَادِيَ أَنْ

^١ صَحِيحُ مُسْلِمٍ ٢٥: كِتَابُ الْبَرِّ وَالصَّلَةِ وَالآدَابِ، بَابُ مِنْ لَعْنَهِ النَّبِيِّ ﷺ.

يفعل ذلك؟ أم هل لا يُستحب منه ذلك؟!

وبمثل هذه الأحاديث يصبح حكّام بنى أميّة الذين لعنهم رسول الله ﷺ ودعا عليهم، وجلد البعض منهم لارتكابهم الفاحشة، وافتضحوا أئمّة الناس عامة؛ يصيّرون مظلومين بل يصيّرون مُذكّرين ومرحومين ومقرّبين إلى الله. وهذه الأحاديث الموضوّعة تكشف عن نفسها بنفسها وتفضح الوضاعين، فلم يكن رسول الله ﷺ سبّاً ولا لعاناً، ولا فاحشاً ولا متفحشاً، حاشاه.. حاشاه، كبرت الكلمة تخرج من أفواههم أن غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً أليماً.

وتكتفي رواية واحدة أخرى جها البخاري ومسلم عن عائشة نفسها لدحض هذه المزاعم الكاذبة.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً:

عن عائشة قالت: إن يهوداً أتوا النبي ﷺ فقالوا: السّام عليكم، فقالت عائشة: فقلت: عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، قال النبي ﷺ: "مهلا يا عائشة، عليك بالرّفق، وإياك والعنف والفحش" ، قلت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: "أو لم تسمعي ما قلت؟ ردت عليهم قي استجابةً لـ فـ يـ هـ يـ سـ تـ جـ اـ بـ لـ هـ مـ فـ ئـ ئـ".

كما أخرج مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والأدب بأئمّة رسول الله ﷺ نهى أن يكون المسلم لعاناً، ونهاهم حتى عن لعن الحيوان والدّواب، وقيل له: يا رسول الله ادع على المشركيّن، فقال: "إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة".

وهذا هو الذي يتماشى معخلق العظيم، والقلب الرحيم الذي اختصّ به رسول الله ﷺ، فلم يكن يلعنُ ويسبّ ويجلد من لا يستحقّ، إنما إذا غضب فإنه يغضب لله، وإذا لعن فإنه يلعن من يستحقّ اللعن، وإذا جلد فإنما يجلد لإقامة حدود الله، لأن يجلد الأبرياء الذين لم تقم عليهم البينة أو الشهود أو الاعتراف.

ولكن هؤلاء غاضبهم وأحرق قلوبهم أن تتفشّى الروايات التي فيها لعن معاوية وبني أميّة، فاختلقوا هذه الروايات للتتمويه على الناس، وليرفعوا مكانة معاوية الوضيعة، ولذلك تجد مسلم في صحيحه بعد إخراج هذه الروايات التي تجعل من لعن الرسول لمعاوية زكاة ورحمة وقربة من الله، يخرج حديث عن ابن عباس قال: كنت ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف باب، قال: فجاء فحطأني حطأً وقال: "اذهب وادع لي معاوية"، قال: فجئت فقلت: هو يأكلُ، قال: ثم قال لي: "اذهب فادع لي معاوية"، قال: فجئت فقلت: هو يأكلُ، فقال: "لا أشبع الله بطنه" ^١.

ونجد في كتب التاريخ بأن الإمام النسائي بعدما كتب كتاب الخصائص التي اختصّ بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، دخل الشام فاعتبرضه أهل الشام، وقالوا له: لماذا لم تذكر فضائل معاوية؟ فقال لهم: لا أعرف له فضيلة إلا "لا أشبع الله بطنه"، فضربوه على مذاكيره حتى استشهد ^٢. والمؤرخون يذكرون بأن دعوة النبي ﷺ نفذت، فكان معاوية يأكل ويأكل

^١ صحيح مسلم ٨: ٢٧ كتاب البر والصلة والأدب، باب من لعنه النبي ﷺ.

^٢ البداية والنهاية ١١: ١٤ حوادث سنة ٣٠٣، باختلاف.

حتى يتعب من الأكل ولا يشعر.

وفي الحقيقة لم أكن أعرف هذه الروايات التي تجعل اللعنة رحمة وقربة من الله إلى أن عرّفني عليها أحد المشايخ في تونس، وهو موصوف بالعلم والمعرفة، وكنا في مجمع نتجاذب أطراف الحديث حتى جاء ذكر معاوية بن أبي سفيان، وكان الشيخ يتحدث عنه بكل إعجاب، ويقول: هو داهية مشهور بالذكاء وحسن التدبر.

وأخذ يتكلّم عنه وعن سياساته وانتصاره على سيدنا على كرم الله وجهه في الحرب، وصبرت عليه بمضض، ولكنّه ذهب شوطاً بعيداً في إطراء معاوية والثناء عليه، حتى عيل صبري وقلت له: بأنّ رسول الله ﷺ ما كان يحبّه، وقد دعا عليه ولعنه.

فاستغرب الحاضرون، ومنهم من غضب من قولى، ولكنّ الشيخ بكل هدوء ردّ على يصدقني، مما زاد دهشة الحاضرين وقالوا له: نحن لم نفهم شيئاً! من ناحية أنت تمدحه وتترتضى عنه، ومن ناحية أخرى توافق على أنّ النبيّ لعنه؟ فكيف يصحُّ هذا؟ وتساءلتُ أنا معهم: كيف يصحُّ ذلك؟ وأجابنا الشيخ بجواب بدا غريباً وصعب القبول قال: إنّ الذي يلعنه رسول الله أو يسبّه فهي له زكاة ورحمة وقربة عند الله سبحانه، وتساءل الجميع في دهشة: وكيف ذلك؟ قال: لأنّ رسول الله ﷺ قال: "أنا بشر كسائر البشر، وقد سألت الله أن يجعل دعائي ولعنتي رحمة وزكاة"، ثم أضاف قائلاً: وحتى الذي يقتله رسول الله ﷺ فهو من دنياه إلى الجنة مباشرةً.

واختلت بالشيخ فيما بعد، وسألته عن مصدر الحديث الذي ذكره،

فأحالني على صحيح البخاري وصحيح مسلم، واطلعت على تلك الأحاديث، ولم تزدني إلا يقيناً بالمؤامرة التي دبرها الأمويون لتفعيل الحقائق، ولستر فضائحهم من جهة، ولضرب عصمة الرسول ﷺ من جهة أخرى.

ووُجِدَتْ بعدها روايات كثيرة ترمي إلى نفس الهدف، وحتى يطمئن المتأمرون فقد اختلقوا أكثر من ذلك على لسان رب العالمين، فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى يريدون أن

يبدّلوا كلام الله:

عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: "قال رجلٌ لم يعملْ خيراً قطُّ، فإذا ماتَ فحرّقوه وأذروا نصفه في البرّ ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعدّبْه عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين، فأمرَ الله البحرَ فجمع ما فيه، وأمرَ البرَّ فَجَمَعَ ما فيه، ثمّ قال: لم فعلت؟ قال: من خشيتَ وأنتَ أعلم! فغفرَ له".

وعنه أيضاً في نفس الصفحة، قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ قال: "إنّ عبداً أصاب ذنباً، وربّما قال أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبت ذنباً، وربّما قال: أصبت فاغفر".

فقال ربي: أعلم عبدي أنّ له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتْ لعبدي، ثمّ مكتَ ما شاء الله، ثمّ أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدي أنّ له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتْ لعبدي، ثمّ مكتَ ما شاء الله، ثمّ أذنب ذنباً وربّما قال أصاب ذنباً، فقال: رب أصبت أو قال: أذنبت آخر فاغفر لى، فقال: أعلم عبدي أنّ له ربّاً يغفر

الذنبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي - ثَلَاثًا - فَلِيَعْمَلْ مَا شَاءَ".
 أَيْ رَبٌّ هَذَا يَا عِبَادَ اللَّهِ؟! وَرَغْمَ أَنَّ الْعَبْدَ عَلِمَ مِنَ الْوَهْلَةِ الْأُولَى بِأَنَّ لَهُ
 رِبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، غَيْرَ أَنَّ رَبَّهُ بَقِيَ جَاهِلًا بِهَذِهِ الْحَقْيَقَةِ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَتَسَاءَلُ
 أَعْلَمُ عَبْدِي بِأَنَّ لَهُ رِبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ؟!
 أَيْ رَبٌّ هَذَا الَّذِي مِنْ كَثْرَةِ الذَّنْبِ الْمُتَكَرِّرَةِ، وَكَثْرَةِ الْمَغْفِرَةِ الْمُتَكَرِّرَةِ،
 فَقَدْ كُلَّ وَمَلَّ وَقَالَ لِعَبْدِهِ: اعْمَلْ مَا شَئْتَ "وَرِيَحْنَ اللَّهُ يَخْلِيكَ" !!
 وَ﴿كَبَرَتْ كَلْمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذَبًا﴾ * فَلَعْلَكَ بَاخْعُ نَفْسَكَ
 عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثَ أَسْفًا﴾^١ .
 نَعَمْ، لَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعُثْمَانَ: "اعْمَلْ مَا شَئْتَ فَلِنْ
 يَضْرِكَ مَا فَعَلْتَ بَعْدَ الْيَوْمِ" ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا جَهَّزَ عُثْمَانَ جَيْشَ الْعَسْرَةِ حَسْبَمَا
 يَقُولُونَ! إِنَّهَا صَكُوكُ الْغَفْرَانِ الَّتِي يُقْبَضُهَا رَهْبَانُ الْكَنِيسَةِ مُقَابِلَ دُخُولِ
 الْجَنَّةِ !!

فَلِيَسْ مِنَ الْغَرِيبِ إِذَا أَنْ يَفْعُلَ عُثْمَانَ تَلْكَ الْأَعْمَالَ الشَّنِيعَةَ الَّتِي سَبَبَتْ
 الثُّورَةَ عَلَيْهِ، وَقْتَهُ وَدْفَنَهُ فِي غَيْرِ مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، بِغَيْرِ تَغْسِيلٍ وَلَا تَكْفِينَ.
 ﴿تَلْكَ أَمَانِيَّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُتْمُ صَادِقِينَ﴾^٢ .

النَّبِيُّ ﷺ يَتَنَاقَصُ فِي حَدِيثِهِ
 أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الْفَتْنَ، بَابِ إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمُانَ
 بِسَيِّفِيهِمَا، مِنْ جُزْءِهِ الثَّامِنِ صَفَحَةٌ: ٩٢

^١ الكهف: ٥.

^٢ البقرة: ١١١.

عن عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا حماد، عن رجل لم يسمّه، عن الحسن قال: خرجت بسلامي ليالي الفتنة، فاستقبلني أبو بكرة فقال: أين تريدين؟ قلت: أريد نصرة ابن عم رسول الله ﷺ! فقال: قال رسول الله ﷺ: إذا التقى المسلم بسيفيهما فكلاهما من أهل النار، قيل: فهذا القاتل بما المقتول؟ قال: إنه أراد قتل صاحبه.

قال حماد بن زيد: فذكرت هذا الحديث لأبيوب ويونس بن عبيد، وأنا أريده أن يحذّرني به، فقالا: إنما روى هذا الحديث الحسن عن الأحنف بن قيس عن أبي بكرة.

كما أخرج مسلم في صحيحه من كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمين بسيفيهما، حديث أبي بكرة عن الأحنف بن قيس، قال: ذهب لأنصار هذا الرجل، فلقيني أبو بكرة، فقال: أين تريده؟ قلت: أنصر هذا الرجل قال: ارجع فإني سمعت رسول الله يقول: إذا التقى المسلم بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قلت: يا رسول الله! هذا القاتل، بما المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه^١.

ومن خلال هذه الأحاديث الموضوعة، يفهم القارئ بوضوح الأسباب التي دعت لوضعه، ويتجلى أبو بكرة بعداوته إلى ابن عم المصطفى، وكيف عمل على خدلان أمير المؤمنين، ولم يكتف بذلك حتى أخذ يثبط عزائم الصحابة الذين أرادوا نصرة الحق ضد الباطل، فيختلف لهم مثل هذا الحديث

^١ أخرج هذا الحديث أيضاً البخاري في كتاب الإيمان بباب قوله تعالى: (وَإِن طَائِفَتَانِ...)
(المؤلف).

الذي لا تقبله العقول، ولا يقرّه القرآن الكريم، ولا الصحيح من السنة النبوية،
فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَقَاتُلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^١. أمرٌ
صريح في قتال البغاء والظالمين، ولذلك تلاحظ أن شارح البخاري نفسه
كتب على هامش الحديث هذه العبارة: "انظر هل في هذا الحديث حجّة
على مقاتلة البغاء مع قول الله تعالى فقاتلوا التي تبغى" وإذا تعارض الحديث
مع كتاب الله فهو مكذوب، ولি�ضرب به عرض الجدار.

أَمَّا السُّنَّةُ النَّبُوَّيَّةُ الصَّحِيحَةُ فَقَوْلُهُ ﷺ فِي عَلَيْهِ السَّلَامُ: "مَنْ كَنْتُ مَوْلَاهُ
فَعَلَيْهِ مَوْلَاهٌ، اللَّهُمَّ وَالَّذِي وَالَّذِي وَالَّذِي وَالَّذِي وَالَّذِي وَالَّذِي
خَذَلَهُ وَأَدْرَى الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ"^٢، فموالاة علي هي موالاة لرسول
الله ﷺ، ونصرة أمير المؤمنين واجبة على كل مسلم، وخذلانه هو خذلان
للحق، ونصرة للباطل.

ثمّ لو تأملتَ في حديث البخاري لوجدتَ هناك في سلسلة الرواية واحداً

^١ الحجرات: ٩.

^٢ الملل والنحل للشهرستاني ١: ١٦٣، السيرة الحلبية ٣: ٣٨٤، وفي ملحقات إحقاق الحق ٦:
٢٩٢ عن العقد الفريد واسعاف الراغبين.
وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ٤٠٤: وعن عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن بشير
قالوا: سمعنا علياً يقول: "نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم لما قام"
فقام ثلاثة عشر رجلاً، فشهدوا أنّ رسول الله ﷺ قال: "أليست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟"
قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بيده علي فقال: "من كنت مولاً له فهذا مولاً، اللهم وال من
والاه وعاد من عاده، وأحب من أحبه، وبغض من يبغضه، وانصر من نصره وخذل من خذله"
رواوه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة".

مجهولاً لم يذكروا اسمه، إذ يقول: حدثنا حماد عن رجل لم يسمّه، وهذه تدلّ دلالة جلية بأن هذا المجهول هو من المنافقين الذين يبغضون علياً، ويحاولون جهدهم طمس فضائله، أو بالأحرى القضاء عليه وعلى ذكره ما استطاعوا لذلك سبيلاً.

وقد قال سعد بن أبي وقاص الذي امتنع هو الآخر عن نصرة الحق^٢:
أئتوني بسيف يقول هذا على حقٍ وهذا على باطل لأقاتل به!! وبمثل هذا التمويه يلبس الحق بالباطل، وتضيع السبيل الواضحة لتحل محلّها الظلمات!
على أننا نجد في كتب السنة المعتمدة أنَّ رسول الله ﷺ بشّر الكثير من أصحابه بالجنة، وخصوصاً العشرة الذين اشتهروا بين المسلمين بأنهم المبشرين بالجنة.

فقد أخرج أحمد، والترمذى، وأبو داود: أنَّ النبِي ﷺ قال: "أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة".^١

وقد صحّ عن النبِي ﷺ قوله: "ابشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة".^٢

^١ مسند أحمد ١: ١٩٣، سنن الترمذى ٥: ٣١١ ح ٣٨٣٠، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٥٦

ح ٨١٩٤

^٢ المستدرك للحاكم ٣: ٣٨٩ وصحّحه، المعجم الأوسط ٢: ١٤١

وقوله: "اشتاقت الجنة إلى أربع: على، وعمّار، وسلمان والمقداد".^١

وقد روى مسلم في صحيحه أن عبد الله بن سلام بشره رسول الله بالجنة.^٢ وصح عنه قوله: "الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة"^٣ وكذلك صح عنه أن جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة في الجنة^٤ وأن فاطمة الزهراء سيدة النساء في الجنة^٥، وأن أمّها خديجة بشرها جبرئيل بيت من قصب في الجنة^٦، وصح عنه قوله: "صهيب سابق الروم إلى الجنة، وبلال سابق الحبشة إلى الجنة، وسلمان سابق الفرس إلى الجنة"^٧. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تختص أحاديث البشارات بالجنة إلا على هؤلاء العشرة، فلا تجد مجتمع ولا مجلس إذا ما تحدثوا عن الجنة إلا وجاءوا بذكر العشرة المبشرین بالجنة؟!!

ونحن لا نحسد هم على ذلك، ولا نضيق رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء، ولكن نقول فقط بأن هذه الأحاديث تتناقض وتتعارض مع

^١ المعجم الكبير للطبراني ٦: ٢١٥، تاريخ دمشق ٦٠: ١٧٦، وفي المستدرك للحاكم ٣: ١٣٧ ذكر ثلاثة "علي وعمّار وسلمان" وصححه.

^٢ صحيح مسلم ٧: ١٦٠ فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن سلام.

^٣ مسنـد أـحمد ٣: ٦٢، سنـن ابن ماجـة ١: ٤٤، المستدرـك ٣: ١٦٧ وقـال: "هـذا حـديث قد صـح من أـوجه كـثيرة، وأـنا أـتعـجب أـنـهما لم يـخـرـجـاه".

^٤ المعجم الكبير ٢: ١٠٧، مجمع الزوائد ٩: ٢٧٣ وحسنه.

^٥ صحيح البخاري ٤: ٢٠٩ كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب فاطمة.

^٦ صحيح البخاري ٢: ٢٠٣ كتاب العمرة، باب متى يحل المعتمر، صحيح مسلم ٧: ١٣٣ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين.

^٧ المعجم الكبير ٨: ١١١، مجمع الزوائد ٩: ٣٠٠ وحسنه.

حديث: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" لأنّا لو صدّقنا به لتبيّن حديث البشارة بالجنة، إذ أنّ معظم هؤلاء تحاربوا وتقاتلوا وقتل بعضهم بعضاً، فطلحة والزبير قُتلا في حرب الجمل التي قادتها أم المؤمنين عائشة ضد الإمام علي بن أبي طالب، وسلّت سيفهم بل وتسبيّبوا في قتل الآلاف من المسلمين.

كما أنّ عمّار بن ياسر قُتل في حرب صفين التي أشعل نارها معاوية بن أبي سفيان، وكان عمّار متواجداً بسيفه مع علي بن أبي طالب، فقتلته الفئة الbaghiah، كما نصّ على ذلك رسول الله ﷺ، كما أنّ سيد الشهداء سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين، تواجد بسيفه هو وأهل بيته المصطفى ﷺ مقابل جيش يزيد بن معاوية، وقد قتلواهم كلّهم ولم ينجُ منهم إلا على بن الحسين.

فعلى رأي هؤلاء الكذابين، فإنّ كلّ هؤلاء في النار القاتلين والمقتولين؛ لأنّهم التقوا بسيوفهم.

و واضح أنّ الحديث لا يمكن أن تصح نسبته إلى من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، وهو كما قدّمنا يصطدم مع المنطق والعقل، ويناقض كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والسؤال الذي يطرح هنا: كيف يغفل البخاري ومسلم عن مثل هذه الأكاذيب، ولا يتبهرون لها؟ أمّ أنّ لهما في أمثال هذه الأحاديث مذهب وعقيدة؟

التناقض في الفضائل

ومن الأحاديث المتناقضة التي تجدها في الصحيح، هو تفضيل رسول الله ﷺ على كلّ الأنبياء والمرسلين، وأحاديث أخرى ترفع من شأن

موسى درجة أعلى من درجته.

وأعتقد بأن اليهود الذين أسلموا في عهد عمر وعثمان، أمثال: كعب الأحبار، وتميم الداري، و وهب بن منبه، هم الذين وضعوا تلك الأحاديث على لسان بعض الصحابة الذين كانوا معجبين بهم، أمثال أبي هريرة، وأنس بن مالك وغيرهم.

فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:

﴿وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ :

عن أنس بن مالك حكاية طويلة تحكي إسراء النبي ﷺ، ثم عروجه إلى السماوات السبع، ثم إلى سدرة المنتهى، وقصة فرض الصلوات الخمسين التي فرض على محمد وأمه، وبفضل موسى رُدت إلى خمس، عملية وما فيها من الكذب الصريح، والكفر الشنيع من أن الجبار رب العزة دنا فتدلى حتى كان من النبي قاب قوسين أو أدنى، وغيرها من التخريف، ولكن ما يهمنا في هذه الرواية هو أن محمدًا لما استفتح السماوات السابعة، وكان فيها موسى، وأن الله رفعه في السابعة بتفضيل كلام الله، فقال موسى: رب لم أظن أن يُرفع على أحدٍ^١.

وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول

الله ﷺ.

وأخرج البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة

^١ صحيح البخاري ٨: ٢٠٤، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُنَادُّوا)..

صلوات الله عليهم قصة أخرى تشبه الأولى، وتحكى الإسراء والمعراج، ولكن تقول بأنّ موسى كان في السماء السادسة، وإبراهيم في السابعة، والذي يهمّنا منها هو هذا المقطع.

قال رسول الله ﷺ : "فأتينا على السماء السادسة، قيل: من هذا؟ قيل: جبرئيل، قيل: من معك؟ قال محمد ﷺ ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء.

فأتيت على موسى فسلّمتُ عليه، فقال: مرحباً بكَ من أخ ونبيٍّ، فلما جاوزتْ بَكَى، فقيل: ما أبْكاكَ؟ فقال: يا ربُّ هذا الغلامُ الذي بعثَ بعدي يدخلُ الجنةَ من أُمّته أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمّتِي".

كما أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها: عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : "أنا سيد الناس يوم القيمة، وهل تدرؤون ممّ ذلك؛ يجمع النّاسُ الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي، وينفذُهم البصرُ، وتدنو الشمسُ فيبلغُ الناسَ من الغمّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقولُ النّاسُ: ألا ترونَ ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم.

فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفح فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربكم، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربّي غضباليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّه نهاني عن الشجرة فَحَصَّيْتُه،

نفسى، نفسى، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.
وتمضى الرواية وهي طويلة جدًا - ونحن دائمًا نريد الاختصار - إلى أن
يطوف الناس على نوح، ثم على إبراهيم، ثم على موسى، ثم على عيسى،
وكلهم يقول: نفسى، نفسى، ويدرك خطيبه أو ذنبه، عدا عيسى لم
يذكر ذنباً، ولكنّه قال: نفسى! نفسى! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى
محمد.

قال رسول الله ﷺ: فِي أَتْوَنِي، فَأَنْطَلَقَ فَآتَى تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْبَمْ ساجداً
لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىَّ مِنْ مَحَمَّدٍ وَحَسْنِ النَّشَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ
يَفْتَحْهُ عَلَىَّ أَحَدٍ قَبْلِيَّ، ثُمَّ يَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفِعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، وَاسْفَعْ
ثُشْفَهُ.

فَأَرْفَعْ رَأْسَيَّ، فَأَقُولُ: أُمْتَى يَا رَبَّ أُمْتَى يَارَبٌ، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ
مِنْ أُمْتَكَ مِنْ لَا حِسَابٍ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ
شَرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سُوِيَ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ يَقَالُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ إِنَّ مَا
بَيْنَ الْمُصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحُمَّيرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ
وَبُصْرَىٰ.

وفي هذه الأحاديث يقول رسول الله ﷺ: بَأْنَهُ سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ!
ويقول بأنّ موسى قال: يَا رَبَّ مَا كُنْتُ أَظْنَ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ، ويقول بأنّ
موسى بكى وقال: يَا رَبَّ هَذَا الْغَلامُ الَّذِي بُعْثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمْتَهِ
أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمْتَى.

ونفهم من خلال هذه الأحاديث بأنّ كلّ الأنبياء والمرسلين من آدم حتى

عيسي مرسوراً بنوح وإبراهيم وموسى (عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأذكى التسليم) لن يشفعوا عند الله يوم القيمة، وخص الله بها محمداً صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحن نؤمن بكل ذلك، ونقول بفضيله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سائر البشر، ولكن الإسرائيليين وأعوانهم منبني أمية لم يتحمّلوا هذا الفضل والفضيلة لمحمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى اختلقو روايات تقول بفضيل موسى عليه.

وقد مرّنا في خلال أبحاث سابقة قول موسى لمحمد ليلة الإسراء والمعراج، ولما فرض الله عليه خمسين صلاة، قال له موسى: أنا أعلم بالناس منك.

وهذا لم يكف، فاختلقو روايات أخرى تقول بفضيله (أي موسى على محمد) على لسان محمد نفسه، فإليك بعض هذه الروايات:
أخرج البخاري في صحيحه من كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (وما تشاوون إلا أن يشاء الله):

عن أبي هريرة قال: استبَرَ رجُلٌ من المسلمين ورجُلٌ من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين في قسم يُقسم به، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده عند ذلك فلطّم اليهودي.

فذهب اليهودي إلى رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تخِرونني على موسى، فإن الناس يصعبون يوم القيمة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدرى أكان فيما صَعَقَ فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله.

وفي رواية أخرى للبخاري قال: جاءَ رجُلٌ مِّن الْيَهُودِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ لُطِمَ وَجْهُهُ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رِجْلًا مِّن أَصْحَابِكَ مِن الْأَنْصَارِ لُطِمَ فِي وَجْهِي، قَالَ: "أَدْعُوكَ فَدْعُوكَ" قَالَ: "لَمْ لُطِمْتَ وَجْهَكَ؟" قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مَرَرْتُ بِالْيَهُودِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَقُلْتُ: وَعَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَخْذَتْنِي غَضْبَةُ فَلَطَمْتُهُ.

قال: "لَا تُخِيرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفْتَحُ، إِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذُ بِقَائِمَةَ مِنْ قَوَافِلِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُزِيَّ بِصَعْقَةِ الطُّورِ" .^١

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن، سورة يوسف عليه الصلاة والسلام، باب قوله (فلما جاءه الرسول):

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَرْحَمُ اللَّهُ لَوْطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رَكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْلَيْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجْبَتُ الدَّاعِيَ، وَنَحْنُ أَحَقُّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لَهُ: أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ: بَلِي، وَلَكِنْ لِي طَمَئْنَانٌ قَلْبِي. وَلَمْ يَكْفِهِمْ كُلُّ ذَلِكَ حَتَّى جَعَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَاكِنِينَ حَتَّى فِي مَصِيرِهِ عَنْ رَبِّهِ، فَلَا الشُّفَاعَةُ، وَلَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، وَلَا تَفْضِيلُهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَرْسِلِينَ، وَلَا تَبْشِيرُ بِالْجَنَّةِ لِأَصْحَابِهِ؛ إِذَا كَانَ هُوَ نَفْسُهُ لَا يَعْرِفُ مَصِيرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِقْرَأْ معي هذه الرواية التي أخرجها البخاري، وأعجب أو لا تعجب:

أخرج البخاري في صحيحه باب في الجنائز من كتاب الكسوف من

^١ صحيح البخاري ٥: ١٩٦، ٨: ٤٨.

جزئه الثاني الصفحة ٧١:

عن خارجة بن زيد بن ثابت، أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ امْرَأَةً مِّنَ الْأَنْصَارِ بَأَيَّتْ
النَّبِيَّ ﷺ، أَخْبَرْتُهُ أَنَّهُ اقْتَسَمَ الْمَهَاجِرُونَ قَرْعَةً، فَطَارَ لَنَا عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونَ
فَأَنْزَلَنَا فِي أَبِيَاتِنَا، فَوَجَعَ وَجْهُ الدُّرْدُورِ تَوْفِيقًا فِيهِ، فَلَمَّا تَوْفِيَ وَغُسِّلَ وَكُفَّنَ
فِي أَثْوَابِهِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ،
فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "وَمَا يَدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ؟" فَقَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ، فَمَنْ يَكْرُمُ اللَّهَ، فَقَالَ ﷺ: "أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ
الْخَيْرَ، وَاللَّهُ مَا أُدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي". قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَا أَزَّكِي أَحَدًا
بَعْدَهُ أَبْدًا.

إِنَّ هَذَا لِشَيْءٍ عَجَابٌ وَاللَّهُ! فَإِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ بِاللَّهِ أَنَّهُ لَا
يَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِهِ، فَمَاذَا يَبْقَى بَعْدَ هَذَا؟!

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ سَبَحَانَهُ يَقُولُ: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾^١ وَإِذَا كَانَ
اللَّهُ يَقُولُ لَنَبِيِّهِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأْخَرَ وَيَتَمَّ نَعْمَلَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا
عَزِيزًا﴾^٢.

وَإِذَا كَانَ دُخُولُ الْجَنَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ مُوْقَوْفًا عَلَى اتِّبَاعِهِ وَإِطْاعَتِهِ وَالتَّصْدِيقِ
بِهِ، فَكَيْفَ نَصْدِقُ هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي لَا أَقْبَحُ مِنْهُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَقِيَّةِ بَنِي

^١ القيامة: ١٤.

^٢ الفتح: ١ - ٣.

أُمِيَّةُ الَّذِينَ مَا كَانُوا يُؤْمِنُونَ يَوْمًا بِأَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَإِنَّمَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّهُ مَلِكٌ، تَغلِبُ عَلَى النَّاسِ بِذَكَائِهِ وَدَهَائِهِ، وَهَذَا مَا صرَّحَ بِهِ أَبُو سَفِيَّانَ وَمَعاوِيَةَ وَيَزِيدَ، وَغَيْرُهُم مِّنْ خَلْفَائِهِمْ وَحَكَامِهِمْ.

النَّبِيُّ ﷺ يَتَناَقَصُ مَعَ الْعِلْمِ وَالْطَّبِّ

إِنَّ الْعِلْمَ يَثْبُتُ بِمَا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ هَنَاكَ بَعْضُ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَنْقُلُ بِالْعَدُوِّيِّ، وَهَذَا مَا يَعْرُفُهُ أَغْلُبُ النَّاسِ حَتَّى غَيْرُ الْمُتَقْفِينَ، أَمَّا طَلَبُ الْعِلُومِ الَّذِينَ يَدْرُسُونَ عِلْمَ الطَّبِّ فِي الْجَامِعَاتِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا مَا قِيلَ لَهُمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْكِرُ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ سَيَسْخُرُونَ وَيَجِدُونَ مَنْفَدًا لِلْطَّعْنِ عَلَى نَبِيِّ الْإِسْلَامِ، خَصْوَصًا مِّنْهُمْ الْأَسَاتِذَةُ الْعَلَمَانِيُّونَ الَّذِينَ يَبحَثُونَ عَنْ ثُغُرَاتٍ مُّثَلَّةٍ.

وَمَعَ الْأَسْفِ الشَّدِيدِ إِنَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَخْرَجَهَا الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمُ تَوْكِيدٍ عَلَى عَدُوِّيِّ الْعِلْمِ، وَفِيهَا أَيْضًا مَا يُؤْكِدُ أَنَّ هَنَاكَ عَدُوِّيُّ، وَنَحْنُ إِذْ نَسْجُّلُ هَذِهِ التَّنَاقُضَاتِ تَحْتَ عَنْوَانِ النَّبِيِّ يَتَناَقَصُ، لَا نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ ﷺ تَنَاقَصَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي أَقْوَالِهِ أَوْ فِي أَفْعَالِهِ، وَلَكِنْ جَرِيًّا عَلَى الْعَادَةِ، لِجَلْبِ مُهِاجَةِ الْقَارِئِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ إِلَى الْأَحَادِيثِ الَّتِي وَضَعَتْ كَذِبًا وَبَهْتَانًا عَلَى صَاحِبِ الرِّسَالَةِ الْمَعْصُومِ، وَيَعْرُفُ قَصْدُنَا مِنْ تَخْرِيجِ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ لِتَنْزِيهِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِعْطَائِهِ مَكَانَتَهُ الْعَلَمَيَّةِ الَّتِي سَبَقَتْ كُلَّ الْعِلُومِ الْحَدِيثِيَّةِ.

فَلِيَسْ هَنَاكَ نَظَرِيَّةٌ عَلَمِيَّةٌ صَحِيحَةٌ تَتَعَارَضُ مَعَ حَدِيثَ نَبُوَّيْ صَحِيحٍ، وَإِذَا مَا تَعَارَضَتْ أَوْ تَنَاقَضَتْ عَرَفْنَا بِأَنَّ الْحَدِيثَ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ ﷺ، هَذَا مِنْ نَاحِيَّةِ .

ومن ناحية أخرى فإن الحديث نفسه قد يعارضه الحديث آخر يتماشى مع النظرية العلمية، فيجب قبول الثاني وطرح الأول كما لا يخفى. ومثال على ذلك أسوق حديث العدوى لأنه مهم في البحث، ويعطينا صورة حقيقة على تناقض الصحابة والرواة والوضاعين، لا على تناقض صاحب الرسالة عليه السلام، فذلك لا يمكن أبداً.

فالبخاري في صحيحه يذكر الحديشين، وأنا أقتصر عليه لأنه أصح الكتب عند أهل السنة، لثلا يذهب المتأولون عدّة مذاهب، فيقول قائل بأنّه قد يثبت عند البخاري حدثاً، ويثبت عكسه عند غيره من المحدثين، ويلاحظ القارئ بأنني في هذا الباب اقتصرت على البخاري وحده، في تناقض الأحاديث.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الطب، في باب لا هامة: عن أبي هريرة قال: قال النبي صلوات الله عليه وسلم: "لا عدوى ولا صَفَرَ ولا هامة"، فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيخالطها البعير الأجرب فيجربُها؟ فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: " فمن أعدى الأول"؟

انظر إلى هذا الأعرابي كيف يهتدى بفطرته إلى طبيعة الأمراض المعدية، من خلال البعير الأجرب الذي يجرب كل الإبل إذا خالطها، بينما لا يجد الرسول جواباً على سؤال الأعرابي يقنعه به، فيقول: " فمن أعدى الأول"؟ ويصبح هو الذي يسأل.

وهذا أيضاً يذكّري بالطبيب الذي سأل الأمم التي جاءت بولدها المصاص

بالحصبة: هل عندكم في البيت أو في الجيران من هو مصاب بهذا الداء؟
فقالت الأم: كلاً، فقال الطيب لعله التقطها من المدرسة؟ فأجابت الأم على
الغور: كلاً إنما لم يدخل بعد إلى المدرسة، فعمره أقل من خمس سنين، فقال:
ففي الروضة إذن، قالت: لا إنه لا يذهب للروضة. فقال الطيب: لعلك ذهبت
به إلى زيارة بعض أقاربك، أو زاركم بعض الأقارب الذي يحمل الجرثومة،
فأجابت بالنفي! وعند ذلك قال لها الطيب: جاءت إليه الجرثومة في الهواء.
نعم، فالهواء يحمل الجراثيم والأمراض المعدية، وقد يصيب قرية كاملة
أو مدينة بأكملها، ولذلك وجد التلقيح والوقاية لما قد تحمله الرياح من
أمراض فتاكه كالوباء والطاعون وغير ذلك، فكيف يخفى كل ذلك على من
لا ينطق عن الهوى؟ إنه رسول رب العالمين الذي لا يعزب عن علمه شيء،
إنه لا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.
ولذلك نحن نرفض هذا الحديث ولا نقبله أبداً، ونقبل الحديث الثاني
الذين أخرجه البخاري نفسه، وفي نفس الصفحة ونفس الباب، وفي نفس
الحديث إذ يقول: وعن أبي سلمة سمع أبا هريرة بعد يقول: قال النبي ﷺ:
لا يوردن مُمرض على مُصحٍ، وأنكر أبو هريرة حديثه الأول، قلنا: ألم
تحدث أنه لا عدوى، فرطن بالحبسية، قال أبو سلمة: مما رأيته نسي حديثاً
غيره.

مع أنَّ الحديدين المتناقضين "لا عدوى"، "ولا يوردن مُمرض على
مُصحٍ" رواهما أيضاً مسلم في صحيحه في كتاب السلام، باب لا عدوى ولا
طيرة، ولا هامة ولا صفر، ولا نوء ولا غول، ولا يوردن مُمرض على مُصحٍ.

ومن خلال هذه الأحاديث نعلم أنّ حديث: "لا يوردن ممرض على مصح" هو الحديث الصحيح الذي قاله رسول الله ﷺ؛ لأنّه لا يتناقض مع العلم، وأمّا حديث "لا عدوٍ فهو مكذوب عليه؛ لأنّه حديث جاهل بالحقائق الطبيعية، ولذلك فهم بعض الصحابة تناقض الحديثين، فعارضوا أبا هريرة واستغربوا منه حديثه الأول، ولم يجد أبو هريرة مخرجاً من هذه الورطة فرطن بالحشيشة، يقول شارح البخاري: تكلّم غضباً بما لا يُفهم! ^١. وممّا يزيدنا تأكيداً بأنّ رسول الله ﷺ كان أسبق مما أثبته العلم حديثاً في خصوص الأمراض المعدية، إنّه كان يحذر المسلمين من الطاعون ومن الجدام ومن الوباء وغير ذلك.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، وكذلك مسلم في صحيحه كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة وغيرها:

عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: "الطاعون رجس أرسل على طائفة من بنى إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلاناً تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه" وفي رواية لا يخرجكم إلا فراراً منه.

وقد صحّ عنه ﷺ قوله في هذا المعنى: "فرّ من المجدوم كما تفرّ من الأسد" ^٢، وقوله: "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء" ^٣، وقوله: "إذا

^١ عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ٤٢٨: ٢١.

^٢ صحيح البخاري ٧: ١٧ كتاب الطب، باب الجدام.

^٣ صحيح البخاري ١: ٤٧ كتاب الوضوء، باب النهي عن الاستنجاء باليمين.

ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرات، وعفروه الثامنة في التراب".^١

كل ذلك ليعلم أمته النظافة وأسباب الصحة والوقاية، لأن يقول لهم: "إذا سقط الذباب في شراب أحدكم فليغمسه" وهذا سبق الحديث عنه فليراجع.

على أننا نجد التناقض ظاهراً حتى فيما يختص بالهامة التي كان يتشاءم العرب بها، وهي الطائر المعروف من طير الليل، وقيل هي البومة وهو تفسير مالك بن أنس، فإذا كان النبي ﷺ يقول: "لا هامة"، فكيف يتناقض ويتعدّد منها؟!

فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق، باب يزفون النسلان في المشي من جزئه الرابع صفحة ١١٩:

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوذ بالحسن والحسين، ويقول: "إن أبا كما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق، أعود بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة".

نعم، أردنا في هذا الفصل أن نذكر بعض الأمثلة من الأحاديث المتناقضة التي تُنسب إلى رسول الله ﷺ وهو منها بريء.

وهناك مئات الأحاديث الأخرى المتناقضة التي أخر جها البخاري ومسلم في صحيحهما، وقد ضربنا عليها صفحات لما عوّدنا القارئ دائماً بالاختصار والإشارة، وعلى الباحثين أن يكتبوا على دراسة ذلك عسى أن يُطّهر الله بهم سنة رسول الله ﷺ، ويشبههم الأجر العظيم، ويكونوا سبباً في

^١ صحيح مسلم : ١٦٢ كتاب الطهارة، باب حكم ولغ الكلب.

تنقية الحق من الأباطيل، ويُقدّموا إلى الرجل الجديد أبحاثاً قيّمة تكون في مستوى رسالة الإسلام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْوُلُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^١.

^١ الأحزاب: ٦٩ - ٧١

الفصل الثامن

في ما يتعلّق بالصّحّيحين البخاري ومسلم

لما لهذين الكتابين من أهمّية بالغة لدى أهل السنة والجماعة، حتّى أصبحا عند عامة المسلمين المرجعين الأساسيين، والمصدرين الأولين في كلّ المباحث الدينية، وأصبح من العسير على بعض الباحثين أن يصرّحوا بما يجدوه من تهافت وتناقض ومنكرات، فيتقبلونها على مضض ولا يكاففون بها قومهم خشيةً منهم أو خشيتهم عليهم، لما في نفوسهم من احترام وتقديس لهذين الكتابين، والحقيقة أنّ البخاري ومسلم ما كان يوماً يحلمان بما سيصل إليه شأنهما عند علماء النّاس وعامتهم.

ونحن إذا قدمنا على نقدّهما، وتحريج بعض المطاعن عليهم، ليس ذلك إلا لتنزيه نبِيَّنا ﷺ وعدم الخدش في عصمته، وإذا كان بعض الصحابة لم يسلّم من هذا النقد والتجرّح للغرض نفسه، فما البخاري ومسلم بأفضل من أولئك المقربين لصاحب الرسالة.

وما دُمنا نهدف إلى تنزيه النّبى العربي ﷺ، ونحاول جهداً إثبات العصمة له، وأنّه أعلم وأتقى البشر على الإطلاق، ونعتقد أن الله سبحانه وتعالى اصطفاه ليكون رحمة للعالمين، وأرسله للناس كافة من الإنس والجنّ، فلا شكّ أنّ الله يطالعنا بتتنزيهه وتقديسه وعدم قبول المطاعن فيه،

ولذلك نحن وكل المسلمين مطالبون بطرح كلّ ما يتعارض والخلق العظيم الذي اختصّ به، وطرح كلّ ما يتعارض مع عصمته، أو ما يمسّ شخصه الكريم من قريب أو بعيد.

فالصحابة والتّابعين، والأئمّة والمحدثّين، وكلّ المسلمين، وحتى النّاس أجمعين مدینون لفضله ومزيّته، فالمتّقدون والمعارضون والمتّعصبون سوف تثور ثائرتهم كالعادة على كلّ ما هو جديد عليهم، ولكن رضى الله سبحانه هو الغاية ورضي رسوله ﷺ هو الأمل، وهو الذُّخر والكنز والرّصيد، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلّا من أتى الله بقلب سليم.

ولنا مع كل ذلك رضى وتعزية المؤمنين الصادقين الذين عرفوا قدر الله وقدر رسوله ﷺ، قبل أن يعرفوا قدر الحكّام والخلفاء والسلاطين. أذكر أنّي لقيت معارضه شديدة حتّى أتهمت بالكفر والخروج عن الدين، عندما انتقدت البخاري في تحريره حديث لطم موسى لملك الموت وفقأ عينه، وقيل لي: من أنت حتّى تنتقد البخاري؟ وأشاروا حولي ضجّة وضوضاء، وكأنّي انتقدت آية من كتاب الله.

والحال أنّ الباحث إذا ما تحرّر من قيود التقليد الأعمى والتعصّب المقيّت، سوف يجد في البخاري ومسلم أشياء عجيبة وغريبة، تعكس بالضبط عقلية العربي البدوي الذي ما زال فكره جاماً يؤمن ببعض الخرافات والأساطير، ويميل فكره إلى كلّ ما هو غريب، وليس هذا بعيّب ولا نتهّم بالتلخّف الذهني، فليس عصره البدائي هو عصر الأقمار الصناعية، ولا التلفزيون والهاتف والصاروخ.

وإنما لا نريد أن يلصق ذلك بصاحب الرسالة ﷺ؛ لأن الفرق كبير والبون شاسع، فهو الذي بعثه الله في الأميين يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وبما أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد علمه الله علم الأولين والآخرين.

كما نلفتُ القارئ الكريم بأنّ ليس كُلّ ما في البخاري هو منسوب إلى رسول الله ﷺ، فقد يخرج البخاري حديثاً للنبي ﷺ، ثم يعقب عليه بآراء بعض الصحابة، فيصبح القارئ يعتقد بأنّ ذلك الرأي أو الحديث هو لرسول الله في حين أنه ليس له، أضرابُ لذلك مثلاً:

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الحيل، باب في النكاح من جزء الثامن صفحة ٦٢ قال:

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "لا تنكح البكر حتى تستأذن، ولا الثيب حتى تستأمر". فقيل: يا رسول الله كيف إذنها؟ قال: إذا سكتتْ.
وقال بعض الناس: إن لم تستأذن البكر ولم تزوج، فاحتالَ رَجُلٌ فأقام شاهدي زورَ أنه تزوجها برضاهما، فأثبتَ القاضي نكاحهما، والزوج يعلمُ أنَّ الشهادة باطلةٌ، فلا بأسٌ أن يطأها وهو تزويجٌ صحيح.

فانظر إلى قول البخاري (بعد حديث النبي ﷺ) وقال بعض الناس!
فلماذا يُصبح قول بعض الناس (وهم مجاهلون) بأنَّ النكاح بشهادة الزور هو نكاح صحيح، فيتوهم القارئ بأنَّ ذلك هو رأي الرسول، وهو غير صحيح؟!
مثال آخر: أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق، باب مناقب المهاجرين وفضائلهم من جزءه الرابع صفحة ٢٠٣:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهمما قال: كنّا في زمن النّبِي ﷺ لانعدلُ
بأبي بكر أحداً، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ ترك أصحاب النّبِي ﷺ لانفضلُ
بينهم.

إنه رأى عبد الله بن عمر ولا يلزم به إلا نفسه، وإلاًّ كيف يُصبح علي بن
أبي طالب، وهو أفضـل الناس بعد رسول الله، لا فضل له، ويعده عبد الله بن
عمر من سوقـة الناس؟!!

ولذلك تجد عبد الله بن عمر يمتنع عن بيعة أمير المؤمنين ومولاهم، فمن
لم يكن علىٰ ولـيه فليس بـمؤمن^١ ، والـذـي قال النـبـي في حـقـه: "علـىٰ مع
الـحقـ والـحقـ مع عـلـىٰ"^٢ ، وبـايـعـ عـدـوـ اللهـ وـرـسـوـلـهـ وـعـدـوـ المـؤـمـنـينـ الـحـجـاجـ

^١ ذكر ذلك عمر حيث قال: "ومن لم يكن مولاً فليس بـمؤمن" راجع الغدير ١: ٦٦٦، عن الصواعق: ١٧٩ والمناقب للخوارزمي: ١٦٠ ح ١٩١، وذخائر العقبى: ٦٨.
^٢ تاريخ بغداد للخطيب ١٤: ٣٢٢ ح ٧٦٤٣، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٤٩، مجمع الروايد ٧: ٢٣٥ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات، وفي مجمع الزوائد ٧: ٢٣٦ عن محمد بن إبراهيم التميمي: أنَّ فلاناً دخل المدينة حاجاً فأتاه الناس يسلّمون عليه، فدخل سعد فسأل: وهذا لم يعـنا عـلـىٰ باطلـ غـيرـنا.. أما إذ قلت ذاك فإـنـي سمعـتـ رسولـ اللهـ يـقـولـ: عـلـيـ معـ الـحقـ أوـ الـحقـ معـ عـلـيـ حـيـثـ كـانـ. قالـ: مـنـ سـمعـ ذـلـكـ؟ قالـ: قـالـ فـيـ بـيـتـ أـمـ سـلـمـةـ، فـأـرـسـلـ إـلـىـ أـمـ سـلـمـةـ فـسـأـلـهـاـ، فـقـالـتـ: قـدـ قـالـهـ رسولـ اللهـ يـقـولـ فـيـ بـيـتـيـ، فـقـالـ الرجلـ لـسعـدـ: ماـكـنـتـ عـنـديـ أـلـوـمـ مـنـكـ الـآنـ فـقـالـ: وـلـمـ؟ قـالـ: لـوـ سـمـعـ هـذـاـ مـنـ النـبـيـ يـقـولـ لـمـ أـزـلـ خـادـمـاـ لـعـلـيـ حـتـىـ أـمـوـتـ" رـواـهـ الـبـزارـ، وـفـيـ سـعـدـ بـنـ شـعـيـبـ وـلـمـ أـعـرـفـ، وـبـقـيـةـ رـجـالـهـ رـجـالـ الصـحـيـحـ.

ابن يوسف الفاسق الفاجر.

ونحن لا نريد العودة إلى مثل هذه المواقف، ولكن نريد فقط أن نُظهر للقارئ نفسيات البخاري ومن كان على شاكلته، فهو يخرج هذا الحديث في باب مناقب المهاجرين، وكأنه يشعر من طرف خفي إلى القراء بأنّ هذا رأي الرسول ﷺ، بينما هو رأي عبد الله بن عمر الذي ناصب العداء للإمام علي.

وسننُ للقارئ الليبب موقف البخاري في كلّ ما يتعلّق بعلي بن أبي طالب، وكيف أنه يحاول جهده كتمان فضائله، وإظهار المثالب له. كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بداء الخلق، باب حدثنا الحميدي قال: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، حدثنا جامع بن أبي راشد، حدثنا أبو يعلى، عن محمد بن الحنفية، قال: قلت لأبي: أي الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيته أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلاَّ رجلٌ من المسلمين. نعم، هذا الحديث وضعوه على لسان محمد بن الحنفية، وهو ابن الإمام علي بن أبي طالب، وهو كسابقه الذي رُوي عن لسان ابن عمر، والتبيّنة في الأخير هي واحدة، ولو خشي ابن الحنفية أن يقول أبوه: عثمان في الثالثة، ولكن ردّ أبيه "ما أنا إلاَّ رجلٌ من المسلمين" يُفيد بأنّ عثمان أفضل منه؛ لأنّه ليس هناك من أهل السنة من يقول بأنّ عثمان ليس هو إلاَّ رجلٌ من

وقد وقع تصحيف في اسم الراوي حيث إنّه سعيد بن شعيب الحضرمي، وليس سعد، وقد صرّحوا بوثاقة سعيد بن شعيب، راجع الغدير ١٧٨: ٣.

ال المسلمين ، بل يقولون كما تقدّم بأنّ أفضّل الناس أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ، ثمّ نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم ، والنّاس بعد ذلك سواسية .
ألا تعجبون من هذه الأحاديث التي يخرجها البخاري ، وكلّها ترمي إلى هدف واحد ، وهو تجريد علي بن أبي طالب من كلّ فضيلة !!
ألا يفهم من ذلك بأنّ البخاري كان يكتب كلّ ما يُرضي بنى أميّة وبنى العباس ، وكلّ الحكّام الذين قاموا على أنقاض أهل البيت !! إنّها حجّ حجّ دامغة لمن أراد الوقوف على الحقيقة .

البخاري ومسلم يذكرون أي شيء لتفضيل أبي بكر وعمر
أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق ، باب حدثنا أبو اليمان من جزئه الرابع صفحة ١٤٩ ، وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه :
عن أبي هريرة قال : صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ، ثمّ أقبل على النّاس فقال : " بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت : إنا لم نخلق لهذا ! إنما خلقنا للحرث " ، فقال الناس : سبحان الله ! بقرة تتكلّم ؟ فقال : " فإنّى أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثمّ " ، وبينما رجل في غنمته إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة ، فطلبه حتى كأنه استنقذها منه ، فقال له الذئب : ها إنك استنقذتها مني ، فمن لها يوم السبع ، يوم لا راعى لها غيري ؟ " فقال الناس : سبحان الله ! ذئب يتكلّم ؟ قال : " فإنّى أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثمّ " .

وهذا الحديث ظاهر التكّلف ، وهو من الأحاديث الموضوعة في فضائل

الخليفتين، وإلاًّ لما ذَكَرَ النَّاسُ وَهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَقُولُهُمْ، حَتَّىٰ يَقُولُ فِي الْمَرْتَنِ: أُوْمِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرٌ، ثُمَّ أَنْظُرْ كَيْفَ يُؤْكِدُ الرَّاوِي عَلَى عدمِ وُجُودِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرٍ فِي الْمَرْتَنِ!!

إِنَّهَا فَضَائِلُ مَضْحِكَةٍ وَلَا مَعْنَى لَهَا، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ كَالْغُرْقَىٰ يَتَشَبَّثُونَ بِالْحَشِيشِ، وَالْوَضَاعُونَ عِنْدَمَا لَمْ يَجِدُوا مَوَاقِفَ أَوْ أَحْدَاثَ هَامَةٍ تُذَكَّرُ لَهُمَا تَتَحَمِّلُ أَوْهَامُهُمْ مُثْلُ هَذِهِ الْفَضَائِلِ، فَيَجِيَ أَغْلِبُهَا أَحْلَامًاً وَأَوْهَامًاً وَتَأْوِيلَاتٍ لَا تَقُومُ عَلَى دَلِيلٍ تَارِيْخِيٍّ أَوْ مَنْطَقِيٍّ أَوْ عَلْمِيٍّ.

كَمَا أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ كِتَابِ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ بَابَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: لَوْ كُنْتَ مُتَخَذِّدًا خَلِيلًا، وَمُسْلِمًا فِي صَحِيحِهِ مِنْ كِتَابِ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابِ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ.

عَنْ عُمَرِ بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحْبَّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: "عَائِشَةٌ"، فَقُلْتُ: مَنْ الرَّجَالُ؟ قَالَ: "أَبُوهَا"، قَلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ"، فَعَدَ رِجَالًا.

وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ وَضَعْهَا الْوَضَاعُونَ، لَمَّا عَرَفُوا أَنَّ التَّارِيخَ سَجَّلَ فِي سَنَةِ ثَمَانِيْنَ مِنَ الْهِجْرَةِ (يَعْنِي سَنْتَيْنِ قَبْلَ وَفَاتَهُ ﷺ) بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا فِي أَبْوَبِكَرٍ وَعُمَرَ بِقِيَادَةِ عُمَرِ بْنِ الْعَاصِ إِلَى غَزْوَةِ ذاتِ السَّلَاسِلِ، وَهَنْئَى يَقْطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى مَنْ يَرِيدُ القَوْلَ بِأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْعَاصِ كَانَ مَقْدِمًا فِي الْمَنْزَلَةِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، تَرَاهُمْ اخْتَلَقُوا هَذِهِ الرَّوَايَةَ عَلَى لِسَانِ عُمَرِ نَفْسِهِ لِإِلَشَادَةِ بِفَضْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَقْحَمُوهُ عَائِشَةَ حَتَّىٰ يَبْعَدُوا الشَّكَّ مِنْ نَاحِيَةِ، وَحَتَّىٰ تَحْظَى عَائِشَةَ بِأَفْضَلِيَّةِ مَطْلَقَةٍ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَىٰ.

وَلَذِلِكَ تَرَى الإِمَامَ التَّوْوِيَ فِي شَرْحِهِ لِصَحِيحِ مُسْلِمٍ يَقُولُ: "هَذَا تَصْرِيفٌ

بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم، وفيه دلالة بينة لأهل السنة في تفضيل أبي بكر ثم عمر على جميع الصحابة^١.

وهذه كأمثالها من الروايات الهزلية التي لم يتورّع الدجالون لوضعها حتى على لسان علي بن أبي طالب نفسه؛ ليقطعوا بذلك على زعمهم حجة الشيعة الذين يقولون بتفضيل علي بن أبي طالب على سائر الأصحاب من ناحية، وليوهموا المسلمين بأنّ علياً لم يكن يتظلم ولا يتشكّى من أبي بكر وعمر من ناحية أخرى، فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص، ومسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه:

عن علي، عن ابن عباس قال: وضع عمر على سريره، فتكفّفه الناس، يدعون ويصلّون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يُرعنِي إلا رجل أخذ منكبي، فإذا على، فترحّم على عمر وقال: ما خلّفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيُّم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أنني كنت كثيراً ما أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر.

نعم، هذا وضع ظاهر يشم منه رائحة السياسة التي لعبت دورها في إقصاء فاطمة الزهراء، وعدم دفنها قرب أبيها رغم أنها أول اللاحقين به، وفات الرّاوي هنا أن يضيف بعد قوله: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا

^١ شرح مسلم للنحوبي ١٥: ١٥٣.

وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر، وسأدفنُ أنا وأبو بكر وعمر!!
ألا يتورّع هؤلاء الذين يحتجّون بمثل هذه الروايات الموضوّعة التي
يكتذّبها التاريخ والواقع، وكتب المسلمين مشحونة بتظليل على وفاطمة
الزهراء مما فعله أبو بكر وعمر طيلة حياتهما؟!
ثمّ تمعّن في الرواية لترى بأنّ الرّاوي يصوّر علّيًّا وكأنّه رجُلٌ أجنبي،
جاء ليتفرّج على ميّت غريب، فوجد النّاس يكتظون عليه يدعون ويصلّون،
فأخذ بمنكب ابن عباس، وكأنّه همس في أذنه تلك الكلمات وانسحب،
والمفروض أن يكون على في مقدمة النّاس وهو الذي يصلّي بهم، ولا
يفارق عمر حتى يواريه حفرته.

ولما كان النّاس في عهدبني أميّة يتسابقون في وضع الحديث بأمر من
"أمير المؤمنين" معاوية، الذي أراد أن يرفع قدر أبي بكر وعمر مقابل
فضائل علي بن أبي طالب، فقد جاءت أحاديث الفضائل هزيلة مُضحكّة،
ومتناقضّة في بعض الأحوال حسب هوى الرّاوي، فمنهم التّيمي الذي كان لا
يقدّم على أبي بكر أحداً، ومنهم العدوى الذي لا يقدّم على عمر أحداً، وبنو
أمميّة الذين كانوا معجبين بشخصيّة ابن الخطاب الجريء على النّبي، والّفاظ
الغليظ الذي لا يتورّع من شيء ولا يهاب شيء، فكانوا كثيراً ما يمدحونه
ويضعون الأحاديث التي تُفضّله على أبي بكر.
وإليك أيها القارئ بعض الأمثلة.

أخرج مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل
عمر رضي الله تعالى عنه، وأخرج البخاري في صحيحه من كتاب الإيمان

باب تفاصيل أهل الإيمان في الأعمال:

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: بينما أنا نائم رأيتُ الناس يُعرَضُونَ عَلَيَّ، وعليهم قُمْصٌ، منها ما يبلغُ الشديّ، ومنها ما دون ذلك، وعرضَ علىَ عمَرُ بن الخطابِ وعليه قميص يحرّهُ، قالوا: فما أوَلتَ ذلك يا رسول الله؟ قال: الدّين.

وإذا كان تأویل النبي ﷺ لهذه الرؤيا، هو الدّين، فمعنى ذلك أنّ عمر بن الخطاب أفضل من كل الناس؛ لأنّ الدّين بالنسبة إليهم لم يبلغ إلى الشدي وما تجاوز الدّين قلوبَهم، بينما عمر مليء بالدّين من رأسه إلى أخمص قدميه، وأكثر من ذلك فهو يجرّ الدين وراءه جراً، كما يُجرّ القميص، فأين أبو بكر الصديق الذي يرجح إيمانه إيمان الأمة بأكملها؟!

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب العلم بباب فضل العلم، وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة بباب فضائل عمر: عن ابن عمر، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ قال: بينما أنا نائم رأيتُ بقدح لبن، فشربتُ حتى إنّي لأرى الرّيّ يخرج في أظفارِي، ثم أعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب، قالوا: فما أوَلتَهُ يا رسول الله؟ قال: العلم.

أقول: فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ وإذا كان ابن الخطاب قد فاق الأمة بأكملها أو الناس بأجمعهم في الدّين بما فيه أبو بكر، ففي هذه الرواية صراحة بأنّه فاقهم أيضاً في العلم، فهو أعلم الناس بعد الرّسول ﷺ.

بقيت هناك فضيلة أخرى يتبارى الناس في التحلّي بها والانتماء إليها،

وهي من الصفات الحميدة التي يحبها الله ورسوله ﷺ، ويحبها جميع الناس ويحاولون الوصول إليها، ألا وهي الشجاعة فلا بد للرواة أن يضعوا فيها حديثاً لفادة أبي حفص وقد فعلوا.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخدنا خليلا، وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر:

عن أبي هريرة: قال: سمعت النبي ﷺ يقول: بينما أنا نائم رأيتني على قليب، عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف، والله يغفر له ضعفه، ثم استحالَتْ غرباً فأأخذها ابن الخطاب، فلم أر عقريماً من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن.

إذا كان الدين وهو مركز الإيمان والإسلام، والتقوى والتقرب إلى الله سبحانه قد حازه عمر بن الخطاب حتى جرّه وراءه، بينما الناس لم يكن نصيبهم منه إلا ما يبلغ الشדי وبقيت أجسامهم عارية، وإذا كان العلم اختص به عمر بن الخطاب، فلم يترك للناس شيئاً من فضل الرسول ﷺ إذ أعطاه إليه فشربه كله، ولم يفكّر حتى في صاحبه أبي بكر الصديق - وهو لا شك العلم الذي خوّل عمر أن يغير أحكام الله بعد وفاة النبي ﷺ، باجتهاده ولا شك أن اجتهاده من فضل ذلك العلم - وإذا كانت القوة والشجاعة قد اختص بها ابن الخطاب أيضاً، بعد الضعف الذي بدا على صاحبه أبي بكر - وهذا صحيح، ألم يقل له أبو بكر مرّة (لقد قلت لك: إنك أقوى على هذا الأمر مني

ولكِنْكَ غلبتني) فيغفر الله لأبي بكر لضعفه ولتقدّمه في الخلافة عليه، لأنَّ
أنصار عمر منبني عدي وبنى أميّة، ما رأوا رخاءً وانتفاعاً وغنائم
وفتوحات مثل ما رأوه في زمانه.. نعم كل هذا فضل عمر بن الخطاب في
الحياة الدنيا؛ فلا بدّ أن يضمنوا له الجنة في الآخرة - أيضاً - بمرتبة أكبر
وأفضل من صاحبه أبي بكر، وقد فعلوا.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة
الجنة وأنّها مخلوقة، وأخرج مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة،
باب من فضائل عمر:

عن أبي هريرة رض قال: بينما نحن عند رسول الله صل، إذ قال: بينما
أنا نائمٌ، رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوسطَّ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا
القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرتُ غيرَته فوليتُ مدبراً، فبكى عمرٌ،
وقال: أعلىكَ أغارٌ يا رسول الله؟!

أخي القارئ أظنّك فطنت إلى تنسيق هذه الروايات المكذوبة، وقد
سيطرتُ على كلّ منها تحت عبارة واحدة مشتركة في كلّ الروايات التي
اختصّت بفضائل عمر بن الخطاب، ألا وهي قول الرسول صل (وحشاه
طبعاً): بينما أنا نائم، فتجدها دائمًا في كلّ الروايات: بينما أنا نائم رأيت
الناس يعرضون علىَّ، بينما أنا نائم أتيتُ بقدح لبن، بينما أنا نائم رأيتني
على قليب، وبينما أنا نائم رأيتني في الجنة.

ولعلّ راوي الحديث كان كثير الحلم والأضغاث، فكان يتأنّ ويختلق
الروايات على لسان النبي صل، فكم كذبَ عليه في حياته وهو موجود بين

ظهرانيهم، فكيف بعد وفاته، وقد انحرفت الأمة وتقاتلوا وأصبحوا مذاهب وأحزاباً كلّ حزب بما لديهم فرجون.

ولكن بقي شيء واحد سجّلة المؤرخون، والصحابة الذين كانوا من أنصار عمر بن الخطاب نفسه، ألا وهو الخلق الذي كان يمتاز به عمر في الغلطة والفظاظة والشدة على الناس وحدة الطبع، ومن كان هذا طبعه عادة لا يحبه الناس، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَطَّاً غَلِظَ الْقَلْبَ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^١.

ولكن المعجبين بعمر يقلّبون الموازين، ويجعلون من النقيصة منقبة ومن الرذيلة فضيلة، فقد عمدوا إلى اختلاق رواية في شدة السخافة والبلاهة، والمس بكرامة النبي ﷺ الذي يشهد الله سبحانه بأنه ليس فططاً ولا غليظاً، وإنما هو لين الطبع ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾^٢، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^٣، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾^٤، و﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^٥، فلنستمع إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون فيه:

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر:

عن سعد بن أبي وقاص، قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده

^١ آل عمران: ١٥٩.

^٢ آل عمران: ١٥٩.

^٣ القلم: ٤.

^٤ التوبية: ١٢٨.

^٥ الأنبياء: ١٠٧.

نساءٌ من قريش يكلّمنهُ، ويستكثرنَهُ، عاليةً أصواتهنَّ، فلما استأذنَ عمرُ قُمنَ
يُبادرنَ الحجابَ، فأذنَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ، ورسولُ اللهِ ﷺ يضحكُ، فقالَ
عمرُ: أضحكَ اللهَ سُنْكَ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: "عجبتُ من هؤلاءِ اللاتِي كنَّ
عندِي، فلَمَّا سمعْتُ صوتكَ ابتدَرْتُنَ الحجابَ".

قالَ عمرُ: فأنتَ يا رسولَ اللهِ كنتَ أحقَّ أنْ يهبنَ، ثمَّ قالَ: أي عدِيَاتٍ
أنفسهنَّ! أتهبْنِي ولا تهبنَ رسولَ اللهِ ﷺ، قلنَ: نعم! أنتَ أفظُّ وأغلظُ من
رسولِ اللهِ ﷺ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "والذِي نفْسِي بيدهِ ما لقيكَ الشَّيْطَانُ
قطُّ سالِكًا فجَّا إِلَّا سَلَكَ فجَّا غَيرَ فجَّكَ"!!

كَبَرَتْ كَلْمَةُ تَخْرُجِهِ مِنْ أَفواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا، أُنْظِرْتُ إِلَى فَظَاعَةِ
الرَّوَايَةِ، وكيفُ أَنَّ النِّسَاءَ يهبنَ عمرَ ولا يهبنَ رسولَ اللهِ ﷺ، ويرفعُونَ
أصواتهنَّ فوقَ صوتِ النَّبِيِّ ﷺ، ولا يحترمُونَهُ فَلَا يَحْتَجِنُ بِحُضُورِهِ،
وبِمُجْرِدِ سَمَاعِ صوتِ عمرِ سَكَنَ وابتدَرَنَ الحجابَ؟!

عَجِبْتُ وَاللهِ مِنْ أَمْرِ هُؤُلَاءِ الْحَمْقَى الَّذِينَ لَا يَكْفِيهِمْ كُلُّ ذَلِكَ حَتَّى
يُنْسِبُونَ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَظُّ غَلِيظٌ بِكُلِّ صِرَاطٍ، لَأَنَّ عَمَرَ أَفْظُّ وأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ
اللهِ ﷺ، فَهِيَ مِنْ أَفْعَالِ التَّفْضِيلِ، إِنْ كَانَتْ هَذِهِ فَضْيَلَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ
فَعَمَرُ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَتْ رَذِيلَةً فَكَيْفَ يَقْبِلُ الْمُسْلِمُونَ وَعَلَى رَأْسِهِمْ
الْبَخَارِيِّ وَمُسْلِمٌ مُثْلُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ؟!

ثُمَّ لَمْ يَكْفِهِمْ كُلُّ ذَلِكَ حَتَّى جَعَلُوا الشَّيْطَانَ يَلْعَبُ وَيَمْرُحُ بِحُضُورِهِ
النَّبِيِّ ﷺ وَلَا يَخَافُهُ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي اسْتَفْزَ النَّسَوَةَ حَتَّى
يَرْفَعُ أصواتَهُنَّ وَيَخْلُعُنَ حِجَابَهُنَّ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ هَرَبَ وَسَلَكَ فجَّا آخرَ

بمجرد دخول عمر بيت الرسول ﷺ.

هل رأيتم أيها المسلم الغيور ما هي قيمة الرسول ﷺ عندهم، وكيف أنهم يقولون من حيث يشعرون أو لا يشعرون بأن عمر أفضل منه؟!
وهو بالضبط ما يقع اليوم عندما يتحدثون عن رسول الله ﷺ، ويعتقدون أخطاء المزعومة، ويررون ذلك بأنه يشر غير معصوم، وبأن عمر كثيراً ما كان يصلح أخطاء، وأن القرآن كان ينزل بتأييد عمر في العديد من المرات، ويستدللون بعبس وتوالى، وبتأيير النخل، وبأسرى بدر وغيرها.
ولكنك عندما تقول أمامهم بأن عمر أخطأ في تعطيل سهم المؤلفة قلوبهم، أو في تحريم المتعتين، أو في التفضيل في العطاء؛ فإنك ترى أوداجهم تنتفخ، وأعينهم تحرّم، ويتهمنك بالخروج عن الدين، ويقال لك: من أنت يا هذا حتى تنتقد سيدنا عمر الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل!! وما عليك إلا أن تسلّم ولا تحاول الكلام معهم ثانية، وإنما قد يلحقك منهم الأذى.

البخاري يدلّس الحديث حفاظاً على كرامة عمر بن الخطاب
نعم، إن الباحث إذا ما تبع أحاديث البخاري لا يفهم الكثير منها، وتبدوا كأنها ناقصة أو مقطعة، وأنه يخرج نفس الحديث بنفس الأسانيد، ولكن في كل مرة يعطيه ألفاظاً مختلفة في عدة أبواب، كل ذلك لشدة حبه لعمر بن الخطاب.

ولعل ذلك هو الذي رغب أهل السنة فيه فقدموه على سائر الكتب، رغم أن مسلماً أضبّط، وكتابه مرتب حسب أبواب، إلا أن البخاري عندهم أصبح

الكتب بعد كتاب الله لأجل هذا، ولأجل انتقاده فضائل على بن أبي طالب، فالبخاري عمل من جهة على تقطيع الحديث وبتره إذ كان فيه مسٌّ بشخصية عمر، كما عمل نفس الأسلوب مع الأحاديث التي تذكر فضائل علي، وسنوا فيك بعض الأمثلة على ذلك قريباً إن شاء الله.

بعض الأمثلة على تدليس الحديث التي فيها حقائق تكشف عن عمر ابن الخطاب:

١ - أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الحيض باب التيمم، قال: جاء رجل إلى عمر فقال: إني أجبتُ فلم أجده ماءً؟ فقال عمر: لا تُصلِّ، فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنتَ في سرية، فأجبنا فلم نجد ماءً، فأما أنتَ فلم تُصلِّ، وأما أنا فتمعَكتُ في التراب وصلَّيتُ، فقال النبي ﷺ: إنما كان يكفيك أنْ تضربَ بيديك الأرض، ثمْ تنفُخْ ثمْ تمسح بهما وجهك وكيفيك، فقال عمر: إتق الله يا عمار! قال: إن شئتَ لم أحدثْ به. وأخرج هذه الرواية كل من أبي داود في سننه، وأحمد بن حنبل في مسنده، والنسائي في سننه، والبيهقي، وابن ماجه أيضاً^١.

ولكن البخاري خان الأمانة أمانة نقل الحديث، كما هو ومن أجل الحفاظ على كرامة عمر دلَّس الحديث؛ لأنَّه لم يعجبه أن يعرف الناس جهل الخليفة بأبسط قواعد الفقه الإسلامي، وإليك الرواية التي تصرَّف فيها البخاري.

^١ مسند أحمد ٤: ٢٦٥، سنن ابن ماجة ١: ١٦٦، ح ١٨٨، سنن النسائي ١: ٥٦٩، ح ٣٢٢، السنن الكبرى

للبيهقي ١: ٢٠٩، سنن أبي داود ١: ٨١، ح ٤٣٠

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب التيمم، باب المتيمم هل ينفع

فيهما:

قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، فقال: إني أجبتُ فلم أصب الماء،
فقال عمّار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت...
الحديث.

وهو كما ترى حذف منه البخاري "قال عمر: لا تصل لأنها أربكت
ولا شكّ البخاري، فحذفها وتخلى منها لثلا يكشف للناس عن مذهب
عمر الذي كان يرتبه في حياة رسول الله ﷺ، واجتهاده مقابل نصوص
القرآن والسنة، وبقاءه على مذهبه هذا حتى بعدما أصبح أميراً للمؤمنين،
وأخذ ينشر مذهبه في أوساط المسلمين، وقد قال ابن حجر: "هذا مذهب
مشهور عن عمر"^١ ، والدليل على أنه كان يشدد على ذلك قول عمّار له: إن
شئت لم أحذث به. فاقرأ وأعجب !!

٢ - أخرج الحاكم النسابوري في المستدرك من جزئه الثاني صفحة
٥١٤، وصحّحه الذهبي في تلخيصه.

عن أنس بن مالك قال: إنّ عمر بن الخطاب قرأ على المنبر قوله:
﴿فَانْبَتَنَا فِيهَا حَبَّاً * وَعَنْبَأْ * وَقَضْبَأْ * وَزَيْتُونَأْ وَنَخْلَأْ * وَحَدَائِقَ غُلْبَأْ * وَفَاكَهَأْ﴾
قال: كلّ هذا عرفناه بما الأباء؟ ثمّ قال: هذا لعمر الله هو التكليف، فما
عليك أن لا تدرّي ما الأباء، اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به،
وما لم تعرفوه فكلّوه إلى ربّه.

^١ فتح الباري ١: ٣٧٦.

وهذه الرواية قد نقلها أغلب المفسّرين في كتبهم وتفاسيرهم لسورة عبس، كالسيوطى في الدر المنشور، والزمخشري في الكشاف، وابن كثير في تفسيره، والرازى في تفسيره، والخازن في تفسيره^١.

ولكن البخاري وكعادته حذف الحديث وأبتره؛ لئلا يعرف الناس جهل الخليفة بمعنى الأَبُّ، فروى الحديث كالتالى:

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، قول الله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءِ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^٢:

عن أنس بن مالك قال: كنا عند عمر فقال: نهينا عن التكلف. نعم، هكذا يفعل البخاري بكل حديث يشم منه انتقاداً من عمر، فكيف يفهم القارئ من هذا الحديث المبتور حقيقة الأشياء، فهو يستر جهل عمر بمعنى الأَبُّ، ويقول فقط قال: نهينا عن التكلف.

٣ - أخرج الحاكم في المستدرك ٢:٥٩، وأبو داود في سننه ٢:٣٣٩، والبيهقي في سننه ٨، وابن حجر في فتح الباري ١٢:١٠٧، وأحمد في مسنده ١:٣٣٥ بسند صحيح، وابن ماجة ١:٦٥٩، ح ٢٠٤٢ مختصرًا وغيرهم، عن ابن عباس أنه قال: أتي عمر بمجنونة قد زنت، فاستشار فيها أنساً فأمر بها أن تُرجم، فمر بها علي بن أبي طالب فقال: "ما شأنها"؟

^١ تفسير الطبرى ٣٠:٧٧، تفسير القرطبي ١٩:٢٢٣، تفسير ابن كثير ٦:٣١٧، الدر المنشور ٦:٣١٧، وانظر الغدير للأميني ٦:٩٩.

^٢ المائدة: ١٠١.

قالوا: مجنونة بني فلان زنت، فأمر بها عمر أن تُرجم، قال: "ارجعوا بها"، ثم أتاه فقال: "ألم تعلم أنَّ القَلْمَ رُفعَ عن المجنون حَتَّى يَعْقُلُ، وعن النائم حَتَّى يستيقظ، وعن الصبيِّ حَتَّى يَحْتَلُم؟" فخلَى عنها عمر وقال: "لولا علىَّ لھلک عمر" ^١.

ولكن البخاري أربكته هذه الرواية، فكيف يعرف الناس جهل عمر بأمور الحدود التي رسمها كتاب الله وبيّنها رسول الله ﷺ، فكيف يترأس على منصة الخلافة من كانت هذه حالة، ثم كيف يذكر البخاري هذه الرواية وفيها فضيلة لعلیٌّ بن أبي طالب الذي كان يسهر على تعليمهم ما يجهلون، واعتراف عمر بقوله أنه "لولا علىَّ لھلک عمر" ، فلننظر للبخاري كيف يحرّف الرواية ويدلّسها:

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب لا يرجِّمُ المجنون والمجنونة، قال البخاري بدون ذكر أي سند: وقال علىٌّ لعمر: "أما علمت أنَّ القَلْمَ رُفعَ عن المجنون حَتَّى يَفِيقُ، وعن الصبيِّ حَتَّى يُدرِكَ، وعن النائم حَتَّى يستيقظ"؟.

نعم، هذا مثالٌ حَتَّى لتصرُّف البخاري في الأحاديث، فهو يبتز الحديث إذا كان فيه فضيحة لعمر، ويبتز الحديث أيضاً إذا كان فيه فضيلة أو منقبة للإمام عليٍّ فلا يطيق تخريرجه.

٤ - أخرج مسلم في صحيحه من كتاب الحدود، باب حد شارب الخمر:

^١ هذه الزيادة وردت في فيض القدير ٤٧٠، المناقب للخوارزمي: ٦٥، ح ٨١، التذكرة للسبط: ٦٥

عن أنس بن مالك: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أتَى بِرَجُلٍ قَدْ شَرَبَ الْخَمْرَ، فَجَلَدَهُ بِجَرِيدَتَيْنِ نَحْوِ أَرْبَعينَ، قَالَ: وَفَعْلُهُ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا كَانَ عَمْرًا، اسْتَشَارَ النَّاسَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَخْفَّ الْحَدُودَ ثَمَانِينَ، فَأَمْرَرَ بَهُ عَمْرًا.

وَالْبَخَارِيُّ كَعَادَتْهُ لَا يَرِيدُ إِظْهَارَ جَهَلِ عَمْرٍ بِالْحُكْمِ فِي الْحَدُودِ، وَكَيْفَ يَسْتَشِيرُ النَّاسَ فِي حَدٍّ مَعْلُومٍ فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ فَعَلَهُ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ.
أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ كِتَابِ الْحَدُودِ، بَابِ مَا جَاءَ فِي ضَرْبِ شَارِبِ الْخَمْرِ:

عن أنس بن مالك: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَرَبَ فِي الْخَمْرِ بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ، وَجَلَدَ أَبُو بَكْرَ أَرْبَعينَ.

٥ - أَخْرَجَ الْمَحْدُثُونَ وَالْمُؤْرِخُونَ الَّذِينَ أَرَرُّخُوا مَرْضَ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتَهُ، وَكَيْفَ طَلَبُوهُمْ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ كِتَابًا لَنْ يَضْلُّوا بَعْدَهُ أَبْدًا، وَهُوَ مَا سُمِّيَ بِرَزِّيَّةِ يَوْمِ الْخَمِيسِ، وَكَيْفَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ عَارَضَ وَقَالَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَهْجَرُ - وَالْعِيَادَ بِاللَّهِ -

وَقدْ أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ كِتَابِ الْجَهَادِ، بَابِ هَلْ يَسْتَشْفِعُ إِلَى أَهْلِ الذَّمَّةِ وَمُعَامَلَتِهِمْ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ كِتَابِ الْوَصِيَّةِ، بَابِ تَرْكِ الْوَصِيَّةِ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يَوْصِيُ فِيهِ:

عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ رض، أَنَّهُ قَالَ: يَوْمُ الْخَمِيسِ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى خَضَبَ دَمَعَهُ الْحَصْبَاءَ، فَقَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعْهُ يَوْمُ الْخَمِيسِ، فَقَالَ: "أَئْتُو نِي بِكِتَابٍ، أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضْلُّوا بَعْدَهُ أَبْدًا" فَتَنَازَعُوا وَلَا يَنْبَغِي عِنْهُمْ تَنَازُعٌ، فَقَالُوا: هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ" وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَ:

"أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت
أجيزهم" ونسىت الثالثة.

نعم، هذه هي رُزْيَّة يوم الخميس التي لعب فيها عمر دور البطولة، فعارض رسول الله ﷺ، ومنعه أن يكتب، وبتلك الكلمة الفاحشة التي تعارض كتاب الله، ألا وهي أن النبى يهجر، والبخاري ومسلم نقلها هنـا بالعبارة الصحيحة التي نطق بها عمر، ولم يُبَدِّلَاها ما دام اسم عمر غير وارد، ونسبة هذا القول الشنيع للمجهول لا يضرـ.

ولكن عندما يأتي اسم عمر في الرواية التي تذكر بأنه هو الذي تلفظ بها، يصعب ذلك على البخاري ومسلم أن يتراكتها على حالها؛ لأنـها تفضح الخليفة، وتظهره على حقيقته العارية، وتكشف عن مدى جرأته على مقام الرسول ﷺ، والذي كان يعارضه طيلة حياته في أغلب القضايا.

وعرف البخاري ومسلم ومن كان على شاكلتهم بأنـ هذه الكلمة وحدـها كافية لإثارة عواطف كل المسلمين حتى أهل السنة ضدـ الخليفة، فعمدوا إلى التـدليس، فـهي مهنتـهم المعروفة لمثل هذه القضايا، وأبدـلـوا كلمة "يهـجر" بكلـمة "غلـب عليهـ الـوجـع" ، ليـبعـدوـاـ بـذـلـكـ تـلـكـ العـبـارـةـ الفـاحـشـةـ،ـ وإـلـيـكـ ماـ أـخـرـجـهـ البـخـارـيـ وـمـسـلـمـ فـيـ نـفـسـ مـوـضـعـ الرـزـيـةـ:

عن ابن عباس، قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: "هـلـمـ أـكـتـبـ لـكـمـ كـتـابـاـ لـاـ تـضـلـلـواـ بـعـدـهـ" ، فقال عمر: إنـ النـبـى قدـ غـلـبـ عـلـيـ الـوـجـعـ،ـ وـعـنـدـكـمـ الـقـرـآنـ،ـ حـسـبـنـاـ كـتـابـ اللـهــ فـاخـتـلـفـ أـهـلـ الـبـيـتـ فـاخـتـصـمـوـاـ،ـ مـنـهـمـ مـنـ يـقـولـ:ـ قـرـبـوـاـ يـكـتـبـ لـكـمـ النـبـىــ كـتـابـاـ لـنـ تـضـلـلـواـ بـعـدـهـ،ـ وـمـنـهـمـ مـنـ يـقـولـ:ـ مـاـ قـالـ عـمـرـ،ـ فـلـمـاـ أـكـثـرـوـاـ الـلـغـوــ

والاختلاف عند النّبِي قال لهم: قوموا. قال عبد الله بن مسعود: فكأن ابن عباس يقول: إِنَّ الرَّزِيْةَ كُلَّ الرَّزِيْةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغْطِهِمْ^١.

وبما أنَّ مسلماً أخذها عن أُسْتَادِهِ الْبَخَارِيِّ، فنحن نقول للْبَخَارِيِّ: مهْمَا هذِبَتِ الْعَبَارَةُ، وَمَهْمَا حَوَلْتَ تَغْطِيَةَ الْحَقَائِقِ، فَإِنَّ مَا أَخْرَجْتَهُ كَافٌ وَهُوَ حَجَّةٌ عَلَيْكَ وَعَلَى سَيِّدِكَ عُمْرٍ؛ لِأَنَّ لَفْظَ "يَهْجُرُ" وَمَعْنَاهُ يَهْذِي، أَوْ "قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجْعُ"، تَؤَدِّي إِلَى نَفْسِ النَّتِيْجَةِ؛ لِأَنَّ الْمَتَمْعَنَ يَجِدُ أَنَّ النَّاسَ حَتَّى

الْيَوْمِ يَقُولُونَ: مَسْكِينٌ فَلَانْ تَغْلِبَتْ عَلَيْهِ الْحُمَّى حَتَّى أَصْبَحَ يَهْذِي.

وَخَصْوَصًاً إِذَا أَضْفَنَا إِلَيْهَا كَلَامَهُ: "عِنْدَكُمُ الْقُرْآنَ حَسِبْنَا كِتَابَ اللَّهِ"

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ انتَهَىُ أَمْرُهُ، وَأَصْبَحَ وَجُودُهُ كَالْعَدْمِ !!

وَأَنَا أَتَحْدِي كُلَّ عَالَمٍ لَهُ ضَمِيرٌ أَنْ يَتَمَعَّنَ فَقَطْ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ بِدُونِ رَوَاسِبٍ وَبِدُونِ خَلْفِيَّاتٍ، فَسُوفَ تَشَوَّرُ ثَائِرَتِهِ عَلَى الْخَلِيفَةِ الَّذِي حَرَمَ الْأُمَّةَ مِنَ الْهُدَىِ، وَكَانَ سَبِيلًا مُبَاشِرًا فِي ضَلَالِهِا.

وَلَمَّا نَخَشَى مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ مَا دَامَ فِيهِ دَفَاعٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

وَبِالتَّالِيِّ عَنِ الْقُرْآنِ وَعَنِ الْمَفَاهِيمِ الإِسْلَامِيَّةِ بِأَكْمَلِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشُوْا النَّاسَ وَأَخْشُوْنَ وَلَا تَشْتَرُوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^٢.

فَلَمَّا يَحَاوِلُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ حَتَّى الْيَوْمِ فِي عَصْرِ الْعِلْمِ وَالنُّورِ جَهَدُهُمْ

^١ صحيح البخاري ٧٩: كتاب المرضى، باب قول المريض: قوموا عني، صحيح مسلم ٥: ٧٦
كتاب الوصية، باب ترك الوصية.

^٢ المائدة: ٤٤.

تغطية الحقائق بما يختلفونه من تأويلات متكفلة لا تُسمِّنُ ولا تُغْنِي من

جوع؟!

إليك ما ابتكره العالم محمد فؤاد عبد الباقي في شرحه لكتاب "اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان" عند إيراده لحديث رزية يوم الخميس قال يشرح الواقعه: "ائتنى بكتاب" أي ائتونى بأدوات كتاب كالقلم والدواة، أو أراد بالكتاب ما من شأنه أن يكتب فيه نحو الكاغد والكتف؛ والظاهر أنَّ هذا الكتاب الذي أراده إنما هو في النص على خلافة أبي بكر، لكنَّهم لمّا تنازعوا واشتَدَّ مرضه عليه السلام عدل عن ذلك، معمولاً على ما أصلَّه من استخلافه في الصلاة.

ثمَّ أخذ يشرح معنى هجر قال: هجر: ظنَّ ابن بطَّالَ أنَّها بمعنى اختلط، وابن التين أنَّها بمعنى هذى؛ وهذا غير لائق بقدره الرفيع، ويحتمل أن يكون المراد أنَّ رسول الله عليه السلام هجركم، من الهجر الذي هو ضدَّ الوصل، لما قد وردَ عليه من الواردات الإلهية، ولذا قال: في الرفيق الأعلى، وقال ابن الأثير: إنَّه على سبيل الاستفهام وحذفتْ الهمزة، أي هل تغييرَ كلامه واختلطَ لأجل ما به من المرض، وهذا أحسن ما يقالُ فيه، ولا يجعل إخباراً فيكون إنما من الفحش أو الهديان، والقائل كان عمر ولا يُظنُّ به ذلك^١. انتهى كلامه.

ونحن نردُّ عليك يا سيادة العالم الجليل أنَّ الظنَّ لا يعني من الحق شيئاً، ويكيفينا اعترافك بأنَّ قائل هذا الفحش هو عمر! ومن أبائك بأنَّ رسول الله عليه السلام أراد أن يكتب خلافة أبي بكر؟ وهل كان عمر ليعرض على ذلك؟

^١ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٢: ١٦٦، كتاب الوصية.

وهو الذي شيد أركان الخلافة لأبي بكر، وحمل الناس عليها غصباً وقهرأً
حتى هدد بحرق بيت الزهراء، وهل هناك من ادعى هذا غيرك يا سيادة
العالم الجليل؟

والمعروف عند العلماء قدِيماً وحدِيثاً^١ بأنَّ عَلَىَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ هُوَ
المرشح للخلافة من قبل الرسول ﷺ إن لم يعترفوا بالنص عليه، ويكيفيك ما
آخرجه البخاري في صحيحه من كتاب الوصايا من جزئه الثالث صفحة
١٨٦، قال: ذكرُوا عند عائشة أنَّ عَلَيَّ رضي الله عنهمَا كَانَ وصِيًّا، فقالت:
متى أوصى إِلَيْهِ وقد كنت مسندته إلى صدرِي فدعا بالطَّسَّتْ، فلقد اخترت
في حجري فما شعرت أنَّه قد ماتَ، فمَتَّ أوصى إِلَيْهِ؟^٢.

والبخاري أخرج هذا الحديث لأنَّ فيه إنكار الوصية من طرف عائشة،
وهذا ما يعجب البخاري، ولكن نحن نقول: بأنَّ الذين ذكرُوا عند عائشة أنَّ

^١ إنَّ هذَا الأَمْرَ كَانَ مَعْلُومًا لِدِي الصَّحَابَةِ فَضْلًا عَنِ الْعُلَمَاءِ وَيَدِلُّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ: منها: ما قاله عَلَيْهِ عَلَيَّ: "قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيَّ وَأَنَا أُرَى أَنِّي أَحْقَ بِهِذَا الْأَمْرِ..." (أَسْدُ الْغَابَةِ ٤: ٣١)، ومنها: ما قاله العباس لَعْلَىٰ بْنَ سَعْدٍ عَلَيَّ بْنَ عَلَيَّ بعد ما تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ عَلَيَّ: "يَا عَلَىٰ قَمْ حَتَّىٰ أَبَا يَعْكُ وَمَنْ حَضَرَ... فَقَالَ عَلَيَّ: وَاحْدٌ؟ يَعْنِي يَطْمَعُ فِيهَا غَيْرُنَا..." (الطبقات لابن سعد ٢: ١٩٠ ط دار الكتب العلمية). فالمسألة إذَا كانت معلومة واضحة لدى الصحابة ولذا تأخرَ قوم عن البيعة وذهبوا إلى بيت فاطمة عَلَيَّ وليست ذلك إلا لاعتقادهم أحقيتها على عَلَيَّ بالامر دون غيره.

^٢ لا بأس بذكر ما أورده الشوكاني في نيل الأوطار ٦: ١٤٥ على القرطيبي حينما استشهد بكلام عائشة على نفي الوصية، فقال: "لا يخفى أنَّ نفي عائشة للوصية حال الموت لا يستلزم نفيها في جميع الأوقات، فإذا أقام البرهان الصحيح من يدِّعى الوصية في شيء معين قبل".

رسول الله أوصى لعلي صادقين؛ لأنّ عائشة لم تكذّبهم ولم تنفّ هي نفسها الوصيّة، ولكنّها سألت كالمستنكرة متى أوصى إليه؟ ونجيّتها بأنّه أوصى إليه بحضور أولئك الصحابة الكرام وفي غيابها هي، ولا شكّ بأنّ أولئك الصحابة ذكروا لها متى أوصى إليه، ولكنّ الحكّام المتسلطين منعوا ذكر مثل هذه المحاججات، كما منعوا ذكر الوصيّة الثالثة ونسوها، وقامتُ السياسة على طمس هذه الحقيقة.

على أنّ عمر نفسه صرّح بأنّه منع رسول الله ﷺ من كتابة الكتاب لعلمه بأنه يختصّ بخلافة علي بن أبي طالب، وقد أخرج ابن أبي الحديد الحوار الذي دار بين عمر بن الخطّاب وعبد الله بن عباس، وفيه قال عمر وهو يسأل ابن عباس: هل بقي في نفس عليّ شيء من أمر الخلافة؟ فقال ابن عباس: نعم، فقال عمر: ولقد أراد رسول الله في مرضه أن يصرّح باسمه، فمنعته من ذلك اشفاقاً وحيطة على الإسلام^١.

فلماذا تهرب يا سيادة العالم من الواقع، وبدلًا من إظهار الحقّ، بعد ما ولى عصر الظلمات مع بنى أميّة وبنى العباس، ها أنتم تزيدون تلك الظلمات غشاوة وأستاراً، فتحجّبوا غيركم عن إدراك الحقيقة والوصول إليها؟ وإن كنت قلتَ الذي قلتَ عن حسن نية، فإني أسأّل الله سبحانه أن يهديك ويفتح بصيرتك.

^١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢١: ١٢، وذكر ابن أبي الحديد أن الخبر نقله أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسندًا. (المؤلف).

٦ - كما أنّ البخاري فعل الكثير من أجل تبديل وتدليس وتخليط الأحاديث النبوية؛ التي يشعر من خلالها أنّ هناك توهيناً وانتفاصاً لهيبة أبي بكر وعمر، فها هو يعمدُ إلى حادثة تاريخية مشهورة قال فيها رسول الله ﷺ حديثاً لم يعجب الإمام البخاري، فأغفاه تماماً وكمالاً؛ لأنّه يرفع مكانة علي على حساب أبي بكر.

فقد روى علماء السنة في صحاحهم ومسانيدهم، كالترمذى في صحيحه، والحاكم في مستدركه وأحمد بن حنبل في مسنده، والإمام النسائي في خصائصه، والطبرى في تفسيره، وجلال الدين السيوطي في تفسيره الدر المنشور، وابن الأثير في تاريخه، وصاحب كنز العمال، والزمخشري في الكشاف، وغير هؤلاء كثيرون، أخرجوها كلّهم: إنّ رسول الله ﷺ بعث أبو بكر رض وأمره أن ينادي بهذه الكلمات (وهي براءة من الله ورسوله..)، ثمّ أتبّعه عليه رض وأمره أن ينادي بها هو، فقام على رض في أيام التشريق فنادى: "إنّ الله برىء من المشركين ورسوله"، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر، ولا يحجّنّ بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان"، ورجم أبو بكر رض فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: "لا، ولكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدّي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك" ^١.

^١ راجعه بألفاظه المختلفة: مسنّد أحمد ١: ١٥١ وقال محقّق المسنّد أحمد شاكر: سند حسن، ذخائر العقبى: ٦٩، الدر المنشور ٣: ٢٠٩، تاريخ دمشق ٤٢: ٣٤٨، سنن الترمذى ٤: ٣٣٩، المستدرك ٣: ٥١، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥٠٦ ح ٧٢، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٢٨، والخصائص له أيضاً: ٩١، مسنّد أبي يعلى ١: ١٠٠ ح ١٠٤، صحيح ابن حبان ١٥: ١٧، تفسير

لَكُنَ الْبَخَارِيَ كَعَادَتْهُ دَائِمًا أَخْرَجَ الْحَادِثَةَ بِطَرِيقِهِ الْمُعْرُوفَةِ وَالْمَأْلُوفَةِ،
قَالَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ كِتَابِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بَابَ قَوْلِهِ: فَسِيَحُوا فِي الْأَرْضِ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ:

قَالَ: أَخْبَرَنِي حَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هَرِيرَةَ رض قَالَ: بَعْشَنِي أَبُو بَكْرٌ
فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ فِي مَؤَذْنَيْنِ، بَعْثَمِ يَوْمِ النَّحرِ يُؤَذْنُونَ بِمَنْيٍ: أَنْ لَا يَحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ
مَشْرُكٌ، وَلَا يَطْوِفُ بِالْبَيْتِ عَرِيَانٌ، قَالَ حَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: ثُمَّ أَرْدَفَ
رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْلَى بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمْرَهُ أَنْ يُؤَذْنَ بِبَرَاءَةٍ، قَالَ أَبُو هَرِيرَةَ:
فَأَذْنَنَ مَعْنَا عَلَى يَوْمِ النَّحرِ فِي أَهْلِ مَنِيٍّ بِبَرَاءَةٍ، وَأَنَّ لَا يَحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ مَشْرُكٌ،
وَلَا يَطْوِفُ بِالْبَيْتِ عَرِيَانٌ^١.

فَانظُرْ أَيْهَا الْقَارِئُ كَيْفَ تَمُّ عملِيَّةُ التَّشْوِيهِ لِلْأَحَادِيثِ وَالْأَحْدَاثِ حَسْبَ
الْأَغْرَاضِ وَالْأَهْوَاءِ الْمَذْهَبِيَّةِ، فَهَلْ هُنَاكَ شَبَهٌ بَيْنَ مَا رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فِي هَذِهِ
الْقَضِيَّةِ، وَمَا رَوَاهُ غَيْرُهُ مِنَ الْمَحْدُثَيْنِ وَالْمَفْسَرِيْنِ مِنْ عَلَمَاءِ أَهْلِ السَّنَةِ؟!
وَالْبَخَارِيُّ هُنَا يَجْعَلُ أَبَا بَكْرًا هُوَ الَّذِي بَعَثَ أَبَا هَرِيرَةَ، وَمَؤَذْنَيْنِ يُؤَذْنُونَ
بِمَنْيٍ أَنْ لَا يَحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ مَشْرُكٌ، وَلَا يَطْوِفُ بِالْبَيْتِ عَرِيَانٌ، ثُمَّ يَدْخُلُ قَوْلَ
حَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَرْدَفَ بَعْلَى بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمْرَهُ أَنَّ
يُؤَذْنَ بِبَرَاءَةٍ.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ جَدِيدِ قَوْلِ أَبِي هَرِيرَةَ بِأَنَّ عَلَى شَارِكَهُمْ فِي الْأَذَانِ يَوْمَ

الطبرى ١٠: ٨٤ شواهد التنزيل ١: ٣٠٥، أنساب الأشراف: ١٥٥، تاريخ الطبرى ٢: ٣٨٣، فتح

القدير للشوكتانى ٢: ٣٣٤، كتاب السنة لابن أبي عاصم: ٥٩٥ ح ١٣٨٤.

^١ صحيح البخارى ٥: ٢٠٢.

النحر ببراءة، وأن لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان!!

وبهذا الأسلوب قضى البخاري على فضيلة على بن أبي طالب، فى أنه هو الذي أرده رسول الله ﷺ ليبلغ عنه براءة، بعدما جاءه جبرئيل وأمره عن الله بعزل أبي بكر من تلك المهمة، وقال له: "لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك".

فصعب على البخاري أن يعزل أبو بكر بوحي من الله تعالى، ويُقدم على ابن أبي طالب عليه، وهذا ما لا يرتضيه البخاري أبداً، فعمد إلى الرواية فدلّسها كغيرها من الروايات.

وكيف لا يتتبّه الباحث لهذا الدّس والتزوير، وخيانة الأمانة العلمية، خصوصاً وهو يقرّأ أنّ أبي هريرة يقول: بعثني أبو بكر في تلك الحجّة في مؤذنين بعثهم يوم النحر! فهل كان أبو بكر هو الذي يُسيّر الأمور حتى في عهد رسول الله ﷺ؟ وكيف أصبح المبعوث هو الباعث الذي يختار مؤذنين من بين الصحابة يا ترى؟

وتمعّن في أسلوب البخاري كيف قلب كلّ شيء، فأصبح على بن أبي طالب - المبعوث من قبل النبي ﷺ لأداء تلك المهمة التي لا يصلح لها سواه - شريك النداء مع أبي هريرة وبقية المؤذنين، دون التعرّض لعزل أبي بكر ولا رجوعه يبكي - كما في بعض الروايات - ولا التعرّض إلى قول النبي ﷺ: "جائني جبرئيل فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك"؟!

لأنّ ذلك الحديث هو بمثابة وسام الشرف الذي قلدّه رسول الله ﷺ لابن عمّه ووصيّه على أمّته على بن أبي طالب، ثمّ هو صريح بأنّ ذلك

ما جاء به جبرئيل حسب الحديث النبوي، فلا يبقى بعده مجال للمتأولين
أمثال البخاري في أنه رأى محمد ﷺ الذي هو كسائر البشر، والذي
يُخطئُ، كغيره، فالاولى للبخاري حينئذ أنْ يُبعدَ هذه الرواية ويطرحها كلياً
من حسابه كما طرح غيرها.

فتراء يخرج في صحيحه في كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما
صالح فلان بن فلان، قول الرّسول ﷺ لعلي بن أبي طالب: "أنتَ مني وأنا
منك" في قضية اختصاص علي وعمر وزيد على ابنة حمزة، في حين أنَّ ابن
ماجة، والترمذى، والنسائى، والإمام أَحمد، وصاحب كنز العمال، كلَّهم
يخرجون قول رسول الله ﷺ: "علي مني وأنا من علي، ولا يؤدِّي عَنِي إِلَّا أنا
أو علي" ^١ قالها في حجَّة الوداع، ولكنَّى للبخاري أنْ يُخرج ذلك؟!
٧ - أضف إلى ذلك أنَّ الإمام مسلم أخرج في صحيحه من كتاب
الإيمان، باب الدليل على أنَّ حبَّ الأنصار وعلىٰ من الإيمان وعلاماته
وبغضهم من علامات النفاق:

عن عليّ قال: "والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنَّه لعهدُ النبِيُّ الْأَمِيُّ ﷺ
إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبِّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَغْضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ".

^١ مسند أَحمد ٤: ١٦٥، سنن ابن ماجة ١: ٤٤ ح ١١٩، سنن الترمذى ٥: ٢٩٩ ح ٣٨٠٣ وصححه،
المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٤٩٥ ح ٤٩٥، كتاب السنة لابن أبي عاصم: ٥٨٤ ح ١٣٢٠، السنن
الكبير للنسائي ٥: ٤٥ ح ٨١٤٧، المعجم الكبير للطبراني ٤: ١٦، الجامع الصغير للسيوطى ٢:
١٧٧ ح ٥٥٩٥، كنز العمال ١١: ٦٠٣ ح ٣٢٩١٣، تاريخ دمشق ٤٢: ٣٤٥، تهذيب الكمال للمزري
٥: ٣٥، سير أعلام النبلاء ٨: ٢١٢ وسنده صحيح.

وأكّد المحدثون وأصحاب السنن قول الرسول ﷺ لعلى: "ولا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق".^١

أخرجه الترمذى في صحيحه، والنسائى فى سننه، ومسند أحمد بن حنبل، والبيهقى فى سننه، والطبرى فى ذخائر العقبى، وابن حجر فى لسان الميزان، ولكن البخارى رغم ثبوت هذا الحديث عنده، والذي أخرجه مسلم ورجاله كلهم ثقات لم يخرج هذا الحديث؛ لأنّه فكر ثم قدر، بأنّ المسلمين سيعروفون نفاق كثير من الصّحابة، ومن المقربين للرسول ﷺ.

بهذه الإشارة التي رسمها من لا ينطق عن الهوى إنّه هو إلاّ وحىًّا يوحى، كما أنّ الحديث في حد ذاته فضيلة كبرى لعلى وحدة دون سائر الناس، إذ به يُفرق الحق من الباطل، ويعرف الإيمان من النفاق.

فهو آية الله العظمى، وحجّته الكبرى على هذه الأمة، وهو الفتنة التي يختبر الله بها أمّة محمد ﷺ بعد نبيّها، ورغم أن النفاق هو من الأسرار الباطنية التي لا يطلع عليها إلاّ من يعلم خائنة الأعین وما تخفي الصدور، ولا يعرفها إلاّ علام الغيوب، فإنّ الله سبحانه تفضلاً منه ورحمةً بهذه الأمة وضع لها عالمةً ليهلك من هلك عن بينة، وينجو من نجا عن بينة.

^١ مسند أحمد ٩٥١: وقال الشيخ أحمد شاكر: "إسناده صحيح وهو مكرر ٦٤٢"، سنن الترمذى ٥: ٣٠٦ ح ٣٨١٩ وصحّحه، السنن الكبرى للنسائى ٥: ١٣٧ ح ٨٤٨٧ مسند أبي يعلى ١: ٢٥١ ح ٢٩١، المعجم الأوسط ٢: ٣٣٧، تاريخ بغداد ٨: ٤١٦، تاريخ دمشق ٤٢: ٢٧١، أسد الغابة ٤: ٢٦، تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ١٠، سير أعلام النبلاء للذهبي ٥: ١٨٩، الإصابة ٤: ٤٦٨، البداية والنهاية ٧: ٣٩١ وغيرها من المصادر.

وأضْرَبَ لِذلِكَ مثلاً واحِدًا عَلَى ذِكَاءِ الْبَخَارِيِّ وَفُطْنَتِهِ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ،
وَلِذلِكَ أَعْتَقَدْ شَخْصِيًّا بِأَنَّ أَهْلَ السَّنَّةِ مِنَ الْأَسْلَافِ فَضْلُوهُ وَقَدْمُوهُ لَهُذِهِ
الخَاصِيَّةِ الَّتِي يَمْتَازُ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ، فَهُوَ يَحَاوِلُ جَهْدَهُ أَنْ لَا يَتَنَاقَضَ
بِأَحَادِيثِ تَخَالُفِ مَذْهَبِهِ الَّذِي اخْتَارَهُ وَتَبَيَّنَاهُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ كِتَابِ الْهَبَةِ وَفَضْلِهَا وَالْتَّحْرِيْضِ عَلَيْهَا، بَابُ
هَبَةِ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ وَالمرْأَةِ لِزَوْجِهَا:

قَالَ: أَخْبَرْنِي عَبْيَدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّا ثَقَلَ
النَّبِيُّ وَالرَّسُولُ فَاشْتَدَّ وَجْهُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمْرِضَ فِي بَيْتِي فَأَذْنَنَّ لَهُ،
فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخْطُّرُ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَكَانَ بَيْنَ عَبَّاسَ وَبَيْنَ رَجُلَ آخَرَ،
فَقَالَ عَبْيَدُ اللَّهِ: فَذَكَرْتُ لَابْنِ عَبَّاسَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ لِي: وَهُلْ تَدْرِي
مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي لَمْ تُسْمِمْ عَائِشَةً؟ قَلْتُ: لَا! قَالَ: هُوَ عَلَىٰ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ بِالْبَضْطُ أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ بِسِنْدِ صَحِيحٍ فِي
جَزِئِهِ الثَّانِي فِي صَفَحَةِ ٢٩، وَكَذَلِكَ صَاحِبُ السِّيرَةِ الْحَلَبِيَّةِ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ
أَصْحَابِ السِّنَنِ وَفِيهِ: "إِنَّ عَائِشَةَ لَا تَطِيبُ لِهِ نَفْسًا بَخِيرٌ" ^١.

وَالْبَخَارِيُّ أَسْقَطَ هَذِهِ الْجَمِيلَةَ الَّتِي يَسْتَفَادُ مِنْهَا أَنَّ عَائِشَةَ تَبْغِضُ عَلَيْهَا
وَلَا تَطِيقُ ذِكْرَ اسْمِهِ، وَلَكِنَّ فِيمَا أَخْرَجَهُ كَفَايَةٌ وَدَلَالَةٌ وَاضْحَى لِمَنْ لَهُ دَرَايَةٌ
بِمَعَارِضِ الْكَلْمِ؛ وَهُلْ يَخْفِي عَلَى أَيِّ بَاحِثٍ قَرْأَ التَّارِيْخِ وَمَحَّصَّةَ، بَغْضَ أُمَّ

^١ مسند أحمد ٦: ٢٢٨، عنه الألباني في إرواء الغليل ١: ١٧٨ وصححه، الطبقات الكبرى ٢:

٢٣٣، السيرة الحلبيّة ٣: ٤٨٦.

المؤمنين لسيدها ومولاهما علي بن أبي طالب^١ ، حتى إنها عندما وصل إليها
خبر قتله سجدت شكرًا لله^٢ .

وعلى كل حال رحم الله أم المؤمنين وغفر لها كرامة لزوجها، ونحن لا
نضيق رحمة الله التي وسعت كل شيء، وكان بودنا لو لم تكن تلك الحروب
والفتن والآمسي، التي تسببت في تفريقنا وتشتيت شملنا وذهاب ريحنا،
حتى أصبحنا اليوم طعمة الآكلين، وهدف المستعمرين، وضحية الظالمين،
فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

انتقاد أهل البيت روایات تعجب البخاري

ومع الأسف الشديد فإن الإمام البخاري اختار طريقه، وسلك سبيله
ضمن مدرسة الخلفاء التي شيدتها السلطة الحاكمة، أو أن تلك المدرسة هي
التي اختارت البخاري وأمثاله، وصنعت منهم ركائز وأركان ورموز لتدعم
سلطانهم، وترويجه مذهبهم، وتصريف اجتهاداتهم التي أصبحت في عهد
الأمويين والعباسيين سوقاً رائجة، وسلعة رابحة لكل العلماء الذين تسابقوا
وتباروا لتأييد الخليفة، بكل أساليب الوضم والتّدليس الذي يتماشى

^١ جاء في الغدير ١: ٦٦٦ عن الحافظ ابن سمان كما في الرياض النبرة ٣: ١١٥، وذخائر العقبى: ٦٨، ووسيلة المال: ١١٩، والمناقب للخوارزمي: ١٦٠ ح ١٩١، والصواعق المحرقة:
١٧٩ عن الحافظ الدارقطني عن عمر وقد جاءه أعرابيان يختصمان فقال لعلي: اقض بينهما،
فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟ فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيه وقال: ويحك ما تدرى من هذا،
هذا مولاي ومولى كل مؤمن، ومن لم يكن مولاً فليس بمؤمن.

^٢ مقاتل الطالبيين: ٥٥ وفيه: "لما أَن جاء عائشة قُتِلَ عَلِيٌّ سَجَدَتْ".

والسيّاسة القائمة، كل ذلك لينالوا عند الحاكم الجاه والمال، فباعوا أخراهم بدنياهم، فما ربحت تجارتهم، ويوم القيامة يندمون ويحسرون.

فالناس ناس، والزمان زمان، فأنتَ ترى اليوم نفس الأساليب ونفس السيّاسة، فكم من عالم جليل هو حبيس داره لا يعرفه النّاس، وكم من جاهل تربع على منبر الخطابة، وإماماة الجماعة، والتحكم بمصير المسلمين؛ لأنّه من المقربين الذين نالوا رضى النظام وتأييده، وإلاّ قل لي بربك كيف يفسّر عزوف البخاري عن أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً؟

كيف يفسّر عداء البخاري لهدي الأئمة الذين عاصر وعايش البعض منهم زمن البخاري، ولم يرو عنهم إلاّ ما هو مكذوب عليهم؛ للحطّ من قدرهم السّامي، والطعن في عصمتهم الثابتة بالقرآن والسّنة، وسنواتيك ببعض الأمثلة على ذلك.

ثم إنّ البخاري ولّ وجهه شطر النّواصب والخوارج الذين حاربوا أهل البيت وقتلوهم، فتراه يروي عن معاوية، وعن عمرو بن العاص، وعن أبي هريرة، وعن مروان بن الحكم، وعن مقاتل بن سليمان الذي عُرف بالدّجال^١، وعن عمران بن حطّان عدوّ أمير المؤمنين وعدوّ أهل البيت،

^١ قال ابن حبان في كتاب المجرودين ٣: ١٤ "كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم وكان شيئاً يشبهه الرب بالملحوقين" وعن أبي حنيفة قال: "أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، وقاتل مشبه" سير أعلام النبلاء ٧: ٢٠٢، وقاتل هذا وقع في سند روایة رواها البخاري في تاريخه الكبير ٤: ٢٩٢ ح ٢٨٦٦. وقال الذهبي في

كتاب ميزان الاعتدال ١: ١٦٠ رقم ٥٩٦٠ ترجمة علي بن هاشم: "ترك البخاري إخراج حدّيـه فإنه يتجنـبـ الرافضة كثيراً... ولا نراه يتجنـبـ القدرية ولا الخوارج ولا الجهمـةـ". وقد ذكر صاحب كتاب كشف الجنـيـ ١٣٩ـ أنـ معاوـيةـ وعـمـروـ بـنـ العـاصـمـ وأـبـاـ هـرـيرـةـ صحـابةـ، والـصـحـبةـ كـافـيـةـ للـحـكـمـ بـالـعـدـالـةـ كـمـاـ هوـ مـبـنـىـ السـنـةـ، وقد قـدـمـناـ فـيـماـ سـبـقـ بـعـضـ أحـوالـ مـعـاوـيـةـ، وبـعـضـ تـصـرـفـاتـ أـبـيـ هـرـيرـةـ وـتـدـلـيـسـاتـهـ؟ـ".

وذـكـرـ صـاحـبـ كـشـفـ الجنـيـ أـنـ مـرـواـنـ بـنـ الـحـكـمـ غـيرـ مـتـهـمـ فـيـ حـدـيـثـهـ.

وهـذـاـ رـمـيـ لـلـكـلامـ بـدـونـ تـثـبـتـ؛ إـذـ ذـكـرـهـ الذـهـبـيـ فـيـ كـتـابـهـ المـغـنـيـ فـيـ الـضـعـفـاءـ ٢: ٣٩٧ـ تـرـجـمـةـ ٦١٦٦ـ، وـقـدـ ذـكـرـ فـيـ مـقـدـمـةـ كـتـابـهـ أـنـ خـصـصـهـ فـيـ: (ذـكـرـ الـكـذـابـينـ الـوـضـاعـينـ، ثـمـ عـلـىـ ذـكـرـ الـمـتـرـوـكـينـ الـهـالـكـينـ ثـمـ عـلـىـ الـضـعـفـاءـ مـنـ الـمـحـدـثـيـنـ النـاقـلـيـنـ، ثـمـ عـلـىـ الـكـثـيرـ الـوـهـمـ مـنـ الـصـادـقـيـنـ، ثـمـ عـلـىـ الثـقـاتـ الـذـيـنـ فـيـهـمـ شـيـءـ مـنـ الـلـيـنـ.. ثـمـ عـلـىـ خـلـقـ كـثـيرـ مـنـ الـمـجـهـولـيـنـ..ـ)".

وفيـ صـحـيـحـ اـبـنـ حـبـانـ ٣: ٣٩٦ـ: "قـالـ أـبـوـ حـاتـمـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ: عـائـذـ بـالـلـهـ أـنـ نـتـحـجـ بـخـبـرـ رـوـاهـ مـرـواـنـ بـنـ الـحـكـمـ وـذـوـوـهـ فـيـ شـيـءـ مـنـ كـتـبـنـاـ".

وقـالـ عـنـهـ الشـيـخـ الـأـلـبـانـيـ فـيـ مـخـتـصـرـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ ١: ١٩٠ـ: "فـيـ كـلـامـ مـعـرـوفـ عـنـدـ الـمـحـدـثـيـنـ..ـ".

وقـالـ اـبـنـ حـجـرـ فـيـ تـهـذـيـبـ التـهـذـيـبـ ١٠: ٩٢ـ: "وـعـابـ الـإـسـمـاعـيـلـيـ عـلـىـ الـبـخـارـيـ تـخـرـيـجـ حـدـيـثـهـ وـعـدـ مـنـ مـوـبـقـاتـهـ أـنـ رـمـيـ طـلـحةـ أـحـدـ الـعـشـرـةـ يـوـمـ الـجـمـلـ..ـ".

وقـالـ اـبـنـ حـزـمـ: "مـرـواـنـ بـنـ الـحـكـمـ أـوـلـ مـنـ شـقـ عـصـىـ الـمـسـلـمـيـنـ بلاـ شـبـهـ وـلـاـ تـأـوـيلـ، وـإـنـهـ قـتـلـ الـنـعـمـانـ بـنـ بـشـيرـ أـوـلـ مـوـلـودـ فـيـ الـإـسـلـامـ لـلـأـنـصـارـ" المـغـنـيـ فـيـ مـعـرـفـةـ رـجـالـ الصـحـيـحـيـنـ: ٢٣٥ـ.ـ هـذـاـ مـنـ جـهـةـ مـنـزـلـةـ مـرـواـنـ بـنـ الـحـكـمـ عـنـدـ الـمـحـدـثـيـنـ..ـ".

وـأـمـاـ سـيـرـتـهـ وـأـفـعـالـهـ فـهـيـ كـالـنـارـ عـلـىـ الـمـنـارـ، مـلـيـثـةـ بـالـخـيـانـةـ وـالـحـقـدـ عـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ، قـالـ عـنـهـ الـذـهـبـيـ فـيـ مـيـزـانـ الـاعـتـدـالـ ٤: ٨٩ـ: "لـهـ أـعـمـالـ مـوـبـقـةـ، نـسـأـلـ اللـهـ السـلـامـةـ، رـمـيـ طـلـحةـ بـسـهـمـ..ـ".

وـفـيـ سـيـرـ أـعـلـامـ الـنـبـلـاءـ ١: ٣٥ـ: "عـنـ قـيـسـ قـالـ: رـأـيـتـ مـرـواـنـ بـنـ الـحـكـمـ حـينـ رـمـيـ طـلـحةـ يـوـمـثـدـ بـسـهـمـ فـوـقـ فـيـ رـكـبـتـهـ فـمـاـ زـالـ يـنـسـحـ حـتـىـ مـاتـ، رـوـاهـ جـمـاعـةـ عـنـهـ..ـ".

وـلـفـظـ عـبـدـ الـحـمـيدـ بـنـ صـالـحـ: هـذـاـ أـعـانـ عـلـىـ عـشـمـانـ وـلـاـ أـطـلـبـ بـثـارـيـ بـعـدـ الـيـوـمـ..ـ".

قلت: قاتل طلحة في الوزر بمنزلة قاتل علياً.

وقال عنه الذهبي في تاريخ الإسلام ١: ٢٣٤: "كان يوم الحرة مع مسلم بن عقبة، وحرّضه على أهل المدينة..."، وارجع إلى حديث النبي ﷺ في صحيح مسلم ٤: ١٢١ "من أراد أهلها بسوء (يريد المدينة) أذابه الله كما يذوب الملح في الماء" فهو من شمله دعاء النبي ﷺ وهو من أصحاب النار.

وفي سير أعلام النبلاء ٣: ٤٧٧: "كان مروان أميراً علينا، فكان يسبّ رجلاً كلّ جمعة، ثم عزل بسعيد بن العاص، وكان سعيد لا يسبه، ثمّ أعيد مروان فكان يسبّ، فقيل للحسن: ألا تسمع ما يقول؟ فجعل لا يرد شيئاً". وقد ذكر في تاريخ الإسلام ١: ٢٣٥ اسم ذلك الرجل الذي كان يسبه مروان وهو علي بن أبي طالب رض.

وذكر في كشف الجاني أيضاً بأنّ المؤلّف كذب حينما قال: بأنّ البخاري يروي عن المجمّمة والمجاهيل!

وهذا - أيضاً - من جهل صاحب كتاب كشف الجاني إذ بمراجعة بسيطة لمقدمة فتح الباري وغيرها يجد أنّ هنالك العديد من المجاهيل بل والمتهمين بالكذب ممّن روى البخاري عنهم، نورد بعض الأسماء ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى مقدمة فتح الباري: فمن الرواة المجاهيل الذين روى عنهم البخاري:

١- إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربعة: قالقطان الفاسي: لا يعرف حاله.
هدي الساري إلى فتح الباري، ابن حجر ٥٤٨.

٢- أسباط أبو اليسع: قال أبو حاتم: مجھول. المصدر السابق ٥٤٩.

٣- الحسين بن الحسن بن يسار: قال أبو حاتم: مجھول. المصدر السابق ص ٥٦٠.

٤- أسامة بن حفص أو ابن جعفر المدني: قال اللالكائي: مجھول، وقال الأزدي ضعيف.
ميزان الاعتدال ١: ١٧٤، رقم ٧٠٤، هدي الساري: المغني في معرفة الرجال
الصحيحين: ٢٨ رقم ١٣١.

٥- ثور بن زيد الديلي: قال البيهقي: مجھول. ميزان الاعتدال ١: ٣٧٣.

- ٦- الحسن بن إسحاق بن زياد أبو علي الليثي المروزي: قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: هو مجھول، وقال الذھبی: مجھول الجرح والتعديل ^٣: ٢، میزان الاعتدال ٢: ٢٢٧، المعني في الضعفاء ١: ٢٤٤.
- ٧- حسین بن محمد الأنصاری السالمی: قال الذھبی: فيحتاج به في الصحيحين، ومع هذا فلا يکاد يعرف. میزان الاعتدال ١: ٥٥٤.
- ٨- عبد الواحد بن عبد الله بن كعب النصري: قال ابن حزم: مجھول. تهذیب التهذیب ٦: ٤٣٦، الضعفاء لابن الجوزی ٢: ١٥٦.
- ٩- محمد بن يزید الكوفی الحزامی: قال أبو حاتم: مجھول. هدی الساری: ٣: ٤٤٣. ومن الرواۃ المتهمین بالکذب الذين روی عنهم البخاری:
- ١- أَسِيدُ بْنُ زَيْدِ الْجَمَالِ: قَالَ النَّسَائِيُّ: مَتْرُوكٌ، وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ: حَدَّثَ بِأَحَادِيثِ كَذْبٍ، وَقَالَ ابْنُ خَلْفُونَ: وَذَكَرَ ابْنَ الْأَعْرَاتِيَّ عَنْ عَبَاسَ بْنِ مُحَمَّدٍ الدُّورَقِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ قَالَ: أَسِيدُ بْنُ زَيْدِ الْجَمَالِ: كَذَابٌ، ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي الْكَرْخِ وَنَزَلَ دَارَ الْحَذَائِينَ فَأَرْدَتْ أَنْ أَقُولَ: يَا كَذَابٌ، فَفَرَقْتَ مِنْ شَفَارِ الْحَذَائِينَ. المُصْدَرُ السَّابِقُ ٥٥٢، الْمُعْلَمُ بِشِيوْخِ الْبَخَارِيِّ وَمُسْلِمٌ: ١١٤ رقم ٨٨
- ٢- شجاع بن الولید بن قیس السکونی: اتهمه يحيی بن معین بالکذب. المُصْدَرُ السَّابِقُ ص ٥٧٥.
- ٣- عکرمة أبو عبد الله مولی ابن عباس: متهم بالکذب. المُصْدَرُ السَّابِقُ ص ٥٩٦.
- ٤- أحمد بن صالح أبو جعفر المصري: قال النسائي: ليس بثقة ولا مأمون. وقال أيضاً: تركه محمد بن يحيی ورماه يحيی بن معین بالکذب، هدی الساری: ٣٨٣ وقال معاویة بن صالح عن ابن معین: أحمد بن صالح کذاب يتفلسف، الضعفاء والمتروکین ٥٦، تهذیب التهذیب ١: ٣٩.
- ٥- إسماعيل بن عبد الله بن أبي أُویس بن مالک بن أبي عامر المدنی: قال يحيی بن معین، مخلط يکذب ليس بشيء.

وقال الدوّلابي: سمعت النظر بن سلمة المروزي يقول: كذّاب كان يحدث عن مالك بمسائل ابن وهب. ميزان الاعتدال ١: ٢٢٢ رقم ٨٥٤ تهذيب التهذيب ١: ٣١٠، الضعفاء والمتروكين: ٥١، المغني في معرفة رجال الصحيحين: ٣٥، ١٩٢.

٦- الحسن بن مدرك بن بشير أبو علي البصري الطحان: قال أبو داود: الحسن بن مدرك كذّاب، كان يأخذ أحاديث فهد بن عوف فيقلّبها على يحيى بن حمّاد. ميزان الاعتدال ١: ٥٢٢ رقم ١٩٤٩.

٧- كعب بن مانع المعروف بکعب الأحبار: كان يهودياً فأسلم، وقد شُكِّكَ في إخلاصه للإسلام وتركه اليهودية، كذبه ابن عباس وابن مسعود وحذيفة في قولهم: كذب كعب (البداية والنهاية ٣: ٣١٦)، وما ترك يهوديته، أو ما تنكّت اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه (تفسير القرطبي ١٤: ٢٢٧، تفسير ابن كثير ٣: ٥٦٢).

وذكّر السيد رشيد رضا في كتابه بما جاء عنه في صحيح البخاري على لسان معاوية: كان کعب الأحبار من أصدق المحدثين الذين يحدّثون عن أهل الكتاب. قال السيد رشيد رضا: أدخل على المسلمين شيئاً كثيراً من الاسرائيليات الباطلة والمخترعة، وخفى على كثير من المحدثين كذبه ودجله لتعده. تفسير المنار ٨: ٤٤٩.

الرواية المغموز فيها وهم كثير نذكر بعضهم:

١- أئوب بن عائذ الطائي الكوفي:

ممّن أخرج له البخاري وأورد اسمه في كتاب الضعفاء (الضعفاء الصغير للبخاري: ٢٤) قال الذبيبي: والعجب من البخاري يغمزه وقد احتجّ به. ميزان الاعتدال ١: ٢٨٩.

٢- ثابت بن محمد الكوفي الشيباني: ذكره في الضعفاء وقال أبو زرعة العراقي: والعجب من البخاري من ذكره في الضعفاء مع احتجاجه به في الصحيح. الجرح والتعديل ٢: ٤٥٧، المغني في معرفة رجال الصحيحين: ٤٨، ٣٠٤، ديوان الضعفاء والمتروكين ١: ١٣٦. إلى غير ذلك، وهناك الكثير من الرواية المصرّح بضعفهم روى عنهم البخاري، من شاء يرجع إلى مقدمة ابن حجر لكتابه فتح الباري.

وأمّا المجسمة الذين روى عنهم البخاري، فقد قدّمنا ذكر مقاتل بن سليمان الذي روى عنه البخاري في التاريخ الكبير، وكان مجسماً كما ذكر ابن حبان.

شاعر الخوارج وخطيبهم الذي كان يتغنى بمدحه لابن ملجم المرادي على
قتله على بن أبي طالب.

كما كان البخاري يتحجّج بحديث الخوارج والمرجئة والمجسمة، وبعض
المجاهيل الذين لا يعرف الدهر لهم وجوداً^١.

ونقول بعد هذا: إنَّ صاحب كتاب كشف الجاني وغيره ممَّن يحدُّو حذوه من المتعصِّبين
يسارعون في الطعن على غيرهم، مع جهلهم الشديد بما هو مسطور ومدوَّن في أمهات
مصادرهم، فكان الأحرى بهم إصلاح عيوبهم قبل التفتیش عن عيوب الآخرين.

^١ كما روى عن حمَّاد بن حميد في صحيحه ١٥٨ وقال الذهبي في ميزان الاعتلال: ٥٨٩ رقم: ٢٤٣ "محدث لا يدرى من هو" ومنهم عطاء أبو الحسن السوائي قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٩٥ "قرأت بخط الذهبي: لا يعرف".

وقد جاء في صحيحه إضافة إلى الكذب والتلليس من الرواية المشهورين بذلك، بعض الروايات السخيفة والبشعة، مثال ذلك ما رواه في صحيحه من كتاب النكاح باب ما يحلّ من النساء وما يحرّم قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

قال في آخر الباب: لقوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾، وقال عكرمة عن ابن عباس: إذا زنى بأخت أمرأته لم تحرم عليه أمرأته، ويروى عن يحيى الكندي عن الشعبي وأبي جعفر فيمن يلعب بالصبي إن دخله فيه فلا يتزوجن أمّه.

وقد علق على هذا الكلام شارح البخاري في الهاامش بقوله: "اللائق بمنصب العلماء أن يجعلوا قدرهم عن كتب مثل هذا الكلام والتفوه به". كما أخرج في صحيحه من كتاب تفسير القرآن، باب "نساؤكم حرث لكم" عن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلّم حتى يفزع منه، فأخذت عليه يوماً فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان، قال: تدري فيما أنزلت؟ قلت: لا، قال: أنزلت في كذا أو كذا، ثم مضى.

وعلى الشارح بقوله: قوله في... بحذف المجرور وهو الظرف أي في الدبر، قيل: وأسقط المؤلف ذلك لاستنكاره، كذا في الشارح.

كنت يوماً في جامعة السربون بباريس أتحدث عن أخلاق النبي ﷺ، وخلقه العظيم الذي تحدّث عنه القرآن، وعُرف به النبي ﷺ حتى قبل البعثة

^١ صحيح البخاري ٥: ١٦٠.

فسمّوه الصادق الأمين، ودامت المحاضرة ساعة تقريرًا، أوضحت خلالها بأنه صلوة لم يكن محاربًا ولا غاصبًا لحقوق الإنسان في تقرير مصيره، وفرض دينه بالقوة والقهر كما يدعى بعض المستشرين.

وخلال المناقشة التي شارك فيها نخبة من الأساتذة والدكاترة المختصين بالإسلام وتاريخ المسلمين وجّلهم مستشرون، وانتصرت نوعاً ما على المناوئين الذين أثاروا بعض الشبهات، ولكن أحدّهم وهو عربي مسيحي طاعن في السن (أعتقد أنه لبناني) اعترض على بأسلوب فيه خبث ودهاء، فكاد يقلب انتصاري إلى هزيمة نكراء.

قال هذا الدكتور بلسان عربي فصيح: بأنّ ما ذكرته في المحاضرة فيه كثير من المبالغة، وبالخصوص فيما يتعلق بعصمة النبي، إذ أنّ المسلمين أنفسهم لا يوافقونك على ذلك، وحتى محمد نفسه لا يوافق على ذلك، فقد قال عديد المرات، بأنه بشر يجوز عليه الخطأ، وقد سجل له المسلمون أخطاء عديدة نحن في غنى عن التعريف بها، وكتب المسلمين الصحيحة والمعتمدة عندهم تشهد على ذلك.

ثم قال: وأما بخصوص الحروب بما على حضرة المحاضر إلا مراجعة التاريخ، ويكتفى أن يقرأ فقط كتب الغرورات التي قام بها محمد في حياته، ثم واصلها الخلفاء الراشدون بعد وفاته حتى وصلوا إلى (poitier) مدينة بواتيه بغرب فرنسا، وفي كلّها كانوا يفرضون دينهم الجديد على الشعوب بالقهر وقوّة السيف.

وقابل الحاضرون كلامه بالتصفيق مؤيدين مقالته، وحاولت بدوري

إقناعهم بأنّ ما ذكرهُ الدكتور المسيحي غير صحيح، وإن أخرجهُ المسلمون في كتبِهم، وارتَفعت ضجة من الضحك في القاعة استهزاءً وسخريةً مني.

وتدخلَّ الدّكتور المسيحي من جديد ليقول لي بأنّ ما ذكره ليس من الكتب المطعون فيها، وإنّما هو في صحيح البخاري ومسلم.

وقلت: بأنّ هذه الكتب صحيحة عند أهل السنة، أمّا عند الشيعة فلا يقيمون لها وزناً، وأنا مع هؤلاء.

فقال: نحن لا يهمّنا رأي الشيعة الذين يكفرُهم أغلب المسلمين، والمسلمون السنة وهم أكثر من الشيعة عشر مرات لا يقيمون لآراء الشيعة وزناً، ثمّ أضاف قائلاً: إذا تفاهتم أنتم المسلمين مع بعضكم البعض، وأقنتُم أنفسكم بعصمة نبيّكم، عند ذلك يمكن أن تُقنعوا نحن (قال ذلك ضاحكاً متهكماً).

ثمّ التفت إلىَّ من جديد قائلاً: وأمّا بخصوص الأخلاق الحميدة، فأنا أسألك أن تقنع الحاضرين كيف تزوجَ محمدُ الذي بلغ من العمر أربعين وخمسين عائشةً وعمرها ستّ سنين؟

وارتفعت من جديد ضجة الضحك وأشرأبت الأعناق تنتظر ردّي، وحاولتُ جهدي إقناعهم بأنّ الزواج عند العرب يتم على مراحلتين، المرحلة الأولى وهو العقد وكتب النكاح، والمرحلة الثانية وهو البناء والدخول، وقد تزوج النبي عائشةً وعمرها ستّ سنوات، ولكن لم يدخل بها إلاً بعد أن بلغت تسع سنوات.

واستطردت بأنّ هذا ما يقوله البخاري إن كان مُناقشى يحتجّ علىَّ بما

فيه.

وأنا شخصياً أشك في صحة الرواية؛ لأن الناس في ذلك الزمان لم يكن لهم حالة مدنية، ولا تسجيل تاريخ الميلاد ولا تاريخ الوفاة، وعلى فرض صحة الرواية فإن عائشة بلغت سن الرشد في التاسعة من عمرها، فكم رأينا اليوم على شاشة التلفزيون بعض الفتيات الروسيات والرومانيات لاعبات "الجمباز" اللاتي عندما تراهن وترى كمال أجسامهن تستغرب عندما يُعلنون عن عمرها، وأنها لم تتجاوز إحدى عشر عاماً، فلا شك بأن النبي ﷺ لم يدخل بها إلاً بعدما رشدت وأصبحت تحيسن، والإسلام لا يقول بالرشد لمن بلغ ثمانية عشر عاماً كما هو معروف عندكم في فرنسا، بل الإسلام يعتبر الرشد بالحيض للنساء وبخروج المني للرجال، وكلنا يعلم حتى اليوم بأن من الذكور من يمدون في سن العاشرة، ومن الإناث من يحصلن في سن مبكرة قد لا تتجاوز العاشرة.

وهنا قامت سيدة وتدخلت لتقول: نعم وعلى فرض أن ما أوردته قد يكون صحيحاً وهو صحيح علمياً، ولكن كيف نقبل بزواج شيخ كبير أو شكل عمره على نهايته بفتاة صغيرة ما زالت في العقد الأول من عمرها؟ قلت: إن محمداً نبي الله ولا يفعل شيئاً إلا بمحض إرادته، ولا شك أن الله في كل شيء حكمة، وإن كنت شخصياً أحجهل الحكمة في ذلك.

قال الدكتور المسيحي: لكن المسلمين اتخذوا ذلك سنة، فكم من فتاة صغيرة زوجها أبوها غصباً عنها برجل يوازيه في السن، ومع الأسف فإن هذه الظاهرة بقيت حتى اليوم موجودة.

انتهزت هذه الفرصة لأقول: ولذلك أنا تركت المذهب السنّي واتبعت

المذهب الشيعي، لأنّه يعطى حقّ المرأة في أن تزوج نفسها بمن شاءتْ هي
لا بما يفرضه عليها الولي.

قال: دعنا من السنة والشيعة ولنعد إلى زواج محمّد بعائشة، والتفت إلى
الحاضرين ليقول بكلّ سخرية: إن محمداً النبِيُّ والبالغ من العمر أكثر من
الخمسين يتزوج بُنْيَةً صغيرة لا تفهم من الزواج قليلاً ولا كثيراً، والبخاري
يحدّثنا بأنّها كانت في بيت زوجها تلعبُ بالدُّمَى، وهذا يؤكّد على براءة
الطفولة، فهل هذه هي الأخلاق العالية التي يمتاز بها النبِيُّ؟

وحاولت من جديد إقناع الحاضرين بأنّ البخاري ليس حجّة على
النبِيُّ ﷺ، ولكن بدون جدوٍ، فقد لعب هذا المسيحي اللبناني بأفكارهم
كما أراد، وما كان لي إلا أن أوقفُ النقاشَ متذرّعاً بأنّا لا نتكلّم نفس اللغة؛
لأنّهم يتحجّون علىَّ بالبخاري في حين أنا لا أؤمن بكلّ ما ورد فيه.

وخرجتُ ناقماً على المسلمين الذين أعطوا لهؤلاء وأعداء الإسلام
وأعداء محمّد ﷺ السلاح النافذ الذي يحاربونا به وعلى رأس هؤلاء
البخاري، ورجعت للبيت يومها مهموماً، وأخذت أتصفح صحيح البخاري
وما ذكره في فضائل عائشة وأحوالها، فإذا بي أقول: الحمد لله الذي فتح
بصيري، وإلا لبقيتُ متحيراً في شخصية الرسول ﷺ، وربما داخلي الشك
فيه والعياذ بالله.

ولابدّ من إظهار بعض الروايات التي أثيرتْ خلال المناقشة، حتى يتبيّن
للقارئ بأنّ هؤلاء المنتقدین لم يفترروا علينا، وإنّما وجدوا بغيتهم في
صحاحنا فاستعنوا بها علينا.

فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق، باب تزويع

النبي ﷺ عائشة وقدومه المدينة وبنائه بها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرت بن خزرج، فوعكت فتمرق شعرى فوفى جميمة، فأتنى أمي أم رومان وإنى لفى أرجوحة ومعى صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريدى بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإنى لأنهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأنى، فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ ضحى فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين.

وأترك لك أيها القارئ لتعلق بنفسك على أمثل هذه الروايات!!
كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأدب، باب الانبساط إلى

الناس:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ ، وكان لي صواحب يلعبن معى، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمّن منه فيسر بهن إلى فيلعبن معى.

يقول الشارح: ألعب بالبنات، يعني التمايل المسمّاة بلعب البنات، ويسر بهن إلى: أي يبعثهن ويرسلهن إلى.

وأنت تقرأ مثل هذه الروايات في صحيح البخاري، أبقى عندك

اعتراض بعدها على نقد بعض المستشرقين إن كنت منصفاً؟!

قل لي بربك! عندما تقرأ قول عائشة لرسول الله ﷺ "ما أرى ربك إلا

يُسَارِعُ فِي هُوَالٍ".^١

ماذا يبقى في نفسك من احترام وتقدير لامرأة كهذه التي تشكيك في

نراحته ﷺ؟ وهل لا يبعث ذلك في نفسك أنها تصرفات مراهقة لم يكتمل

عقلها؟!

وهل يلام بعد ذلك أعداء الإسلام الذين كثيراً ما يثرون حبّ محمد للنساء وأنه كان شهوانياً، فإذا قرأوا في البخاري بأنّ الله يسارع في هواه، ويقرأون في البخاري بأنّه كان يجامع إحدى عشرة زوجة في ساعة واحدة وقد أعطيَ قوّة ثلاثة، فاللّوم على المسلمين الذين أقرّوا مثل هذه الأباطيل واعترفوا بصحّتها، بل واعتبروها كالقرآن الذي لا يتطرق إليه الشك، ولكن هؤلاء مسيرون في كلّ شيء حتّى في عقيدتهم، وليس لهم خيارٌ في شيء، لقد فرضتْ عليهم هذه الكتب من الحكّام الأوّلين، وهلّم بنا الآن إلى الروايات التي أخرجها البخاري للطعن على أهل البيت:

فقد أخرج في صحيحه من كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرأً

:٥٦

عن علي بن حسين، أنّ حسين بن علي أخبره أنّ علياً قال: كانتْ لـ

شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني مما أفاء الله

^١ صحيح البخاري ٦: ٢٤، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: (تُرجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُتُوْيِ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَّلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ).

من الخامس يومئذ، فلما أردتُ أن أبتنى بفاطمة عليها السلام بنت النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه،
وأعدتُ رجلاً صوّاغاً فيبني قينقاع أن ترتحل معى فنأتى بإذخر، فأردت
أن أبيعه من الصوّاغين فنستعين به في وليمة عرسى.

في بينما أنا أجمع لشارفَيَّ من الأقتاب والغرائر والحبال، وشارفائي مُناخان
إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعته، فإذا أنا بشارفَيَّ
قد أجبَتْ أسمتهمَا، وبُقرتْ خواصِرُهُمَا، وأخذَ من أكبادهُمَا، فلم أملِك
عينيَّ حين رأيت المنظرَ، قلتُ: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة بن عبد
المطلب، وهو في هذا البيت في شرب من الأنصار عنده قينة وأصحابه،
فقالت في غنائهما: (ألا يا حمزُ للشرف النَّواء)، فوثب حمزة إلى السيف
فأجبَّ أسمتهما وبقر خواصِرُهُمَا وأخذَ من أكبادهُمَا.

قال علي: فانطلقت حتى أدخل على النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، وعنده زيدُ بن حارثة،
وعرف النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه الذي لقيتُ، فقال: ما لك؟ قلتُ: يا رسول الله ما رأيتُ
كاليوم، عدًا حمزة على ناقتي فأجبَّ أسمتهما وبقر خواصِرُهُمَا، وهذا هو ذا
في بيته شرب، فدعا النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه برداه، فارتدى ثم انطلق يمشي
وابتعثه أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة، فاستاذن عليه
فأذن له، فطقق النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يلوم حمزة فيما فعل، فإذا حمزة ثملٌ محمرة
عيناه، فنظر حمزة إلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، ثم صعدَ النَّظرَ فنظر إلى رُكبتيه، ثم صعدَ
النظر فنظر إلى وجهه، ثم قال حمزة: وهل أنتم إلَّا عبيد لأبي، فعرف
النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه ثملٌ، فنكصَ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه على عقبيه القهقرى، فخرج
وخرجنا معه.

تأمل أيها القارئ في هذه الرواية التي طفت بالكذب والزور لشتم سيد الشهداء؛ لأنّه مفخرة أهل البيت!! فكم كان الإمام على سلام الله عليه يفتخر به في أشعاره بقوله: "وَحْمَزةُ سِيدُ الشَّهْدَاءِ عَمِّيْ؟"! وكم كان رسول الله ﷺ يفتخر به، حتّى إذا قُتِلَ حَزَنَ عَلَيْهِ حَزَنًا كَبِيرًا، وبكى عليه بكاءً كثيراً، وسمّاه سيد الشهداء.

وَحْمَزةُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي أَعْزَّ اللَّهَ بِالإِسْلَامِ، عِنْدَمَا كَانَ الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ خَفِيَّةً، وَقَفَ وَقْفَتِهِ الْمُشَهُورَةِ فِي وَجْهِ قَرِيشٍ، وَأَنْتَصَرَ لَابْنِ أَخِيهِ مَعْلُونًا إِسْلَامَهُ عَلَى الْمَلَأِ مِنْ قَرِيشٍ وَمَا خَافَ أَحَدًا. حَمْزَةُ الَّذِي سَبَقَ هِجْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَهَدَ لِدُخُولِ ابْنِ أَخِيهِ فِي يَوْمِ مَشْهُودٍ، حَمْزَةُ الَّذِي كَانَ مَعَ ابْنِ أَخِيهِ عَلَى أَبْطَالِ بَدْرٍ وَأَحَدٍ.

أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ فِي نَفْسِهِ فِي صَحِيحِهِ كِتَابَ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابَ قَوْلِهِ ﴿هَذَا نَحْنُ خَصَّمَنَا الْخَصَّمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ :٥٢٤٢ عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: أنا أول من يجثوا بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيمة، قال قيس: وفيهم نزلت "هذا نحْنُ خَصَّمَنَا الْخَصَّمُوا فِي رَبِّهِمْ" قال: هم الذين بارزوا يوم بدر، عليٌّ، وَحَمْزَةُ، وَعَبِيدَةُ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعَتْبَةَ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عَتْبَةَ.

نعم، إنّ الْبَخَارِيُّ يَعْجِبُهُ أَنْ يَرْوِي مِثْلُ هَذِهِ الْمُتَالِبِ فِي مَفْخِرَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَسَلِسَلَةِ الْوَضَاعِينَ الَّذِينَ وَضَعُوا مِثْلَ هَذِهِ الرَّوَايَةِ طَوِيلَةً، فَقَدْ قَالَ الْبَخَارِيُّ:

حدثنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، وحدثنا أحمد بن صالح،

حدّثنا عَبْسَةُ، حدّثنا يُونسُ، عن الزُّهْرِيِّ، أخْبَرَنَا عَلَىٰ بْنُ حَسِينٍ.

فَهُؤُلَاءِ سَبْعَةُ أَشْخَاصٍ يَرْوِيُّونَنِ الْبَخَارِيِّ، قَبْلَ أَنْ يَصُلَّ السَّنَدُ إِلَيْهِ
عَلَىٰ بْنِ الْحَسِينِ وَهُوَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ وَسَيِّدُ السَّاجِدِينَ، فَهَلْ يَلِيقُ بِزَيْنِ
الْعَابِدِينَ أَنْ يَرْوِيَ أَكَاذِيبَ مِثْلِ هَذِهِ، فَإِنَّ كُوْنَ سَيِّدِ الشَّهَادَةِ يَشْرُبُ الْخَمْرَ بَعْدَ
إِسْلَامِهِ وَبَعْدَ هِجْرَتِهِ وَقَبْلَ اسْتَشْهَادِهِ بِأَيَّامٍ قَلَّا لِلْأَيَّامِ، إِذْ تَقُولُ الرَّوَايَةُ بِأَنَّ عَلَىٰ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَعْدُ وَلِيْمَةً عَرْسَهُ عَلَىٰ فَاطِمَةَ عَلِيَّةَ الَّتِي بَنَىَّ بِهَا فِي السَّنَةِ
الثَّانِيَّةِ لِلْهِجَرَةِ النَّبُوَيَّةِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَاهُ نَصِيبَهُ مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُلْ
يَلِيقُ بِسَيِّدِ الشَّهَادَةِ أَنْ تَكُونَ لَهُ قِينَةٌ عَاهِرَةٌ تُغْنِيهِ، وَتَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَقْرَرَ
النَّاقَيْنَ، فَيَفْعُلَ بِدُونِ مُبَالَةٍ؟

وَهُلْ يَلِيقُ بِسَيِّدِ الشَّهَادَةِ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ حَرَامٍ بَدُونِ ذَبْحٍ، وَيَبْقَرَ الْخَوَاصِرَ،
وَيَأْخُذَ الْأَكْبَادَ؟

وَهُلْ يَلِيقُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَذْهَبَ وَيَسْتَأْذِنَ عَلَىٰ حَمْزَةَ فِي ذَلِكَ
الْمَجْلِسِ الَّذِي فِيهِ الْخَمْرُ وَالدَّعَارَةُ؟ وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانَ؟
وَهُلْ يَلِيقُ بِسَيِّدِ الشَّهَادَةِ أَنْ يَكُونَ ثَمَلاً مَحْمَرَةً عَيْنَاهُ، فَيَشْتَمِ رَسُولُ
اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: وَهُلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبْدُ لَأَبِي؟

وَهُلْ يَلِيقُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْكُصَ عَلَىٰ عَقْبَيِهِ الْقَهْرَرِيِّ، فَيَخْرُجُ دُونَ
تَأْنِيبٍ أَوْ تَوْبِيْخٍ، فَالْمَعْرُوفُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَغْضِبُ اللَّهَ؟!
وَأَنَا مُتَقِّنٌ أَنَّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ لَوْ كَانَتْ (عَلَىٰ سَبِيلِ الْأَفْرَاضِ طَبِيعًا) تَذَكَّرَ
أَبَا بَكْرَ أَوْ عُمَرَ أَوْ عُثْمَانَ أَوْ مَعَاوِيَةَ مَكَانَ حَمْزَةَ، لَمَّا أَخْرَجَهَا الْبَخَارِيُّ
لِفَظَاعَتْهَا، وَلَوْ أَخْرَجَهَا لَهَذِبَهَا عَلَىٰ طَرِيقَتِهِ وَابْتِرَهَا، وَلَكِنْ مَا الْحِيلَةُ
وَالْبَخَارِيُّ لَا يَحْبُّ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ رَفَضُوا مَدْرَسَةَ الْخَلْفَاءِ، حَتَّىٰ بَعْدَ وَقْعَةِ

كرباء وقتلهم عن بكرة أبيهم، فلم يبق إلا على بن الحسين الذي وضعوا
الرواية على لسانه.

ولماذا لم يرو البخاري شيئاً من فقه أهل البيت، ولا من علومهم، ولا من
خصالهم، ولا من زدهم، ولا من فضائلهم التي ملأت الكتب، وطفحت بها
مجاميع أهل السنة قبل مجاميع الشيعة؟

ولنستمع إليه يروي رواية أخرى تطعن في أهل البيت، وفي القمة
بالذات، إذ أنّ الرواية بما فيهم البخاري لم يجدوا في علي بن أبي طالب
نقيصة واحدة، ولا سجلوا عليه طيلة حياته كذبة واحدة، ولا عرفوا له
خطيئة واحدة، ولو كانت لملأ الدنيا صيحاً وعوياً، فعمدوا لوضع رواية
تتهمه بأنه كان يستخف بالصلوة.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الكسوف، باب تحريض
النبي ﷺ على صلاة الليل، وطرق النبي ﷺ فاطمة وعليها طلاق ليلة للصلوة
٢: ٤٣

قال: حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب عن الزهرى، قال: أخبرنى
علي بن حسين أن حسين بن علي أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره أن
رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال: ألا تصليان؟
فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيده فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف
حين قلنا ذلك ولم يرجع إلى شيئاً، ثم سمعته وهو مولٌ يضرب فخذة وهو
يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^١.

^١ الكهف: ٥٤

لها الله يا بخاري، هذا على بن أبي طالب الذي يحدّثنا عنه المؤرخون
أنه كان يقوم بصلوة الليل في ليلة الهرير (في حرب صفين)، فيفرش نطم
ويصلّى بين الصفين، والنبال والسهام تساقط على يمينه وشماله، فلا يرتاع
ولا يقطع صلاة الليل.

على بن أبي طالب الذي أوضح للناس معالم القضاء والقدر، وحمل
الإنسان مسؤولية أفعاله، تصوره أنت في هذه الرواية بأنه جبرٌ يقول
بالجبر، ويجادل بها رسول الله ﷺ بقوله: "أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا
بعثنا" يعني ذلك لو شاء الله أن نصلّى لصلينا.

على بن أبي طالب الذي حبه إيمان وبغضه نفاق، توصفه أنت بأنه أكثر
شيء جدلاً! إنه كذبٌ مفضوح لا يوافقك عليه حتى ابن ملجم قاتل
الإمام، ولا معاوية الذي كان يأمر الناس بلعنه، إنه كذبٌ رخيص ولكنك
جنيت من ورائه الكثير إذ أرضيت بذلك حكماً زمانك وأعداء أهل البيت،
رفعوا قدرك في هذه الدنيا الدنيئة، ولكنك أسخطتَ ربِّك بهذا الموقف
من أمير المؤمنين، وسيّد الوصيّين، وقائد الغرِّ المحجلين، قسيم الجنة
والنار، الذي يقف يوم القيمة على الأعراف، فيعرف كلاماً بسيماهم^١،

^١ شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ١: ٢٦٣ ح ٢٥٦، في تفسير قوله تعالى: (وَعَلَى الْأَعْرَافِ
رِجَالٌ يَعْرُفُونَ كُلَا بِسِيمَاهُمْ) أخرج الحاكم عن علي قال: نقف يوم القيمة بين الجنة والنار
فمن نصرنا عرفناه فأدخلناه الجنّة، ومن أغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار.
(المؤلف).

فيفقول للنّار هذا لي وهذا لك ^١.

ولا أدرى إن كان كتابك يوم القيمة شبيه بكتابك اليوم الذي يُزوق
ويُجلد وينمق، ليخرج في أبيه حلة عرفها الكتاب.

نعم، كبرت على البخاري أن يظهر سيده عمر بن الخطاب تاركاً للصلة
المفروضة عندما فقد الماء، وبقي على مذهبه ذلك حتى في خلافته، فقال:
“أمّا أنا فلا أصلّي” ^٢ متحدّياً بذلك القرآن والسنة.

فتشتّت عند الدجالين الوضاعين فوضعوا له هذا الحديث الذي يتهم أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب أنه تناقل فلم يصل صلاة الليل، وعلى فرض
واحتمال صحة روايته، فلا ضير ولا إثم ولا ذنب على علي لأنّها تتعلّق
بصلاوة النافلة التي يثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها، ولا يمكن أن
يُقاس فعل عمر بتركه للصلاة المفروضة على ترك علي لصلاة النافلة إن
صحّت الرواية، ولكنّ أنّى لهذه الرواية أن تكون صحيحة، ولو أخرجها
صحيح البخاري !!

فالبخاري صحيح عند أهل السنة، وأهل السنة هم المؤيّدون لمدرسة
الخلافة التي قامت على سياسة بنى أمية وبني العباس، والمتبّع يعرف هذه

^١ ابن حجر الشافعي في الصواعق المحرقة ٣٦٩ في فضائل علي عليه السلام روى عن النبي عليه السلام أنه قال: يا علي أنت قسيم الجنة والنار، في يوم القيمة تقول للنّار: هذا لي وهذا لك. وأضاف ابن حجر أن أبو بكر قال لعلي رضي الله عنهما: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز. (المؤلف).

^٢ سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب التيمم، حديث: ٣٢٢

الحقيقة التي أصبحتْاليوم غير خافية على أحد، وأهل السنة والجماعة تبعاً
لسياسة الحكام الذي دأبوا على عداء ومحاربة أهل البيت ومن والاهم
وتشييع لهم، أصبحوا من غير علمهم أعداء لأهل البيت وشيعتهم؛ لأنهم والوا
أعداءهم وعادوا أولياءهم، ولذلك رفعوا من شأن البخاري إلى الدرجة
الرفيعة التي أصبح عليها، ولا تجد عندهم من تراث أهل البيت، ولا من
أقوال الأئمة الاثني عشر شيئاً يذكر، ولا حتى عن باب مدينة العلم الذي
كان من النبي بمنزلة هارون من موسى، وبمنزلة النبي من ربّه.

والسؤال الذي يُطرح على أهل السنة هو: ما الذي أحرز عليه البخاري
زيادة على بقية المحدثين لينال عندكم هذا التفضيل؟!

وأعتقد أن الجواب الوحيد على هذا السؤال هو أنّ البخاري:

١ - دلّس الأحاديث التي تمسّ كرامة الصحابة خصوصاً، منهم أبو بكر
وعمر وعثمان ومعاوية، وهذا ما دعا إليه معاوية والحكام بعده.

٢ - أبرز الأحاديث التي تطعن في عصمة الرسول ﷺ، وتصوره بأنّه
بشرٌ عاديٌ يخطيء، وهذا ما أراده الحكام على طول الدهر.

٣ - أخرج أحاديث موضوعة في مدح الخلفاء الثلاثة، وفضلهم على
علي بن أبي طالب، وهو بالضبط ما أراده معاوية للقضاء على ذكر علي
حسب زعمه.

٤ - أخرج أحاديث مكذوبة تمسّ بكرامة أهل البيت.

٥ - أخرج أحاديث أخرى تؤيد مذهب الجبر والتجسيم، والقضاء والقدر
في الخلافة، وهو ما أشاعه الأمويون والعباسيون ليتحكّموا بمصير الأئمة.

٦ - أخرج أحاديث مكذوبة تُشبه الأساطير والخرافات لتخدير الأمة وإشاعة الفوضى، وذلك ما يريده الحكام في عصر البخاري.

وعلى سبيل المثال إليك أيها القارئ العزيز هذه الرواية:

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بเดء الخلق، باب أيام الجاهلية من جزئه الرابع الصفحة ٢٣٨:

قال البخاري: حدثنا نعيم بن حمّاد، حدثنا هشيم، عن حصين، عن عمرو بن ميمون، قال: رأيتُ في الجاهلية قردةً اجتمع عليها قردةٌ قد زنتْ، فرجموها فرجمتُها معهم.

ونحن نقول للبخاري: لعلَ الله سبحانه ورحمةً بالقردة قد نسخ حكم الرّجم الذي فرضه عليهم بعد طردتهم من الجنة، وأباح لهم الزنا في عهد الإسلام بعدهما كان محرّماً عليهم في الجاهلية، ولذلك لم يدع أي مسلم أنّه حضر أو شارك في رجم قردةً، منذ بُعثَ محمداً صلوات الله عليه وآله وسلامه وحتى يوم الناس هذا!!!

خاتمة البحث

وبعد هذه الخرافات وأمثالها كثیر في البخاري، فهل يبقى الباحثون والعلماء المتحرّرون ساكتون ولا يتكلّمون؟
وسيقول بعض الناس: لماذا التحامل إلا على البخاري؟ وقد يوجد في غيره من كتب الأحاديث أضعاف ما فيه، وهذا صحيح ولكنْ تناولنا البخاري بالتحديد لما ناله هذا الكتاب من شهرة فاقت الخيال، حتّى أصبح كالكتاب المقدّس عند علماء السنة، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إذ كل ما فيه صحيح لا يتطرق إليه الشك.

ومنبع هذه الهالة وهذا التقديس نشأ من السلاطين والملوك، بالخصوص في العهد العباسى الذي وصل فيه الفرس إلى التحكّم في كل جهاز الدولة، وكان منهم الوزراء والمستشارون والأطباء والفلكيون، يقول أبو فراس ذلك:

أبلغ لديك بنى العباس مالكةً
لا يدعوا ملكها ملاً كها العجم

أي المفاحر أمست في منازلكم
وغيركم آمرٌ فيها ومحتكم

وعمل الفرس كل جهودهم، واستعملوا كل نفوذهم حتّى أصبح كتاب البخاري في المرتبة الأولى بعد القرآن الكريم، وأصبح أبو حنيفة الإمام الأعظم فوق الأئمة الثلاثة الآخرين.

ولولا خوف الفرس من إثارة القومية العربية في عهد الدولة العباسية،

لرفعوا البخاري فوق القرآن، ولقدّموا أبا حنيفة على النبي ﷺ، فمن يدري؟

وقد قرأتُ لبعضهم محاولات من هذا القبيل، إذ كان البعض منهم يقول صراحة: بأنَّ الحديث قاض على القرآن، ويقصد بالحديث البخاري طبعاً، كما يقول: لو تعارض حديث النبي ﷺ مع رأي واجتهاد أبي حنيفة لوجب تقديم اجتهاد أبي حنيفة، ويعلّل ذلك بأنَّ الحديث يحتمل عدّة وجوه، هذا إنْ كان صحيحاً، أمّا إذا كان مشكوكاً في صحته فلا إشكال.

وأخذت الأمة الإسلامية تنموا وتكبر شيئاً فشيئاً، وهي دائماً مغلوبة على أمرها، يتحكّم في مصيرها الملوك والسلاطين من الأعاجم، والفرس، والمماليك، والموالي، والمغول، والأتراك، والمستعمرين من الفرنسيين والإنجليز والإيطاليين والبرتغاليين، وحدثت ولا حرج.

ودأبُ أغلب العلماء على الجري وراء الحكّام، واستمالتهم بالفتاوی، والتملق طمعاً فيما عندهم من مال وجاه، وعمل هؤلاء دائماً على سياسة "فرق تسد"، فلم يسمحوا لأحد بالاجتهاد، وفتح ذلك الباب الذي أغلقه الحكّام في بداية القرن الثاني، معتمدين على ما يشار هنا وهناك من فتن وحروب بين السنة، وهي الأغلبية الساحقة، والتي تمثل الأنظمة الحاكمة، والشيعة وهي الأقلية المنبوذة، والتي تمثل في نظرهم المعارضة الخطيرة التي يجب القضاء عليها.

وبقي علماء السنة مشغولون بتلك اللّعبة السياسيّة الماكرونة في نقد وتكفير الشيعة، والرد على أدائهم بكل فنون النقاش والمجادلة، حتى كُتِبَتْ في ذلك

آلاف الكتب، وقتلتْ آلاف النفوس البريئة، وليس لها ذنب غير ولائها لعترة

الّبَيْهِيَةُ، ورفضها للحكام الذين ركبوا عنقَ الْأَمَّةِ بالقوّةِ والقهرِ.

وها نحن اليوم في عهد الحرّيات في عهد النور - كما يسمّونه - في عهد

العلم وتسابق الدول لغزو الفضاء والسيطرة على الأرض، إذا ما قام عالم

وتحرّر من قيود التعصّب والتقليد، وكتب أى شيء يُشَمُّ منه رائحة التشيع

لأهل البيت، فتشعر ثائرُهم، وتُعبّأ طاقاتهم لسبّه وتکفيره والتشنیع عليه، لا

شيء سوى أنه خالف المألوف عندهم.

ولو أنه كتب كتاباً في مدح البخاري وتقديسه لأصبح عالماً علاماً،

ولأنهالت عليه التهاني والمدائح من كل حدب وصوب، ولتمسح بأعتابه

رجال لا تلهيهم صلاة ولا صوم عن التملّق وقول الزّور.

وأنت تفكّر في كلّ هذا والدواعي التي توفّرت لانحراف أكثر العباد،

والأسباب التي تجمّعت لسيّاقه أغلب الناس إلى الصلاة، فإذا القرآن الكريم

يُوقفك على سرّها المكنون، من خلال الحوار الذي دار بين رب العزة

والجلالة واللّعين إبليس:

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمْرُتَكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ

طينَ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ

أَنْظُرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبَعْثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ

صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَيَّنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ

شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَدْوُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ

لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتَنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيهِمَا سَوْاً تَهْمَمَا إِنَّهُ يَرَأْكُمْ هُوَ وَقَبْيلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أُولَئِكَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا فَاحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمْرَ رَبِّي بِالْقُسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأْكُمْ تَعْوِدُونَ * فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أُولَئِكَ مَنْ دُونَ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢﴾ .

ولذلك أقول لكل إخواني من المسلمين عامة: إنعوا الشيطان ولا تتركوا له سبيلا عليكم، وتعالوا إلى البحث العلمي الذي يقرره القرآن والسنة الصحيحة، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نحتاج إلا بما هو صحيح ثابت عندنا وعندكم، وندع ما اختلفنا فيه جانباً.

ألم يقل رسول الله ﷺ : "لا تجتمع أمتى على خطأ" ^٣ ، إذا فالحق والصواب فيما اجتمعنا عليه سنة وشيعة، والخطأ والباطل فيما اختلفنا فيه، ولو أقمنا إلا هذا العمود لعم الصفاء والوفاق والهناء، ولا جتمع الشمل، ول جاء نصر الله والفتح، ولعمت البركة من السماء والأرض.

^١ الأعراف: ١٨ - ١٢.

^٢ الأعراف: ٢٧ - ٣٠.

^٣ تأویل مختلف الحديث لابن قتيبة: ٢٥، المستصفى للغزالى: ١٣٨، وفي سنن ابن ماجة: ٢٤٧١ ح ١٣٠٣ ح ٣٩٥٠ بلفظ: "إن أمتى لا تجتمع على ضلاله".

فالوقت قد حان، ولم يعد هناك مجال لالانتظار، قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال، ونحن كُلُّنا في انتظار إمامنا المهدى عَلَيْهِ الْكَلَمُ شيعة وسنة، وقد طفحت بشارته كتبنا، أليس هذا دليل كاف على وحدة مصيرنا.

فليس الشيعة إلا إخوانكم، وليس أهل البيت حكرة عليهم، فمحمد وأهل بيته هم أئمة المسلمين كافة، فلقد اتفقنا سنة وشيعة على صحة حديث الثَّقَلَيْنَ، وقوله ﷺ "تركتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمْسَكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوْ أَبْدًا كِتَابَ اللَّهِ وَعَرْتَنِي" ^١ ، والمهدى من عترته، أليس هذا دليل آخر؟
والآن وقد ولَّى عصر الظلمات، وعصر الظلم الذي لم يظلم أحداً بقدر ما ظلم أهل البيت عترة الرسول ﷺ ، حتَّى لُعنوا على المنابر، وقتلوا، وسبيت نساؤهم وبناتهم على مرأى وسمع من كل المسلمين.

فقد حان الوقت لرفع المظلمة عن أهل البيت النبوى، ورجوع الأُمَّةِ إلى أحضانهم الدائفة التي مُلئت رأفة ورحمة، وإلى حضيرتهم المُترعة التي مُلئت علمًا و عملاً، وإلى ظل شجرتهم الباسقة التي حازت فضلاً وشرفًا، فقد صلَّى الله وملائكته، وأمر المسلمين بذلك في كل صلواتهم، كما أمرهم بمودتهم وموالاتهم.

وإذا كان فضل أهل البيت لا ينكره مسلم، وقد تغنى به الشعراء على مرّ

^١ وقد أوضحنا في بحث سابق بأنَّ هذا الحديث لا يتعارض مع حديث كتاب الله وستي؛ لأنَّ كتاب الله وسنة رسوله هو كلام صامت ولا بدَّ لهما من ترجمان ومن مبيّن، فالرسول يرشدنا بأنَّ المفسّر والمبيّن للقرآن والسنة هم عترته من أئمة أهل البيت الذين يشهد المسلمين كافة أنَّهم مقدمون على غيرهم في العلم والعمل. (المؤلف).

العصور، قال الفرزدق فيهم:

أو قيل من خير أهل الأرض قيل هُمْ

إن عدّ أهل التقى كانوا أنتمهم

كفرٌ وقربهم ملجمٌ ومعتصمٌ

من عشر حبهم دين وبغضهم

في كلّ برٍ ومختوم به الكلم^١

مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم

وقال فيهم أبو فراس الشاعر المعروف يمدح أهل البيت، ويشنئ

العبّاسيين في قصيدة المعروفة بالشافعية، اخترنا منها:

معشر بيعهم يوم الهياج دم

يا باعة الخمر كفوا عن مفاحركم

يوم السؤال وعمالين إن عملوا

خلوا الفخار لعلامين إن سئلوا

ولا يضيعون حكم الله إن حكموا

لا يغضبون لغير الله إن غضبوا

وفي بيوتكم الأوتار والنغم

تنشى التلاوة في أبياتهم سحراً

وزمزم والصفى والحجر والحرم

الركن والبيت والأستار متزلهم

إلاً وهم غير شكٌ ذلك القسم^٢

وليس من قسم في الذكر نعرفه

وقد نقل الزمخشري، والبيهقي، والقسطلاني أبياتاً عن الإمام أبي عبد الله

محمد بن علي الأنباري الشاطبي لزبينا بن إسحاق النصراني يقول فيها:

بسوء ولكنّي محبٌ لهاشم

عدىٰ وتيم لا أحاول ذكرها

إذا ذكروا في الله لومة لائم

وما تعترني في علىٰ ورهطه

^١ الفصول المختارة للشيخ المفيد: ٣٩، تاريخ دمشق ٤١: ٤٠٢، تهذيب الكمال للمزمي: ٢٠.

^٢ ٤٠٢، البداية والنهاية ٩: ١٢٧.

^٣ راجع الغدير ٤٠١: ٣.

وأهل النّهـى من أعرـب وأعاجـم

يقولون: ما بال النـصارـى تحـبـهم

سرـى في قلـوب الـخـلق حتـى الـبـهـائـم^١

فـقلـت لـهـم: إـنـى لـأـحـسـب حـبـهـم

وقد كـتب بـعـض النـصارـى عـدـة كـتب فـي مـزاـيا وـفـضـائـل عـلـى بـن أـبـى طـالـب

خـاصـة، وـفـى أـهـل الـبـيـت عـامـة، وـهـو مـا أـشـار إـلـيـه الـإـمام الشـاطـبـي بـقـوـلـه:

"يـقـولـون مـا بـالـنـصـارـى تـحـبـهـم" وـهـى مـن العـجـائـب التـى بـقـيـت لـغـزـاً، وـإـلـا

كـيف يـعـرـف النـصـرـانـى بـحـقـيقـة أـهـل الـبـيـت وـلـا يـسـلـم؟ اللـهـم إـلـا إـذـا قـدـرـنـا أـنـهـمـا

أـسـلـمـوا، وـلـم يـعـلـنـوا عـن ذـلـك إـمـا رـهـبـة أو رـغـبـة^٢

وقد نـقـل صـاحـب كـتـاب كـشـف الغـمـة فـي صـفـحة ٢٠ قـول بـعـض النـصارـى

فـي مدـح أـمـير المؤـمنـين عـلـى بـن أـبـى طـالـب:

وـمـا لـسـوـاه فـي الـخـلـافـة مـطـمـع

عـلـى أـمـير المؤـمنـين صـرـيمـة

تـقـدـم فـيه وـفـضـائـل أـجـمـعـوا

لـه النـسـبـ الـأـعـلـى وـإـسـلـامـه الـذـي

وـأـورـعـهـم بـعـد النـبـي وـأـشـجـعـ

بـأـنـ عـلـيـاً أـفـضـلـ النـاسـ كـلـهـم

لـمـا كـنـت إـلـا مـسـلـمـاً أـتـشـيـعـ

فـلو كـنـتُ أـهـوـى مـلـةـ غـيرـ مـلـتـيـ

فـالـمـسـلـمـونـ أـوـلـى بـحـبـ وـمـوـالـةـ أـهـلـ بـيـتـ النـبـوـةـ، فـأـجـرـ الرـسـالـةـ كـلـها

مـوقـوفـاً عـلـى مـودـتـهـمـ.

وـعـسـى أـنـ يـلـقـى نـدـائـي آذـانـاً صـاغـيـةـ، وـقـلـوبـاً وـاعـيـةـ، وـعـيـونـاً مـبـصـرـةـ،

فـأـكـونـ بـذـلـكـ سـعـيـداًـ فـي الدـيـاـ وـالـآخـرـةـ، وـأـسـأـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ أـنـ يـجـعـلـ

^١ المـواـهـبـ الـلـدـنـيـةـ لـلـقـسـطـلـانـيـ ٢: ٥٣٢ـ الفـصـلـ الثـالـثـ فـي ذـكـرـ مـحـبـةـ أـصـحـابـهـ وـآلـهـ، الـغـدـيرـ ٣: ٨ـ

عـنـ رـبـيعـ الـأـبـرـارـ لـلـزـمـخـشـريـ وـالـمـحـاسـنـ وـالـمـساـوـيـ لـلـبـيـهـقـيـ.

عملي خالصاً لوجهه الكريم، ويتقبل مني، ويعفو عنّي، ويغفر لي، يجعلني
خادماً لمحمد وعترته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) في الدنيا
والآخرة، فإنّ في خدمتهم فوزاً عظيماً، إن ربّي على صراط مستقيم.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين.

محمد التيجاني السماوي

مصادر التحقيق

- ١- الاحتجاج - أحمد بن علي الطبرسي، الطبعة الثانية ١٤١٦، دار الأسوة.
- ٢- إحقاق الحق وإزهاق الباطل - القاضي نور الله التستري، منشورات مكتبة آية الله المرعشي، قم - ايران.
- ٣- أحكام القرآن - أبو بكر محمد بن عبد الله (ابن العربي)، دار المعرفة.
- ٤- أحكام القرآن - أحمد بن علي الجصاص، الطبعة الأولى ١٤١٥، دار الكتب العلمية.
- ٥- إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالى، الطبعة الأولى ١٤١٢، دار الهدى.
- ٦- الأخبار الطوال - أبو حنيفة الدینوری، الطبعة الأولى ١٩٦٠، دار إحياء الكتب العربية.
- ٧- الاختصاص - الشيخ المفید، مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٨- إرواء الغليل بتخريج أحاديث منار السبيل - محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٤٠٥، المكتب الإسلامي.
- ٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب (بها مش الإصابة) - ابن عبد البر القرطبي، طبع عام ١٣٢٨، دار صادر.
- ١٠- أسد الغابة - ابن الأثير، انتشارات اسماعيليان.
- ١١- الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى ١٤١٥، دار الكتب العلمية.
- ١٢- أصوات على السنة المحمدية - محمود أبو رية، نشر البطحاء.

- ١٣ - أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام - عمر رضا كحالة، الطبعة الخامسة ١٤٠٤، مؤسسة الرسالة.
- ١٤ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - ابن تيمية، دار الفكر.
- ١٥ - الإمامة والسياسة - ابن قتيبة الدينوري، تحقيق على شيري، الطبعة الأولى ١٤١٣، منشورات الشريف الرضي.
- ١٦ - أنساب الأشراف - أحمد بن يحيى البلاذري، الطبعة الأولى ١٣٩٤، مؤسسة الأعلمى.
- ١٧ - بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي، الطبعة الثانية المصححة عام ١٤٠٣، مؤسسة الوفاء،
- ١٨ - بدائع الصنائع - أبو بكر بن مسعود الكاشاني، الطبعة الأولى ١٤٠٩، المكتبة الحسينية.
- ١٩ - البداية والنهاية - إسماعيل بن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى ١٤٠٨، دار إحياء التراث العربي.
- ٢٠ - بشارة المصطفى - عماد الدين الطبرى، الطبعة الأولى ١٤٢٠، مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٢١ - بلاغات النساء - أحمد بن أبي طاهر، مكتبة بصيرتى.
- ٢٢ - تاريخ ابن خلدون - ابن خلدون، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي.
- ٢٣ - تاريخ الإسلام - شمس الدين الذهبي، الطبعة الثالثة ١٤١٩، دار الكتاب العربي.
- ٢٤ - تاريخ الأمم والملوک - ابن جرير الطبرى، مؤسسة الأعلمى.
- ٢٥ - تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار الكتب العلمية.
- ٢٦ - تاريخ الخلفاء - السيوطي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ

- ٢٧ - التاريخ الكبير - الإمام البخاري، المكتبة الإسلامية، ديار بكر.
- ٢٨ - تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر، طبع عام ١٤١٥، دار الفكر.
- ٢٩ - تاريخ اليعقوبي - أحمد بن إسحاق اليعقوبي، الطبعة الأولى ١٤١٩، دار الكتب العلمية.
- ٣٠ - تأويل مختلف الحديث - ابن قتيبة، دار الكتب العلمية.
- ٣١ - تحف العقول عن آل الرسول - ابن شعبة الحراني، الطبعة الثانية ١٤٠٤، مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٣٢ - تذكرة الحفاظ - شمس الدين الذهبي، مكتبة الحرم المكى.
- ٣٣ - تذكرة الخواص - سبط ابن الجوزي، طبع عام ١٤١٨، منشورات الشريف الرضي.
- ٣٤ - تفسير روض الجنان وروح الجنان - أبو الفتوح الرازي، طبع عام ١٣٩٨، مكتبة إسلامية.
- ٣٥ - تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن كثير الدمشقي، طبع عام ١٤١٢، دار المعرفة.
- ٣٦ - التفسير الكبير - الفخر الرازي، الطبعة الأولى ١٤١٥، دار إحياء التراث العربي.
- ٣٧ - تقييد العلم - الخطيب البغدادي، الطبعة الثانية ١٩٧٤، دار إحياء السنّة النبوية.
- ٣٨ - تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى ١٤٠٤، دار الفكر.
- ٣٩ - تهذيب الكمال - يوسف المزى، الطبعة الأولى ١٤١٣، مؤسسة الرسالة.
- ٤٠ - جامع الأصول في أحاديث الرسول - ابن الأثير الجزري، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار الكتب العلمية.
- ٤١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبرى، طبع عام ١٤١٥

دار الفكر.

- ٤٢ - الجامع الصغير - جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى ١٤٠١، دار الفكر.
- ٤٣ - الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد القرطبي، طبع عام ١٤٠٥، دار إحياء التراث العربي.
- ٤٤ - حجية السنة - الشيخ عبد الغنى عبد الخالق، طبع عام ١٤٠٧، نشر المعهد العالمى للفكر الإسلامى.
- ٤٥ - خصائص أمير المؤمنين - أحمد بن شعيب النسائي، المكتبة القيمة، القاهرة.
- ٤٦ - الخلافة والملك - أبو الأعلى المودودي، الطبعة الأولى ١٣٩٨، دار القلم.
- ٤٧ - الدرر السنّية في الرد على الوهابية - أحمد بن زيني دحلان، طبع عام ١٤١٤، مكتبة الحقيقة، تركيا.
- ٤٨ - الدر المنشور - جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى ١٣٦٥، دار المعرفة.
- ٤٩ - دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبرى، الطبعة الأولى ١٤١٣، مؤسسة البعثة.
- ٥٠ - ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى - أحمد بن عبد الله الطبرى، ١٣٥٦، مكتبة القدسى.
- ٥١ - الذريعة الطاهرة النبوية - محمد بن أحمد الدو لا بي، الطبعة الأولى ١٤٠٧، الدار السلفية.
- ٥٢ - ربيع الأبرار ونوصوص الأخبار - محمود بن عمر الزمخشري، طبع عام ١٤٠٠، منشورات الشريف الرضى.
- ٥٣ - روضة الوعاظين - محمد بن الفتال النيسابوري، منشورات الشريف الرضى.
- ٥٤ - الرياض النصرة فى مناقب العشرة - أحمد بن عبد الله الطبرى، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار المعرفة.

- ٥٥ - زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٠٧، دار الفكر.
- ٥٦ - زاد المعاد - ابن القيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، الطابعة الثالثة ١٤٢١هـ
- ٢٠٠٠م.
- ٥٧ - سر العالمين - أبو حامد الغزالى، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار الآفاق العربية.
- ٥٨ - سنن ابن ماجة - القزويني - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى
- ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٥٩ - سنن ابن ماجة - محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر.
- ٦٠ - سنن ابن ماجة وبهامشه مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للبوصيري
- تحقيق وتحريج الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ -
- ١٩٩٨م مكتبة المعارف.
- ٦١ - سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني، الطبعة الأولى ١٤١٠،
دار الفكر.
- ٦٢ - السنن - أحمد بن شعيب النسائي، الطبعة الأولى ١٣٤٨، دار الفكر.
- ٦٣ - سنن الترمذى - محمد بن عيسى الترمذى، الطبعة الثانية ١٤٠٣، دار الفكر.
- ٦٤ - سنن الدارقطنى - على بن عمر الدارقطنى، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار
الكتب العلمية.
- ٦٥ - السنن الكبرى - أحمد بن الحسين البهقى، دار الفكر.
- ٦٦ - السنن الكبرى - أحمد بن شعيب النسائي، الطبعة الأولى ١٤١١، دار
الكتب العلمية.
- ٦٧ - سير أعلام النبلاء - الذهبي، الطبعة التاسعة ١٤١٣، مؤسسة الرسالة.
- ٦٨ - السيرة الحلبية - علي بن إبراهيم الحلبي، الطبعة الأولى ١٤٢٢، دار الكتب

العلمية.

- ٦٩ - السيرة النبوية - أحمد بن زيني دحلان، الطبعة الأولى ١٤١٦، دار إحياء التراث العربي.
- ٧٠ - شرح الأخبار - القاضي أبو حنيفة النعمان المغربي، الطبعة الأولى ١٤١٤، دار الثقلين.
- ٧١ - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحميد، دار إحياء الكتب العربية.
- ٧٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى - القاضي عياض اليحصبي، طبع عام ١٤٠٩، دار الفكر.
- ٧٣ - شواهد التنزيل - الحكم الحسکانی، الطبعة الأولى ١٤١١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.
- ٧٤ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - محمد بن حبان بن أحمد، الطبعة الثانية ١٤١٤، مؤسسة الرسالة.
- ٧٥ - صحيح الجامع الصغير - محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤٢١، المكتب الإسلامي.
- ٧٦ - صحيح سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م مكتبة المعارف.
- ٧٧ - صحيح سنن الترمذی - محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مكتبة المعارف للطباعة والنشر.
- ٧٨ - صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر.
- ٧٩ - الصراط المستقيم إلى مستحقى التقديم - زين الدين البياضي، الطبعة الأولى ١٣٨٤، المكتبة المرتضوية.

- ٨٠ - الصواعق المحرقة - ابن حجر الهيثمي، الطبعة الأولى ١٤١٧، مؤسسة الرسالة.
- ٨١ - الطبقات الكبرى - ابن سعد، دار صادر.
- ٨٢ - عبقرية خالد - عباس محمود العقاد، طبع عام ١٩٩٦، دار نهضة مصر.
- ٨٣ - العقد الفريد - أحمد بن محمد بن عبد ربه، طبع عام ١٤١٧، دار الكتب العلمية.
- ٨٤ - عمدة القارئ شرح صحيح البخاري - بدر الدين العيني، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار الكتب العلمية.
- ٨٥ - الغدير - عبد الحسين الأميني، طبعة سنة ١٣٧٩ هـ دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٨٦ - غريب الحديث - ابن قتيبة الدينوري، الطبعة الأولى ١٤٠٨، دار الكتب العلمية.
- ٨٧ - الفائق في غريب الحديث - محمود الزمخشري، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار الكتب العلمية.
- ٨٨ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني، الطبعة الثانية، دار المعرفة.
- ٨٩ - فتح القدير - محمد بن علي الشوكاني، نشر عالم الكتب.
- ٩٠ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، طبع عام ١٤١٩، جمعية الإسلام الخيرية.
- ٩١ - فتنة الوهابية - أحمد بن زيني دحلان، طبع في مكتبة اشيق كتاب أوى - تركيا.
- ٩٢ - الفصول المختارة - الشيخ المفید، الطبعة الثانية ١٤١٤، دار المفید.
- ٩٣ - فيض القدیر شرح الجامع الصغیر - محمد عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الأولى ١٤١٥، دار الكتب العلمية.
- ٩٤ - الکافی - محمد بن یعقوب الكلینی، الطبعة الثالثة ١٣٨٨، دار الكتب الإسلامية.

- ٩٥ - الكامل في التاريخ - ابن الأثير الشيباني، دار صادر.
- ٩٦ - كتاب السنة - عمرو بن أبي عاصم، الطبعة الثالثة ١٤١٣، المكتب الإسلامي.
- ٩٧ - كتاب المجروين - محمد بن حبان البستي، تحقيق محمود إبراهيم زايد.
- ٩٨ - الكشف - جار الله الزمخشري، الطبعة الأولى ١٤١٤، مكتبة الإعلام الإسلامي.
- ٩٩ - كشف الخفاء ومزيل الالباس - إسماعيل بن محمد العجلوني، الطبعة الثانية ١٤٠٨، دار الكتب العلمية.
- ١٠٠ - كشف الغمة في معرفة الأنماط - علي بن عيسى الإربلي، دار الأصوات.
- ١٠١ - كنز العمال - المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة.
- ١٠٢ - لباب النقول في أسباب التزول - جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية.
- ١٠٣ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشیخان - محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.
- ١٠٤ - مجامع الزوائد ومنبع الفوائد - نور الدين الهيثمي، طبعة سنة ١٤٠٨، دار الكتب العلمية.
- ١٠٥ - المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، الطبعة الخامسة ١٩٩٦، الشركة العالمية للكتاب.
- ١٠٦ - مختصر صحيح البخاري - الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ١٠٧ - المختصر في أخبار البشر - أبو الفداء إسماعيل بن علي، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار الكتب العلمية.
- ١٠٨ - مروج الذهب ومعادن الجوهر - علي بن الحسين المسعودي، طبع عام ١٤٠٦، دار الهجرة.
- ١٠٩ - المبسوط - السرخسي، تحقيق جمع من الأفضل، دار المعرفة ١٤٠٦ هـ

- ١١٠- المستدرک على الصحيحین - الحاکم النیسابوری، طبع عام ١٤٠٦، دار المعرفة.
- ١١١- المستصفی فی علم الأصول - أبو حامد الغزالی، طبع عام ١٤١٧، دار الكتب العلمية.
- ١١٢- المسند - أبو داود الطیالسی، دار الحديث - بيروت.
- ١١٣- مسند أبي يعلى - أحمد بن على التميمي، دار المأمون للتراث.
- ١١٤- مسند أحمد بتحقيق أحمد حمزة الزین، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، دار الحديث - القاهرة.
- ١١٥- مسند أحمد بتحقيق العلامة أحمد شاکر، نشر دار الجيل.
- ١١٦- المسند - أحمد بن حنبل، دار صادر.
- ١١٧- المصنف - ابن أبي شيبة الكوفی، الطبعة الأولى ١٤٠٩، دار الفكر.
- ١١٨- المصنف - عبد الرزاق الصنعاني، الناشر: المجلس العلمي.
- ١١٩- المعجم الأوسط - سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين.
- ١٢٠- المعجم الصغير - سليمان بن أحمد الطبراني، دار الكتب العلمية.
- ١٢١- المعجم الكبير - سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة ابن تيمية.
- ١٢٢- المعيار والموازنة - أبو جعفر الاسکافی، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودی.
- ١٢٣- المغنی فی الضعفاء - الذهبی، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ١٢٤- المفهم لما أشكل من تلخیص کتاب مسلم - القرطبی، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م دار ابن کثیر.
- ١٢٥- مقاتل الطالبین - أبو الفرج الأصفهانی، طبع عام ١٤١٤، منشورات الشریف الرضی.



- ولد عام ١٩٤٣ م بمدينة «قفصة» الواقعة في جنوب دولة تونس.
- نشأ في أوساط أسرة متديّنة تتبع إلى المذهب المالكي.
- حصل على شهادة البكالوريوس من جامعة الزيتونة.
- وحصل على شهادة الماجستير في الاديان من جامعة باريس.
- وحاز على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون.
- عمل في سلك التدريس ١٧ عاماً.
- أصبح بعد استبصاره من أكبر الدعاة لمذهب أهل البيت (ع)، وسافر إلى العديد من أنحاء العالم لنشر التشيع، وقد استبصر من خلال اللقاء به أو قراءة كتبه الكثير من أهل السنة.
- ألف العديد من الكتب المؤثرة والمتضمنة لأسباب استبصاره، أهمها: ثم اهتديت، لاكون مع الصادقين، فاسألوا أهل الذكر، الشيعة هم أهل السنة . وقد انتشرت كتبه انتشاراً واسعاً في جميع أنحاء العالم، وترجمت إلى العديد من اللغات.



جامعة الإمام العلامة